ٱلْكَشْفُ

عَنْ مَقَاصِدِ
أَبْوَابِ وَمَسَائِلِ

كِتَابِ التَّوحِيدِ

ح مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، ١٤٤٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البراك، عبد الرحمن بن ناصر

الكشف عن مقاصد أبواب ومسائل كتاب التوحيد./
عبد الرحمن بن ناصر البراك - ط١ . . - الرياض، ١٤٤٤هـ

٨٢٤ ص؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٧-٢-٩١٦٢٨-٦٠٣-٩٧٨

١ - التوحيد أ. العنوان

ديوي ٢٤٠ ٣٠٧٩/ ١٤٤٤

رقم الإيداع: ٣٠٧٩/ ١٤٤٤

ردمك: ٧-٢-٩١٦٢٨-٦٠٣-٩٧٨

الطَّبعَةُ الأُولَى

١٤٤٤هـ -٢٠٢٣م

المَملَكَةُ العَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ

الرِّيَاض

الْجَوَّالُ 00966505112242

البَرِيدُ الإِلِكترُونِيُّ m@sh-albarrak.com

الْمَوْقِعُ الرَّسمِيُّ sh-albarrak.com

إِصدارات مُؤسَّسةِ وقفِ الشَّيخ عبدِ الرَّحمٰن بنِ ناصر البرَّاك (١٥)

الكشف

عَنْ مقاصِدِ أبْوابِ ومَسَائِلِ

كِتابِ التَّوحِيدِ

تأْلِيفُ

عبد الرحمن بن ناصر البراك

مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَن والاه.

أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ «كتاب التوحيد» للإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ شرحه شيخنا عبد الرحمن بن ناصر البراك -حفظه الله- مرارًا وتكرارًا، في مناسبات عديدة، بعضها سُجِّلت وأكثرها لم تسجَّل!

وحرصًا من المكتب العلمي لمؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن البراك، وضمن مشروع نشر إنتاج الشيخ وتقريبه وتحقيقه؛ فقد عمد إلى جمع وتفريغ مادة شرح «كتاب التوحيد» الذي شرحه شيخنا في دورتين علميتين متتاليتين؛ هي الثالثة والرابعة، ضمن سلسلة الدورات الصيفية التي ينظمها مجلس إدارة مسجد «علي بن المديني» بالرياض، وقامت تسجيلات الراية الإسلامية مشكورة بتسجيل هذه السلسلة ونشرها.

استهل شيخنا -حفظه الله- شرحه في الدورة العلمية الأولى بمقدمة علمية مختصرة تناول فيها جملة من المقدمات الضرورية المتصلة بالموضوع؛ منوهًا بفضل «كتاب التوحيد»، وبيان قيمته العلمية ومنزلته عند أهل السنة والجماعة، ومشددًا على ضرورة حفظه والتفقه فيه والعمل به، ثم شرع في شرح الباب الأول إلى تمام الباب الثامن عشر في اثني عشر

مجلسًا، وكانت بداية هذه الدورة من: السبت الحادي عشر إلى الخميس الثالث والعشرين من صفر عام ستة عشر وأربع مئة وألف.

وواصل -حفظه الله- الشرح والتعليق في الدورة العلمية الثانية: من الباب التاسع عشر إلى تمام الباب السابع والعشرين، وكان ذلك في ثمانية مجالس: من السبت السابع والعشرين من صفر إلى الأحد الخامس من ربيع الأول عام سبعة عشر وأربع مئة وألف.

ثم أتممنا ما بقي من الأبواب من دروس شرح «كتاب التوحيد» التي كان يلقيها شيخنا في مسجد «أم إبراهيم ذياب» كل ثلاثاء بعد صلاة العشاء من عام واحد وعشرين إلى سبعة وعشرين وأربع مئة بعد الألف، مع الانقطاع في مدة الإجازات ونحوها.

ففرغَّ ونسَّق تلك الدروس: الشيخ زيد العشبان، ثم قرأ فضيلة الشيخ عبد الرحمن السويلم التفريغ على شيخنا، فعدَّل شيخنا بعض التعديلات اليسيرة وأضاف ما رآه مناسبًا، وبقيت فيه مواضع لم تُشرح، ومواضع تحتاج لزيادة شرح وبيان؛ فقررنا أن نعيد قراءة الشرح كله على شيخنا قراءة ضبط وتكميل، واقترحنا عليه زيادة توضيح بعض الألفاظ وشرح بعض المسائل الواردة في المتن؛ فأجاب لذلك، فكان يقرّ ويعدل ويزيد وينقص ويحرر ويدقق، وأملى ما يقرب من ثُلثيْ الكتاب دون الاعتماد أو الرجوع إلى المفرَّغ حتى استقام على هذه الصورة التي بين يديك.

واختار شيخنا أن يسمي شرحه هذا بـ «الكشف عن مقاصد أبواب ومسائل كتاب التوحيد»، سائلين المولى عَزَّوَجَلَّ أن ينفع به، ويكتب لشيخنا جزيل الأجر والثواب، إنه جواد كريم.

وقد سرنا في العمل على هذا الكتاب وفق المنهج التالي:

١. مقابلة المتن وضبطه على أصل نسخة الدكتور دغش العجمي، واعتمدنا على الطبعة الخامسة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر، مع مراجعة بعض النسخ الأخرى وما أُثبت في الشروح المشهورة؛ كـ «تيسير العزيز الحميد»، و«فتح المجيد»، وأثبتنا ما يرجحه شيخنا في بعض الألفاظ.

٢. ننبِّهُ في الهامش إلى ما قد يكون من إشكال أو اختلاف مهم بين النسخ، وننقل ما يصوِّبه شيخنا، كما ننبِّهُ إلى بعض الزيادات على طبعة الأصل وجعلناها بين معكوفتين.

٣. قراءة الشرح السابق كلِّه على شيخنا قراءة ضبط وتكميل.

٤. عرضنا كل أجوبة شيخنا على الأسئلة المتعلقة بالمتن في الكتاب في بابها المناسب، فأثبت شيخنا الأسئلة المهمة وأعاد صياغتها وتحريرها من جديد، وأثبتها في مكانها المناسب في ثنايا الشرح.

٥. توثيق النقول التي وردت في المتن والشرح وعزوها إلى مصادرها الأصلية.

٦. ربط بعض مباحث الشرح بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن القيم وأئمة الدعوة النجدية، وغيرهم من محققي أهل السنة.

٧. العناية بالإحالة إلى كُتب وشروح شيخنا في المسائل التي تناولها بتوسع في مصنفاته الأخرى.

٨. ضبط الكلمات المشكلة وتشكيلها بالحركات، والعناية بعلامات الترقيم.

٩. عزو الآيات إلى مواضعها من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وإثباتها على رواية حفص عن عاصم إلا عند الحاجة لرواية أخرى.

١٠. تخريج جميع الأحاديث والآثار الواردة في المتن، والشرح.

والطريقة في ذلك ما يلي:

أ- إذا كان الحديث في الصحيحين، أو أحدهما نقتصر في العزو إليه إلا لفائدة؛ كأن يكون اللفظ المذكور لغيرهما.

ب- إذا كان الحديث في غير الصحيحين:

- خرجناه من مصادره الأصلية؛ كالسنن الأربعة وموطأ مالك ومسند أحمد، وغيرها من المصادر الحديثية المعتبرة.

- ننقل ما تيسر من كلام أهل العلم عليه تصحيحًا أو تضعيفًا.

ج- نذكر اسم الصحابي راوي الحديث إلا أن يُذكر في المتن، وإذا كان الحديث مرويًا عن أكثر من صحابي ذكرنا صاحب اللفظ وأشرنا إلى غيره تبعًا.

١١. ترجمة الأعلام غير المشهورين.

١٢. شرح معاني الكلمات الغريبة من المعاجم المختصة.

١٣. التعريف بالكتب والأماكن والفِرق غير المشهورة.

١٤. صنع فهرس للموضوعات، وقائمة للمصادر والمراجع.

وفي الختام نتوجه بالشكر للشيخ زيد العشبان وفضيلة الشيخ عبد الرحمن بن محمد السويلم -وفقهما الله- على ما بذلا من وقت وجهد في هذا الكتاب.

ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفع بهذا الشرح كما نفع بأصله، ونسأل الله الكريم من واسع فضله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللجنة العلمية في

مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك

للتواصل:
جوال: ٠٥٠٥١١٢٢٤٢
البريد الإلكتروني: m@sh-albarrak.com

مقدمة الشرح

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، وعلى آله وصحابته ومَن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذا شرح مختصر بما يفتح الله به لـ «**كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد**» تأليف الإمام المجدد: محمد بن عبد الوهاب، المتوفى سنة مئتين وستة بعد الألف من الهجرة النبوية، تغمده الله برحمته، وقبل الشروع في الكلام على نصوص هذا الكتاب، لا بد من ذكر ثلاث مقدمات بين يدي شرح الكتاب.

المقدمة الأولى: في فضل العلم الشرعي:

يجب أن يعلم طلاب العلم وسائر المسلمين: أنَّ أفضل العلوم هو العلم الشرعي، والمراد بالعلم الشرعي: العلم الذي مصدره الوحي، والوحي هو ما أوحى الله به إلى محمد ﷺ، وما أنزله عليه، وهو نوعان: وحي الكتاب، ووحي السنة، وكلاهما منزل من عند الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ١١٣﴾ [النساء].

فهذا امتنان من الله على نبيه بذلك العلم، وقد أمره الله بأن يطلب المزيد منه في قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ١١٤﴾ [طه].

وهذا العلم المنزل على محمد ﷺ، الذي تضمنه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، هو العلم النافع لمن عمل به، وهو العلم الذي يدوم نفعه، وقد سماه الله رُوحًا لتوقف الحياة الحقيقية عليه، وسماه نورًا لتوقف الهداية عليه؛ وقد جاء هذا في مواضع من القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء]. وقال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨]، فلا حياة ولا هُدى إلا بذلك العلم الصحيح، الذي هو النور والروح؛ فيجب أن يستقر هذا في عقول المسلمين.

وقد أمر الله بالعلم في مثل قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، وقوله: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة]. وقوله: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال] الآية.

وأثنى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على أهل هذا العلم في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران]. وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال في الأمثال التي ضربها للناس: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت].

وهذه الآيات ليست عامة في كل علم من العلوم؛ بل هي مختصة بعلم الوحيين؛ الكتاب والسنة؛ فيدخل في أولي العلم: الرسل، فهم أعلم الناس بالله وبدينه، ثم العلماء من أتباعهم على مراتبهم، فهذا العلم هو النور والروح، وما سواه من العلوم لا حياة فيه ولا هدى؛ بل أكثر علوم البشر الخارجة عن هذا العلم ضلال وشقاء، فالهدى والسعادة فيما أنزله الله على رسله، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه].

ومما ينبغي أن يُعلم أنَّ العلم الشرعي مداره على ثلاثة أقسام أو أصول:

القسم الأول: العلم بالله؛ بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله، وهذا أشرف العلوم.

الثاني: العلم بدينه وشرعه الذي جعله الله طريقًا يوصل إليه وإلى جنته ومرضاته، وهو أمره ونهيه، وما يتبع ذلك من الأحكام المتعلقة بأفعال المكلفين، فعلًا وتركًا.

الثالث: العلم بما أعد الله للعاملين في الدار الآخرة؛ ثوابًا للمحسنين، وعقابًا للكافرين والظالمين.

وفي هذه الأقسام الثلاثة للعلم يقول ابن القيم في النونية(١):

والعلم أقسام ثلاث ما لها
من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإله وفعله
وكذلك الأسماء للرحمن

(١) (٣/ ٨٣٩، رقم ٤٢٥٣-٤٢٥٥).

والأمـر والنهـي الـذي هـو دينـه
وجــزاؤه يــوم المعــاد الثانــي

فهذا العلم: هو الذي به الحياة، وبه الهداية والنجاة؛ لمن أخذ منه بنصيب وقام بحقه وعمل به، وقد جاء الرسول ﷺ بعلم جمّ، وبلّغه للأمة، ولم يزل منذ بعثه الله وهو يعلِّم الناس بقوله وفعله؛ حتى توفاه الله، وقد أدى الأمانة، وبلَّغ الرسالة، ونصح الأمة.

وتلقى ذلك من بعده أصحابه؛ فحملوا هذا العلم، وبلغوه لمن بعدهم جيلًا بعد جيل، وسيبقى هذا العلم والنور مَعينًا يستسقي منه الواردون، وينهلون من هذا المورد الصافي، ويستنيرون بذلك النور الساطع، إلى أن يأتي أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والسعيد مَن استنار بهذا النور، واهتدى بهدي الرسول ﷺ.

وبما أنه لا نبي بعد النبي محمد ﷺ؛ فإنَّ الله قد ضمن حفظ مصدر هذا الدين، وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]، فدين الله باقٍ ومحفوظ، وحِفظ هذا الدين إنما يكون بوجود مَن يحمله، وقد أخبر الرسول ﷺ عن ذلك بقوله: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم مَن خذلهم ولا مَن خالفهم؛ حتى تقوم الساعة**»[1].

(١) أخرجه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢١) من حديث المغيرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بنحوه. وهو حديث متواتر جاء عن جمع من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. ينظر: نظم المتناثر (ص١٤١ رقم ١٤٥).

ورغَّب النبي ﷺ في هذا العلم في أحاديث كثيرة، ومنها: قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه: «**مَن يُرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»[(١)].

فالفقه في الدين: في عقائده وفي أحكامه؛ عنوان السعادة، والكلام في هذا الباب يطول، فمن أراد المزيد فليرجع إلى ما ذكره ابن القيم من الوجوه في فضل العلم والعلماء في كتابه: «مفتاح دار السعادة»، فقد استوفى رَحِمَهُ ٱللَّهُ أكثر أدلة هذا الباب[(٢)]؛ فنسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يعلِّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علَّمنا، وألا يجعل ما عَلِمنا علينا وبالًا.

المقدمة الثانية: منزلة مؤلف «كتاب التوحيد»:

لم يزل الله يخرج في هذه الأمة مَن يجدد لها دينها بين حين وآخر؛ كما جاء في الحديث المشهور: «**إنَّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة مَن يجدد لها دينها**»[(٣)]، وهذا لا بد منه تحقيقًا لحفظ الله دينه، فلم يزل يخرج في كل زمان مَن يقوم بهذا الدين: علمًا وعملًا، ودعوة وجهادًا.

ومما لا ريب فيه: أنَّ من الدعاة المصلحين المجاهدين الذين اهتدى على أيديهم خلقٌ كثير وحصل بدعوتهم تجديد الدين لهذه الأمة: شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) (١/ ١٣١-٥١٥) فقد ذكر في بيان فضل العلم الشرعي وأهله وجوهًا كثيرة بلغت مئة، وثلاث وخمسين وجهًا.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٩١) والطبراني في الأوسط (٦٥٢٧)، والحديث احتج به أحمد كما في معرفة السنن والآثار للبيهقي (٤٢٤)، وصححه العراقي كما في فيض القدير للمناوي (٢/ ٢٨١).

فإنه المجدد لدعوة التوحيد في القرن الثاني عشر الهجري؛ فإنه وُلد عام خمسة عشر ومئة بعد الألف، وتوفي عام مئتين وستة بعد الألف، وقد جعل الله في قلبه همةً عاليةً، فتصدى للدعوة إلى التوحيد، ومحاربة الشرك والخرافة في هذه البلاد، في قلب نجد، بعد أن فتح الله عليه بالبصيرة، وتلقى العلم عن جماعة من العلماء؛ فأبصر الواقع، وهبَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لإحياء ما اندرس من معالم الدين، وهدي سيد المرسلين ﷺ؛ فجاهد بنفسه ولسانه وقلمه.

ومن فضل الله وتوفيقه: أن يسر له مَن يسانده ويساعده من الولاة، كما هو معروف في تاريخ الدعوة، وقد كان من جهوده رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن ألّف المؤلفات في تقرير التوحيد؛ فألّف الرسائل المختصرة كـ «الأصول الثلاثة»، و«القواعد الأربع» و«كشف الشبهات»[1].

المقدمة الثالثة: منزلة هذا الكتاب:

هذا الكتاب أحسن ما ألّف الشيخ؛ بل لعله أحسن ما أُلّف في تقرير التوحيد بأدلته، فهو كتاب قيِّم عظيم، لم يُؤلف في موضوعه مثله في تبويبه وتقسيمه واستدلاله، فقد تضمَّن هذا الكتاب: بيان التوحيد بأنواعه الثلاثة؛ خصوصًا توحيد العبادة الذي كانت فيه الخصومة بين الرسل وأعدائهم، فضمَّنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ سبعة وستين بابًا بالمقدمة.

وكل هذه الأبواب ليس فيها إلا ذِكر الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة، وأحاديث ذكرها الشيخ للاستشهاد بها، مع ذِكر بعض

(١) وهي مشروحة ومتداولة ولشيخنا شرح على هذه المتون الأربع في مجلد لطيف.

الآثار، وأتبع كل باب بمسائل، هي عبارة عن فوائد لكن على سبيل الإشارة والاختصار.

فتضمن هذا الكتاب:

١. تقرير التوحيد بأنواعه الثلاثة.

٢. وبيان ما يضاد أصله من الشرك الأكبر.

٣. وما يضاد كماله الواجب من الشرك الأصغر، ووسائل الشرك.

فضمَّنه كل ما يحصل به تقرير هذا الأصل العظيم وهو التوحيد، الذي هو أصل دين الرسل، وسيتضح هذا جليًّا عند قراءة هذه الأبواب.

فهذا الكتاب فريد في بابه، وينبغي أن يُحفظ؛ لأنه آيات وأحاديث، وكذلك يُعتنى بمسائله فيوقف عندها، وإن لم تُحفظ فلتُقرأ وتُتدبَّر وتُربط بالنصوص التي استنبطت منها، وسميت هذا الشرح بـ: «الكشف عن مقاصد أبواب ومسائل كتاب التوحيد».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتاب التوحيد

وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

وقوله: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا

فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام].

قال ابن مسعود: مَن أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ **إلى قوله**(١)**:** ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾(٢) [الأنعام: ١٥١-١٥٣] **الآية.**

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: «يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟»، قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب مَن لا يشرك به شيئًا»، قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: «لا تبشرهم فيتكلوا» أخرجاه في الصحيحين(٣)**.**

الشرح

قوله: (كتاب التوحيد): لم يترجم الشيخ بترجمة خاصة؛ بل اكتفى بالترجمة العامة؛ فقال: (كتاب التوحيد)، فهو عنوان على الكتاب كله،

(١) في أصل نسخة دغش: (الآيات) وإكمال الآية زيادة من بعض النسخ.
(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٧٠)، والطبراني في الأوسط (١١٨٦)، قال الدارقطني: «تفرد به داود بن يزيد الأودي عن الشعبي، وتفرد به محمد بن فضيل عنه». أطراف الغرائب والأفراد (٤/ ١١٨، رقم ٣٧٦٦). وقال الألباني في ضعيف سنن الترمذي: «ضعيف الإسناد».
(٣) أخرجه البخاري (٥٩٦٧)، ومسلم (٣٠).

ويندرج تحت هذا العنوان: جميع أبواب الكتاب، فاكتفى في الباب الأول بالعنوان العام، ولم يفرد مضمونه بترجمة، وقد تضمن هذا الباب: خمس آيات، وأثر ابن مسعود، وحديث معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

فمعنى: (كتاب التوحيد): أي: هذا كتاب يتضمن بيان التوحيد بكل معانيه وأقسامه، وذكر أحكامه وحدوده وشروطه، وفضله وبراهينه، وأصوله، وتفاصيله، وأسبابه، وثمراته، ومقتضياته، وما يزداد به ويقويه، أو يضعفه ويُوهِيه، وما به يتم أو يكمل[١]، ويلاحظ هنا أنَّ الشيخ لم يذكر مقدمة لتأليف الكتاب كما هي عادة المؤلفين، والذي يظهر أنه فعل هذا طلبًا للاختصار، وهي عادته في سائر مؤلفاته، وأيضًا فإنَّ الباب الأول المترجم بـ«كتاب التوحيد» بمنزلة مقدمة، فإنه تضمن من الآيات والحديث ما يدل على أهمية هذا الموضوع؛ بل هو أهم أبواب الدين، فهذا يغني عن الكلام في أهمية الموضوع، وسبب التأليف.

ومن طرق البيان: بيان الشيء بذكر ضده؛ فبيان الشرك الأكبر والأصغر ووسائلهما: هذا مما يحصل به كمال بيان التوحيد، فلا بد من معرفة التوحيد وضده.

فالتوحيد لغة: جعل الشيئين، أو الأشياء واحدًا في الخارج أو في الاعتقاد، وهو مصدر وحَّد، يوحِّد، توحيدًا[٢].

ومعناه في الشرع: اعتقاد تفرده تعالى في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته اعتقادًا جازمًا بأنه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ رب كل شيء ومليكه، وأنه الإله

(١) ينظر: القول السديد للسعدي (ص١٨).
(٢) ينظر: القاموس المحيط (ص٣٢٤).

الحق الذي لا يستحق العبادة سواه، وأنه الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل نقص.

فهذا توحيد في العلم، وهذه حقيقة التوحيد بكل أقسامه؛ فيشمل التوحيد ثلاثة أنواع، وإن شئت قل: نوعين، فإنَّ لأهل السنة في تقسيم التوحيد طريقتين، فمنهم مَن يجعله ثلاثة، وهي: الأقسام المشهورة:

- **توحيد الربوبية**: وهو توحيده بأفعاله.

- **وتوحيد الإلهية**: وهو إفراده بالعبادة.

- **وتوحيده في أسمائه وصفاته**: بنفي الشبيه والنظير، فلا شبيه له في صفاته ولا في ذاته ولا في أفعاله، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى][1].

ومنهم مَن يجعله قسمين[2]، فيقولون: الأول: توحيد في المعرفة والإثبات، أو في العلم والقول، أو التوحيد العلمي الخبري.

والثاني: توحيد في العمل والقصد، أو التوحيد العملي أو الطلبي، وهو توحيد العبادة.

والأول يشمل توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وبهذا يتبين أنه لا منافاة بين الطريقتين، لكن طريقة مَن يجعلونه ثلاثة؛ أوضح وأيسر في تعليمها للجاهل.

---

(١) هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف، أشار إليه أبو يوسف القاضي كما في الحجة في بيان المحجة (١/ ٣٤، رقم ٢٧)، وذكره ابن بطة في الإبانة (٦/ ١٧٢-١٧٣)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢٠/ ٣٥٦-٣٥٧)، وقال الشنقيطي: «وقد دل استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام...»، وساق آيات كثيرة في أضواء البيان (٣/ ٤٨٨-٤٩٣).

(٢) ينظر: منهاج السنة (٣/ ٢٩٠)، ومدارج السالكين (٤/ ٤٤٩).

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كتاب التوحيد وقول الله تعالى)**: يحتمل أن تكون بضم اللام عطفًا على كتاب، أو كسر اللام عطفًا على التوحيد، وهذا أولى؛ لأنه كثيرًا ما يترجم بالآية.

قوله تعالى: (﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات]): في هذه الآية أسلوب حصر، ومعناه: أنه ما خلقهم لشيء إلا لعبادته، فإنه تعالى بيَّن في هذه الآية الحكمة من خلق الجن والإنس، ومعنى ذلك: أنَّ الله خلقهم مريدًا أن يعبدوه الإرادة الشرعية؛ وليأمرهم وينهاهم، فيعبدوه بفعل ما أمرهم به، وترك ما نهاهم عنه، وليعبدوه وحده لا شريك له، فهذه هي الحكمة من خلق الجن والإنس.

وحقيقة العبادة: كمال الحب مع كمال الذل[(١)]، وتتحقق وتظهر بفعل ما شرع الله؛ ولهذا يعرّف شيخ الإسلام ابن تيمية العبادة بأنها: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة»[(٢)]، ولكن محور العبادة هو التوحيد، فلا عبادة إلا بالتوحيد، فالعبادة المقصودة في الآية هي العبادة المعتبرة شرعًا، وهي الخالصة لله تعالى الموافقة لأمره؛ ولهذا يقول الشيخ: «العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد»[(٣)]، فعبادة الله وحده لا شريك له هي الغاية من خلق الجن والإنس.

---

(١) ينظر: العبودية (ص٤٨)، ومدارج السالكين (١/ ١١٥-١١٦).
(٢) العبودية (ص٤٤).
(٣) القواعد الأربع بشرح شيخنا (ص١٠).

والإرادة التي تتضمنها هذه الآية، في قوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: هي الإرادة الشرعية[(١)] كما يدل عليها حرف التعليل؛ فما خلقهم الله ليرزقوه ولا ليطعموه؛ بل هو الرزاق، وهو الذي يطعِم ولا يطعَم؛ ولهذا قال بعدها: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات].

وقوله تعالى: (﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]): يخبر الله تعالى بأنه بعث في كل قرن وجيل من الناس رسولًا، وأمره أن يقول للناس: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: يعني: أرسلهم بهذه الدعوة.

فقوله: ﴿بَعَثْنَا﴾: فالآية تضمنت الأمر بعبادة الله وحده، وهذا هو أصل دعوة الرسل كلهم، فدعوة الرسل مدارها على: الأمر بعبادة الله تعالى، والنهي عن عبادة ما سواه.

وكل معبود سواه باطل وهو طاغوت، إلا مَن عُبد غير راض، ويبرأ من عابديه؛ كالملائكة والأنبياء والصالحين، فالذين يعبدونهم إنما هم يعبدون الجن؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ].

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٥٤)، (٨/ ١٨٩)، ودفع إيهام الاضطراب (ص١٧٢-١٧٤).

فقوله: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]: هو معنى «لا إله إلا الله»؛ لأنَّ كلمة التوحيد -كما سيأتي في مواضع إن شاء الله- تتضمن النفي والإثبات؛ نفي العبادة ونفي الإلهية عن غير الله، وإثبات الإلهية له سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ[1].

فقوله: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: هو معنى الإثبات في قوله: «إلا الله».

وقوله: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾: هو معنى النفي في كلمة التوحيد: «لا إله»؛ فتكون هذه الآية شبيهة بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء].

فقول الرسل: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾: هو معنى: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٢٣].

ففي هذه الآية دلالة على أنَّ دين الرسل واحد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، فكل رسول يقول لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾؛ كما أخبر الله عن هود ونوح وصالح وغيرهم.

وقوله: (﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]):

أي: أمر ووصى[2] ألا تعبدوا إلا إياه، وهذا هو القضاء الشرعي؛ لأنَّ القضاء المضاف إلى الله نوعان[3]: قضاء كوني؛ كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا

---

(١) تنظر: (ص٤٨)، (ص١٦٠)، (ص١٦٧).
(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص٦٧٤).
(٣) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٢٨٠-٢٨٢).

﴿قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٦٨﴾ [غافر]، وقضاء شرعي، وهو المذكور في هذه الآية.

وقوله: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ﴾: «أن» إما مفسرة لقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾، وإمَّا مصدرية[1]، والتقدير: أمر ووصى بأن لا تعبدوا إلا إياه.

وهذا هو معنى «لا إله إلا الله»، لا تعبدوا إلا الله؛ كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾: أي: لا نعبد غيرك، فهذا نهي يتضمن النفي، فنهى عن عبادة ما سواه، وأمر بعبادته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قوله: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾: قرن حق الوالدين بحقه تعالى، وهذا كثير في القرآن، ثم ذكر تعالى بعد هذه الآية وصايا: أوامر ونواهي، ختمها بقوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ٣٩﴾ [الإسراء] الآية، فبدأها وختمها بالنهي عن الشرك.

وقوله: (﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: ٣٦]): هذه آية الحقوق العشرة، بدأها الله بذكر أعظم الحقوق، وهو حقه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وهذه الآية من جنس ما قبلها: أمرٌ بعبادة الله، ونهيٌ عن الشرك به، وهذا هو التوحيد، فالتوحيد مركب من: نفي وإثبات، نفي إلهية ما سواه، والنهي عن عبادة ما سواه، والأمر بعبادته وحده لا شريك له.

فهذه الآية نظير قوله: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]: فيها: أمر بعبادة الله، والنهي عن الإشراك به؛ ففيها معنى: «لا إله إلا الله».

---

(١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (٢/ ٨١٧).

وقوله: (﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣]): بدأ الوصايا بالنهي عن الشرك، والنهي عن الشرك أمرٌ بالتوحيد، وقد قرن بينهما في الآية السابقة: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

قوله: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١]: أي: اعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأخلصوا العبادة له وحده لا شريك له.

فدلت هذه الآيات على وجوب التوحيد وتحريم الشرك، وأنَّ أوجب الواجبات هو التوحيد، وأقبح المحرمات هو الشرك؛ ولهذا بدأ الله وصاياه في سورة الإسراء، ووصاياه في سورة النساء -في آية الحقوق العشرة- وفي آيات الوصايا من سورة الأنعام: صدّر كل هذه الوصايا بالأمر بعبادته، والنهي عن الشرك به.

فالتوحيد هو أوجب الواجبات، والشرك هو أعظم المحرمات، وأكبر الكبائر، كما قال ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله..**»[1] ثم عطف عليه ما بعده.

وقوله: (قال ابن مسعود...) إلى آخره:

هذا الأثر رواه الترمذي وغيره، فهذه الآيات الثلاث ذكر الله فيها عشر وصايا، ختم كل آية من الآيات الثلاث بقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ﴾.

فالأولى: قال: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والثانية: قال: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ١٥٢﴾ [الأنعام]، فالتذكُّر يأتي بعد التعقُّل.

وقال في الثالثة: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام].

والتقوى تكون بعد التعقُّل والتذكُّر[(١)]، فهذه عشر وصايا، ذكر في الأولى: خمس وصايا، وفي الثانية: أربع، وفي الآية الثالثة: واحدة؛ فالواجب الإيمان بها، والعمل بها، وأنَّ ما وصى الله به فالنبي قد أوصى به كما قال ابن مسعود.

ومعنى كلام ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ الرسول ﷺ لو وصى، لم يوص إلا بما وصى الله به، والله قد وصى عباده بوصايا كثيرة في القرآن، فكل الأوامر والنواهي التي في القرآن، هي وصايا من رب العالمين لعباده، ولكن ابن مسعود خص هذه الآيات الثلاث للتصريح فيها بالوصية، والرسول ﷺ إذا وصى إنما يوصي بما أوصى الله به، ولكن هذا الأثر يُستشهد به للدلالة على عظم شأن هذه الآيات الثلاث.

وكأن ابن مسعود قال ذلك لما قال ابن عباس: «إنَّ الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب؛ لاختلافهم ولغطهم»[(٢)]، فقال ابن مسعود: «**مَن أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى:** ﴿قُلْ تَعَالَوْا...﴾» وذكر الآيات الثلاث.

---

(١) قال الشيخ سليمان في التيسير (١/ ١٥٠) «وفي تفسير الطبري الحنفي: ذكر أولاً ﴿تَعْقِلُونَ﴾، ثم ﴿تَذَكَّرُونَ﴾، ثم ﴿تَتَّقُونَ﴾؛ لأنهم إذا عقلوا تذكروا، فإذا تذكروا خافوا واتقوا المهالك».

(٢) أخرجه البخاري (١١٤)، ومسلم (١٦٣٧).

قال -سبحانه- في الآية الأولى: ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١﴾، وفي الثانية: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾، وفي الثالثة قال: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾. وإن كانت هذه الوصايا يدخل بعضها في بعض، فكل الوصايا في الآيتين الأوليين تدخل في قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، والأمر باتباع الصراط المستقيم: هو وصية بامتثال كل الأوامر، واجتناب كل المناهي(١).

أما حديث **معاذ بن جبل** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال: كنت رديف النبي** ﷺ **على حمار، فقال لي: «يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟»، قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا...»** وهذا هو الشاهد من الحديث للباب؛ لأنَّ التوحيد هو حق الله على العباد، وهو أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وهو أعظم الحقوق على العبد، فالعباد عليهم حقوق لله، ولكن أعظم هذه الحقوق: عبادة الله وحده لا شريك له كما أخبر النبي ﷺ فهو أول الحقوق وأعظمها.

فعُلم من هذا: أنَّ التوحيد هو أول الواجبات وأعظمها، كما سيأتي في بيان فضله في الباب التالي(٢)، ومما يدل على عظم شأن التوحيد: توقف صحة جميع الأعمال عليه؛ فلا يصح من مشرك أي عمل؛ فالكافر -بأي نوع من الكفر- لا يقبل الله منه أي عمل، فلا يصح منه زكاة أو

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٩٧)، وبدائع الفوائد (٢/ ٤٥٢-٤٥٣).

(٢) تنظر: (ص٤٤).

صلاة أو صيام ولا غيرها؛ حتى يدخل في الإسلام، وذلك بالإقرار بالشهادتين؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، ولكن تارة يأتي التنصيص عليهما، وتارة يأتي الاقتصار على أحدهما، وكثيرًا ما يُقتصر في النصوص على ذكر كلمة التوحيد، وإن كانت لا تتم ولا تصح إلا بشقيقتها وقرينتها وهي: شهادة أنَّ محمدًا رسول الله ﷺ، فدلت هذه الآيات مع حديث معاذ على أنَّ التوحيد أول واجب خلافًا لمن قال من المتكلمين إنَّ أول واجب هو النظر(١)، فالتوحيد أعظم الحقوق، وهو حقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على عباده، وأنه أصل دين الرسل كلهم، من أولهم إلى آخرهم.

ثم قال ﷺ: «**وحق العباد على الله أن لا يعذب مَن لا يشرك به شيئًا**»، يعني ألا يعذبهم إذا وحَّدوه، وأدوا حقه، وأوفوا بعهده؛ ولهذا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ ٤٠﴾ [البقرة].

وقوله: «**أن لا يعذب مَن لا يشرك به شيئًا**»: أي: فمن أخلص دينه، وحقق توحيده، فبرأ من الشرك كله؛ نجا من العذاب، ومَن كان معه أصل التوحيد، ونجا من الشرك الأكبر؛ نجا من الخلود في النار، وهو تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، ولا بد له من دخول الجنة؛ كما سيأتي في الباب التالي(٢).

(١) ينظر: درء التعارض (٧/ ٣٥٣)، (٨/ ٦-٨)، ومدارج السالكين (٤/ ٤٤٠).
(٢) تنظر: (ص٤٧).

وقوله: «**وحق العباد على الله**»: هذا حق جزائي أحقه الله على نفسه، تفضلًا منه وإحسانًا، فإنه لا يجب على الله شيء بحُكم العقل؛ بل لا يجب على الله إلا ما أوجبه على نفسه[١]؛ لأنَّ الكل عبيد، وليس للعبد أمر على سيده، فالله تعالى هو الذي يوجب على العباد ما شاء، ويحرم ما شاء بحكمته البالغة، وهو الذي أوجب على نفسه حق أهل التوحيد: أن لا يعذب مَن لا يشرك به شيئًا، كما أَوجب على نفسه قبول التوبة من التائبين؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٧﴾ [النساء]. وما أحسن قول الشاعر في هذا المقام:

ما للعباد عليه حق واجب
كلا، ولا سعي لديه ضائع
إن عُذبوا فبعدله، أو نُعّموا
فبفضله، وهو الكريم الواسع[٢]

قال معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما أخبره الرسول ﷺ بالحقين: «**أفلا أبشر الناس؟**»؛ أي: بما ذكر من حق الموحدين: أن لا يعذب مَن لا يشرك به شيئًا، فهو يستأذن الرسول ﷺ أن يخبر الناس بهذا الحديث؛ لِما فيه من البشارة للمخلصين، والمراد: عامة الناس، وإلا فمن الصحابة مَن يعلم ذلك، كما يدل له حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند مسلم؛ قال له الرسول ﷺ:

(١) ينظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ٩٦-١٠٤)، ومنهاج السنة (١/ ٤٥١-٤٥٤).

(٢) البيتان ذكرهما الإمام ابن القيم دون نسبة في: الوابل الصيب (ص١٥٣)، ومدارج السالكين (٣/ ٨٤)، وبدائع الفوائد (٢/ ٦٤٥)، وغيرها من كتبه.

«اذهب بِنَعْلَيَّ هاتين، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه، فبشره بالجنة»(١)، ومنهم مَن لا يؤثِّر عليه إخباره بهذا الوعد، لكن من الناس مَن ربما حمله هذا الوعد على الاتكال، وهذا يوجب أنَّ الإنسان في الدعوة إلى الله، وتحديث الناس وتبليغهم، عليه أن يراعي أحوالهم، فمن يخشى عليه أن يغتر: لا تقرأ عليه أحاديث الوعد، ومَن يخشى عليه القنوط: لا تقرأ عليه أحاديث الوعيد، وهذه هي الحكمة في الدعوة؛ وهي وضع الأشياء في مواضعها.

جاء في بعض الروايات: أنَّ معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حدَّث بهذا الحديث عند موته تأثمًا(٢) يعني لئلا يأثم بكتمان الحديث(٣)؛ لأنه يعلم أنَّ الرسول ﷺ إنما أراد ألا يشيع بين الناس الذين قد يسيئون فهم الحديث، ومعلوم قطعًا أنَّ الرسول ﷺ لا يريد منه كتمان ذلك مطلقًا، وإنما أراد أن لا يحدث مَن قد يسيء فهم نصوص الوعد، وهم أكثر الناس، فإذا سمعوا مثل هذا اتكلوا(٤)؛ ولهذا قال ﷺ: «**فيتكلوا**»، أما أهل العلم والبصيرة: فلا يتكلون على أعمالهم، فهؤلاء العشرة المبشرون بالجنة؛ لم يتكلوا على ذلك؛ بل ما زادتهم البشارة بالجنة إلا جدًّا واجتهادًا في طاعة الله، أو أهل بدر الذين قال فيهم الرسول ﷺ: **«لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم؛ فقد غفرت**

(١) أخرجه مسلم (٣١).
(٢) أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٤).
(٤) ينظر: شرح مسلم للنووي (١/ ٢٤١)، وفتح الباري (١/ ٢٢٨).

لكم»[١]، فما فتر أحد منهم عن العمل وقصَّر، أو اجترأ على الذنوب اتكالًا على هذا الوعد؛ لأنهم يعلمون أنَّ هذه المنازل لا تُنال إلا بأسبابها، بالجد والاجتهاد والصدق والمثابرة على الإيمان، والعمل الصالح، والاستقامة على صراط الله المستقيم.

فعلَّل ترك التحديث بالحديث بخشية الاتكال؛ لقوله: «**لا تبشرهم فيتكلوا**»، ومعلوم أن الرسول ﷺ يريد مَسرَّة المسلمين وما يفرحهم، لكن خشي عليهم أن يتكلوا على ما عندهم من توحيد الله، فيقصروا في العمل، أما أهل العلم والبصيرة، فإنهم لا تزيدهم هذه البشائر إلا جدًّا واجتهادًا.

إذن: الذين يوثق بحالهم لا مانع من تحديثهم، وإنما الذين لا يحسنون فهم النصوص لا ينبغي تحديثهم، فلا يليق أن نأتي إلى مَن كان مسرفًا على نفسه بالذنوب، مجترئًا على معاصي الله؛ فنحدثه بنصوص الوعد الدالة على سعة رحمة الله؛ فإنَّ هذا يحملهم على الاغترار والتمادي في المعاصي، كما لا يليق أن نحدث مَن غلب عليهم الخوف بنصوص الوعيد الدالة على شدة عذاب الله وانتقامه ممن عصاه، فربما أفضى بهم ذلك إلى القنوط من رحمة الله، فلا بد من مراعاة الحكمة في الدعوة والموعظة، وذلك بوضع الأمور في مواضعها.

قوله: (فيه مسائل): أي: فوائد مستنبطة من نصوص الباب، منها: ما يكون مجملًا، ومنها: ما يكون مفصلًا بينًا:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٨١)، ومسلم (٢٤٩٤) -واللفظ له- من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(الأولى: الحكمة في خلق الجن والإنس):

أي: حكمة الله، ومراده مِن خلق الجن والإنس، وهي عبادة الله وحده لا شريك له؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات]، وفي هذا: دلالة على أنَّ له حكمة في خلقه وأمره، فيدل ذلك: على تعليل أفعال الله وأحكامه، خلافًا لمن أنكر ذلك من الجهمية ومَن وافقهم(١).

(الثانية: أنَّ العبادة هي التوحيد؛ لأنَّ الخصومة فيه):

معناه: أنَّ العبادة التي خلق الله لها الثقلين هي عبادة الله وحده لا شريك له، وهذا هو التوحيد، ففيه معنى قوله تعالى: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافرون]، فإنَّ معنى الآية البراءة من الشرك، فكل عبادة لا تكون خالصة لله فليست عبادة؛ لأنها باطلة، كما قال الشيخ في موضع آخر: «فاعلم أنَّ العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أنَّ الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة؛ فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت؛ كالحدث إذا دخل في الطهارة»(٢).

قوله: **(لأنَّ الخصومة فيه)**: أي: أنَّ الخصومة بين الرسل وأعدائهم المشركين في التوحيد؛ كما يدل لذلك قوله تعالى عن المشركين: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥]، وقوله عن قوم صالح أنهم قالوا لنبيهم: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [هود: ٦٢]، وغيرهم من الأمم قالوا لرسلهم مثل ذلك،

---

(١) ينظر: منهاج السنة (١/ ١٤١-١٤٤)، وشفاء العليل (٢/ ١١٦) وما بعدها.
(٢) ينظر: القواعد الأربع بشرح شيخنا (ص١٠).

فهذه الخصومة بين الرسل وأعدائهم قائمة من نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى محمد ﷺ، وينبغي أن يُعلم أنَّ هذه الخصومة إنما هي في توحيد العبادة؛ ولهذا كل نبي يقول لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، أما توحيد الربوبية؛ فإنَّ المشركين مقرون به كما أخبر الله عنهم في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

(الثالثة: أنَّ مَن لم يأت به لم يعبد الله؛ ففيه معنى قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣﴾ [الكافرون]):

معناه: أنَّ مَن لم يخلص الدين لله، ويفرد الله بالعبادة، لم يكن عابدًا لله ولو عبده، فمن عبد الله وعبد معه غيره؛ فعبادته لله باطلة لا اعتداد بها، فلا يُعد عابدًا لله مَن عبد معه غيره، يقول: ففيه معنى قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣﴾، فنفى عن المشركين عبادة الله -مع أنهم يعبدونه-، لكن يعبدون معه سواه، فكانت عبادتهم لله باطلة لا اعتداد بها.

فهذه الآية فيها دلالة على أنَّ مَن لم يوحد الله فلا عبرة بعبادته، ولا يكون عابدًا لله، فالمشرك -وإن عبد الله بزعمه- فعبادته غير مرضية لله، ولا مقبولة.

(الرابعة: الحكمة في إرسال الرسل -عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ-.

الخامسة: أنَّ الرسالة عمَّت كل أمة.

السادسة: أنَّ دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيرة: أنَّ عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت، ففيه معنى قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]):

هذه أربع مسائل مأخوذة من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

(الرابعة: الحكمة في إرسال الرسل -عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ-):

وهي دعوة الخلق إلى التوحيد: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

(الخامسة: أنَّ الرسالة عمَّت كل أمة):

أخذًا من قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ﴾.

(السادسة: أنَّ دين الأنبياء واحد):

وهذا ظاهر من الآية؛ فكلهم جاؤوا بالدعوة إلى التوحيد، وكلهم دينهم الإسلام، وهو دين الله الذي فرضه على عباده الأولين والآخرين، والإسلام قائم على التوحيد؛ فحقيقته: عبادة الله وحده لا شريك له، وطاعته في أمره ونهيه، وقد صرح النبي ﷺ بهذا إذ قال: «**الأنبياء إخوة من علَّات**[١]**، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد**»[٢]، فالإسلام العام: هو دين الرسل كلهم، والإسلام الخاص: هو ما بعث الله به محمدًا ﷺ[٣].

(١) قال ابن الأثير في النهاية (٣/ ٢٩١): «أولاد العلَّات: الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد. أراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة».

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٢)، ومسلم (٢٣٦٥) -واللفظ له- من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٥-٦٣٦)، والتدمرية بشرح شيخنا (ص٤٨٨).

فدين الأنبياء واحد؛ لأنهم جميعًا دعوا إلى هذا الأصل: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

وقوله: **(المسألة الكبيرة: أنَّ عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت، ففيه معنى قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٥])**، كذلك من فوائد هذه الآية مسألة كبيرة وعظيمة؛ وهي: أنَّ عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت، فمن أفرد الله بالعبادة، ولم يعبد معه غيره، لكن لم يبرأ من الآلهة الباطلة، ومن المشركين وشركهم؛ لم يصح توحيده، ولم يكن موحِّدًا حتى يكفر بما يُعبد من دون الله: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

وفي الحديث الصحيح: «**مَن قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله...**»[1]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾، فلا بد من الكفر بالطاغوت والبراءة من الشرك وأهله.

قد يقول قائل: أنا لا أعبد إلا الله، لكن هؤلاء الذين يعبدون الآلهة لا أقول فيهم شيئًا، نقول: لا يكفي، لا تكون موحدًا ولا عابدًا لله؛ حتى تكفر بالطاغوت.

(الثامنة: أنَّ الطاغوت عام في كل ما عُبد من دون الله):

الطاغوت: اسم لكل ما عُبد من دون الله إلا مَن كان منكرًا لذلك، وغير راض بعبادته؛ كالملائكة والأنبياء والصالحين، أما الأشجار والأحجار التي تُعبد من دون الله فإنها تسمى طواغيت كذلك؛ كاللات والعزى ومناة،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣) من حديث طارق بن أشيم الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومما يدل لذلك ما جاء في حديث طاغية دوس ذو الخلصة[(١)]، لكن هؤلاء المشركين عابدون في الحقيقة للشيطان؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ۝﴾ [سبأ].

(التاسعة: عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في «سورة الأنعام» عند السلف، وفيها: عشر مسائل، أولها: النهي عن الشرك):

هذا مستفاد من قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَن أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ» إلى آخره، فذكر الآيات الثلاث.

قوله: **(وفيها عشر مسائل، أولها: النهي عن الشرك)**: افتتحت بالنهي عن الشرك؛ مما يدل على أنه أعظم الذنوب، وعشر المسائل: خمس في الآية الأولى، وأربع في الآية الثانية، ومسألة في الآية الثالثة.

(العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثماني عشرة مسألة، بدأها الله بقوله: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ۝﴾ [الإسراء]، وختمها بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ۝﴾ [الإسراء]، ونبهنا الله سبحانه على عِظم شأن هذه المسائل بقوله: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٣٩].

---

(١) أخرجه البخاري (٧١١٦) -واللفظ له- ومسلم (٢٩٠٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ، قال: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أَلَيات نساء دوس على ذي الخلصة**»، وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية. وقال ابن حجر في: «باب لا يُحلف باللات والعزى ولا بالطواغيت»: «...ومنه الحديث الآخر «**طاغية دوس**» أي: صنمهم سمي باسم المصدر لطغيان الكفار بعبادته لكونه السبب في طغيانهم». الفتح (١١/ ٥٣٦).

الحادية عشـرة: آيـة «سـورة النسـاء» التـي تسـمى آيـة الحقـوق العشـرة، بدأهـا الله تعالى بقوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾):

كل هـذا يـدل علـى عظـم شـأن التـوحيـد، وخطـر الشـرك؛ ففـي الأوامر والنواهـي والوصايـا التـي فـي سـورة الإسـراء: بدأهـا بالنهـي عـن الشـرك، والوصيـة بالتـوحيـد، وختمهـا كذلـك بالنهـي عـن الشـرك، وقـد نبـه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ علـى عظـم هـذه الوصايـا بقولـه: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ﴾ [الإسراء: ٣٩].

وهكـذا فـي آيـة النسـاء، التـي تسـمى آيـة الحقـوق العشـرة؛ فـإنَّ الله ذكر حقـه، وحـق الوالديـن والأقربيـن واليتامـى والمسـاكين، وحـق الجيـران: الجـار ذي القربـى والجـار الجنـب والصاحـب وابـن السـبيل والمماليك... وبدأهـا بذِكـر حقـه: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦]؛ لأنَّ حقـه أعظـم الحقـوق، وهـو حقـه تعالـى علـى عبـاده، أن يعبـدوه ولا يشركوا به شيئًا.

(الثانية عشـرة: التنبيه على وصية رسـول الله ﷺ عند موته):

أخـذًا مـن قـول ابـن مسـعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، ومعنـى ذلـك: أنَّ الرسـول ﷺ لـو وصـى لما وصى إلا بما وصى الله به.

فعنـد موتـه أراد أن يوصـي أمتـه بأمر؛ فدعا بالـدواة والقِرطـاس ليكتب، فاختلـف عنـده الصحابـة؛ فقـال: «**قوموا عنـي، ولا ينبغي عنـدي التنازع**»[1]،

(١) أخرجه البخاري (١١٤) مرفوعًا بهـذا اللفظ، وموقوفًا على ابـن عباس بلفظ: «فتنازعـوا ولا ينبغـي عند نبي تنازع»، وبنحوه أخرجه مسـلم (١٦٧٣).

فقاموا ولم يكتب الكتاب، فجاء عن ابن عباس أنه قال: «إنَّ الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب»[(١)]، فقال ابن مسعود: **(مَن أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ..)**، يريد ابن مسعود أنَّ هذه الآيات من سورة الأنعام متضمنة لوصية الله، إذن: فهي وصية الرسول أيضًا؛ فالحمد لله لم يفت شيء من دين الله بعدم الكتابة، فدين الله كامل قد بلَّغه كله النبي ﷺ، ولو أوصى النبي بشيء، لأوصى بهذه الآيات وما في معناها، فهذا ما وصى به النبي، ولم يزل يوصي به إلى أن توفاه الله، وهو يوصي بكتاب الله وبالصلاة، وبعبادة الله وحده لا شريك له.

والتمسك بالكتاب يتضمن هذه الوصايا العشر، وغيرها مما في كتاب الله من الأوامر والنواهي والتشريعات.

(الثالثة عشرة: معرفة حق الله علينا):

حق الله علينا: عبادته وحده لا شريك له، وهذه المسألة مأخوذة من حديث معاذ.

(الرابعة عشرة: معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه):

وهذه المسألة مأخوذة من حديث معاذ: **(وحق العباد على الله أن لا يعذب مَن لا يشرك به شيئًا)**، فحقهم ألا يعذبهم إذا أدوا حقه، وهو عبادته لا شريك له، فحق العباد مشروط بالقيام بأداء حقه تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤) ومسلم (١٦٣٧).

(الخامسة عشرة: أنَّ هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة):

هذه أيضًا مأخوذة من حديث معاذ، فقوله: **(أنَّ هذه المسألة)**، وهي حق الله على العباد، وحق العباد على الله: **(لا يعرفها أكثر الصحابة)**؛ لقوله: **(أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا)**: وهذا فيه تأمل، فلو قال: «كثير من الصحابة»؛ كان أولى، وهو كذلك في بعض النسخ[1]، ولعل كثيرًا من الصحابة، وأكثر الناس من غيرهم، لم يعرفوا ما للتوحيد من الفضل، وأنَّ حق العباد على الله ألا يعذب مَن لم يشرك به شيئًا؛ لأنَّ هذا هو المعنى الذي قال فيه معاذ: **(أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشرهم)**، يريد قوله: **(وحق العباد على الله أن لا يعذب مَن لا يشرك به شيئًا)**، فنهاه النبي ﷺ أن يخبر الناس؛ خشية أن يتكلوا، والمراد: مَن لا يحسن فهم هذه النصوص، أما خواص الصحابة، فهم يعرفون هذا من قبل، وما يبلغهم من نوع ذلك؛ فإنهم يفهمونه ويضعونه موضعه.

(السادسة عشرة: جواز كتمان العلم[2] للمصلحة):

ومن فوائد هذا الحديث: جواز كتمان العلم للمصلحة، فالرسول ﷺ قال: **(لا تبشرهم)**، فأمره بكتمان العلم عن بعض الناس الذين لا يحسنون فهمه؛ تحقيقًا للمصلحة، وهي عدم الاتكال، لا بالكتمان مطلقًا[3]، وليس هذا الكتم مطلوبًا في كل علم؛ بل من العلم ما يستحب كتمه؛ بل منه ما

(١) هي في ثلاث نسخ رمز لها محقق «كتاب التوحيد» بـ (ز١،ز٢، ز ٣). ينظر: كتاب التوحيد (ص١١٦).

(٢) في بعض النسخ: (بعض العلم).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٣١١-٣١٢)، (٦/ ٥٩)، وبيان تلبيس الجهمية (٦/ ٣٧٤)، (٨/ ٣٢٩-٣٣٠).

يجب كتمه إذا خشي أن يُساء فهمه؛ كما سيأتي قول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حدثوا الناس بما يعرفون»[1]، فليس لكل سؤال جواب، قد لا تكون المصلحة في جواب السؤال؛ كما لا تكون المصلحة في الكلام عن بعض مسائل الصفات، أو الكلام في نصوص الوعيد، أو في نصوص الوعد.

(السابعة عشرة: استحباب بشارة المسلم بما يسره):

وفي الحديث دلالة على استحباب بشارة المسلم بما يسره؛ أخذًا من قول معاذ: **(أفلا أبشر الناس)**، ولا ريب أنَّ إدخال السرور على المسلم أمر مطلوب، ولكن هذا لا يلزم أن يكون في كل شيء.

(الثامنة عشرة: الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله):

هذا أمر محذور شرعًا، فالاتكال على رحمة الله اغترار، وهو شأن المغترين الجاهلين بعظمة الله وأليم عقابه، ففيه الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله؛ أخذًا من قوله: **(لا تبشرهم فيتكلوا)**، فالاتكال أمر مَخُوف؛ لأنَّ الذي يتكل على رحمة الله يجترئ على المعاصي، ويفرط في الواجبات؛ ولهذا قرن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بين الوعد والوعيد في القرآن؛ ليجمع المسلم بين الخوف والرجاء، فلا يتكل على سعة رحمة الله، ولا يقنط من رحمته، كما قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر].

فالواجب التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب، والجد في طلب الخيرات، واجتناب المحرمات.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٧)، وسيأتي التعليق عليه في (ص٦٠٧).

(التاسعة عشرة: قول المسؤول عما لا يعلم: «الله ورسوله أعلم»):

إذا سُئل الإنسان عما لا يعلم؛ فليقل: «الله أعلم»، أو «الله ورسوله أعلم»، فلا بأس بذلك؛ فقد كان الصحابة يقولون هذا في حضور الرسول ﷺ وفي غيبته، يقول أحدهم إذا سئل عن شيء لا يعلمه: «الله ورسوله أعلم»، ولا مانع أن يقول: «الله ورسوله أعلم» بعد وفاة الرسول ﷺ، وهذا ما يقتضيه استنباط الشيخ[1]، والرسول لا يعلم من الغيب إلا ما أطلعه الله عليه.

(العشرون: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض):

لأنَّ الرسول ﷺ خص معاذًا بهذا العلم، ورآه أهلًا لذلك، ولم يكن من عامة الصحابة؛ بل هو من خواص الصحابة وعلمائهم، فيجوز تخصيص بعض الناس دون بعض؛ لأنَّ استعدادات الناس ليست على حالة واحدة، فبعض الناس إذا ذكرت له أحاديث الوعد اتكل، وتمادى في المعصية، وتهاون بالواجبات، ومن الناس مَن إذا ذكرت له أحاديث الوعيد، زاده خوفًا وقلقًا، حتى يؤدي به إلى القنوط، وكلا الأمرين مذموم.

(الحادية والعشرون: تواضعه لركوب الحمار، مع الإرداف عليه):

هذا ظاهر الدلالة، فالحمار ليس من المراكب الفارهة، أو المراكب التي يعتادها الكبار والعظماء، فركوب الحمار يأنف منه المتكبرون،

(١) وقد استعمل المصنف هذه العبارة فقال: «فإذا تبين له الحق فليقلْ به وليعملْ به، وإلا فليمسكْ وليقل: الله ورسوله أعلم...». ينظر: مؤلفات الشيخ الإمام =

ويحتاجون إلى أن يركبوا الخيل والبراذين(١)، والرسول ﷺ هو إمام المتواضعين، وهذا من وجهين: من ناحية ركوب الدابة، ومن ناحية الإرداف أيضًا.

فهذه الفائدة تؤخذ من ركوب الرسول ﷺ على الحمار، ومن إردافه معاذًا، فأهل التكبر يأنفون أن يركب معهم أحد.

(الثانية والعشرون: جواز الإرداف على الدابة):

يجوز أن يركب على الدابة اثنان وثلاثة؛ لكن بشرط أن تطيق ذلك، أما إذا كان يضرها أو أنها يمكن أن تحرن(٢)؛ فإنه لا ينبغي الإرداف؛ لأنَّ الشريعة من مقاصدها الرفق بالحيوان، ومع ذلك بعض الناس لا يرحم؛ بل يحمل الدابة ما لا تطيق، وهذا يؤدي بها إلى أنها تضعف أو تنكسر، ثم لا ينتفع بها صاحبها.

= محمد بن عبد الوهاب -فتاوى ومسائل- (٤/ ٣٤). وفي النونية لابن القيم (٢/ ٣٢٣ رقم ١١٨٦-١١٨٨):

هذا وما نضجت لدي وعلمها المـ
ـوكول بعد لمنزل القرآن
وأعوذ بالرحمن من جزم بلا
علم وهذا غاية الإمكان
والله أعلم بالمراد بقوله
ورسوله المبعوث بالفرقان

(١) البراذين: جمع بِرذَون وهو الخيل من غير نتاج العِراب. ينظر: لسان العرب (١٣/ ٥١).

(٢) تحرُن وتحرَن: إذا اسْتُدِرَّ وطُلب جريها وقفت، وإنما ذلك في ذوات الحوافر خاصة. ينظر: لسان العرب (١٣/ ١١٠).

(الثالثة والعشرون: فضيلة معاذ بن جبل):

في هذا الحديث دلالة على فضيلة معاذ بن جبل من وجهين:

من جهة صحبته للنبي ﷺ وركوبه معه؛ فهذا فيه خصوصية وفضيلة.

ومن جهة تخصيصه بالعلم.

ولا ريب أنه من فضلاء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن علمائهم وأجلائهم، وله منزلة عند الرسول ﷺ.

(الرابعة والعشرون: عظم شأن هذه المسألة):

وهي مسألة حق الله؛ لأنَّ الرسول ﷺ نبه معاذًا إليها، وفي بعض الروايات: أنَّ الرسول ﷺ سأله ثلاث مرات، ومعاذ في كل مرة يجيب بتفويض العلم إلى الله ورسوله، وبعد الثالثة ذكر له جواب السؤال ببيان حق الله وحق العباد[١]، ولا ريب أنَّ حق الله على العباد أوجب الواجبات، وأعظم الحسنات.

◆◇◈◇◆

(١) أخرجه البخاري (٦٢٦٧).

(٢)

باب فضل التوحيد وما يكفِّر من الذنوب

وقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام].

عن عُبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، وأنَّ عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» أخرجاه(١).

ولهما(٢) في حديث عِتبان: «فإنَّ الله حرَّم على النار مَن قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله».

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يا رب: علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى لا إله إلا الله، قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا؟ قال: يا موسى لو أنَّ السموات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كِفَّة، ولا إله إلا الله في كِفَّة، مالت بهن لا إله إلا الله» رواه ابن حبان والحاكم وصححه(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٥) بهذا اللفظ، ومسلم (٤٦) (٢٨) بنحوه.
(٢) البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).
(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٦٠٢) و(١٠٩١٣)، وصححه ابن حبان (٦٢١٨)، والحاكم (١٩٣٦) وصححه ابن حجر في الفتح (١١/ ٢٠٨).

وللترمذي وحسنه عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقُرابها مغفرة»(١).

الشَّرح

هذا **(باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب)**: وذِكر هذا الباب بعد الباب الأول ظاهر المناسبة؛ فإنه بعد بيان وجوب التوحيد، وعظم منزلته من الدين، ناسب أن يذكر الشيخ ما يدل على فضله؛ وهو عظم أجره، وتكفيره للذنوب(٢).

وقوله: **(باب فضل التوحيد)**: أي: هذا باب بيان فضل التوحيد وعظم أجره، وبيان تكفيره للذنوب، فإنَّ قوله: **(وما يكفِّر)** يحتمل:

أن تكون اسمًا موصولًا، والتقدير: والذي يكفره من الذنوب.

ويحتمل أن تكون مصدرية؛ فتؤول هي وما بعدها بمصدر؛ فيكون التقدير: باب فضل التوحيد وتكفيره للذنوب، فيكون عطف هذا على ما قبله: من عطف الخاص على العام، فإنَّ من فضله: تكفيره للذنوب، وهكذا كل عمل صالح -كالصلوات الخمس مثلًا- له أثران: الثواب الذي رتبه الله عليه، وتكفيره للذنوب، وهذا أرجح(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، والطبراني في الأوسط (٤٣٠٥). قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٠٠): «إسناده لا بأس به...».

(٢) ينظر: تيسير العزيز الحميد (١/ ١٧١).

(٣) وهذا الذي رجحه الشيخان: سليمان بن عبد الله، وعبد الرحمن بن حسن. ينظر: التيسير (١/ ١٧١)، وفتح المجيد (١/ ١١٣).

والتوحيد هو أوجب الواجبات وأعظم الحسنات، فثوابه أعظم الثواب، وتكفيره للذنوب أعظم من تكفير سائر الأعمال الصالحة.

وذكر الشيخ في هذا الباب: آية وأربعة أحاديث.

أما الآية؛ فقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأنعام]، هذه الآية جاءت في آخر قصة مُحاجَّة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومه، كما في سورة الأنعام: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا ۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨١﴾ [الأنعام]، ثم ذكر الله الجواب عن قول إبراهيم: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ﴾، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، ويحتمل أن يكون هذا من تمام قول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[1].

وثبت في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله أينا لم يظلم نفسه؟ فقال ﷺ: «**ليس كما تظنون، إنه الشرك، ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح**: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾ [لقمان]»[2]. والمراد بالعبد الصالح: لقمان كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾ [لقمان]، فبين أنَّ الظلم الموجب لعدم الأمن والهدى مطلقًا هو الشرك، فمن خلط إيمانه بالشرك الأكبر؛ فلا حظ له في أمن ولا هدى.

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/ ٣٦٧).
(٢) أخرجه البخاري (٤٧٧٦)، ومسلم (١٢٤).

إذن: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ : يعني آمنوا بالله ووحدوه، وأصل الإيمان: الإيمان بالله، ومن الإيمان بالله: التوحيد الذي هو إفراده بالعبادة، ومعنى آمنوا بالله: أي: آمنوا بربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، وأنه الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه.

﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ ؛ أي: لم يخلطوا إيمانهم بشرك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾، فمن آمن بالله ربًّا وإلهًا ولم يلبس إيمانه بظلم؛ فهو من أهل الأمن والهدى.

والظلم ثلاثة أنواع:

١- ظلم في حق الله وهو الشرك.

٢- وظلم العبدِ نفسَه بالمعاصي.

٣- وظلم العباد في دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

فمن سلم من أنواع الظلم الثلاثة؛ فله الأمن التام، والهدى التام، ومَن سلم من الظلم الذي هو الشرك الأكبر؛ فهو من أهل الأمن والهدى في الجملة، أي: له مطلق الأمن، ومطلق الهدى، فيأمن من الخلود في النار، ويكون من أهل الاهتداء.

فأصل التوحيد يعصم من الخلود في النار، ويقتضي دخول الجنة ولو في المآل، وليس المقصود: أنَّ مَن نجا من الشرك الأكبر أنه يأمن من كل وعيد؛ للنصوص الدالة على أنَّ المعاصي سبب يستحق بها العاصي ما توعده الله به على ذنوبه؛ كأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وغير ذلك من كبائر الذنوب.

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾؛ فالظلم المنافي لأصل الأمن والهدى هو الشرك الأكبر، ولا بد من هذا التفصيل جمعًا بين نصوص الوعد والوعيد، فإنَّ النصوص قد دلت على أنَّ المرتكب لكبائر الذنوب معرَّض للوعيد، لكن إذا مات المسلم على التوحيد؛ فهو آمن من الخلود في النار، وذنوبه الأخرى تحت مشيئة الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه، ثم يخرجه من النار ويدخله الجنة، وهذا التفصيل ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية[(١)] ونقله أئمة الدعوة في شرح «كتاب التوحيد»[(٢)].

أما الأحاديث؛ فأولها حديث عبادة بن الصامت، وقد اشتمل على خمسة من أصول الدين:

الأصل الأول: قوله: **(مَن شهد أن لا إله إلا الله)**: وهو أعظم الأصول؛ فكلمة التوحيد أصل دين الرسل كلهم، من أولهم إلى آخرهم، وقوله: **(مَن شهد)**: **(مَن)**: شرطية، و**(شهد)**: فعل الشرط، و**(أدخله الله الجنة)**: جواب الشرط.

وكلمة التوحيد لها ركنان: النفي والإثبات؛ فهي مركبة من نفي وإثبات، ولا يتحقق مقصودها إلا بذلك.

ومعناها باختصار: لا معبود بحق إلا الله، ومعنى: إله؛ مألوه، من أله إلهة أي: عبد عبادة[(٣)]، فدلت على نفي إلهية ما سوى الله، وإثبات الإلهية لله وحده.

---

(١) ينظر: الإيمان الكبير (ص٦٨-٧٠)، وبنحوه في الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٥٧-١٠٥٨).

(٢) ينظر: تيسير العزيز الحميد (١/ ١٧٢-١٧٤)، وفتح المجيد (١/ ١١٥-١١٨).

(٣) ينظر: لسان العرب (١٣/ ٤٦٧).

فالنفي يتضمن الكفر بالطاغوت، والإثبات يتضمن الإيمان بالله والإقرار له بالإلهية وحده دون ما سواه، ولا بد أن تصدر هذه الشهادة عن: علم ويقين وقبول وانقياد ومحبة وصدق وإخلاص؛ فهذه إجمال الشروط التي استنبطها العلماء من النصوص(١)، وقد نظم بعضهم هذه الشروط فقال:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع
محبة وانقياد والقبول لها
وزيد ثامنها الكفران منك بما
سوى الإله من الأشياء قد أُلِها(٢)

وقوله: **(مَن شهد أن لا إله إلا الله)**: الشهادة لا بد فيها: من العلم والصدق واليقين، ومما يدل على هذا؛ قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾[محمد: ١٩]، وقوله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف]، فلا يكفي في هذه الشهادة مجرد التلفظ بها؛ بل لا بد أن يتطابق على مضمونها: الظاهر والباطن، القلب واللسان، فإنَّ مَن قالها بلسانه من غير اعتقاد القلب؛ فهو منافق، ومَن عمل

---

(١) أوَّل من ذكر هذه الشروط السبعة مجتمعة -فيما علمنا- هو الشيخ عبد الرحمن بن حسن. ينظر: فتح المجيد (١/ ١٩٠)، والدرر السنية (٢/ ٢٤٦) وانظر شرحًا وافيًا لهذه الشروط في: معارج القبول (٢/ ٥١٨-٥٢٨).
والشرط الثامن ذكره الشيخ سعد بن حمد بن عتيق -كما سيأتي- وذكره ابن القاسم في حاشية الثلاثة الأصول (ص٨٤-٨٥).

(٢) البيتان للشيخ سعد بن حمد بن عتيق، وقال الشيخ ابن باز بعد أن ساق البيتين: «هذا الشرط الثامن، قاله شيخنا الشيخ سعد بن حمد بن عتيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ». فتاوى نور على الدرب لابن باز (١/ ٤٥).

بخلافها بأن أشرك بالله؛ فهو كافر وإن قالها بلسانه، فهذه الشهادة هي أصل دين الرسل، وأصل دين الإسلام الذي بعث الله به محمدًا ﷺ.

وقوله: **(وحده)**: حال مؤكدة لما في كلمة التوحيد من الإثبات. وقوله: **(لا شريك له)**: جملة مؤكدة لما في كلمة التوحيد من النفي، وهما مؤكدتان لمضمون كلمة التوحيد، وجاء هذا التأكيد بعد التأكيد لعظم شأن التوحيد.

الأصل الثاني: قوله: **(وأن محمدًا عبده ورسوله)**: هذا الأصل الثاني من هذه الأصول الخمسة، مع الأصل الأول: يتحقق بهما الركن الأول من أركان الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، فهما شهادتان متلازمتان، لا تغني إحداهما عن الأخرى، ولا تنفك إحداهما عن الأخرى، وكثيرًا ما يقرن الرسول ﷺ بينهما؛ كما في هذا الحديث؛ وكما في قوله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله...**»[(١)]، وكما في حديث عبد الله بن عمر في الصحيحين، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله...**» الحديث[(٢)]، فهاتان الشهادتان هما أصل دين الإسلام الذي بعث الله به محمدًا ﷺ.

وقوله: **(وأنَّ محمدًا عبده ورسوله)**: ذكر في هذه الشهادة صفتين للنبي ﷺ، لا بد من الشهادة بهما للرسول: وصف العبودية، ووصف الرسالة.

---

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

الوصف الأول: العبودية؛ فلا بد من الشهادة بأنَّ النبي محمدًا ﷺ عبد لله، ليس له شيء من خصائص الإلهية؛ فهو عابد لربه؛ بل هو أعبد الناس، وأكملهم عبودية، وقد ذكره الله بهذا الوصف في أجل المقامات: مقام التحدي، ومقام الإسراء، ومقام النذارة، ومقام الدعاء، وشواهد ذلك في القرآن، وهي: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣]، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان]، ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩].

الوصف الثاني: الرسالة؛ فهو عبد الله ورسوله، فلا بد من الشهادة بأنه رسول الله إلى جميع الناس؛ بل إلى الثقلين، الجن والإنس، أرسله الله بالهدى ودين الحق، وأنه خاتم النبيين، فلا بد أن تتضمن الشهادة هذين الأمرين؛ وهما: الإقرار بأنَّ محمدًا ﷺ عبد الله ورسوله، وهذا هو الصراط المستقيم في شأن الرسول ﷺ، فإنَّ الناس منهم مَن كذَّبه وجحد رسالته، وهم أكثر الخلق، ومنهم مَن غلا فيه ورفعه عن منزلة العبودية إلى منزلة الإلهية؛ فجعل له بعض خصائصها؛ كعلم الغيب المطلق، أو توجَّه إليه بأنواع من العبادة؛ كالدعاء والرجاء والاستغاثة.

فلا بد في هذه الشهادة من الجمع في شأن الرسول بين الإقرار له بالعبودية، والإقرار له بالرسالة بأنه ﷺ عبد لا يُعبد، ورسول لا يُكذَّب، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝٢٨﴾ [الفتح]، فمن غلا فيه: انحرف عن الصراط المستقيم، ومَن كذَّبه: زاغ عن الصراط المستقيم.

الأصل الثالث: مما اشتمل عليه هذا الحديث: الشهادة لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه عبد الله ورسوله، خلافًا لليهود الذين كذبوه، وقالوا: إنه ابن بغيّ، ورموا أمه مما برأها الله منه، وخلافًا للنصارى الذين غلوا فيه، وقالوا: إنه ابن الله، أو إنه الله، فأكذب الله الطائفتين؛ فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ...﴾ إلى قوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ...﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧] الآية.

وخص عيسى بالذكر في هذا الحديث بأنه عبد الله ورسوله، وإلا فكل رسول هو عبد الله ورسوله، لأمور(١):

١. لأنه أقرب الناس عهدًا بنبينا ﷺ، فآخر من بشّر بمحمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هو عيسى؛ ولهذا قال ﷺ: «**أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد علّات، ليس بيني وبينه نبي**»(٢).

٢. ثم إنَّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قد افترقت فيه الطوائف؛ فاليهود كذبوه، وقالوا: إنه ساحر، وقالوا: ابن زنا، ورموا أمه بالبهتان العظيم! والنصارى

---

(١) تنظر أسباب أخرى لتخصيص عيسى بالذكر في: المفهم للقرطبي (١/ ٢٠٠)، وفتح الباري (٦/ ٤٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٢) -واللفظ له-، ومسلم (٢٣٦٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

غلوا فيه حتى قالوا: إنه الله، أو ابن الله، وأنه ثالث ثلاثة! والحق ما يعتقده المسلمون فيه؛ وهو أنه عبد الله، خلافًا لقول النصارى، وأنه رسول الله، خلافًا لقول اليهود[(١)].

وقوله: **(وأنَّ عيسى عبد الله ورسوله)**: الإيمان بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنه عبد الله ورسوله هو من الإيمان بالرسل، الذي هو أحد أصول الإيمان الستة.

وقوله: **(وكلمته ألقاها إلى مريم)**: سماه الله كلمة؛ لأنَّ الله خلقه من أم بلا أب؛ لا كما خلق سائر الناس من ذكر وأنثى[(٢)]؛كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران]، فسماه الله كلمة؛ لأنه كان بكلمة: ﴿كُن﴾، وليس هو ﴿كُن﴾، كما قال الإمام أحمد: «ليس هو ﴿كُن﴾، وإنما كان بـ ﴿كُن﴾»[(٣)]، فسماه الله باسم السبب الذي خُلق به، فالله كوَّنه بكلمته.

وقوله: **(وروح منه)**: أي: روح من الأرواح التي خلقها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وسمي روحًا؛ لأنه أيضًا كان بنفخ روح الله: جبريل[(٤)]، فجبريل هو روح الله؛ كما قال تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: ١٧]، وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣﴾ [الشعراء].

فسُمي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ روحًا؛ لأنه خُلق من النفخة التي كانت من جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فحملته أمه من النفخة التي نفخها جبريل في فرجها،

---

(١) ينظر: الجواب الصحيح (٢/ ١٤٤)، وهداية الحيارى (ص٣٨٤-٣٨٥).
(٢) ينظر: فتح الباري (٦/ ٤٧٥).
(٣) الرد على الجهمية والزنادقة (ص٢٥٠).
(٤) ينظر: تفسير الطبري (٧/ ٧٠٣-٧٠٥).

كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢]، و ﴿فِيهِ﴾: يعني في الفرج، وفي الآية الأخرى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١].

والمراد بالروح في هذه الآية وما أشبهها: جبريل؛ كما يدل له قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝١٧﴾ [مريم]، وكقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، فعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو روح الله، فإضافته إلى الله إضافة مخلوق إلى خالقه[1].

فهذه الإضافة إضافة تشريف، والمعنى المقصود أنه روح من الله، يعني: مخلوق من مخلوقات الله؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]. فـ «من» ليست للتبعيض؛ بل للابتداء[2]، فهو عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ روح ابتدأ الله خلْقها كما ابتدأ خلق سائر المخلوقات، لكنه أضافه إلى نفسه إضافة تشريف.

وقد صرح الله بهذا في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، ألقاها إلى مريم بنفخة جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

الأصلان: الرابع والخامس: وهو قوله ﷺ: «**والجنة حق والنار حق**»؛ يعني: وشهد أنَّ الجنة حق مخلوقة موجودة، يصير إليها المتقون؛ كما قال تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

---

(١) ينظر: الجواب الصحيح (٢/ ١٥٥-١٦١).
(٢) ينظر: الدر المصون (٤/ ١٦٦).

والنار حق مخلوقة وباقية، وقد أُعدت للكافرين، فلا بد من الإيمان بالجنة والنار، والاعتقاد بأنهما مخلوقتان، موجودتان الآن، لا تفنيان ولا تبيدان.

والإيمان بالجنة والنار داخل في الإيمان باليوم الآخر، والإيمان باليوم الآخر هو أحد أصول الإيمان الستة، ولكن خصهما الرسول ﷺ بالذكر؛ لأنهما أعظم ما يكون يوم القيامة، وهما دارا القرار والجزاء، وإليهما ينتهي المكلفون.

فالإقرار بهما يتضمن: الإيمان بالبعث الذي أنكره الكفار واستبعدوه، وتعجبوا من خبر الرسول ﷺ به؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ [الرعد: ٥]، وقال تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣﴾ [ق].

فالإيمان بالجنة والنار يستلزم الإيمان بالبعث؛ لأنَّ البعث طريق إلى الحشر والجزاء، ونهاية الجزاء بدخول الجنة والنار، فالمؤمنون ينتهون إلى الجنة، والكفار ينتهون إلى النار، قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ۝١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ۝١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ۝١٦﴾ [الروم].

فهذه خمسة أصول:

الأول: شهادة أن لا إله إلا الله.

والثاني: شهادة أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

والثالث: الشهادة بأنَّ عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه.

والرابع: الشهادة بأنَّ الجنة حق.

والخامس: وأنَّ النار حق.

ولما ذكر هذه الأصول التي يجب الإقرار بها، قال: **(أدخله الله الجنة)**، هذا جواب الشرط، أو خبر المبتدأ، وهو (مَن) في قوله: (مَن شهد).

وهذا هو الشاهد من الحديث؛ أنَّ مَن شهد هذه الشهادة المتضمنة لهذه الأصول أدخله الله الجنة على ما كان من العمل، فمن مات على التوحيد؛ فلا بد له من دخول الجنة ابتداءً إن كان من المحققين للتوحيد، أو في المآل إن كان من أهل الذنوب التي يستحق عليها العقاب.

وقوله: **(أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)**: قيل؛ معناه: أدخله الله الجنة على ما كان من عملٍ حسنٍ أو سيءٍ؛ ولو كان عاصيًا، فلا بد له من دخول الجنة، فإن كان من المحققين للتوحيد دخل الجنة من أول وهلة، وإن كان من العصاة أدخله الله الجنة ولو بعد تطهيره -إن لم يتجاوز الله عنه- فإنَّ ما دون الشرك تحت مشيئة الله.

وقيل معنى: **(أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)**: أي: من حيث المنزلة، أنزله الله من الجنة بحسب عمله، وأهل هذه الشهادة متفاوتون في أعمالهم، فإنَّ الجنة درجات، والله ينزل كل مؤمن من درج الجنة بحسب عمله، بفضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وكل من المعنيين محتمل وله وجه[(١)].

هذا ما يتعلق بهذا الحديث العظيم الذي هو من أعظم الأدلة على فضل التوحيد؛ ومن أجل ذلك أورده الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب، وانظر تعليق النووي على هذا الحديث في «شرح مسلم» فإنه كلام نفيس[(٢)].

قوله: **(أخرجاه)**: أي: البخاري ومسلم في صحيحهما، وكذا قوله: **(ولهما)**: يعني: للبخاري ومسلم؛ فالحديثان متفق عليهما.

قوله: **(في حديث عِتبان)** بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ قال: **(فإنَّ الله حرَّم على النار مَن قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله)**.

هذا طرف من حديث طويل فيه قصة، مضمونها: أنَّ عتبان بن مالك دعا النبي ﷺ إلى بيته، ليصلي في مكان من بيته، ليتخذه عتبان مصلى؛ لأنه قد ضعف بصره، فجاء النبي ﷺ ومعه جماعة من أصحابه، وذكروا شخصًا؛ فطعن فيه بعضهم بالنفاق، فسُئل النبي ﷺ فقال: **(أليس يقول لا إله إلا الله؟)** قيل: نعم. قال: **(فإنَّ الله حرَّم على النار مَن قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله)**.

وقوله: **(فإنَّ الله حرَّم على النار)**: هذا خبر من الرسول ﷺ بأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **(حرَّم على النار)**: أي: حكم بأنَّ مَن قال: «لا إله إلا الله» يبتغي بذلك وجه الله، بأنه لا يدخل النار ولا تمسه، وهذا تحريم كوني جزائي، ولكن بهذا الشرط، وهو قوله: **(يبتغي بذلك وجه الله)**، فليس كل مَن قال

---

(١) ينظر: فتح الباري (٦/ ٤٧٥).
(٢) (١/ ٢٢٧).

«لا إله إلا الله» بلسانه حرمه الله على النار، فإنَّ المنافقين يقولونها بألسنتهم، وليست بقلوبهم؛ بل مَن قالها: **(يبتغي)** أي: يريد بقول: «لا إله إلا الله» وجه الله، وهذا عمل قلبي، فقيَّد هذا الوعد بالإخلاص؛ ولهذا كان من شروط كلمة التوحيد: الإخلاص؛ بأن يقولها مخلصًا لوجه الله، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله مَن أسعد الناس بشفاعتك؟ **قال:** «**من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**»[(١)]، وهذا الحديث وأمثاله هو من أحاديث الوعد، ففيه الترغيب العظيم بهذه الكلمة، مع الإخلاص فيها لوجه الله، ومع هذا قد دلت نصوصٌ كثيرة متواترة أنَّ كثيرًا ممن يقول: «لا إله إلا الله» يدخل النار؛ كما في حديث الشفاعة: «**يخرج من النار مَن قال: لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال شعيرة من الإيمان**»[(٢)]، أو «**ذرة من الإيمان**»[(٣)]، أو «**خردلة من الإيمان**»[(٤)].

كما جاءت نصوص من الكتاب والسنة تتضمن الوعيد على بعض الأعمال؛ مثل: الوعيد على كبائر الذنوب؛ كالسبع الموبقات[(٥)] وغيرها كثير.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩).

(٢) جزء من حديث رواه البخاري (٧٥١٠) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: «**فيقول: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تُعط، واشفع تُشفَّع، فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود**».

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري (٤٤) (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣)، (١٩٣) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ «**فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه**»، وعند مسلم «**من خير**».

(٤) أخرجه البخاري (٢٢) (٦٥٦٠)، ومسلم (١٨٤) بنحوه، من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأخرجه بهذا اللفظ: أحمد (١٤٤٩١) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فعُلم من هذا أنَّ الوعد في هذا الحديث ليس على إطلاقه، فمن ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب ولم يتب؛ استحق دخول النار، وإن قال: «لا إله إلا الله» يبتغي بذلك وجه الله، فنصوص الوعد مقيدة بنصوص الوعيد، ونصوص الوعيد مقيدة بنصوص الوعد، وبهذا يزول التعارض، ويحصل الجمع بين الأدلة[1]، ويوضح هذا أنَّ الناس في شهادة أن لا إله إلا الله على درجات لا يحصيها إلا الله، فمنهم الكاذب؛ كالمنافقين، ومنهم الصادق ضعيف الإخلاص، ومنهم الصادق ضعيف الإيمان؛ قال ابن القيم: «فإنَّ من الناس مَن تكون شهادته ميتة، ومنهم مَن تكون نائمة إذا نُبهَّت انتبهت، ومنهم مَن تكون مضطجعة، ومنهم مَن تكون إلى القيام أقرب»[2].

ويتعلق بهذا الحديث المرجئة الذين يقولون: «مَن قال لا إله إلا الله كفاه ذلك، فلا يضر مع الإيمان ذنب»، وهذا قول باطل؛ فقد دلت النصوص على أنَّ كبائر الذنوب مقتضية لدخول النار؛ فلا بد أن تفهم أحاديث الوعد على وجه مستقيم.

وأحسن ما قيل في ذلك: إنَّ المراد بقوله: **(مَن قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله)**: يعني مَن حقق التوحيد بكمال الإخلاص، والتوحيد الخالص لا يقارنه ولا يصاحبه الإصرار على الذنوب، ويفسره حديث أنس الذي في آخر الباب.

---

(١) ذكر العلماء خمس مسالك في الجمع بين أحاديث الوعيد وأحاديث دخول الجنة لكل من قال: «لا إله إلا الله»، فصَّلها ووجهها شيخنا في شرحه على كلمة الإخلاص (ص٤٠-٦٧).

(٢) الجواب الكافي (ص٤٥٨).

وقوله: **(فإنَّ الله حرم على النار)**: هذا أخص مما جاء في حديث عبادة في قوله: **(أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)**، فإنَّ دخول الجنة يكون ابتداء من أول وهلة كما تقدم، دون أن يمسه عذاب، وقد يكون بعد التمحيص، أما هنا ففيه الوعد بعدم دخول النار البتة: **(فإنَّ الله حرم على النار مَن قال: لا إله إلا الله)**.

ولهذا بين العلماء أنَّ المراد بهذا الحديث هو مَن حقق التوحيد بكمال الإخلاص -كما سيأتي-[(١)] والتوحيد التام لا يكون معه إصرار على ذنب، فهو يمنع من الإصرار على شيء من كبائر الذنوب، فمن قال: «لا إله إلا الله» خالصًا من قلبه؛ أي: مخلصًا الإخلاص التام، يبتغي بذلك وجه الله، ومات على هذه الحال: حرمه الله على النار لا يدخلها أبدًا، أما مَن قالها مخلصًا، ثم بعد ذلك طرأت عليه ذنوب وأصر عليها، ومات على ذلك، فما قارفه من الذنوب ومات مصرًّا عليه؛ فهو دليل على عدم تحقيقه للتوحيد؛ لأنَّ تحقيقه يمنع من الإصرار على الذنوب، وهذا لا بد منه؛ جمعًا بين أدلة الوعد والوعيد، فإنَّ طوائف الضُّلّال إنما ضلوا بسبب تمسكهم ببعض النصوص وإعراضهم عن بعضها، وأهل السنة والجماعة يجمعون بين نصوص الوعد والوعيد، فلو أخذ مثل هذا الحديث على ظاهره الذي يتبادر منه لبعض الناس، ممن لا بصيرة له ولا علم في الواجب في نصوص الوعد والوعيد؛ لضل عن الطريق المستقيم، إذ يأخذ هذا على أنه إذا قال: «لا إله إلا الله»، واستمر عليها وهو صادق، ومعه أصل الإخلاص!

---

(١) تنظر: (ص٦٦)، (ص٧٩).

لذلك فإننا نقطع بأنَّ هذا الحديث ونحوه ليس ظاهره الذي يتوهمه بعض الناس، وحديث عتبان هذا من جنس حديث معاذ المتقدم، وهو قوله: **(وحق العباد على الله أن لا يعذب مَن لا يشرك به شيئًا)**، هذا وعد بأنَّ مَن مات وهو لا يشرك بالله شيئًا -شركًا أكبر أو أصغر-؛ فهو في أمن من العذاب، فهذا نفي عام **(أن لا يعذب مَن لا يشرك به شيئًا)**؛ لأنَّ التوحيد التام كما تقدم يمنع من الإصرار على الذنوب، ويمحو الله به الذنوب.

وهذا الحديث -وغيره- مقيد بالموت على ذلك[1]، وهكذا أيضًا حديث أنس في آخر الباب.

الحديث الثاني: عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يا رب: علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى لا إله إلا الله، قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا! قال: يا موسى لو أنَّ السموات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله» رواه ابن حبان والحاكم، وصححه جماعة من أهل العلم، وضعفه بعضهم[2]، ولكن التحقيق أنه حسن بشواهده؛ فقد ورد معناه - من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص؛ عند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في المسند[3].

---

(١) كما جاء ذلك في رواية البخاري (٦٤٢٣): «**لن يوافي عبد يوم القيامة، يقول: لا إله إلا الله، يبتغي به وجه الله، إلا حرَّم الله عليه النار**».

(٢) ينظر: ضعيف الترغيب والترهيب (٩٢٣).

(٣) أخرجه أحمد (٦٥٨٣) و(٧١٠١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٨)، والبزار (٢٩٩٨-كشف)، والحاكم (١٥٤) وفيه: «**فإن السموات السبع والأرضين** =

ومعناه معلوم من الأحاديث الصحيحة المتقدمة؛ كحديث عبادة وعتبان وما لم يُذكر؛ كحديث أبي هريرة: «مَن أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟»[(١)].

فهذا الحديث يدل على فضل كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، ويشهد لهذا قوله ﷺ في الحديث الآخر: «**أفضل الدعاء: دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**»[(٢)].

هذه الكلمة هي أفضل كلمات الذكر، وهي الكلمات الأربع التي قال فيها الرسول ﷺ: «**لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس**»[(٣)]، وفي الحديث الآخر: «**أفضل الكلام -بعد القرآن- أربع كلمات، وهنَّ من القرآن: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**»[(٤)].

= **السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن لا إله إلا الله**». وقال الحاكم: «صحيح على هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وبنحوه قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ٢٨٠).

(١) أخرجه البخاري (٩٩).

(٢) أخرجه مالك (٢/ ٣٠٠، رقم ٧٢٦/ ٢٣٩) مرسلاً. ووصله ابن عدي في الكامل (٥/ ٤٧٢، رقم ١١١٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٧٧٨) وللحديث شواهد لا تسلم من مقال؛ لذلك قال ابن عبد البر في التمهيد (٦/ ٣٩): «ولا أحفظه بهذا الإسناد مسندًا من وجه يحتج بمثله». وحسنه بشواهده الألباني في الصحيحة (١٥٠٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٥). من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) رواه أحمد (٢٠١٢٦)، (٢٠٢٢٣) بنحوه، ومسلم (٢١٣٧) بلفظ: «**أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. لا يضرك بأيهن بدأت**» من حديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: «**وهنَّ من القرآن**»؛ لأنَّ القرآن يتضمنهن[(١)].

قوله: (**قال: قل يا موسى لا إله إلا الله، قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا!**): يعني: كل عبادك المؤمنين الموحدين، فليس كل الناس يقول: «لا إله إلا الله»، فأكثرهم يكفر بالله، ويشرك به، ولا يقول: «لا إله إلا الله»، لكن المراد: كل عبادك المؤمنين.

فظهر من هذا: أنَّ موسى يريد شيئًا يفضله الله به على غيره من الموحدين، فبين له أنَّ هذه الكلمة هي أفضل الذكر.

ففي هذا الحديث -أعني: حديث أبي سعيد-: أنَّ موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ سأل ربه أن يعلمه كلامًا يذكره ويدعوه به؛ فقال الله له: (**قل يا موسى لا إله إلا الله**)، فهي ذكر ودعاء؛ فالذكر فيه الثناء على الله بتوحيده، فإنَّ قول العبد: «لا إله إلا الله» يتضمن:

- الإقرار بأنه تعالى الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه.

- ويتضمن الثناء على الله بذلك، فالمسلم قد أقر بمضمون هذه الكلمة، فعندما نقولها في مختلف الأوقات، لا إحداثًا للإقرار؛ لأنَّ الإقرار حاصل من المسلم من قبل؛ بل نتعبد لله بذكره وتوحيده، ونثني عليه بالتوحيد، وفي هذا تأكيد للإقرار السابق، وأيضًا فيها: معنى دعاء العبادة، وهو التوسل بعبادته لنيل ثوابه، ويشهد لهذا توسل يونس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بالتسبيح والتوحيد لينجو من الغم، فسمى الله قول يونس: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] دعاء، ولهذا قال ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٦٧)، (١٢/ ٧٧).

[الأنبياء: ٨٨]، ولهذا جميع الطاعات تدخل في دعاء العبادة؛ لأنَّ الدعاء نوعان: دعاء مسألة؛ كقول العبد: رب اغفر لي وارحمني، وقوله في الصلاة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ ودعاء عبادة؛ كالصلاة والصيام وتلاوة القرآن؛ لأنَّ كل عابد يطلب الأجر من الله(١).

قوله: **(وعامرهن غيري)**: أي: وساكنهن غيري، ومَن فيهن من الملائكة، فالله تعالى يوصف بأنه في السماء؛ كما قال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، ومعنى أنه في السماء: يعني: في العلو الأعلى، فوق كل شيء مستو على العرش، كما أخبر عن نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فالعرش هو أعلى المخلوقات، والله فوق العرش، ويعلم ما العباد عاملون.

فالله في السماء؛ لكن بالمعنى اللائق به، وليس معنى ذلك أنه في داخل السماء، وأنَّ شيئًا من السماء تُقِلُّه أو تُظِلُّه أو تحيط به، فله العلو المطلق(٢).

قوله: **(والأرضين السبع في كفة)**: يعني: في إحدى كفتي الميزان **(ولا إله إلا الله في كفة)**: أي: الكفة الأخرى.

وقوله: **(والأرضين)**: ملحق بجمع المذكر السالم يرفع بالواو، وينصب ويجر بالياء، والمعنى: لو كانت هذه العوالم في كفة من الميزان، و«لا إله إلا الله» في كفة؛ مالت بهن «لا إله إلا الله»؛ أي: رجحت.

إذن: هذه الكلمة عظيمة المعنى وعظيمة الوزن؛ فالأعمال توزن، وهي متفاوتة في الثقل والخفة؛ كما قال رسول الله ﷺ: «**كلمتان**

---

(١) سيأتي مزيد توضيح في: (ص٢٩٥).
(٢) ينظر: توضيح مقاصد الواسطية لشيخنا (ص١٥٦).

خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»(١).

وها هنا تنبيه: وهو أنَّ كلمة التوحيد في حد ذاتها؛ أي: باعتبار ما تدل عليه أعظم من جميع المخلوقات بلا ريب؛ لأنها تدل على وحدانيته تعالى وتفرده بالإلهية، وهذا ما شهد الله به لنفسه وملائكته، وأولو العلم في قوله سبحانه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، فهذه أعظم شهادة من أعظم شاهد بأعظم مشهود به(٢).

لكن باعتبار صدورها من المتكلمين بها؛ فإنه يختلف وزنها باختلاف الناطقين بها؛ حيث يتكلم بها المنافق، ويتكلم بها المؤمن ضعيف الإيمان، ويتكلم بها أهل الإيمان التام، ويتكلم بها الأنبياء والمرسلون.

فباعتبار صدورها من المنافق لا تساوي شيئًا؛ لأنه كاذب في شهادته؛ بل هو معذَّب ومعاقَب بهذه الشهادة التي أكذبهم الله فيها؛ فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١﴾ [المنافقون].

وهي من الموحِّد ضعيف التوحيد الظالم لنفسه، المقترف للذنوب، لها وزنها، لكن قد ترجح بها السيئات الكثيرة؛ فلهذا يدخل مَن يدخل النار ممن يقول: «لا إله إلا الله»!

وتكون من بعض الخلق لا تعدلها السموات والأرض!

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٨٢)، ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٢) ينظر: مفتاح دار السعادة (١/ ١٣١).

فهي من أهل التوحيد المحققين للتوحيد ثقيلة في الميزان وترجح بالسيئات؛ كما في حديث صاحب البطاقة[١] الذي أُخرج له تسعة وتسعون سجلًّا، كل سجل مد البصر، ثم أُخرج له بطاقة فيها: «لا إله إلا الله»، فوُضعت السجلات في كفة، والبطاقة في كفة؛ فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فهذا الثقل بحسب ما قام بقلبه من الصدق والإخلاص.

فحديث صاحب البطاقة يفسر حديث عتبان بن مالك: **(فإنَّ الله حرم على النار مَن قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)**، وإلا كما قال ابن القيم: كل مسلم له بطاقة[٢]، وقد قال: لا إله إلا الله، ولكن مع التباين الكبير؛ فهذا الحديث يدل على عظم شأن هذه الكلمة في ذاتها، ويدل على عظم شأنها وثقل وزنها إذا صدرت عن كمال الصدق والإخلاص، فيرجع إلى ما تقدم من الكلام في حديث عتبان بن مالك.

الحديث الثالث: يقول المصنف: **(وللترمذي وحسنه عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة»)**:

في هذا الحديث دلالة على فضل التوحيد، وأنَّ التوحيد التام الخالص عن الشرك كله سبب لمغفرة جميع الذنوب؛ فقوله: **(لا تشرك بي شيئًا)**: نفي للشرك الأكبر والأصغر، وهذا الوعد مشروط بالخلوص من الشرك كله.

---

(١) أخرجه أحمد (٦٩٩٤) والترمذي (٢٦٣٩) وابن ماجه (٤٣٠٠) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه ابن حبان (٢٢٥)، والألباني في الصحيحة (١٣٥).

(٢) ينظر: مدارج السالكين (١/ ٥١١).

فقول: لا إله إلا الله، بصدق وإخلاص يتضمن البراءة من الشرك كله، ومَن خَلُص توحيده من الشرك كله أمن من دخول النار، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا التفصيل في الكلام على الآية في أول الباب، وهو مضمون ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية[(١)].

ولا بد من هذا؛ جمعًا بين الأدلة، فالنجاة من العذاب مطلقًا إنما تكون لصاحب القلب السليم؛ كما قال إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ۝٨٧ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ۝٨٩﴾ [الشعراء]، وسيأتي مزيد إيضاح في الباب التالي.

قوله: (**بقُراب الأرض**): يعني ملء الأرض، أو قريب من ملئها[(٢)].

قوله: (**لأتيتك بقُرابها مغفرة**): فمن لقي الله بالتوحيد الخالص، غفر الله له ذنوبه؛ لأنَّ التوحيد الخالص يُخلِّص من الشرك كله صغيره وكبيره، وهذا هو الذي يوجب النجاة من النار مطلقًا، أما التوحيد المشوب بالذنوب وبالشرك، فكما تقدم أنه لا يعصم من دخول النار، لكن يعصم من الخلود فيها[(٣)].

والشرك درجات، فالإصرار على الذنوب يتضمن نوعًا من الشرك[(٤)]؛ لأنَّ فيه اتباع للهوى وعبودية للشهوات، والرسول ﷺ قال: «**تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، وعبد الخميلة**»[(٥)].

(١) تنظر: (ص٤٦-٤٨).
(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث (٤/ ٣٤).
(٣) تنظر: (ص٤٧)، (ص٥٩).
(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ٤٤١)، وكتاب الصلاة لابن القيم (ص٨٤-٨٦).
(٥) أخرجه البخاري (٢٨٨٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، وسيأتي التعليق عليه في (ص٥٨٨).

فيعلم من هذا: أنَّ ما ورد من الأحاديث في فضل التوحيد، إنما هو باعتبارين:

١- باعتبار كماله، فإنه يوجب النجاة من النار مطلقًا؛ كما في حديث عتبان بن مالك.

٢- باعتبار أصله، فإنه يعصم من الخلود في النار[١].

فلا يقال: إنَّ كل مَن مات وهو يقول: «لا إله إلا الله» مُحرَّم على النار؛ لما عُلم من نصوص الوعيد على الذنوب، وكمال التوحيد هو ما يقوم بالقلوب من كمال الصدق والإخلاص، ولهذا تضاعف حسنات الكمّل من المؤمنين؛ لكمال إيمانهم وتوحيدهم مضاعفة لا تقف عند عشر أو سبع مئة؛ بل يضاعفها الله أضعافًا كثيرة لا يعلم قدرها إلا الله، ولهذا كان المؤمنون بينهم من التفاضل ما لا يحصيه إلا الله، وأفضلهم بعد الأنبياء أبو بكر الصديق، ولهذا قيل فيه: «ما سبقهم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام، ولكن بشيء وقر في قلبه»[٢].

---

(١) ينظر: شرح كلمة الإخلاص لشيخنا (ص٤٠-٤٤).

(٢) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة رقم (١١٨)، وابن بطة في الإبانة (٩/ ٨١٩ رقم ٢٤٥) بنحوه عن بكر بن عبد الله المزني وأورده بهذا اللفظ: شيخ الإسلام في منهاج السنة (٦/ ٢٢٣)، وبنحوه ابن القيم في مفتاح دار السعادة (١/ ٢٢٧) عن أبي بكر بن عياش. ورفعه بعضهم، ولا أصل له. ينظر: المنار المنيف (ص١٠٩)، والضعيفة (٩٦٢).

(فيه مسائل:

الأولى: سعة فضل الله).

أي: بمضاعفة الثواب ومغفرة الذنوب، وهذا مأخوذ من مجموع الأدلة، من الآية والأحاديث، ولا شك أنَّ هذا الفضل العظيم هو من سعة فضله ورحمته.

(الثانية: كثرة ثواب التوحيد عند الله).

هذا مستفاد من حديث عبادة: «**من شهد أن لا إله إلا الله**»، إلى قوله: «**أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»، ومن حديث عتبان: «**فإنَّ الله حرم على النار مَن قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»، وغيرهما.

لكن ثواب التوحيد يتفاضل بتفاضله في القلوب؛ بل إنَّ سائر الأعمال؛ كالصلاة والصيام والزكاة تتفاضل بحسب تفاضلها في التوحيد وكمال الإخلاص، فإذا كان الإخلاص شرطًا في جميع العبادات؛ فإنَّ العاملين تتفاضل أعمالهم بتفاضلهم في تحقيق ذلك الشرط.

(الثالثة: تكفيره مع ذلك للذنوب).

كما في حديث أنس في آخر الباب؛ فالتوحيد سبب لعظيم الثواب، وسبب لمغفرة الذنوب.

(الرابعة: تفسير الآية التي في سورة الأنعام).

وهي قوله: (﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢])، وتقدم ذكر بعض ما يتعلق بتفسيرها، ولا سيما بيان الرسول ﷺ عندما أشكلت

على الصحابة وشق عليهم؛ لِما ظهر لهم وتبادر إلى أفهامهم، فقال لهم النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إنه ليس الذي تظنون، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح:** ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان]»(١)، فالرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بيَّن لأصحابه: أنَّ المانع من الأمن والهدى هو الشرك -وتقدم تفصيل ذلك-، وأنَّ الهدى التام والأمن التام لمن سلم من الظلم كله بأنواعه، وأنَّ السلامة من الشرك الأكبر يحصل به مطلق الأمن، ومطلق الاهتداء، يعني: أصل الأمن وأصل الاهتداء.

(الخامسة: تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة).

الشيخ جعلها خمسًا:

١- شهادة أن لا إله إلا الله.

٢- شهادة أنَّ محمدًا رسول الله.

٣- شهادة أنَّ عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه.

٤- الشهادة بأنَّ الجنة حق.

٥- الشهادة بأنَّ النار حق.

هذه مسائل عظيمة، كلها من أصول الإيمان، فالأولى والثانية: هما أصل دين الإسلام الذي بعث الله به محمدًا ﷺ، والثالثة: هي من جملة الإيمان بالرسل، وخص عيسى بالذكر؛ لسببين:

---

(١) تقدم تخريجه في (ص٤٦).

١- لأنه آخر الرسل قبل محمد ﷺ؛ ولهذا جاء الحديث الصحيح: **«أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد علات، ليس بيني وبينه نبي»**[(١)].

٢- أنَّ عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ افترقت فيه الطوائف بين: مُفرِّط ومُفرِط ومتوسط:

- فاليهود فرَّطوا وجفوا وقصروا؛ لأنهم كذبوه.

- والنصارى غلوا وتجاوزوا؛ لأنهم ألهوه.

- وأهل الحق أتباع محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ توسطوا فيه، وهذا هو الصراط المستقيم، الشهادة بأنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه.

والرابعة والخامسة: الإيمان بالجنة والنار، وهما داخلان في الإيمان باليوم الآخر.

(السادسة: أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده؛ تبين لك معنى قول: «لا إله إلا الله»، وتبين لك خطأ المغرورين).

يريد الشيخ أنه إذا جمع بين حديث عبادة وعتبان وأنس أفاد ذلك أمرين:

أحدهما: أنه لا يكفي في التوحيد مجرد التلفظ بـ«لا إله إلا الله».

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٢) -واللفظ له-، ومسلم (٢٣٦٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الثاني: أنَّ مَن يظن ذلك مخطئ مغرور، وذلك أنَّ حديث عتبان وحديث أنس، مُبيِّنان: لحديث عبادة.

وقوله: (**تبين لك معنى قول: «لا إله إلا الله»، وتبين لك خطأ المغرورين**): المغرورون هم: الـمُخدَعون الذين يظنون أنه يكفيهم أن يتكلموا بـ«لا إله إلا الله»، وهذا خطأ؛ بل لا بد من الإخلاص فيها، ومن العمل بمقتضاها بمجانبة الشرك كله، فمن الغرور وخدع الشيطان: أن يظن الإنسان أنه يكفيه أن يقول بلسانه: «لا إله إلا الله»، ثم بعد ذلك يتبع خطوات الشيطان، وهوى النفس الأمارة بالسوء!

(السابعة: التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان).

الشيخ كأنه يقول: انتبه للشرط، وهو قوله: (**يبتغي بذلك وجه الله**)؛ أي: مخلصًا لله، وهذا يتضمن كمال التوحيد، فمن صدق في ذلك، ولم يرتكب ذنبًا بعد ذلك؛ غُفر له ما قبل ذلك من الذنوب؛ فليس مجرد النطق بهذه الكلمة يوجب التحريم على النار.

(الثامنة: كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل «لا إله إلا الله»).

أخذًا من حديث أبي سعيد في قصة موسى؛ لأنَّ موسى قال: (**«قال: يا رب! كل عبادك يقولون هذا، قال: يا موسى لو أنَّ السموات السبع...»**) الحديث.

يعني بعض الأنبياء يحتاج إلى التنبيه، فموسى في سؤاله لم يعلم بهذا القدر من فضل كلمة التوحيد؛ فبين الله له ذلك.

(التاسعة: التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات مع أنَّ كثيرًا ممن يقولها يخف ميزانه).

مقصود الشيخ أنه ينبغي التنبه لتفاوت وزن هذه الكلمة لتفاوت الناطقين بها؛ فمن المنافق لا تساوي شيئًا، ومن المؤمن الظالم لنفسه قد ترجح بها السيئات الكثيرة، ومن المسلم الصادق المخلص فيها قد ترجح بسيئاته الكثيرة؛ كما في حديث صاحب البطاقة[1]، وقد تقدم معنى هذه المسألة في شرح حديث أبي سعيد في دعاء موسى ربه.

(العاشرة: النص على أنَّ الأرضين سبع كالسموات).

في الحديث: **(والأرضين السبع...)** ففيه: التصريح بأنَّ الأرضين سبع كالسموات، وهذا ثابت في القرآن: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، ولكن لا يلزم أن تكون مثل السموات من كل وجه؛ بل مثلهن في العدد، لكن السموات واسعة متباعدة الأرجاء، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧﴾ [الذاريات]، وكل سماء بينها وبين السماء الأخرى مسافات عظيمة؛ كما جاء في حديث ابن مسعود: «**بين كل سماء وسماء مسيرة خمس مئة عام**»[2]. ثم لا يلزم أن يكون بين الأرضين فجوات، والله أعلم بحقيقة الحال، لكن يُعلم أنه ليس أمر الأرضين في انطباق بعضها على بعض أو تواليها، أو الأبعاد التي بينها، مثل السموات؛ بل نقطع أنها ليست مثلها إلا في العدد، وفي الحديث

(١) تقدم تخريجه في (ص٦٦).
(٢) ينظر تخريجه في (ص٧٤٢).

الصحيح: «**مَن اقتطع شبرًا من الأرض ظلمًا، طوّقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين**»[(١)].

(الحادية عشرة: أنَّ لهن عُمَّارًا).

أي: سكانًا، وهل هم أهل السموات والأرض جميعًا، أو السموات؟ ظاهر الحديث: أنهم سكان السموات؛ قال: (**لو أنَّ السموات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع**)، وعبارة الشيخ: (**أنَّ لهن**): توهم أنَّ للسموات السبع وللأرضين السبع عمّارًا، والصحيح: أنَّ الحديث إنما دل على أنَّ السموات السبع هي التي لهن عمّارًا، ولعل هذا ما قصده الشيخ.

(الثانية عشرة: إثبات الصفات خلافًا للأشعرية).

من فوائد هذا الباب: إثبات الصفات؛ فنصوص الباب دلت على جملة من الصفات:

١ - إثبات الوجه في حديث عتبان، وسينبّه عليه الشيخ بخصوصه[(٢)].

٢ - إثبات العلو في حديث أبي سعيد؛ لقوله: «**وعامرهن غيري**».

٣- إثبات الكلام لله في حديث أبي سعيد وحديث أنس؛ لقوله: «**قال الله**»، وقوله: «**يقول الله**»، فهذه ثلاث صفات واضحة من الأحاديث.

---

(١) أخرجه مسلم (١٦١٠) بهذا اللفظ من حديث سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو في البخاري (٢٤٥٢)، (٢٤٥٣)، (٢٤٥٤) بنحوه عن سعيد بن زيد، وعائشة، وعبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٢) (ص٧٨).

قوله: **(خلافًا للأشعرية)**: وفي بعض النسخ: **(خلافًا للمعطلة)**، والأولى الجمع بينهما: **(خلافًا للأشعرية والمعطلة)**[(١)].

والأشعرية: نسبة للأشعري، يقال: الأشاعرة جمع أشعري، وهم المنتسبون إلى أبي الحسن الأشعري، ومذهبهم أنهم: يثبتون سبعًا من الصفات[(٢)]، على ما في ذلك الإثبات من مخالفات[(٣)]، وينفون سائر الصفات، فمن جملة الصفات التي ينفونها: الوجه والعلو، وأما الكلام فإنهم يثبتونه لكن لا على الوجه المعقول والمعلوم من دلالة النصوص[(٤)].

والمعطلة: هم نفاة الصفات؛ كالجهمية والمعتزلة.

(الثالثة عشرة: أنك إذا عرفت حديث أنس؛ عرفت أنَّ قوله في حديث عتبان: «فإنَّ الله حرم على النار مَن قال: «لا إله إلا الله» يبتغي بذلك وجه الله» أنه تركُ الشركِ ليس قولَها باللسان).

هذا المعنى تقدم، يعني حديث أنس وحديث عتبان: متوافقان في الدلالة، فكلاهما يدل على أنه ليس المراد قولها باللسان، إنما هو الإخلاص وترك الشرك، فإذا ضممت إلى حديث عتبان حديث أنس:

---

(١) في فتح المجيد (١/ ١٥٣): (خلافًا للمعطلة)، وفي مسائل «باب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾[سبأ]»؛ قال المصنف: (العشرون: إثبات الصفات خلافًا للأشعرية المعطلة).

(٢) وهي: القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر والكلام وهي الصفات التي يسمونها صفات المعاني أو الصفات المعنوية ينظر: شرح العقيدة التدمرية لشيخنا (ص١٥٠).

(٣) ينظر: شرح الأصبهانية (ص٢٩)، ومجموع الفتاوى (٦/ ٤٦).

(٤) فهم يقولون بالكلام النفسي، وينظر: التسعينية من (٢/ ٦١١) إلى آخر الكتاب؛ فقد رد شيخ الإسلام على القائلين بالكلام النفسي من نحو ثمانين وجهًا ونيفٍ.

(قال الله تعالى: يا ابن آدم، لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا...)، دل على أنَّ المراد ترك الشرك، لا مجرد قولها باللسان، فلا بد من معرفة هذا؛ حتى لا يغتر الجاهلون، فيظنوا أنهم يكفيهم أن يقولوا: لا إله إلا الله بألسنتهم؛ مع ارتكابهم الشرك الصراح؛ بل التوحيد عبادة الله وحده لا شريك له، وتركُ عبادة ما سواه، وحقيقته: الإيمان بالله والكفر بالطاغوت، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

(الرابعة عشرة: تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد -عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- **عبدي الله ورسوليه[(١)])**.

يعني: ما السر في أنَّ الرسول جمعَ بين ذِكره وذِكر عيسى، ووصفَ كلًّا منهما بالعبودية والرسالة؟ قد سبق التنبيه إلى شيء من هذا:

أولًا: لأنَّ عيسى افترقت فيه الطوائف؛ فالنصارى غلو فيه، وقالوا: إنه ابن الله، وألهوه من دون الله، واليهود جفوا فكذبوه، وقالوا: إنه ابن بغي، ورموا أمه بالزنا؛ فلهذا جاء النص على الإيمان، والشهادة بأنه عبد الله، ليس كما تقول النصارى، وأنه رسول الله، خلافًا لليهود.

وكذلك الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قد وقعت الأمة التي بُعث فيها في الغلو والجفاء والإفراط والتفريط:

- فمنهم مَن كذَّبه؛ ككفار قريش والعرب وغيرهم، فقالوا: مُعلَّم مجنون، وقالوا: شاعر نتربص به ريب المنون.

---

(١) في بعض النسخ (عبداه ورسولاه)، و(عبدا الله ورسولاه).

- وقوم ممن آمن برسالته: غلوا فيه، ووصفوه ببعض خصائص الإله، ودعوه واستغاثوا به.

- ومنهم: مَن قصَّر في اتباعه فكان الواجب: الشهادة له بالعبودية، خلافًا لمن غلا فيه، وجعل له بعض خصائص الإله، والشهادة له بالرسالة، خلافًا لمن كذَّبه، أو أعرض عن سنته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ تحقيقًا لقوله ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا: عبد الله ورسوله**»[١]، ومن المفرِّطين في تعظيم سنته، المقصرين في الإيمان برسالته؛ متعصبو المذاهب المقدمون لأقوال أئمتهم على قول الرسول وسنته.

(الخامسة عشرة: معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله.

السادسة عشرة: معرفة كونه روحًا منه).

تقدم شرح مضمون هاتين المسألتين في الكلام على حديث عبادة، وهي مستفادة من أنَّ الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عدَّها من جملة ما تجب الشهادة به؛ فجعل الشهادة بهذه الأمور الخمسة سببًا لدخول الجنة.

(السابعة عشرة: معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار)

تقدم أنَّ الإيمان بالجنة والنار هو من الإيمان باليوم الآخر.

(الثامنة عشرة: معرفة قوله: «على ما كان من العمل»).

تقدم ذكر القولين في معنى قوله ﷺ: «**على ما كان من العمل**»، في الكلام على حديث عبادة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(التاسعة عشرة: معرفة أنَّ الميزان له كفتان[١]).

لقوله: «**لو أنَّ السموات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة**»: والميزان الذي توزن به الأعمال له كفتان، والله أعلم بكيفية ذلك الميزان وصفته، لكن هذا مما يجب أن يُثبت: وزن الأعمال وإثبات الميزان، وأنه ميزان توزن به الأعمال، لكن ما كيفية هذا الميزان وكيف توزن به الأعمال؟ هذا من الغيب الذي ليس لنا أن نتكلم فيه، ولا أن نخوض فيه؛ لأنه لا علم لنا به[٢].

(العشرون: معرفة ذِكر الوجه).

يعني من فوائد هذا الباب: إثبات الوجه لله كما في حديث عتبان، وهذا ثابت بآيات من القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن]، وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، إلى غير ذلك من الآيات؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩]، فإثبات الوجه لله معلوم بالكتاب والسنة[٣].

وها هنا معنى مهم، وهو الفرق بين دلالة اللفظ المفرد ودلالة الجملة المركبة، فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾: المراد: بالوجه صفة الوجه لله، ومعنى الجملة: إخلاص العمل لله.

◆◇◈◇◆

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٣٠٢).
(٢) ينظر: شرح الطحاوية لشيخنا (ص٣٠٩).
(٣) ينظر: التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٤).

(٣)

باب مَن حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠﴾ [النحل].

وقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ [المؤمنون].

وعن حُصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير، فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لُدغت، قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت، قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي قال وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بُريدة بن الحصيب أنه قال: «لا رقية إلا من عين أو حُمَة»(١) قال: قد أحسن مَن انتهى إلى ما سمع ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «عُرضت علي الأمم؛

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠) موقوفًا عن بُريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه البخاري (٥٧٠٥) موقوفًا عن عمران بن حُصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وأخرجه أحمد (١٩٩٠٨)، وأبو داود (٣٨٨٤)، والترمذي (٢٠٥٧) عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.
وأخرجه ابن ماجه (٣٥١٣) عن بريدة مرفوعًا. وهو شاذ؛ لأن هُشيمًا عند مسلم، وشعبة عند الترمذي، روياه عن حُصين، عن الشعبي، عن بُريدة موقوفًا. وقد رجَّح الحافظ المزي في تحفة الأشراف (٢/ ٧٧ رقم ١٩٤٥) أن المحفوظ حديث عمران لا حديث بريدة، بينما ذهب الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/ ١٥٦) إلى أنه عن حُصين عن عمران وعن بُريدة جميعًا.

فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رُفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه؛ فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض فدخل منزله؛ فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين وُلدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا، وذكروا أشياء؛ فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه فقال: «هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون» فقام عُكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «أنت منهم» ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «سبقك بها عُكاشة»[1].

الشرح

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (باب مَن حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب):

وهذه الترجمة مناسبة لما قبلها ومفسرة لها؛ لأنه إذا عُلم حكم التوحيد وأنه أوجب الواجبات، وأصل دين الرسل، وعلم ما له من الفضل؛ فيحسن بعد ذلك أن يعلم: أنَّ التوحيد ليس على مرتبة واحدة، وأنَّ الموحدين متفاضلون في التوحيد كما سبق التنبيه عليه[2].

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

(٢) تنظر: (ص٥٩)، (ص٦٥).

فبين الموحدين تفاضل لا يعلمه إلا الله؛ فمنهم المحقق للتوحيد، والمحققون للتوحيد أيضًا متفاضلون؛ فالرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- والكُمَّل من المؤمنين، كلهم من المحققين للتوحيد، وبعضهم أفضل من بعض.

فأكمل الناس توحيدًا: الأنبياء والمرسلون، وأكملهم: أولو العزم، وأكملهم: الخليلان محمد وإبراهيم -عليهما وعلى المرسلين الصلاة والسلام-، وأكملهما توحيدًا وإيمانًا: سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد بن عبد الله ﷺ.

ودون أولئك: سائر المؤمنين على مراتبهم، ويدخل في الموحدين: أهل الكبائر الذين يدخلون النار ويُعذبون، ويخرجهم الله بما معهم من التوحيد والإيمان.

وقوله: **(باب مَن حقق التوحيد)**: تحقيق التوحيد قال فيه أهل العلم معناه: تجريد التوحيد، وتخليصه وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر والبدع والمعاصي[(١)]، يعني: تخليصه مما ينافي أصله؛ وهو الشرك الأكبر، ولذا كان ضربًا من الكفر، أو يناقض كماله الواجب؛ كالشرك الأصغر والبدع والمعاصي.

فتحقيق التوحيد إذن: تخليصه مما ينافيه مطلقًا، فينافي أصله أو ينافي كماله.

فعُلم أنَّ ليس كل موحد محققًا للتوحيد، فإنَّ الموحدين ثلاثة أصناف: منهم الظالم لنفسه، ومنهم المقتصد، ومنهم السابق بالخيرات.

(١) ينظر: فتح المجيد (١/ ١٥٥).

فالظالم لنفسه ناقص التوحيد، والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم من أهل تحقيق التوحيد، ولكن السابقين بالخيرات أكمل توحيدًا؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر].

وقوله: **(دخل الجنَّة بغير حساب)**: أي: ولا عذاب؛ كما سيأتي في الحديث، فإذا نجا من الحساب نجا من العذاب، أما مَن يحاسَب ويناقَش فلا بد أن يعذَب؛ كما في الحديث الصحيح: «**مَن نُوقش الحساب عُذب**»[1] فمعنى الترجمة: هذا باب فضل مَن حقق التوحيد، وهو أن يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، وذِكر الدليل على ذلك.

قوله: **(مَن)**: أداة شرط، وفعل الشرط: **(حقق)**، وجوابه: **(دخل الجنة بغير حساب)**.

ثم ذكر الشيخ الدليل على هذا الفضل كعادته في ذكر الأدلة على ما يقرره؛ فذكر آيتين وحديثًا.

أما الآيتان: فقوله تعالى في إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾: أي: إمامًا، وقدوة في الخير، ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾: أي: خاضعًا لربه دائم الطاعة[2]، ﴿حَنِيفًا﴾: أي: مائلاً عن الباطل قصدًا، مخلصًا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٦)، ومسلم (٢٨٧٦) من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(٢) ينظر: المفردات (ص٦٨٤).

في عبادته ربه[١]، ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٢٠﴾[النحل]: أي: مجانبًا للشرك كله، بريء من المشركين، وهذا هو الخلوص من الشرك وأهله، وهذا أعظم ما يكون من تحقيق التوحيد، وبهذا تظهر مناسبة الآية للباب، إذن: فالشاهد من الآية قوله: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٢٠﴾، ففي هذه الآية ثناء من الله على إبراهيم بأربع خصال، وقد تضمنت الخصلة الرابعة براءته من الشرك وأهله ومن معبوداتهم، كما بين ذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾[الممتحنة: ٤]، فعُلم من هذه الآية فساد قول مَن يقول: «أنا أبغض الشرك لا المشركين»، وهذا تلبيس ومغالطة من صاحب هذه المقالة يبطلها قوله تعالى: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا﴾، وقوله: ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾.

فإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو أفضل الأنبياء بعد محمد ﷺ، فإنه أبو الأنبياء، فجميع الأنبياء من بعده هم من ذريته؛ قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

الآية الثانية في صفة أولياء الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ٥٩﴾ [المؤمنون]، أثنى عليهم بالخشية والإشفاق، والخشية: الخوف، والإشفاق: خوف

---

(١) ينظر: جامع المسائل (٥/ ١٧٩) وما بعدها، وجِلاء الأفهام (ص٣٠٥-٣٠٦).

برحمة[(١)]؛ أي: مشفقون على أنفسهم من عذاب الله، ووصفهم بالإيمان بآياته؛ أي: بالقرآن، ووصفهم بترك الشرك كله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩﴾؛ لأنَّ من القواعد النحوية: أنَّ النفي إذا دخل على الفعل كان نفيًا لمصدره، فيفيد العموم؛ كالنفي إذا دخل على النكرة؛ كقولهم: لا رجل في الدار، ومن ذلك قول: «لا إله إلا الله»؛ فإنه نفي لكل إله سوى الله[(٢)]، والمعنى: أنهم لا يشركون بالله شيئًا من الشرك؛ بل هم موحدون كل التوحيد، قد خلصوا من الشرك الأكبر والأصغر؛ وبهذا يظهر وجه استدلال الشيخ بالآية على تحقيق التوحيد[(٣)]، فتحقيق التوحيد يكون بالخلوص من الشرك الأكبر والأصغر، ومعلوم أنَّ الإصرار على المعاصي والبدع لا بد أن يتضمن شيئًا من الشرك، فالخلوص من الشرك كله يستلزم عدم الإصرار على شيء من المعاصي كما تقدم[(٤)]، هذا ما يتعلق بالآيتين.

أما الحديث: فهو حديث ابن عباس، ولكن الشيخ بدأ بذكر سبب رواية سعيد بن جبير للحديث عن ابن عباس، وسعيد بن جبير تابعي مشهور، من أصحاب ابن عباس، روى عنه كثيرًا من علم التفسير حتى عد من المفسرين[(٥)].

---

(١) ينظر: مدارج السالكين (٢/ ١٨٩).
(٢) ينظر: العقد المنظوم في الخصوص والعموم للقرافي (١/ ٥١٥).
(٣) ينظر: تيسير العزيز الحميد (١/ ٢١٨-٢١٩).
(٤) تنظر: (ص٦٠)، (ص٦٧).
(٥) ينظر: طبقات المفسرين للداوودي (١/ ١٨٨ رقم ١٨١).

يقول الشيخ: **(عن حصين بن عبد الرحمن)**: هو السلمي من صغار التابعين[(١)].

قوله: **(فقال)** أي: سعيد بن جبير **(أيكم رأى الكوكب الذي انقض)**: يعني رمي به[(٢)]، **(البارحة؟)**: اسم لأقرب ليلة ماضية[(٣)]، وسؤال سعيد للحضور عن الكوكب يقتضي أنه شيء نادر يلفت النظر، ولو كان كسائر ما يشاهده الناس لما سأل عنه.

فقال حصين: **(فقلت: أنا)**: أي: أنا رأيته، ولكن خشي أن يظن أنه كان يصلي؛ فقال: **(أما إني لم أكن في صلاة)**، وفي هذا كما سيأتي في المسائل: دلالة على ورع السلف وبعدهم عن التمدح بما ليس فيهم، فكأنه يقول: لا تظنوا أني كنت أصلي، **(ولكني لدغت)**: أي: كنت مستيقظًا بسبب ما حصل لي من اللدغة، فإنه لسعَه بعض ذوات السموم من عقرب أو غيرها.

قال له سعيد، وحول السؤال عن الكوكب إلى ما حصل لحصين: **(قال: فما صنعت؟)**: يعني لما لدغت فما صنعت؟ قال: **(ارتقيت)**، وفي لفظ: «**استرقيت**»[(٤)]، أي: التمست مَن يرقيني، وهذه الرواية هي المناسبة لذكر سعيد حديث ابن عباس.

---

(١) حُصين بن عبد الرحمن السلمي الكوفي، أبو الهذيل، حافظ، حجة وُلد: في زمن معاوية، في حدود سنة (٤٣هـ)، وحدَّث عن: عمارة بن رويبة الصحابي، وجابر بن سمرة، وروى عنه شعبة والثوري، مات سنة (١٣٦هـ). ينظر: طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي (١/ ٢٢٦)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٢٢).

(٢) ينظر: الصحاح (٣/ ١١٠٢).

(٣) ينظر: الصحاح (١/ ٣٥٥).

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٠).

(قال: فما حملك على ذلك؟): أي: ما الدليل على هذا الصنيع؟ وفي هذا دلالة على عناية السلف بالدليل(١)، وهذا هو الواجب على المسلم؛ أن يهتم بمعرفة الدليل في أمر الدين، ولا سيما طالب العلم الذي يحسن فهم الأدلة، وإذا عرّف بالدليل عرف ورجع إليه، فإذا استفتى عالِمًا فينبغي أن يسأله عن الدليل، فإما أن يذكر له دليلًا أو يذكر له توجيهًا، إذا لم يكن هناك نص في المسألة.

قال حصين: **(قلت: حديث...)**: أي: حملني على ذلك حديث حدثني به الشعبي، عن بريدة بن الحصيب والحديث مرفوع، لكن هنا جاء سياقه موقوفًا على بريدة بن الحصيب الأسلمي أنه قال: «**لا رقية إلا من عين أو حُمَة**»، فهذا حديث مرفوع إلى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، رواه الإمام أحمد وأهل السنن عن عمران بن حصين مرفوعًا(٢).

وقوله: **(لا رقية إلا من عين أو حمة)**: يعني: لا رقية أنفع من الرقية من العين والحمة(٣)، والعين المراد بها: عين الحاسد، والآفة التي تنشأ عنه يقال لها: عين، من التعبير بالسبب عن المسبب، ويقال: فلان أصابته عين؛ يعني عين حاسد، وهو العائن الذي يصيب الناس بعينه، و«**العين حق**»(٤) وهي بقدر الله، فإنه لا يخرج شيء عن قدر الله، والحمَة هي السم(٥) الذي يكون من لدغة ذوات السموم.

---

(١) ينظر: التيسير (١/ ٢٢٢).
(٢) ومراد شيخنا أهل السنن إلا النسائي كما تقدم في التخريج قريبًا.
(٣) ينظر: معالم السنن للخطَّابي (٤/ ٢٢٦).
(٤) أخرجه البخاري (٥٧٤٠)، ومسلم (٢١٨٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٥) ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٢٧٤)، والنهاية لابن الأثير (١/ ٤٤٦).

ففي الحديث: دلالة على جواز الرقية؛ بل إنَّ الرقية أنفع ما تكون مما يكون بسبب العين وذوات السموم؛ كالعقرب والحية وغيرهما من ذوات الحمَة.

فحصين احتج على فعله بالحديث، فقال له سعيد: **(قد أحسن مَن انتهى إلى ما سمع)**، فصوّبه؛ لأنَّ تصرفه لم يكن بمجرد رأيه؛ بل عملًا بالدليل[(١)].

ثم استدرك سعيد؛ فقال: **(ولكن)**: أي: هناك دليل يخالف هذا الحديث، وذكر حديث ابن عباس، والحديث متفق عليه؛ فقال:

(حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «عرضت علي الأمم...»): أي: الأنبياء ومَن آمن بهم -كما سيأتي في التفصيل-، ومتى كان هذا العرض؟

روي أنَّ ذلك كان ليلة الإسراء[(٢)]، لكن فيما يظهر أنه لم يثبت[(٣)]، فإن ثبت وجب التمسك به؛ فالحديث مجمل: يحتمل أن يكون ليلة الإسراء، أو في مقام آخر، ويحتمل أن يكون العرض في المنام، فيكفينا أنها عرضت عليه ﷺ على أي وجه، وفي أي حال[(٤)].

---

(١) ينظر: التيسير (١/ ٢٢٤).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٤٦) والنسائي في الكبرى (٧٥٦٠)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٣) ينظر: الإسراء والمعراج للألباني (ص٨٣-٨٦).
(٤) وجاء في رواية كان في الموسم أيام الحج؛ كما عند الطيالسي (٣٥٠)، وأحمد (٤٣٣٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٩١١) عن ابن مسعود، أن رسول الله ﷺ قال: «**عُرضت عليَّ الأمم بالموسم أيام الحج...**» وصححه ابن حبان (٦٠٨٤)، والحاكم (٨٢٧٨).

قوله: **(فرأيت النبي...) إلى آخره**: هذا تفصيل بعد إجمال، وهو يشعر أنه عرض عليه جميع الأنبياء؛ مع مَن آمن من أممهم.

قوله: **(ومعه الرهط)**: الرَّهط: هم الجماعة دون العشرة من الرجال[(١)]، وفي بعض الروايات: النبي معه الرُّهيط[(٢)] بالتصغير، وهو يدل على زيادة القلة.

قوله: **(والنبي ومعه الرجل والرجلان)**: أي: بعض الأنبياء ما معه إلا رجل واحد، وبعضهم معه اثنان، وفي هذا دلالة ظاهرة على قلة أتباع الأنبياء، فنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أمضى ألف سنة إلا خمسين عامًا وهو يدعو قومه، ومع ذلك قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٤٠﴾ [هود].

قوله: **(والنبي وليس معه أحد)**: يحتمل أنه لم يؤمن به أحد، أو آمن مَن آمن به ثم ارتد.

قوله: **(فنظرت فإذا سواد عظيم)**: السواد هو: الشيء يرى من بُعد ولا يُدرى ما هو[(٣)]، كما لو رأيت شخصًا بعيدًا تقول: أرى سوادًا مقبلاً.

وقوله: **(عظيمًا)**: يدل على الكثرة.

قال: **(فظننت أنهم أمتي)**: يعني مُثِّلوا له؛ لأنَّ أمته حتى الآن لم توجد ولم تتكامل، ولا يتكامل عدد أتباع محمد ﷺ إلا عند قيام الساعة.

قوله: **(فقيل لي: هذا موسى وقومه)**: في هذا دلالة على فضل موسى وكثرة أتباعه، فموسى أكثر الأنبياء أتباعًا بعد محمد ﷺ.

---

(١) ينظر: الفائق في غريب الحديث (٢/ ٩٦)، شرح صحيح مسلم للنووي (٣/ ٩٤).
(٢) أخرجه مسلم (٢٢٠).
(٣) ينظر: لسان العرب (٣/ ٢٢٥)، وتاج العروس (٨/ ٢٢٧).

قوله: (**فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك**): لفظ مسلم[(١)]: «**ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك**».

قوله: (**ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**): هنا الشاهد من الحديث، فأمة محمد ﷺ المؤمنون به، معهم سبعون ألفًا، يَفضلون سائر الأمة، بأنهم يدخلون الجنة دون حساب أو عذاب؛ لتحقيقهم التوحيد، فكل هؤلاء الذين عرضوا على نبينا محمد ﷺ سيدخلون الجنة مع كثرتهم، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة**»[(٢)]، وقد ورد في بعض روايات الحديث: «**فاستزدت ربي؛ فزادني مع كل ألف سبعين ألفًا**»[(٣)].

وقوله: (**ومعهم**) أي: فيهم ومنهم[(٤)].

---

(١) برقم (٢٢٠)، ولعل المؤلف صادر عن حادي الأرواح فالمثبت في النسخ الخطية لحادي الأرواح: «**فقيل لي هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك**» وسقطت من المؤلف أيضًا جملة «**ولكن انظر إلى الأفق**» فلعلها ساقطة من نسخته من حادي الأرواح أو تركها اختصارًا. ينظر: حادي الأرواح -طبعة المجمع- وحاشية المحقق (١/ ٢٦٦) وفتح المجيد (١/ ١٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٢٨) -واللفظ له-، ومسلم (٢٢١) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (٢٢)، وأبو يعلى (١١٢)، والبيهقي في البعث والنشور (٩٩٤) -واللفظ له-، وقال ابن منده في الإيمان (٩٧٦): «صحيح على رسم مسلم» وجوَّده ابن حجر في الفتح (١١/ ٤١٠).

(٤) ينظر: فتح الباري (١١/ ٤٠٨) والتيسير (١/ ٢٢٧).

وقوله: (**فخاض الناس في أولئك**): أي: بعدما نهض الرسول ﷺ من عندهم صار الناس يتكلمون ليعرفوا هؤلاء السبعين مَن هم؟، وما عملهم الذي بلغوا به هذه المنزلة؟ فقال: بعضهم -على سبيل الظن والرجاء- لعلهم أصحاب رسول الله ﷺ، وفضل أصحاب الرسول معلوم؛ فإنهم خير هذه الأمة، وقال بعضهم: لعلهم الذين ولدوا في الإسلام؛ فلم يشركوا بالله شيئًا، ولا شك أنَّ النشأة على التوحيد والفضيلة فضل عظيم، ويشهد لهذا أنَّ أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله «**شاب نشأ في عبادة الله**»[(١)]، ولكن لا يلزم أن يكون الذي ولد في الإسلام أفضل ممن كان كافرًا ثم أسلم، فإنَّ أكثر الصحابة ولدوا في الجاهلية، ولما جاء الإسلام دخلوا فيه، ولا ريب أنهم أفضل من أولادهم، وهذا ينطبق على خيار الصحابة؛ كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وبقية العشرة وغيرهم.

قوله: (**فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه فقال: «هم الذين لا يسترقون»**): أي: لا يطلبون من أحد أن يرقيهم، وطلب الرقية جائز لكن خلاف الأولى؛ أما أن يرقي الإنسان نفسه أو يرقيه أخوه من غير سؤال؛ فلا كراهة في ذلك، فإنَّ الرسول ﷺ رقى ورُقي، رقاه جبريل[(٢)]، ولم يسأل أحدًا أن يرقيه، والذي فعله حصين بن عبد الرحمن فيما يظهر: أنَّه استرقى؛ كما في اللفظ الآخر؛ قال: «استرقيت»، ولهذا ذكر له سعيد بن جبير هذا الحديث الذي يدل على خلاف ما صنعه حصين وهو ترك الاسترقاء.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) تنظر حواشي المسألة الخامسة من مسائل الباب، في (ص٩٨).

وقد روي: «**أنهم الذين لا يرقون ولا يسترقون**»[١]، ولكن هذه الرواية ضعيفة عند أهل الحديث[٢]، والصواب في الرواية: «**لا يسترقون**».

وإنما كره الاسترقاء لأنَّ فيه التفات للمخلوق، فإنه من سؤال الناس كما يدل له لفظ الاسترقاء فإنَّ السين والتاء للطلب، ومن مقاصد الشريعة الاستغناء عن الناس، والتوجه بالافتقار إلى الله وحده في جميع الحاجات، وذلك من تحقيق التوحيد وكمال التوكل.

قوله: **(ولا يكتوون)**: أي: لا يتعالجون بالكي بأن يكوي نفسه أو يكويه غيره، وهذا يدل على كراهة العلاج بالكي، وإن كان جائزًا ما لم يتعين، فإن تعين العلاج به فلا كراهة، وتنوعت الأحاديث في حكم الكي، فمنها ما يدل على جوازه، ومنها ما يدل على كراهته، ومنها ما يدل على أنه خلاف الأولى؛ انظر ما ذكره ابن القيم في قسم «الطب النبوي» من «زاد المعاد»[٣]، ومن هذه الأحاديث قوله ﷺ: «**الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم أو شربة عسل أو كية بنار، وأنا أنهى أمتي عن الكي**»[٤]، فهذا الحديث دليل الكراهة، وأما حديث: «**ولا يكتوون**»؛ فيدل على أنَّ تركه أفضل، ويحتمل الكراهة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) رواية «**لا يرقون**» شاذة سندًا؛ تفرد بها شيخ مسلم: سعيد بن منصور، فغيَّر الحديث، فزاد وأنقص؛ زاد «**لا يرقون**»، وأسقط «**لا يكتوون**» خلافًا لرواية الجماعة، ومنكرة متنًا؛ لكون النبي رقى نفسه ورقى غيره والراقي محسن إلى غيره.
وينظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٦٥-٦٦) (ص٢٠٥)، وفتح الباري (١١/ ٤٠٨-٤٠٩)، والضعيفة (٣٦٩٠).

(٣) (٤/ ٦٥-٦٦).

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٨١) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولمسلم (٢٢٠٥) بنحوه من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله: («**ولا يتطيرون**»): التطير: هو التشاؤم بما يشاهد من الطيور أو الحيوانات؛ كما هي عادة أهل الجاهلية، وهذا محرم لما سيأتي في: «باب ما جاء في التطير»، وأنَّ النبي ﷺ قال: «**لا عدوى ولا طيرة**»، وقال: «**الطيرة: شرك**»[(١)]، لكن الاسترقاء والكي والتطير، كلها اجتمعت في التعلق بأسباب موهومة؛ كالتطير، أو أسباب مرجوحة؛ كالاسترقاء والكي، يعني تركها أفضل، وأما التطير فهو تعلق بسبب وهمي لا حقيقة له، وبترك ذلك يكون تحقيق التوكل فقد تبين أنَّ هذه الأسباب الثلاثة متفاوتة في حكمها، لكن جمعها النبي ﷺ لأن بينها قدر مشترك، وهو أنها تنافي كمال التوكل، وتركها من كمال التوكل، ولهذا قال: «**وعلى ربهم يتوكلون**» ثم إنَّ دلالة الاقتران ضعيفة عند الأصوليين[(٢)].

تنبيه: يظن بعض الناس أنَّ ترك هذه الأسباب الثلاثة يصير الإنسان بمجرد ذلك من السبعين الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وهذا خطأ؛ بل ذكر هذه الأمور الثلاثة من قبيل التنبيه بالأدنى على الأعلى فإنَّ من المعلوم أنَّ الذي يترك المكروه، وما هو خلاف الأولى لا بد أن يكون مؤديًا للفرائض مجانبًا للمعاصي مسارعًا للخيرات، فمن أراد أن يكون من الذين يدخلون الجنة بغير حساب فليحافظ على فرائض الله، وليجتنب ما حرم الله، وليسابق إلى فضائل الأعمال مخلصًا لله متوكلًا على الله.

---

(١) تنظر: (ص٥٢١)، وفي الباب تخريج لكل هذه الأحاديث.

(٢) وهو قول الجمهور وبعضهم يفرق بين اقتران الألفاظ واقتران الجُمَل. ينظر: إرشاد الفحول (٢/ ١٩٧)، وبدائع الفوائد (٤/ ١٦٢٧).

قوله: («وعلى ربهم يتوكلون»): التوكل على الله هو جماع هذه الخصال الثلاث؛ فمن تحقيق التوكل على الله: ترك هذه الأسباب؛ التي منها: ما تركه أولى، ومنها: ما هو مكروه، ومنها: ما هو محرم، فالاسترقاء تركه أولى، والكي مكروه، والتطير حرام.

والمقصود من هذا: أنَّ من كمال توحيد هؤلاء وإيمانهم وطاعتهم لله واستقامتهم؛ أنهم تركوا الأمور التي لا بأس بها؛ كالاسترقاء، فهم يتركون: المحرمات والمكروهات والمفضولات التي تركها أولى، وليس المقصود أنَّ من كمال التوكل ترك الأسباب؛ بل فعل الأسباب المشروعة والمباحة من غير اعتماد القلب عليها؛ لا ينافي ولا ينقص التوكل، ومن المفيد في هذا المقام ما ذكره شيخ الإسلام[(١)] عن طائفة من العلماء[(٢)]؛ قالوا: «الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع».

إذن: التداوي لا بأس به ولا ينافي التوكل؛ فالأسباب المشروعة المباحة التي ليس فيها وجه كراهة لا تنافي تمام التوكل إذا لم يكن اعتماد عليها، فلتفعل على أنها أسباب، مع اعتماد القلب على الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ والثقة به.

ومسألة الأسباب باب واسع: فالتداوي والاكتساب وجميع مصالح الدنيا والآخرة، وتحصيل المصالح، ودفع المفاسد؛ كل ذلك مرتب على الأسباب كونًا وشرعًا.

---

(١) ينظر: السبعينية = بغية المرتاد (ص٢٦٢)، والتحفة العراقية (ص٣٤٥).
(٢) ينظر: إحياء علوم الدين (٨/ ١٩٤).

ولكن يظن بعض الناس أنه إذا ترك الاسترقاء، وترك الكي؛ يصير بمجرد ذلك من السبعين ألفًا، وهذا غلط؛ لأنَّ هذا فيه التنبيه بالأدنى على الأعلى، فإذا كانوا يتركون ما لا بأس به، فما ظنك بالأمور العظيمة! أترى مَن يترك الاسترقاء أو الكي، يقدم على المحرمات ويفرط في الواجبات؟!

فهذا الثناء عليهم بما ذكر يدل أنهم أعظم ما يكونون محافظة على الواجبات والفرائض والفضائل، وأشد ما يكونون ابتعادًا عن المحرمات والمكروهات والمشتبهات، لكن هذا لا يمنع أن تأخذ من صفاتهم بنصيب؛ لكن لا تكن مغرورًا تظن أنك إذا شاركتهم في هذه الجزئية تكون منهم، لكن لا يمنع أن تشارك وأن تتشبه، وأن تأخذ من كل فضيلة بما تيسر لك.

وقوله: (**«وعلى ربهم يتوكلون»**): يدل على أنهم معتمدون على ربهم اعتمادًا تامًّا، لا تتعلق قلوبهم إلا به سبحانه: خوفًا ورجاء وحبًّا وإخباتًا وتوكلًا عليه، واعتمادًا عليه في جميع المطالب، في تحصيل ما يطلبون ويحبون، وفي دفع ما يكرهون.

فإنَّ التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله في جميع المطالب، طلبًا أو دفعًا[1].

مسألة: مَن طلب الرقية، أو اكتوى قبل معرفته بالحديث، نرجو أنه لا يقدح في كمال توحيده وتوكله.

---

(١) سيأتي بيان مزيد في: باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾[المائدة]، في (ص٥٦٤).

قوله: **(فقام عكاشة بن محصن)**: يدل على أنه كان جالسًا، فلما سمع خبر السبعين ألفًا طمحت همته، وتاقت نفسه أن يكون في عدتهم، وعلم أنَّ أقرب طريق لذلك دعوة من النبي ﷺ فقام، وسأل النبي ﷺ أن يدعو الله له بأن يجعله منهم؛ فقال: رسول الله ﷺ: «**أنت منهم**»[(١)]، وفي رواية؛ قال: «**اللهم اجعله منهم**»[(٢)]، ويجمع بين الروايتين بأنه دعا له أولًا فأعلمه الله بأنه منهم فلذا قال: أنت منهم[(٣)]، وبهذا كان عكاشة ممن يشهد له بالجنة، ومما يصدقه من الواقع ما ذكر: أنه قاتل في حروب الردة في قتال طليحة الذي ادعى النبوة، ولكنه تاب، وهو من عشيرته، وبهذا صار عكاشة شهيدًا[(٤)]، فعلم أنَّ الله استجاب دعوة النبي ﷺ له فجعله الله من السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، واتخذه الله شهيدًا، وذلك علم من أعلام النبوة كما ذكر الشيخ[(٥)]، وبهذا علم أنَّ عكاشة بن محصن الأسدي من خيار الصحابة -رضي الله عنه وأرضاه-.

قوله: **(ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «سبقك بها عكاشة»)**: تضمنت هذه الجملة أمورًا؛ أحدها: أنَّ رجلًا

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٨-٣٧١) عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبرقم (٢٢٠-٣٧٤) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه البخاري (٥٨١١)، ومسلم (٢١٦-٣٦٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه البخاري (٦٥٤١) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) ينظر: فتح الباري (١١/ ٤١٢).

(٤) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٢٢٤ رقم ٥٦٥٧).

(٥) تنظر: (ص١٠٤).

اغتنم الفرصة فاقتدى بعكاشة فطلب من النبي ﷺ أن يدعو له بما دعا لعكاشة.

الثاني من الأمور: أنه لم يدع لذلك الرجل؛ بل قال له قولًا يعذره به، وهو قوله: «**سبقك بها عكاشة**»، ولعل ذلك الرجل لم يكن أهلًا للدعوة له، والحكمة تقتضي وضع الأشياء مواضعها، أو أنَّ النبي ﷺ قصد ألا يتتابع الناس في طلب هذه الدعوة فيطلبها مَن ليس أهلًا، ومعلوم أنه لن يقوم أحد يطلب الدعاء من النبي ﷺ بعد جوابه لذلك الرجل، فإنه كما قيل: «الحر تكفيه الإشارة»[١].

الثالث: حسن خلقه ﷺ؛ لاعتذاره إلى ذلك الرجل بتلك الجملة المحصلة للمقصود من غير أن تؤذي الرجل الطالب للدعاء، وقد أشار الشيخ في المسائل إلى هذا المعنى[٢].

(فيه مسائل:

الأولى: معرفة مراتب الناس في التوحيد).

الناس ليسوا في التوحيد على مرتبة واحدة كما تقدم، فمنهم المحقق للتوحيد، ومنهم مَن ليس كذلك، وكل من الصنفين متفاضل أيضًا، فأهل تحقيق التوحيد متفاضلون، فبعضهم أكمل تحقيقًا للتوحيد من بعض، فهي مراتب لا يعلم تفاوتها إلا الله، فأكمل الناس توحيدًا: الأنبياء والمرسلون، وأكملهم: أولو العزم، وأكملهم: الخليلان محمد

(١) ينظر: الجواب الكافي (ص٩٧-٩٨)، وفتح الباري (١١/ ٤١٢).
(٢) تنظر: (ص١٠٥).

وإبراهيم عليهما السلام، ثم من دون الأنبياء من أهل الإيمان من الصديقين والشهداء والصالحين، ثم مَن دونهم، وكذلك الصنف الآخر مَن لم يحقق التوحيد، هم متفاوتون في نقص توحيدهم وتقصيرهم.

(الثانية: ما معنى تحقيقه).

هذا فيه تنبيه ولفت نظر، يعني على طالب العلم، وعلى المسلم إذا سمع: أنَّ كمال التوحيد بتحقيقه، لا بد أن يسأل: ما معنى تحقيق التوحيد؟ وتحقيق التوحيد سبق ذكره، وهو: تخليصه مما ينافي أصله، أو ينافي كماله الواجب، وفوق ذلك تحقيق كماله المستحب بترك المكروهات وفضول المباحات، وهذه مرتبة توحيد المقربين.

(الثالثة: ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يك من المشركين).

من فوائد هذا الباب: ما جاء في الآية الأولى التي أثنى الله فيها على إبراهيم، ومما أثنى الله به: أنه لم يكن من المشركين، ففي هذا دلالة على بعده من الشرك، وهذا يتضمن سلامته من الشرك كله، وبراءته من الشرك وأهله. وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٢٠﴾ [النحل]، يتضمن تحقيق التوحيد، فلا يستحق هذه البراءة إلا مَن حقق التوحيد، وإبراهيم هو إمام الحنفاء عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهو الذي أمر الله نبيه باتباع ملته؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٢٣﴾ [النحل]، وكثيرًا ما يثني الله على إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بخلوصه من الشرك؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٢٠﴾ [النحل].

وقال في آية بعدها: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٢٣﴾ [النحل: ١٢٣]. وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا كَانَ

إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران].

(الرابعة: ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك).

لقوله في الآية الثانية من الباب: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المؤمنون]، فأثنى عليهم بالسلامة من الشرك كله، وهذا وصف لهم بتحقيق التوحيد؛ فإنه لا يحقق التوحيد إلا مَن سلم من الشرك كله.

(الخامسة: كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد).

هذه مأخوذة من حديث ابن عباس في صفة السبعين ألفًا، يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون**». يقول الشيخ: من فوائد هذا الحديث: أنَّ ترك الرقية والكي مما يكون به تحقيق التوحيد؛ لأنَّ من كمال التوكل ترك الأسباب المفضولة المرجوحة فضلًا عن المحرمة، وتعبير الشيخ في قوله: **(ترك الرقية)**: ينبغي أن تفهم على أنَّ المراد: ترك الاسترقاء، فالسين والتاء للطلب، يعني: ترك طلب الرقية من الغير؛ لأنَّ الحديث فيه ترك الاسترقاء لا ترك الرقية، فلا ينافي كمال التوكل: أن يرقي الإنسان نفسه أو أن يقبل الرقية من غيره دون طلب، فالرسول ﷺ رقى[1] ورُقِي، فكان يرقي نفسه، وكانت عائشة أم المؤمنين كذلك ترقيه في يديه[2]، وجبريل

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٤٣) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أن النبي ﷺ كان يُعوِّذ بعض أهله، يمسح بيده اليمنى ويقول: «**اللهم رب الناس اذهب الباس، اشفه وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا**».

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٣٩) عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات، ومسح عنه بيده، فلما اشتكى =

رقاه[١]؛ فهو ﷺ رقى ورُقي، وقال: «**لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا**»[٢] لكنه لم يسترق.

إذن: قول الشيخ: (**ترك الرقية**): يعني: ترك الاسترقاء، وتقدم أنَّ الاسترقاء جائز لكن تركه أولى، كذلك الكي مباح لكن تركه أكمل.

(السادسة: كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل).

الجامع لهذه الخصال: ترك الاسترقاء وترك الكي والتطير؛ هو التوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنه قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في آخرها: (**وعلى ربهم يتوكلون**)، فالجامع لذلك هو التوكل، وهو صدق الاعتماد على الله، وتفويض الأمر إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فمن تحقيق التوكل: ترك كل الأسباب المحرمة والمكروهة وما تركها أولى، فتمام التوكل يتضمن: ترك هذه الخصال وغيرها.

(السابعة: عمق علم الصحابة بمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل).

هذا مستفاد من أنَّ الصحابة لما أخبرهم الرسول ﷺ بالسبعين ألفًا، وما لهم من الفضل؛ خاض الصحابة في معرفة السبب الذي نالوا به ذلك الفضل، فهذا يدل على عمق علم الصحابة: أنهم لن ينالوا هذه المنزلة إلا بعمل صالح، فثواب الدنيا والآخرة مرتب على الأسباب؛ فلا

= وجعه الذي توفي فيه، طفقت أنفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث، وأمسح بيد النبي ﷺ عنه».

(١) أخرجه مسلم (٢١٨٦) من حديث أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٠٠) -بنحوه-، وأبو داود (٣٨٨٦) -واللفظ له- من حديث عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

تنال الكمالات والفضائل بالبطالة والغفلة والكسل والإهمال، ومرد ذلك كله: فضله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فالله يؤتي فضله مَن يشاء، فخاض الصحابة؛ أي: تكلموا بالعمل الموصل لهذا الفضل فقال بعضهم: **(فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ)**، والصحبة من أعظم الأسباب في تبوء المنازل العالية.

وقال بعضهم: **(فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام)**: ولا شك أنَّ النشأة على الدين وعلى الإسلام والعبادة من أعظم أسباب السعادة، والفوز بالثواب العظيم؛ كما في حديث: «**وشاب نشأ في عبادة الله**»[١].

(الثامنة: حرصهم على الخير).

هذه الفائدة مأخوذة من قوله: **(فخاض الناس في أولئك)**؛ أي: بحثًا عن سبب هذا الفضل، والذي حملهم على ذلك حرصهم على الخير.

(التاسعة: فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية).

يريد: أنَّ هذا الحديث يدل على فضل هذه الأمة المحمدية، تفضل غيرها من الأمم من أتباع الأنبياء في الكمية؛ أي: العدد، وهذا مأخوذ من قوله: **(سواد عظيم)**، وفي الكيفية، وهي الصفة الدينية، وهو مأخوذ من قوله: **(معهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب)**، ويشهد لهذا المعنى حديث: «**أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله**»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٠١٥) والطبراني في الكبير (١٠١٢)، (١٠٢٣) عن معاوية بن حيدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بهذا اللفظ، وبنحوه عند الترمذي (٣٠٠١)، وابن ماجه (٤٢٨٨) =

(العاشرة: فضيلة أصحاب موسى).

أي: في الكمية لقوله: (**«إذ رفع لي سواد عظيم... فقيل لي: هذا موسى وقومه»**)، فدل ذلك على أنَّ موسى أكثر الأنبياء أتباعًا بعد نبينا محمد.

(الحادية عشرة: عرض الأمم عليه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ).

هذه فائدة علمية؛ لأننا بهذا الخبر علمنا أنَّ الأمم عرضت على نبينا ﷺ، وإن كنا لا نعلم متى؟ وكيف عرضت عليه؟ فالواجب الإيمان بأنها عرضت عليه كما أخبر ﷺ، وسيأتي ذكر فوائد هذا الخبر.

(الثانية عشرة: أنَّ كل أمة تحشر وحدها مع نبيها).

أي: من فوائد هذا الخبر بعرض الأمم؛ دلالته على أنَّ كل أمة تحشر وحدها مع نبيها؛ كما يدل له قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء].

(الثالثة عشرة: قلة من استجاب للأنبياء).

يعني من فوائد الخبر بعرض الأمم؛ دلالته على قلة أتباع الأنبياء، وذلك من قوله: (**والنبي ومعه الرجل والرجلان**)، وقد دل القرآن على مثل ما دل عليه هذا الحديث وهو قلة المؤمنين، وغلبة الكفر على الناس قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ [هود]، وقال تعالى في نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود]، وهذا هو الشأن في جميع الأمم ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾﴾ [القمر].

= وحسنه الترمذي، وقال شيخ الإسلام في الجواب الصحيح (٢/ ٢٣٢): «حديث جيِّد».

(الرابعة عشرة: أنَّ مَن لم يجبه أحد يأتي وحده).

يبين الشيخ في هذه الفائدة ما يدل عليه قوله ﷺ: **(والنبي وليس معه أحد)**، فإنه يفيد أنَّ النبي الذي لم يجبه أحد يأتي وحده إلى محشر الأمم، وظاهره أنَّ من الأنبياء مَن لم يؤمن به أحد من أمته، وهذا يعارض في الظاهر قوله ﷺ: «**لكل نبي حواري، وحواريَّ الزبير**»[1]، وقيل في الجمع[2]: «لعل هذا الحواري ارتد بعد موت نبيه»، ويمكن أن يقال: عدم العرض لا يستلزم عدم وجود مؤمن؛ فقد يكون موجودًا، ولم يُعرَض بسبب اقتضى عدم العرض، والله أعلم.

(الخامسة عشرة: ثمرة هذا العلم، وهو عدم الاغترار بالكثرة، وعدم الزهد في القلة).

علم مما ورد في هذا الحديث من عرض الأمم: قلة أتباع الأنبياء، وكثرة مَن رد دعوتهم وأعرض عنها، فهذا العلم له ثمرة: وهو عدم الاغترار بالكثرة، وعدم الزهد في القلة، فلا يزهدنك في الحق قلة أهله، ولا تغتر بالباطل لكثرة أهله، وهذه لفتة عظيمة مهمة من الشيخ يجب أن تكون على بال المسلم في سيره في هذه الحياة، ألا يعتمد في الحكم على الأشياء بأنها حق أو باطل بقلة الأتباع أو كثرتهم.

وعلى العبد أن يعول على الدليل، وذلك بمعرفة ما جاء به الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولا يهون من الحق قلة المتمسكين به، يشهد لهذا قول

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٦١)، ومسلم (٢٤١٥) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ينظر وجه آخر ذكره القرطبي في المفهم (١/ ٢٣٤-٢٣٥).

بعض السلف: «لا تستوحش من الحق لقلة السالكين، ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين»(١).

وكثير من الناس يضل عن الحق بسبب التصور الخاطئ، وهو اعتبار القلة والكثرة ميزانًا في معرفة الحق والباطل، فيستدل على أنَّ هذا هو الصواب أو أنه حلال بقوله: كل الناس يفعلونه! وينفر عن الحق لقلة مَن يقول به ويعمل به ويعتقده!

والله قد كشف هذه الشبهة وأبطلها ببيان أنَّ أكثر الناس ضالون عن الهدى؛ فقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [الروم]، وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة] فاحذر أن تكون مع الكثرة الضالة، لأنه لا يستدل بها على حق ولا على باطل، والقلة كذلك.

فهما ليسا مقياسًا، والمعول في معرفة الحق من الباطل هو الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ثم بعد ذلك لا عليك كثر القائلون بذلك أو قلوا.

(السادسة عشرة: الرخصة في الرقية من العين والحمَة).

يريد الشيخ أنَّ من فوائد هذا الباب الرخصة في الرقية من العين والحمَة أخذًا من حديث بريدة أنَّ النبي ﷺ قال: «**لا رقية إلا من عين أو**

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٣٠٦)، والبيهقي في الزهد الكبير (٣٤٩)، (٣٤٠) عن سفيان بن عيينة، وعن أحمد بن أيوب المطوعي بلفظ قريب من هذا، ونسبه جماعة من أهل العلم إلى الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ وهو بلفظ: «الزم طرق الهدى، ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة، ولا تغتر بكثرة الهالكين». ولم نجده بهذا اللفظ مسندًا. ينظر: الأذكار للنووي (ص١٣٦)، والاعتصام للشاطبي (١/ ١٣٦).

حمَة»، وتقدم شرحه، والرخصة: هي الإذن والإباحة، وتقدم الفرق بين الرقية والاسترقاء، وأنَّ المرغب في تركه الاسترقاء، ومما يدل على الرخصة في الرقية قوله ﷺ: «**لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا**»(١).

(السابعة عشرة: عمق علم السلف لقوله: قد أحسن مَن انتهى إلى ما سمع، ولكن كذا وكذا؛ فعلم أنَّ الحديث الأول لا يخالف الثاني).

هذا يتعلق بكلام سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكلامه يدل على كمال علم السلف؛ لأنه أثنى على حصين بن عبد الرحمن لما عول على الدليل فيما فعل، فأثنى عليه وحمده؛ بقوله: **(قد أحسن مَن انتهى إلى ما سمع)**، وبين أنَّ هناك دليل يدل على منزلة أعلى وأكمل، وهو ترك الاسترقاء، فلا منافاة بين الحديثين، فالحديث الأول: يدل على جواز الرقية، وعلى جواز الاسترقاء، لكن الحديث الثاني يدل على أنَّ ترك الاسترقاء أفضل وأكمل في التوكل.

(الثامنة عشرة: بعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه).

هذه الفائدة مأخوذة من قول حصين بن عبد الرحمن: **(أما إني لم أكن في صلاة)**؛ لأنَّ حصين بن عبد الرحمن خشي أن يظن أنه قام من الليل يتهجد فدفع ذلك بقوله: **(أما إني لم أكن في صلاة)**.

(التاسعة عشرة: قوله: «أنت منهم» عَلم من أعلام النبوة).

وجه ذلك أنَّ قوله ﷺ: **(«أنت منهم»)**: من الإخبار بالغيب، فالرسول ﷺ أخبر بأنَّ عكاشة منهم؛ فهذا عَلم من أعلام النبوة، وأعلام نبوة نبينا

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠٠) -بنحوه-، وأبو داود (٣٨٨٦) -واللفظ له- من حديث عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

كثيرة، ومن أنواعها: الإخبار عن المغيبات، وقد وقع ما يصدق خبره ﷺ، وذلك أنَّ عكاشة كما تقدمت الإشارة: قُتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بعض حروب الردة، وذلك عنوان على حسن خاتمته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهذا مصداق خبره ﷺ.

(العشرون: فضيلة عكاشة).

هذه فضيلة عظيمة له: أنه من أولئك السبعين، فهو ممن يشهد له بالجنة.

(الحادية والعشرون: استعمال المعاريض).

يريد: جواز استعمال المعاريض أخذًا من قوله ﷺ للرجل: (**«سبقك بها عكاشة»**)، والمعاريض: أشبه ما تكون بالتورية، وهي: إيهام السامع خلاف ما يريده المتكلم، ولكن لمقصد صحيح، بلا كذب ولا ظلم؛ لأنَّ الرسول ﷺ لم يواجه الرجل ويقول له: لست منهم، إذا قُدر أنه ليس من أهل هذه المنزلة، ولم يفتح الباب حتى يؤدي إلى تسلسل هذا الطلب، فاستعمل الكلام الذي فيه صرف الرجل بطريقة التعريض، لا بطريقة التصريح، فقال: «**سبقك بها عكاشة**»، ولم يقل: أنت لست منهم، أو قال: كفى هذا، أو لا أدعو لأحد بعد عكاشة، أو ما أشبه ذلك، فاكتفى الرجل وتأدب، ولم يقم بعد ذلك أحد؛ لأنَّ الرسول ﷺ سد الباب.

(الثانية والعشرون: حسن خلقه ﷺ).

هذا مأخوذ مما قاله الرسول للرجل حيث لم يواجهه بقول: لست منهم، أو بالامتناع من الدعاء له.

◆◇◈◇◆

(٤)

باب الخوف من الشرك

وقول الله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

وقال الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم].

وفي الحديث: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، فسئل عنه فقال: «الرياء»[(١)].

وعن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَن مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار» رواه البخاري[(٢)].

ولمسلم عن جابر؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَن لقي الله لا يشرك به شيئًا؛ دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئًا؛ دخل النار»[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٦٣٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٤١٢) عن محمود بن لَبيد مرفوعًا. ورواه الطبراني في الكبير (٤٣٠١) عن محمود بن لَبيد عن رافع بن خديج وللحديث شواهد.
وقال المنذري في الترغيب والترهيب (رقم ٤٧) «رواه أحمد بإسناد جيد»، وحسَّن إسناده الحافظ في البلوغ (١٤٨٤).

(٢) برقم (٤٤٩٧).

(٣) برقم (٩٣).

الشَّرْح

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: **(باب الخوف من الشرك)**؛ يعني: باب وجوب الخوف من الشرك، أو مشروعية الخوف من الشرك وبيان خطره.

والخوف من الشرك يوجب الحذر منه، والأخذ بأسباب السلامة، والوقاية من الشرك، فإذا خاف الإنسان من شيء: اتقاه، وتباعد منه وحذره، وأخذ بالأسباب المباعدة منه، وهذا شامل للشرك الأكبر والأصغر، وغيرهما من الذنوب.

والخوف إنما يكون من الأمر المحذور الذي يخشى منه، والشيء إذا كان خطره عظيمًا وجب أن يكون الخوف منه شديدًا، وهذا هو موجب العقل والشرع، وهذا الباب مناسب لما قبله كل المناسبة؛ فإنَّ الخوف من الشرك من تحقيق التوحيد، فإنَّ أعظم الناس تحقيقًا للتوحيد أخوف ما يكونون من الشرك.

وهاهنا سؤال وهو الفرق بين الشرك والكفر، والجواب أن يقال: أنَّ بين الشرك والكفر عموم وخصوص وجهي، يجتمعان في الشرك الأكبر، فإنَّ الشرك الأكبر نوع من الكفر، وينفرد اسم الشرك في الشرك الأصغر؛ فإنه شرك وليس بكفر، وينفرد الكفر في أنواع من الكفر الأكبر ليس فيها شرك؛ ككفر التكذيب، وكفر الإباء والاستكبار، وكفر الجحود، وكفر الإعراض، وكل نوع منها هو كفر وليس بشرك، ومن الذنوب ما يسمى كفرًا، وليس بكفر هو ولا شرك؛ كالطعن في النسب والنياحة، وقتال المسلمين بعضهم بعضًا، فهذه الأفعال والأقوال تسمى كفرًا، وليست شركًا ولا كفرًا أكبر[١].

(١) ينظر الخلاف في: الفِصل في الملل والنحل (٣/ ١٢٤)، ومجموع فتاوى ابن باز (٩/ ١٧٤-١٧٥).

وقد ذكر الشيخ دليلًا على هذه الترجمة: آيتين وثلاثة أحاديث:

أولًا: قوله تعالى: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]). فخص سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ الشرك بنفي الغفران وهذه إحدى خصائص الشرك الأكبر، والثانية: أنه يحبط جميع الأعمال؛ لقوله تعالى: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، والثالثة: أنَّ مَن مات ولم يتب كان مخلدًا في النار، ووعد وعدًا معلقًا على المشيئة بغفران ما دون الشرك، فالشرك ذنب لا ترجى لصاحبه المغفرة، ولا ريب أنَّ ذنبًا هذا حاله وحكمه، لجدير بالحذر كل الحذر منه، وينبغي أن يعلم أنَّ هذه الآية في حكم مَن لم يتب، أما مَن تاب؛ فالله يغفر له ما تاب منه، وإن كان شركًا أو كفرًا؛ لقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]؛ أي: لمن تاب، وبهذا يظهر الجمع بين الآيتين، آية «الزمر» في التائبين، وآية «النساء» في غير التائبين[(١)].

الآية الثانية: قوله تعالى -عن إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ-: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾ [إبراهيم]، ووجه الاستدلال بالآية على مقصود الباب أنَّ إبراهيم، وهو خليل الله، ونبي معصوم، وإمام رفع الله قدره، وأكرمه بالخلة، مع ذلك خاف على نفسه وبنيه من الشرك؛ فلذا دعا ربه والتجأ إليه بأن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام[(٢)]، ومن العجب أنَّ هذه الأصنام

---

(١) ينظر: تفسير آيات أشكلت (١/ ٢٩٣) وما بعدها، وتفسير ابن كثير (٧/ ١٠٦).

(٢) كان إبراهيم التيمي يقول: «من يأمن من البلاء بعد خليل الله إبراهيم، حين يقول: رب ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾[إبراهيم]»، وبنحوه عن سفيان الثوري. ينظر: تفسير الطبري (١٣/ ٦٨٧)، والتمهيد (١٨/ ١٤٩).

جمادات لا تتكلم ولا تسمع ولا تبصر، ومع ذلك ضل بها كثير من الناس الذين فسدت عقولهم وفطرهم فعبدوها من دون الله! ثم يذكر سبب هذا الخوف والدعاء والالتجاء؛ فقال: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، ولا ريب أنَّ ضلال كثير من الناس بالأصنام أمر مخيف! فلا يأمن العاقل على نفسه أن يقع فيما وقع فيه أكثر الناس، ولا عاصم من ذلك الخطر إلا الله تعالى، نسأله تعالى أن يعصمنا من الشرك كله، ويثبتنا على التوحيد إنه تعالى سميع الدعاء.

ومن أنفع ما يكون في هذا الشأن الدعاء النبوي: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»[(١)]، وينبغي للعاقل ألا يتكل على ما عنده من إيمان وعلم وعقل، فهؤلاء المشركون عندهم عقول، لكنهم لا يعقلون بها، فعميت بصائرهم، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج]، وفي آية أخرى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وأما الأحاديث:

فأولها: حديث محمود بن لبيد الذي رواه الإمام أحمد وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: («**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، **فسئل عنه فقال: «الرياء»**).

---

(١) أخرجه أحمد (١٢١٠٧)، والترمذي (٢١٤٠) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الترمذي: «وفي الباب عن النواس بن سمعان، وأم سلمة، وعبد الله بن عمرو، وعائشة، وأبي ذر. وهذا حديث حسن» وصححه الحاكم (١٩٢٦)، (١٩٢٧). وينظر: الصحيحة (٢٠٩١).

والرياء نوع من أنواع الشرك الأصغر، وهو أن يعمل الإنسان العمل ليراه الناس فيذكروه به، وقد عقد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «كتاب التوحيد» بابًا في الرياء -كما سيأتي-(١).

والرياء ذنب خفي من أنواع الشرك الأصغر كما في هذا الحديث؛ لكن لا يستشعر أكثرُ الناس بخطره فإنه ذنب عظيم، ولهذا خافه الرسول ﷺ على أمته؛ بل هو أخوف شيء عنده، وهو من الذنوب القلبية.

والمنافقون يقوم دينهم على الرياء في أصل الإيمان، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤﴾ [البقرة].

وأما هذا الرياء الذي خافه الرسول ﷺ على الصالحين؛ فهو يسير الرياء، وأهل العلم يمثلون للشرك الأصغر: بيسير الرياء، قيدوه باليسير احترازًا من رياء المنافقين في أصل الدين(٢).

فالحديث فيه التصريح بخوف النبي ﷺ على أمته من ذلك الشرك الأصغر؛ مما يدل على عظيم خطره، وأنه لا يؤمن على المسلم وإن كان صالحًا، وإذا كان الشرك الأصغر مخوفًا؛ فما الظن بالشرك الأكبر! لا

---

(١) تنظر: (ص٥٧٩).

(٢) ينظر: مدارج السالكين (١/ ٥٣٠)، والدرر السنية (١/ ١٩٩)، (١٠/ ٣٧٨)، (١١/ ٤٩٥). وقد جاء في سنن ابن ماجه (٣٩٨٩) من حديث معاذ مرفوعًا: «**إن يسير الرياء شرك**»، وفي المعجم الكبير (٥٣) بلفظ: «**إن أدنى الرياء شرك**» بإسناد ضعيف. ينظر: الضعيفة (٢٩٧٥).

شك أنه أخطر، فالواجب على المسلم أن يخاف على نفسه الشرك كله، الأكبر والأصغر، وأن يكون خوفه من الشرك الأكبر أعظم.

وفي الحديث دلالة على أنَّ الشرك نوعان: أصغر وأكبر[(١)]:

فالشرك الأكبر: هو عبادة غير الله مع الله، فمن عبد مع الله غيره بأي نوع من أنواع العبادة فقد أشرك.

والشرك الأصغر أنواع، منه: يسير الرياء؛ كما في هذا الحديث، ومنه: الحلف بغير الله، ومنه: قول الرجل: «ما شاء الله وشئتَ»، «ولولا الله وأنت»، «ولولا الله وفلان»[(٢)]، وما أشبه ذلك؛ فهذه أنواع من الشرك الأصغر[(٣)].

وأما الشرك الخفي؛ فإما أن يكون بخفاء حكمه، فيدخل في الشرك الأصغر، وإما أن يكون بخفائه في القلب، وهذا يكون أصغر وأكبر[(٤)]؛ فالشرك الأكبر هو من الشرك الظاهر؛ لظهور حكمه، وهو اتخاذ ند مع الله؛ قال ابن القيم في النونية:

والشرك فاحذره فشرك ظاهر
ذا القسم ليس بقابل الغفران

---

(١) ينظر: تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٥٢٦)، ومدارج السالكين (١/ ٥٢٣-٥٣٤).
(٢) تنظر: (ص٦١٥)، (ص٦٢٨).
(٣) عرَّفه شيخنا بالأمثلة وهو صنيع ابن القيم في مدارج السالكين (١/ ٥٣٠) وباقي تعاريف الشرك الأصغر التي ذكرها بعض أهل العلم ليست جامعة مانعة. ينظر: الشرك في القديم والحديث (١/ ١٦٦-١٦٧).
(٤) ينظر: الدرر السنية (١/ ٣٢٨)، (٢/ ٧٠).

وهـو اتخـاذ النـد للرحمـــن أيـ
ـــا كان مـن حجـر ومـن إنسـان(١)

وينبغي أن يعلم أنَّ الشرك الأصغر ليس له حكم الشرك الأكبر في خلود صاحبه في النار، وفي إحباط جميع الأعمال، أما كونه لا يغفر؛ فهذا محل تأمل، والمقصود أنَّ بعض أهل العلم يقول: إنَّ الشرك الأصغر لا يغفر لكنه قد تسقط عقوبته برجحان الحسنات العظيمة(٢)، وعندي أنه داخلٌ في عموم: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، والله أعلم(٣)، فإنَّ الشرك إذا أطلق في القرآن ينصرف إلى الشرك الأكبر، وإذا ذكر الله المشركين في قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٢١]، وقوله: ﴿وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ٢٢١]، وقوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]، كل هذه الآيات المراد بها: أهل الشرك الأكبر، وهكذا قوله: ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، المراد الشرك الأكبر، والله أعلم.

الحديث الثاني: (وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَن مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار»): في هذا الحديث وعيد شديد لمن مات، وهو يدعو من دون الله ما جعله ندًّا لله، وهذا هو المشرك الشرك الأكبر، فمن مات وهو كذلك من غير توبة فمصيره

---

(١) الكافية الشافية (٣/ ٧٥١ رقم ٣٤٩٣-٣٤٩٤).
(٢) ينظر: تفسير آيات أشكلت (١/ ٣٦٤)، وتلخيص كتاب الاستغاثة (١/ ٣٠١).
(٣) وهو ظاهر كلام ابن القيم في الجواب الكافي (ص٣٠٣-٣٠٤)، ولشيخنا -حفظه الله- فتوى في الموقع الرسمي بعنوان: «هل الشرك الأصغر يغفره الله؟ وتحرير رأي شيخ الإسلام في المسألة».

النار ولا بد خالدًا فيها[١]، وبهذا تظهر مناسبة الحديث للباب، فهذا الوعيد يوجب الخوف من الشرك، وشواهد هذا من الكتاب والسنة كثيرة، والند هو النظير، فمن عبد مع الله غيره فقد جعله ندًّا لله في العبادة، فقد قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وفيه شاهد لحديث ابن مسعود الآخر؛ قلت: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**...» الحديث[٢].

الحديث الثالث: (ولمسلم عن جابر؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَن لقي الله لا يشرك به شيئًا؛ دخل الجنة، ومَن لقيه يشرك به شيئًا؛ دخل النار»).

هذا الحديث فيه وعد للموحدين المخلصين الذين ماتوا على التوحيد بدخول الجنة، ووعيد للمشركين الذين ماتوا على الشرك الأكبر بدخول النار ولا بد، وهذا معنى حديث ابن مسعود، وقوله: «**لا يشرك**» بالله «**شيئًا**»: عام في الشرك الأكبر والأصغر؛ فمن لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة من أول وهلة، وهذا يشبه قوله في حديث أنس، في آخر باب فضل التوحيد: «**يا ابن آدم لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقُرابها مغفرة**»[٣]، فكلام الرسول ﷺ يفسر بعضه بعضًا، وكلام الله وكلام رسوله يفسر بعضه بعضًا.

---

(١) ينظر الرد على قال بجواز إخلاف الوعيد في: مجموع الفتاوى (١٤/ ٤٩٨)، (١٦/ ١٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

(٣) تقدم تخريجه في (ص٤٥).

وقوله في حديث جابر: «**يشرك به شيئًا**» أي: وهو يشرك بالله شيئًا، من الشرك الأكبر؛ لأنه الموجب لدخول النار والخلود فيها كما تقدم في حديث ابن مسعود، وأما الشرك الأصغر فإنه تحت المشيئة؛ فلا يوجب دخول النار، كما تقدم في حديث محمود بن لبيد: (**«أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»**).

والشاهد من الحديث؛ قوله: (**«ومَن لقيه يشرك به شيئًا؛ دخل النار»**)؛ لأنَّ الشيخ أورده للاستدلال به على الخوف من الشرك، ففي هذا وعيد لمن مات على الشرك الأكبر.

فمن لقي الله وهو يشرك به الشرك الأكبر؛ دخل النار خالدًا فيها ولا بد، وإن كان المقصود منه الشرك الأكبر؛ ففيه وعيد لمن لقي الله وهو يشرك به شركًا أصغر؛ فإنه متوعد بدخول النار، لكن الشرك الأصغر -كما تقدم بيانه- لا يوجب الخلود في النار، ولا حتمية دخول النار؛ لأنه كما سبق ترجيح أنه داخل في عموم: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، حتى على رأي شيخ الإسلام: أنَّ الشرك الأصغر يدخل في عموم نفي الغفران، لكن قد ينجو صاحبه من العذاب برجحان الحسنات(١)، وهذا مآله إلى الغفران.

وهذا يؤكد ما سبق من وجوب الخوف من الشرك كله، ولكن كلما كان الذنب أعظم وجب أن يكون الحذر منه أكثر، والخوف منه أعظم.

فأحق الذنوب بالخوف منه: الشرك الأكبر، الذي هو أظلم الظلم وأقبح القبائح وأعظم الذنوب، فهو أحق بالخوف؛ قال ابن القيم في

---

(١) ينظر: تفسير آيات أشكلت (١/ ٣٦٤).

«إغاثة اللهفان»: «وهذا لأنَّ الشرك هضم لحق الربوبية، وتنقص لعظمة الإلهية، وسوء ظن برب العالمين»[(١)]، وهكذا الشرك الأصغر يجب الخوف منه، كما قال ﷺ: (**«أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»**)؛ بل الذنوب كلها يجب الخوف منها ولا يتهاون بشيء، فعلى المسلم أن يكون حذرًا من الذنوب؛ لأنها أسباب الهلاك، كما يخاف الإنسان أسباب العلل والأمراض والآفات بطبعه، فعليه أن يخاف من هذه الذنوب؛ لأنها أخطر من علل الأبدان.

(فيه مسائل:

الأولى: الخوف من الشرك).

هذه المسألة هي محور الباب ومقصوده.

ومقصود الشيخ: وجوب الخوف من الشرك، فكيف لا يُخاف الشرك وهو أعظم الذنوب؟! وكيف لا يُخاف وهو الذي يفضي إلى أسوأ العواقب؟! وكيف لا يُخاف وهو الظلم العظيم؟! والخوف من الشرك يثمر الاستعاذة بالله منه والحذر منه، والأخذ بالأسباب الواقية منه.

(الثانية: أنَّ الرياء من الشرك).

بنص الحديث: (**«أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»**، فسئل عنه فقال: **«الرياء»**).

(الثالثة: أنه من الشرك الأصغر).

والمقصود: يسير الرياء، أما رياء المنافقين فهو بدرجة الشرك الأكبر؛ موجب لدخول النار والخلود فيها، وهم الذين يراؤون في أصل الإيمان،

---

(١) (١/ ١٠١).

فيظهرون الإيمان رياء ويصلون رياء ويجاهدون رياء، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٤٢﴾ [النساء]، لكن يسير الرياء يكون من المسلم الموحد في بعض الأعمال من التطوعات.

فقوله: **(أنه من الشرك الأصغر)**: يعني: لا يكفر صاحبه، فالذي يرائي في بعض الأعمال لا يكفر، ولو كان يسير الرياء شركًا أكبر لهلك كثير من الناس، إنما يكفر المنافق الذي راءى بأصل الإيمان؛ كما أخبر الله عنهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة].

(الرابعة: أنه أخوف ما يُخاف منه على الصالحين).

يقول الشيخ: إنَّ الشرك الأصغر الذي هو الرياء، أخوف ما يخاف منه على الصالحين، فالرجل وإن كان صالحًا فإنه لا يأمن أن يدخل عليه الشيطان من هذا الباب، وما أكثر ما يدخل الشيطان من هذا الباب؛ لأنَّ الرياء شرك خفي كما تقدم، ويتسرب إلى القلب، فيحتاج المسلم إلى أن يدافعه، وعليه أن يسأل ربه ويتضرع إليه أن يعصمه من الرياء ومن الشرك كله، ويستعيذ بالله من الشيطان ويدعو بالدعاء المأثور: «**اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم**»(١)، وإذا عرض له وخطر بقلبه عليه أن يدافعه.

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ: البخاري في الأدب المفرد (٧١٦) عن معقل بن يسار، وأخرجه الإمام أحمد (١٩٦٠٦) عن أبي موسى الأشعري بنحوه. وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٢٣): «رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي وثقه ابن حبان». وحسنه الألباني في الترغيب والترهيب (٣٦).

وقول الشيخ: (**أخوف ما يُخاف منه على الصالحين**)؛ لأنَّ الرسول ﷺ خاطب بهذا الحديث أصحابه، وهم سلف الصالحين من هذه الأمة.

(الخامسة: قرب الجنة والنار).

يقول الشيخ: من فوائد هذا الباب: (**قرب الجنة والنار**)، أخذًا من حديث جابر: «**مَن لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومَن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار**»، وفي الحديث الصحيح: «**الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك**»(١).

(السادسة: الجمع بين قربهما في حديث واحد(٢)).

يعني: حديث جابر، وهو متضمن لذكر الجنة والنار، وسبب دخول الجنة، وسبب دخول النار، وقد جمع النبي ﷺ بين ذكرهما في هذا الحديث، وكثيرًا ما يجمع الله في كتابه بين ذكر الجنة والنار في آية واحدة أو في آيات؛ ترغيبًا وترهيبًا، وهذه سنة الله في كلامه، وكذلك الرسول ﷺ؛ ترغيبًا وترهيبًا.

(السابعة: أنَّ مَن لقيه لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومَن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار، ولو كان من أعبد الناس).

مَن لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة -كما سبق تفصيله-، فالسلامة من الشرك الأكبر موجب للخروج من النار ودخول الجنة، وأما النجاة من

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٨) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) في بعض النسخ زيادة (على عملٍ واحد متقاربٍ في الصورة). وقال شيخنا: «هذه الزيادة لا تثبت».

الشرك كله -الأصغر والأكبر-؛ فإنه مقتض لدخول الجنة دون عذاب، يقول الشيخ: **(ومَن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار، ولو كان من أعبد الناس)**؛ لأنَّ الشرك الأكبر يحبط جميع عمل العبد، فمن مات على الشرك فلا بد له من دخول النار والخلود فيها، ولو كان عابدًا في الدنيا كثيرًا لكنه يشرك به شيئًا ويعبد مع الله غيره، فعبادته لله حابطة؛ بل ليست عبادة لله كما سبق في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات]، أنَّ العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد(١).

(الثامنة: المسألة العظيمة: سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام).

هذه فائدة عظيمة ومسألة عظيمة، وهي أنَّ الخليل إبراهيم إمام الحنفاء، يخاف عبادة الأصنام، بدليل أنه يدعو ربه بقوله: ﴿ وَٱجْنُبْنِي﴾ [إبراهيم: ٣٥]، لولا أنه يخاف على نفسه وعلى بنيه من الشرك، ما كان منه هذا التوجه، فهذا ينبئ عن خوف، إذ لو كان يشعر بأمن مطلق لما احتاج أن يقول: ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥﴾، فهذا يدل على عظم خطر الشرك؛ حتى خافه إمام الحنفاء على نفسه وبنيه؛ فتوجه إلى الله داعيًا بقوله: ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥﴾.

(التاسعة: اعتباره بحال الأكثر لقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦]).

كثرة الهالكين والضالين بالشرك من دواعي الخوف منه، فإذا رأيت كثرة الهالكين؛ فإنه يجب عليك أن تخشى على نفسك ولا تأمن، فبدل

---

(١) تنظر: (ص٢١).

أن تغتر بالكثرة وتنساق مع الباطل؛ كن حذرًا، ولتكن كثرة الهالكين باعثة على الخوف من أسباب الهلاك والضلال.

(العاشرة: فيه تفسير «لا إله إلا الله» كما ذكره البخاري).

كأن هذه مستفادة من حديث ابن مسعود الذي رواه البخاري: **(مَن مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار)**، فهذا يتضمن أنَّ «لا إله إلا الله» معناها: ترك الشرك به سبحانه، وإفراده بالعبادة، فلا يجعل له ندًّا، فهذا هو معنى «لا إله إلا الله»، ففي حديث ابن مسعود: تفسير لكلمة التوحيد؛ «لا إله إلا الله»، وهو ترك الشرك بالله بألا يدعو ندًّا من دون الله.

(الحادية عشرة: فضيلة مَن سلم من الشرك).

يدل لهذه المسألة قوله في حديث جابر: **(«مَن لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة»)**، ولا شك أنَّ مَن سلم من الشرك الأكبر فقد أنعم الله عليه، وجعله من أهل الأمن والهدى؛ كما تقدم في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾ [الأنعام: ٨٢][(١)]. ومَن سلم من الشرك كله: فهذا قد أتم الله عليه النعمة، وجعله من أهل الأمن التام والهدى التام.

◆◇◈◇◆

(١) تنظر: (ص٤٦).

(٥)

باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف].

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن؛ قال له: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله». وفي رواية[١]: «إلى أن يوحدوا الله»، فإن هم أطاعوك لذلك؛ فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك؛ فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك؛ فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» أخرجاه[٢].

ولهما: عن سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - أنَّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه»، فبات الناس يدوكون ليلتهم، أيهم يعطاها، فلما أصبحوا، غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقيل: هو يشتكي عينيه

(١) البخاري (٧٣٧٢).
(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٥، ١٤٩٦، ٤٣٤٧)، ومسلم (١٩).

فأرسلوا إليه، فأتي به، فبصق في عينيه، ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال: «انفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله، لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم»[(١)].

(يدوكون) أي: يخوضون[(٢)].

الشرح

هذا هو الباب الخامس، وهو مناسب كل المناسبة لما قبله، وترتيب هذه الأبواب يدل على فقه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فذكر أولًا: الأدلة على وجوب التوحيد وعظيم منزلته من الدين، ثم ذكر الأدلة على فضله في الباب الثاني، ثم ذكر في الباب الثالث: ما يدل على تفاضل أهله، وفي الباب الرابع: ذكر ما يجب على مَن منّ الله عليه بالتوحيد، وهو الخوف من ضده، ثم ذكر هذا الباب تنبيهًا على أنَّ مَن منّ الله عليه بالتوحيد، وأتم عليه هذه النعمة؛ فعليه أن يدعو غيره، ولا يقصر هذا الخير على نفسه؛ بل من تحقيق التوحيد: أن تدعو إليه؛ لتنقذ غيرك من الشرك، ولينعم غيرك بما أنعم الله به عليك من نعمة التوحيد، وهذا من الدعوة بعد العلم والعمل، فإنَّ مَن علم وعمل؛ فعليه أن يأمر وينهى ويدعو، فالعلم أولًا ثم العمل ثم الدعوة؛ بل الدعوة داخلة في العمل؛ لأنَّ مما شرع

(١) أخرجه البخاري (٤٢١٠)، (٢٩٤٢) ومسلم (٢٤٠٦).
(٢) ينظر: النهاية (٢/ ١٤٠).

الله القيام به -وجوبًا واستحبابًا- الدعوة إليه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ وبهذا تظهر مناسبة هذا الباب لما قبله.

وقوله: **(باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله)**: أي: هذا باب بيان مشروعية الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله وفضله.

والدعاء هو الدعوة، فكلاهما مصدر دعا يدعو[(١)]، وقلنا: مشروعية؛ لتشمل الواجب والمستحب؛ لأنَّ الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وإلى سائر شرائع الإسلام تكون واجبة وتكون مستحبة، فهي من نوع الواجبات الكفائية[(٢)]، والواجب الكفائي أو فرض الكفاية: إذا قام به مَن يكفي سقط الإثم عن الباقين[(٣)]، وصار في حقهم مستحبًّا، فالدعوة إلى الله؛ كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات؛ لأنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نوع من الدعوة إلى الله، وقد أمر الله بالدعاء إلى سبيله؛ فقال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥]، وسبيل الله هو دينه الذي بعث به رسوله[(٤)]، وشهادة ألا إله إلا الله أصل الدين، وأول واجب على العبد.

وقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾: يشمل الدعوة إلى التوحيد، وإلى سائر شرائع الإسلام؛ لأنَّ هذا كله داخل في سبيل الله، وسبيل الله هو

---

(١) الدعاء: يأتي بمعنى التضرع والسؤال، ويأتي بمعنى الدعوة؛ فيقال: الدعاء إلى الطعام وأصل مادة (دعو) هو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك. ينظر: مقاييس اللغة (٢/ ٢٧٩)، وتاج العروس (٣٨/ ٤٦).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ١٦٥-١٦٦)، (٢٠/ ٨)، والطرق الحكمية (٢/ ٦٢٢).

(٣) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه (١/ ٣٢٦).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (١٤/ ٤٠٠).

سبيل الرسول ﷺ، وهو سبيل المؤمنين؛ كما في الآية التي ذكرها الشيخ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وهو سبيل المؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [النساء: ١١٥].

والترجمة التي ذكرها الشيخ لهذا الباب هي بمعنى: باب الدعاء إلى التوحيد؛ لأنَّ التوحيد هو معنى لا إله إلا الله، فلا فرق بين الترجمتين، إلا أنَّ التعبير بشهادة ألا إله إلا الله أكثر موافقة لألفاظ الحديث؛ كحديث معاذ: (**«فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله»**)، وكقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلَّا الله**»[(١)]، فالشيخ آثر اللفظ الموافق للفظ الأحاديث، ثم ذكر الدليل على مشروعية الدعوة، فذكر آية وحديثين.

أما الآية؛ فقوله تعالى في سورة يوسف: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾: هذا أمر من الله لنبيه أن يقول للناس: هذه سبيلي؛ واضحة بينة معلومة.

﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: يعني أدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإلى طاعته سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وإلى الإيمان به، فكل هذا داخل في الدعوة إلى الله، وفي هذا يقول الشيخ في المسائل -كما سيأتي- فيه: (**التنبيه على الإخلاص...**)، فالداعي إلى الله إنما يريد من الناس أن يعبدوا الله ويوحدوه ويطيعوه وأن يؤمنوا به، لا يريد غير ذلك؛ قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الأنعام: ٩٠].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٢)، (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠)، (٢١) عن أبي هريرة وجماعة من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

ثم قال الشيخ توضيحًا للمسألة: **(لأنَّ كثيرًا لو دعا إلى الحق، فهو يدعو إلى نفسه)**: يعني: أنه يدعو رياء وسمعة، نعوذ بالله من ذلك.

وفي الآية: أنَّ من سبيل الله: الدعوة إلى الله سبحانه؛ فقوله: ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾، وما بعده هي تفسير السبيل.

وقيد ذلك بالبصيرة فقال: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾؛ أي: على بينة وعلم وهدى[١]، بخلاف مَن يدعو على جهالة وقلة علم، ففي هذا دلالة على اعتبار العلم في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا ينبغي أن يأمر الإنسان وينهى ويدعو إلا على علم بما يأمر به وبما ينهى عنه، فيعلم أنَّ ما يأمر به هو من المعروف الذي أمر الله به، وما ينهى عنه هو من المنكر الذي نهى الله عنه.

وفي الآية: دلالة على أنَّ الدعوة إلى الله هو سبيل الرسل وسبيل أتباعهم، فأتباع الرسول ﷺ هم كذلك يدعون إلى الله على بصيرة.

والدعوة إلى الله لها طرق، فتكون بالأمر والنهي، والترغيب والترهيب، والتذكير بالأدلة من نصوص الكتاب والسنة، والتذكير بالآيات الكونية؛ لأنَّ الله نبه على الأدلة الشرعية والأدلة الكونية، وتكون بالطرق الثلاث المذكورة في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾، ويراعى في ذلك حال المدعو؛ كما قال ابن القيم في الكلام على هذه الآية: «فذكر سبحانه مراتب الدعوة وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو...» إلى آخره[٢].

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص١٢٧).
(٢) الصواعق المرسلة (٤/ ١٢٧٦).

والحكمة أصلها: وضع الشيء في موضعه علمًا وعملًا، يعني بالطرق المناسبة التي يحصل بها المقصود، وتوصل إلى الغايات المنشودة[١]، ومن معاني الحكمة[٢]:

١- العلم، فكل ما أنزله الله على نبيه فهو من الحكمة؛ ولهذا قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بعد أوامر ونواه في سورة الإسراء: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِ﴾ [الإسراء: ٣٩].

٢- ومن معاني الحكمة: الفقه في الكتاب والسنة؛ قال تعالى: ﴿يُؤۡتِى ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

فالترغيب والترهيب، والأمر والنهي، كل هذا من الوعظ الذي يؤثر في القلوب، وأهم وأبلغ وسائل الدعوة هو القرآن، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥﴾ [ق]، وقال: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ١٨٥﴾ [الأعراف]، فالتذكير بالقرآن يكون بذكر آيات الوعد والوعيد، وبيان معانيها، وبذكر الأدلة التي نبه عليها.

وفي هذه الآية، طريقتان في الإعراب[٣]:

الطريقة الأولى: قوله تعالى: ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: قيل: إنَّ هذه جملة تامة، فقوله: ﴿أَدۡعُوٓاْ﴾: فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر، وقوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: متعلق بـ ﴿أَدۡعُوٓاْ﴾، فيكون ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾: جار ومجرور

---

(١) ينظر: شفاء العليل (٢/ ١١٥-١١٦) ومدارج السالكين (٣/ ٢٩٣).
(٢) ينظر: نزهة الأعين النواظر (ص٢٦١-٢٦٢).
(٣) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٣/ ٦٣٨) والدر المصون (٦/ ٥٦١).

خبر مقدم، و﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل مبتدأ مؤخر، ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾: معطوف على الضمير المنفصل، فيكون الكلام جملتين، الجملة الأولى: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾، والجملة الثانية: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾.

والطريقة الثانية: أنَّ قول: ﴿أَدْعُوٓاْ﴾: فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر، و﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف حال، و﴿أَنَا۠﴾: ضمير فصل، ﴿وَمَنِ﴾: معطوف على الضمير المستتر في ﴿أَدْعُوٓاْ﴾.

فعلى الإعراب الأول: يكون الكلام جملتين، وعلى الإعراب الثاني: يكون الكلام جملة واحدة، وهذا هو الأنسب، وهو الراجح(١).

فتدل الآية على أنَّ أتباع الرسول ﷺ هم أهل الدعوة، وهم أهل البصيرة، فالمعنى: أدعو إلى الله أنا ومَن اتبعني على بصيرة، فتكون الآية دالة على أنَّ الدعوة إلى الله على بصيرة هي سبيل الرسول ﷺ وسبيل أتباعه.

وقوله: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: تنزيه لله، «وسبحان» في جميع الآيات: تدل على تنزيه الله عن كل نقص وعيب، وعن إفك المشركين وشركهم، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٥٩]، وسبحان الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا، وسبحان الله عما يشركون.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف]: فيه: براءة من المشركين وشركهم، ومجانبة لهم؛ فالمعنى: ما أنا منهم في شيء، وأنا

---

(١) وهو قولُ عبد الرحمن بن زيد ومحمد بن السائب الكلبي والفراء، وقال ابن القيم في مفتاح دار السعادة (١/ ٤٣٣-٤٣٤): «وقول الفراء أحسنُ وأقرب إلى الفصاحةِ والبلاغة». ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٥٥)، والتفسير البسيط (١٢/ ٢٦٣).

بريء منهم، وهم براء مني، ففيه معنى: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ﴾ [الممتحنة: ٤].

والشاهد من آية الباب قوله: ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فهي تدل على مشروعية الدعوة إلى الله بالدعوة إلى دينه والإيمان به وطاعته، وأول ذلك: هو الدعوة إلى التوحيد، فالرسل كلهم يبدؤون ويفتتحون دعوتهم بالدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء]. فكل نبي يبدأ دعوته قائلًا لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، ونبينا محمد ﷺ لما بعثه الله بدأ دعوته بقوله للناس: «**قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا**»[(١)]، ومعناها: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، فنفر المشركون. قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦﴾ [ص]، فلم يزل النبي ﷺ يدعو إلى التوحيد منذ بعثه الله حتى توفاه الله، وهو يدعو إلى التوحيد، ويعلمه للناس، ويبين لهم فضله؛ كما يدل على ذلك حديث ابن عباس في بعث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن، وذلك في السنة العاشرة من الهجرة[(٢)]، بعد إسلام كثير من الناس، يدعوهم إلى التوحيد، ويعلمهم شرائع الإسلام،

(١) أخرجه أحمد (١٩٠٠٤)، والحاكم (٣٩) عن ربيعة بن عباد الديلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه ابن المبارك في الزهد (١١٦٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٦٥٦٥)، وابن خزيمة (١٥٩)، وابن حبان (٦٥٦٢) -وصححاه- عن طارق المحاربي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) وقيل غير ذلك. ينظر: فتح الباري (٣/ ٣٥٨).

فالتوحيد هو أول الأمر وآخره، وهو أصل الدين وقوامه، وقوام العبادات كلها، فشرط كل عمل وعبادة: الإخلاص، والإخلاص هو مقتضى شهادة ألا إله إلا الله.

وبعد الآية ذكر الشيخ الحديثين:

أولهما: حديث معاذ، والشاهد منه؛ قوله ﷺ: (**«فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله، وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله»**)، فبعث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن في آخر حياته، فلم يعد إلا بعد موته ﷺ، وبعث غيره؛ كأبي موسى الأشعري وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وفي حديث معاذ أنَّ النبي ﷺ نبه على مَن سيقدم عليهم ليستعد لدعوتهم كما سيأتي في المسائل[1]، وأهل الكتاب إذا ذكروا في القرآن فالمراد بهم: اليهود والنصارى، وقد يراد بهم في بعض المواضع خصوص اليهود، وفي بعض المواضع يراد بهم خصوص النصارى، والمراد بهم في هذا الحديث: اليهود والنصارى[2].

قوله: (**«فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»**): أمر له بالبداءة في الدعوة إلى التوحيد، وهذا هو مقصود الباب، وبهذا تظهر مناسبة الحديث للترجمة.

وقوله: (**«وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله»**): معنى الروايتين واحد؛ فإنَّ التوحيد هو معنى شهادة ألا إله إلا الله.

---

(١) في (ص١٤٥)، وينظر: المفهم (١/ ١٨١)، وإحكام الأحكام لابن دقيق العيد (١/ ٣٦٣).

(٢) ينظر: المفهم (١/ ١٨١).

فدل الحديث على البداءة في الدعوة بالتوحيد؛ لأنَّ النبي ﷺ رتب لمعاذ ما يدعو إليه، ويأمر به: فبدأ بالتوحيد ثم الصلاة ثم الزكاة، وهذا من التدرج في الدعوة، وهو من الحكمة التي أمر الله بها، وهكذا تكون دعوة الكافر، يبدأ معه بالأهم فالأهم، فيدعا إلى الدخول في الإسلام أولًا، وتُبين له محاسن الإسلام، فإذا دخل في الإسلام ونطق الشهادتين أُمر بفرائض الإسلام بعد الشهادتين؛ الصلاة والزكاة، فتبين أنَّ أعظم فرائض الدين: التوحيد والصلاة والزكاة، وقد جمع الله بينها في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة]، وكذا في قوله تعالى في شأن المشركين: ﴿فَإِن تَابُواْ﴾: أي: من الشرك ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡ﴾ [التوبة: ٥]، وفي الآية الأخرى: ﴿فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، وكذا ورد جمع هذه الأصول الثلاثة في السنة في عدة أحاديث؛ كحديث معاذ هذا، وحديث ابن عمر: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة...**»(١) الحديث.

قال: («**فإن هم أطاعوك لذلك**»): يعني: انقادوا لك بما دعوتهم إليه من التوحيد؛ فشهدوا ألا إله إلا الله، أي: وأنَّ محمدًا رسول الله؛ كما جاء في رواية عند البخاري(٢)، ولأنه لا تستقل إحداهما عن الأخرى، ولا تكفي إحداهما عن الأخرى، فالشهادتان أصل واحد، كما قال ﷺ:

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).
(٢) برقم (١٣٩٥) وفيه: «**ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله**»، وهي عند مسلم أيضا برقم (١٩-٢٩).

«بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله»(١)؛ فهذا هو الأصل الأول؛ الشهادتان.

قوله: (**«فأعلمهم»**): أي: أخبرهم آمرًا لهم، وداعيًا لهم إلى الإيمان بهذه الفريضة والقيام بها.

قوله: (**«أنَّ الله افترض عليهم خمس صلوات»**): الصلوات الخمس هي الركن الثاني من أركان الإسلام ومبانيه العظام، وهي أعظم واجبات الدين بعد التوحيد، وأفضل عمل بعد التوحيد، قال ابن مسعود: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**»(٢)، وهي عمود الإسلام، والله قد جعل التوحيد والالتزام بالصلاة والزكاة مناطًا للكف عن القتال، وثبوت الأخوة في الدين، قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، والصلوات الخمس هي أعظم الواجبات على المسلم، وألزمها لكل مكلف، بخلاف الزكاة إنما تجب على بعض الناس؛ وهم الأغنياء، أما الصلاة؛ فتجب على كل مسلم مكلف، يعني: عاقل بالغ، وتجب في أوقاتها، وفي الحضر والسفر، والصحة والمرض، والغنى والفقر، وعلى الرجال والنساء مدى العمر، في كل يوم وليلة؛ فهي ألزم الواجبات وأدومها.

قال: (**«فإن هم أطاعوك لذلك»**): أي: استجابوا والتزموا بالصلاة: (**«فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم»**)، وهذه هي الزكاة، وهي الركن الثالث من أركان الإسلام، وقرينة

(١) أخرجه البخاري (٨) -واللفظ له-، ومسلم (١٦) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥).

الصلاة في كتاب الله، وفي سنة رسول الله ﷺ، فالصلاة عبادة بدنية محضة، والزكاة عبادة مالية، فالزكاة حق المال، ولما امتنعت بعض القبائل عن أداء الزكاة بعدما مات النبي ﷺ، أعلن أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الحرب عليهم، فوافقه الصحابة على قتالهم فقاتلوهم، وقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قولته المشهورة: «والله، لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه»[(١)] عملًا بقوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة...**»[(٢)].

وقوله: («**صدقة**»): هي الزكاة، وقد سماها الله صدقة؛ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ﴾[التوبة:٦٠]، والمراد بالصدقات في الآية: الزكاة، والله قد بين أهل الزكاة في هذه الآية، وهم ثمانية أصناف، وذكر في الحديث أول تلك الأصناف، وهم الفقراء.

قال: («**تؤخذ من أغنيائهم**»): الزكاة إنَما تجب على الأغنياء، وهم مَن ملك النصاب في الأموال الزكوية، وتجب في أربعة أنواع من المال[(٣)]:

١- في الأثمان: وهي الذهب والفضة، وما قام مقامهما.

٢- وفي الخارج من الأرض، وهي الحبوب والثمار.

٣- وفي بهيمة الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم.

٤- وفي عروض التجارة.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٤)، ومسلم (٢٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) ينظر: كشاف القناع (٤/ ٣٠٥).

فمن ملك من هذه الأموال نصابًا وحال عليه الحول، وجب عليه إخراج الزكاة إلا في الخارج من الأرض؛ فإنَّ الزكاة تجب فيه يوم حصاده؛ كما قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١].

قوله: («فترد على فقرائهم»): الفقراء هم أول أصناف أهل الزكاة في الآية، وهم الأصل فيها، ولهذا خصهم الرسول بالذكر، وخصهم الله في قوله: ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٧١][(١)]. ثم اختلف العلماء في الضمير المضاف إليه في «**أغنيائهم**» و«**فقرائهم**»؛ فقيل: المراد أهل البلد، وقيل: المسلمون؛ فعلى القول الأول؛ لا يجوز صرف الزكاة خارج البلد التي فيها الأغنياء والمال إلا لمصلحة شرعية؛ كقرابة أو شدة حاجة.

وعلى القول الثاني؛ فيجوز نقل الزكاة مطلقًا؛ لأنها حق لفقراء عموم المسلمين.

والقول الأول أظهر[(٢)].

والغني مَن ملك نصابًا من أحد الأموال الزكوية، كما تقدم.

والفقير: مَن لا يجد كفاية سنة من مال موجود تحت يده أو دخلًا ثابتًا من نفقة قريب أو مرتب من ولي الأمر، أو أجرة صناعة قائمة[(٣)].

---

(١) ينظر: التيسير (١/ ٢٦٤)، وقال الكرماني: «قوله: (**فقرائهم**) فإن قلت: مصارف الزكاة غير منحصرة فيهم؛ فما الفائدة في تخصيص ذكرهم؟ قلت: أما للمطابقة بينه وبين الأغنياء، وإما لأن الغالب فيهم هم الفقراء». الكواكب الدراري (٧/ ١٦٧)، وبنحوه في شرح سنن أبي داود لابن رسلان (٧/ ٥٢٧).

(٢) ينظر: المغني (٤/ ١٣١-١٣٢)، والأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام (ص١٤٧).

(٣) ينظر: المغني (٤/ ١٢٣)، (٩/ ٣٠٦).

قال: («**فإن هم أطاعوك لذلك؛ فإياك وكرائم أموالهم**»): يعني: احذر أن تأخذ منهم النفيس من أموالهم؛ بل خذ من أوساط المال، فالعامل المبعوث من ولي الأمر لقبض الزكاة -ويقال له: المُصَدِّق[١]- عليه أن يأخذ الزكاة من الوسط، لا يأخذ الرديء، ولا جيد المال، إلا أن تطيب بذلك نفوسهم.

وقوله: («**فإياك**»): اسم فعل للتحذير.

(«**وكرائم**»): منصوب على التحذير. المعنى: احذر كرائم أموالهم[٢]، ومتى تجاوز الجابي للزكاة ما يجب عليه من العدل؛ كان ظالمًا ومتعرضًا لدعوة المظلوم، ولهذا قال النبي ﷺ: («**واتق دعوة المظلوم**»)[٣]؛ أي: اجعل بينك وبين دعوة المظلوم وقاية، من لزوم العدل والبعد عن الظلم.

قوله: («**فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»)[٤]: المعنى: أنَّ دعوة المظلوم مستجابة حتى وإن كان كافرًا[٥]، فالواجب الحذر من ظلم

---

(١) ينظر: لسان العرب (١٠/ ١٩٧).

(٢) الكرائم: جمع كريمة؛ أي: نفائسها التي تتعلق بها نفس مالكها ويختصها لها، حيث هي جامعة للكمال الممكن في حقها من غزارة لبن، أو جمال صورة، أو كثرة لحم، أو صوف. ينظر: مطالع الأنوار (٣/ ٣٥٣)، والنهاية (٤/ ١٤٧).

(٣) ينظر: فتح الباري (٣/ ٣٦٠).

(٤) هذا لفظ مسلم في تكملة الحديث، ولفظ البخاري: «**فإنه ليس بينه وبين الله حجاب**» (١٤٩٦)، وجاء بلفظ أيضًا: «**فإنها ليس بينها وبين الله حجاب**» (٢٤٤٨).

(٥) جاء عند أحمد (١٢٥٤٩)، من حديث أنس مرفوعًا: «**اتقوا دعوة المظلوم، وإن كان كافرًا، فإنه ليس دونها حجاب**»، وفي المختارة للضياء (٢٧٤٩) بلفظ: «**اتقوا دعوة المظلوم وإن كانت من كافر**»، وحسنه الحافظ في فتح الباري (٣/ ٣٦٠) وينظر: الصحيحة (٧٦٧).

العباد، في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، والظلم يحرم مع كل أحد حتى الكافر، فلا يجوز ظلمه بحال من الأحوال؛ كالمعاهَد؛ لأنه معصوم الدم والمال، قال ﷺ: «**مَن قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة**»(١).

والمقصود من هذا الحديث: ما دل عليه من الدعوة إلى شهادة ألا إله إلا الله -كما تقدم-، وفوائد الحديث سيذكرها الشيخ في مسائل الباب.

واقتصر في الحديث على الأركان الثلاثة من أركان الإسلام؛ لأنها أهمها وأعمها، ومَن التزم بها وأقامها فما دونها أيسر(٢)، والحديث نظير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البينة: ٥]، كما تقدم.

الحديث الثاني: (ولهما: عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه»، فبات الناس يدوكون ليلتهم، أيهم يعطاها، فلما أصبحوا، غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقيل: هو يشتكي عينيه فأرسلوا إليه، فأتي به، فبصق في عينيه، ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال: «انفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله، لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم»).

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٦) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) وأجيب بأجوبة أخرى، ينظر: الإيمان الأوسط (ص٥٤٠-٥٥١)، وفتح الباري (٣/ ٣٦٠).

هذا حديث عظيم أخرجه البخاري ومسلم، وهو من أدلة الدعوة إلى شهادة ألا إله إلا الله، ولذلك ذكره الشيخ، ومتضمن لبعض ما جرى في غزوة خيبر، وهي من الغزوات الكبيرة التي غزاها المسلمون بقيادة النبي ﷺ، في السنة السابعة للهجرة[١]، فنصرهم الله على اليهود، فحاصروهم مدة، وحصل على المسلمين مجاعة وشدة، ثم فتح الله على أيديهم، والقائد في الزحف عليها: علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في هذا الحديث، فغنموا وسبوا وسلموا.

قال سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(أنَّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر)**؛ أي: في غزوة خيبر في بعض أيامها.

(**«لأعطين»**): اللام: لام القسم، والتقدير: والله لأعطين؛ فالجملة جواب القسم، ولهذا أكد الفعل بنون التوكيد الثقيلة.

(**«الراية»**): العلم أو هو علم صغير، وقد جرت العادة أنَّ الذي يقود الجيش يحمل الراية؛ ليتبعه الجيش ويرونه ويسيرون على إثره.

قوله: (**«لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه»**): الرسول ﷺ يعرف مَن هو الرجل، ولكن لحكمة أبهمه، وفي هذا الإبهام تحريك لهمم الصحابة، حتى يتطلعوا إلى هذه الفضيلة، ولهم في هذا مثوبة من الله، فإنَّ محبة الإنسان للخير والفضل ورغبته فيه: عمل صالح يؤجر عليه ويثاب، فهي نية، ثم إنَّ في هذا إظهار لفضل المعني، الموصوف بهذا الوصف، ليكون هذا أوقع،

(١) ينظر وقائع الغزوة وأحداثها في: الروض الأنُف (٦/ ٤٩٩).

بخلاف ما لو قال: لأعطين الراية غدًا عليًّا، أو ما أشبه ذلك، ووصف النبي ﷺ ذلك الرجل بصفتين: بأنه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله.

وهذا فضل عظيم، وثابت لكل مؤمن، فكل مؤمن يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، وكل مؤمن هذه صفته، وهذا بحسب حاله مع التفاوت، قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[التوبة: ٤، ٧]، وقال تعالى: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة]، وقال: ﴿يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[المائدة: ٤٢][(١)].

فالمؤمن يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، لكن الخصوصية هنا هي الشهادة لعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بهذه الصفة[(٢)]، فنحن نعلم أنَّ كل مؤمن يحب الله ورسوله، لكن لا نشهد لمعين بأنه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله؛ لأنَّ هذا يتضمن الشهادة له بالجنة؛ لكن الحكم بذلك حكمًا عامًّا لا بد منه؛ كما نقول: كل مؤمن في الجنة، ولا نشهد لمعين إلا لمن شهد له الرسول ﷺ، فالخصوصية إذن؛ هي الشهادة بهذه الصفة لهذا الرجل المعين الذي تبين أنه علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فهي شهادة له بالولاية، ولهذا تطلعت النفوس الكبيرة، نفوس الصحابة إلى هذا الفضل، لا رغبة في الإمارة والشهرة؛ بل رغبة في هذه المنزلة العالية عند الله، وقد جاء أنَّ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «ما أحببت الإمارة إلا يومئذ»[(٣)]، فما أحب الإمارة

---

(١) ينظر: توضيح مقاصد الواسطية (ص٦٣-٦٥).

(٢) ينظر: منهاج السنة (٥/ ٤٤)، (٧/ ٣٦٧)، وفتح الباري (٧/ ٧٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٠٥).

للشهرة، وإنما أحبها لينال هذا الفضل، فتركهم الرسول ﷺ ولم يخبرهم، ليحدث ما حدث من الخوض في معرفة مَن سيعطى الراية.

ثم قال الرسول ﷺ: **(«يفتح الله على يديه»)**، ففي هذا: بشارة بالفتح، وهذا أيضًا مطلب للمسلمين، ولكنهم كما سيأتي في مسائل الشيخ: شُغلوا عن البشارة بالفتح بهذا الفضل الذي يتطلعون له ويتنافسون فيه[1].

قوله: **(فبات الناس)**: أي: بقوا كل الليل أو معظمه يتكلمون في معرفة مَن سيعطى الراية من غير أدلة تعيينه لهم، ولهذا قال الشيخ: **(«يدوكون» أي: يخوضون)**.

قوله: **(أيهم يعطاها)**: بيان لموضوع الخوض، كأن يقول: لعله فلان أو فلان، أو عسى أن أكون أنا هو، فهو خوض بلا أدلة؛ بل ظنون ورجاء.

قوله: **(فلما أصبحوا، غدوا على رسول الله...)**: الغدو: الذهاب أول النهار.

أي: فلما أصبحوا جاؤوا إلى الرسول ﷺ ليسمعوا منه تعيين الرجل الذي أخبر بصفته، وأنه سيعطيه الراية ويكلفه بالقيادة.

قوله: **(كلهم يرجو أن يعطاها)**: فيه: علو هممهم، فكل واحد منهم يأمل الخير ويطمع فيه، وليس هذا حرصًا منهم على الإمارة والقيادة والمظهر والسمعة؛ بل رغبة في هذه الشهادة[2].

(١) تنظر: (ص١٤٩).
(٢) ينظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (١٢/ ٣٨٨٣).

فلما حضروا، قال النبي: («أين علي بن أبي طالب؟»)؛ لأنه لم يكن معهم ولم يكن حضر المجلس الذي أخبر فيه الرسول في شأن ذلك الرجل؛ لأنه كان مريضًا يشتكي عينيه من رمد أصابه[1]، والصحابة كان عندهم علم بذلك، فقالوا للنبي ﷺ: إنه (يشتكي عينيه).

قوله: (فأرسلوا إليه)[2]: أي: أرسل الصحابة مَن يأتي به، ولا بد أنَّ ذلك بأمر من النبي ﷺ.

قوله: (فأتي به): أي: جيء به يقاد مأخوذ بيده.

قوله: (فبصق في عينيه): أي: تفل من ريقه الطيب المبارك ﷺ.

قوله: (ودعا له): أي: بالشفاء. (فبرأ): في الحال، فكان فيه معجزة للنبي ﷺ، وعَلم من أعلام نبوته.

قوله: (كأن لم يكن به وجع): يعني: شفي شفاء تامًّا، فعادت عيناه صحيحتين كأن لم يصبهما وجع.

ففاز علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذه الفضيلة والمنزلة الرفيعة، فأعطاه الراية تحقيقًا لوعده، وقال: («انفذ على رسلك»): يعني امض، وسر على مهل وتريث؛ رفقًا بمن معك؛ لأنَّ في هذا مشقة عليهم، وللتروي في تدبير الحرب.

---

(١) كما عند البخاري (٢٩٧٦)، (٣٧٠٢)، (٤٢٠٩)، ومسلم (١٨٠٧) من حديث سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قال في فتح المجيد (١/ ٢٠٠): «... وفي نسخة صحيحة بخط المصنف: «فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسَل إليه»، مبني للفاعل، وهو ضمير مستتر في الفعل راجع إلى النبي ﷺ، ويحتمل أن يكون مبنيًا لما لم يسم فاعله. ولمسلم (١٨٠٧) من طريق إياس بن سلمة عن أبيه قال: «فأرسلني إلى علي فجئت به أقوده أرمد»».

قولـه: («**حتى تنزل بسـاحتهـم**»): أي: قريبًا منهم عند باب البلد.

قولـه: («**ثـم ادعهـم إلـى الإسـلام**»): هـذا هـو الشـاهد مـن الحديـث، والدعـوة إلـى الإسـلام هـي الدعـوة أولًا إلـى شـهادة ألا إلـه إلا اللـه، ويطلق الإسـلام أحيانًـا ويـراد بـه أصلـه الـذي هـو شـهادة ألا إلـه إلا اللـه، كمـا فـي حديـث معـاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المشـهور الـذي فيـه الوصايا العديـدة، وفيـه: أنَّ النبي ﷺ قال: «**رأس الأمر الإسـلام، وعموده الصلاة، وذروة سـنامه الجهاد**»[1].

وهذا يدل على مشروعية الدعوة قبل القتال، فإن لم يدعوا قبل ذلك، فتجب دعوتهم، ولا يجوز قتالهم قبل الدعوة؛ لأنَّ المقصود هو أن يدخلوا في الإسلام، فإذا دعوا واستجابوا وجب الكف عنهم، وهكذا كان النبي ﷺ يوصي الأمراء الذين يبعثهم في السرايا، إذا لقوا عدوهم أن يدعوهم أولًا إلى الإسلام، والدخول في الإسلام إنما يكون بالشهادتين: شهادة ألا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، أما مَن كان قد دعي قبل ذلك ولم يستجب؛ فتستحب دعوته قبل القتال، وإن قوتلوا بلا دعوة جاز[2]؛ لأنه قد أقيمت عليهم الحجة، وقد أُعذر إليهم وبلغوا، واليهود قد دعوا من قبل، لكن هذا مزيد احتياط وتأكيد، وفيه زيادة إقامة الحجة عليهم.

(١) أخرجه أحمد (٢٢١٣٣)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٠٣، رقم ٢٠٠)، وأخرجه من طريق أخرى: الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وصححه الترمذي وابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٧/ ٢٦). وينظر الصحيحة (٣٢٨٤)، وإرواء الغليل (٤١٣).

(٢) كما في غزوة بني المصطلق، وفي هذه المسألة ثلاثة مذاهب؛ أحدها: يجب الإنذار مطلقًا، والثاني: لا يجب مطلقًا، والثالث: يجب إن لم تبلغهم الدعوة، ولا يجب إن بلغتهم لكن يستحب، وهو الصحيح وبه قال الجمهور. ينظر: المغني (١٣/ ٢٩)، وفتح الباري (٦/ ١٠٨)، (٧/ ٤٧٨).

قوله: («**وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه**»): هذا يدل على أنَّ من طرق الدعوة: التعريف بالإسلام بذكر فرائضه وشرائعه وفضائله، كما سبقت الإشارة إلى هذا، واسم الإسلام يشمل أصول الدين وفروعه من الاعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة والأقوال والأفعال[١].

ثم قال النبي ﷺ لعلي ترغيبًا له في الدعوة: («**فوالله، لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا**»)، فحلف على ذلك تأكيدًا، وهو الصادق ولو لم يحلف.

وفي الحديث فوائد ستأتي في المسائل.

فقوله: («**لأن يهدي الله بك**»): أضاف الهدى إلى الله لا لعلي. وقوله: («**بك**»): تنبيه على أنَّ الداعي سبب -الرسول أو غيره-، والهادي هو الله.

وقوله: («**واحدًا**»): تأكيد لرجل.

وقوله: («**خير لك من حمر النعم**»): أي: خير لك من الإبل الحمر، وهي أنفس الأموال عند العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه[٢]، وهذا الفضل لمن هدى الله على يده رجلاً واحدًا، فكيف بمن هدى الله على يده خلقًا كثيرًا!

وفي الحقيقة أنَّ ذلك خير من الدنيا وما فيها كلها، لكن هذا تعبير يناسب ذوق الناس[٣]؛ لأنَّ الإبل الحمر أنفس أموال العرب؛ فلهذا اعتبر

---

(١) ينظر: النبوات (١/ ٤١٧)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٦٢٣).
(٢) ينظر: شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٧٨)، وفتح الباري (٧/ ٤٧٨).
(٣) ينظر: شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٧٨).

بها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في بيان فضل مَن هدى الله على يديه رجلًا واحدًا، وأنَّ ثوابه عظيم.

(فيه مسائل:

الأولى: أنَّ الدعوة إلى الله طريق مَن اتبع رسول الله ﷺ).

هذه المسألة مأخوذة من الآية: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]، من قوله: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾، فدلت الآية على أنَّ الدعوة إلى الله وإلى عبادته وطاعته، سبيل أتباع الرسول ﷺ.

(الثانية: التنبيه على الإخلاص؛ لأنَّ كثيرًا من الناس لو دعا إلى الحق، فهو يدعو إلى نفسه).

هذا مأخوذ من قولِه في الآية: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾، ومن قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾.

فهذه مسألة عظيمة؛ وهي التنبيه على اعتبار الإخلاص في الدعوة إلى الله، يقول الشيخ: **(لأنَّ كثيرًا من الناس لو دعا إلى الحق، فهو يدعو إلى نفسه)**: أي: يدعو مثلًا إلى الدين وإلى الخير ويأمر بالمعروف، لكنه يريد بهذا الشهرة والسمعة؛ ليقال: أنه داعية ومصلح ومجاهد! فهذا يدعو لنفسه -والعياذ بالله- لا إلى الله.

(الثالثة: أنَّ البصيرة من الفرائض).

البصيرة: العلم والبينة. وقوله: **(من الفرائض)**: يعني: من الواجبات، فيجب على المسلم أن يتعلم من دين الله ما يقيم به دينه، ويجب على الداعية أن يتعلم حتى يعلم ما يدعو إليه، فيكون عالمًا بما يأمر به وبما ينهى عنه، وكيف يدعو، وكيف يأمر، وكيف ينهى.

(الرابعة: من دلائل حسن التوحيد: كونه تنزيهًا لله تعالى عن المسبة).

أي: من دلائل حسن التوحيد ومن محاسنه: أنه يتضمن تنزيه الله عن المسبة وعن النقص، فنسبة الشركاء والأنداد إليه مسبة، والتوحيد فيه تنزيه الله عن المسبة، وهذا من محاسن التوحيد، فالتوحيد يتضمن تمجيد الرب وتنزيهه وتعظيمه، وذلك مأخوذ من قوله: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: أي: تنزيهًا لله عن كل إفك وشرك ونقص وعيب.

(الخامسة: أنَّ من قبح الشرك كونه مسبَّة لله).

هذه مقابلة للتي قبلها، فالتوحيد تعظيم لله وتنزيه له عن المسبَّة، والشرك من قبحه: أنه مسبة لله؛ لأنه يتضمن أنَّ الله له شريك في العبادة، وأنَّ الإلهية ليست خاصة به سبحانه، ولهذا كان الشرك أظلم الظلم؛ لأنه ظلم في حقه سبحانه، ووضع لحقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -وهو العبادة- في غير موضعه.

(السادسة: -وهي من أهمها- إبعاد المسلم عن المشركين؛ لئلَّا يصير منهم، ولو لم يشرك).

هذه الفائدة مأخوذة من قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾: أي: ما أنا منهم في قليل ولا كثير، وتحقيق هذه البراءة بالبعد عن مساكنتهم، ففيها التنبيه على ما يجب على المسلم من البعد عن معايشة المشركين، والإقامة بين ظهرانيهم؛ لأنَّ الإقامة بين ظهرانيهم يؤدي إلى الشرك عاجلًا أو آجلًا[1].

---

(١) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٥٤٧-٥٤٨)، والدرر السنية (٨/ ٢٧٤-٢٧٥)، (٨/ ٢٧٧) وما بعدها، و(١٠/ ١٤٠-١٤١).

(السابعة: كون التوحيد أول واجب)[١].

هذا مستفاد من الحديث: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا له إلا الله**».

(الثامنة: أنه يبدأ به قبل كل شيء، حتى الصلاة).

يعني: أنَّ الواجب في الدعوة إلى الله البداءة بالتوحيد، لكن هذا بالنسبة للكفار، أما بالنسبة للمسلم الموحد الذي نرى أنه مقصر في الصلاة أو غيرها؛ فإننا نأمره بما قصر فيه من صلاة وغيرها، مع تعليم الناس التوحيد ولا بد؛ لأنَّ الناس -ولو كانوا مسلمين- يحتاجون إلى فهم التوحيد، ومعرفة ما ينافي أصله؛ وهو الشرك الأكبر، أو ينافي كماله الواجب؛ كالشرك الأصغر بأنواعه، لكن مَن عنده تقصير في أمور معينة؛ كارتكاب بعض المعاصي؛ فهذا نعلمه أيضًا، وننكر عليه ما يفعله من محرمات، ولا نقول: إنَّ هذا تشاغل بأمور ثانوية؛ بل هذا من وضع الأمور في مواضعها، فكل نأمره بما أخل فيه، لكن الكافر أخل بالأمر الأعظم، فنبدأ بدعوته إلى التوحيد؛ ليدخل في الإسلام.

(التاسعة: أنَّ معنى: (أن يوحدوا الله): معنى شهادة: أن لا إله إلا الله).

هذا مأخوذ من الرواية الثانية؛ لأنَّ الرواة بادلوا بينهما، فبعض الرواة يرويه: (**«فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى أن يوحدوا الله»**)، وهذا معنى: (**«فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»**)، فعلم بهذا: أنَّ

---

(١) تنظر: (ص٢٨).

معنى التوحيد هو شهادة ألا إله إلا الله، ومعنى شهادة ألا إله إلا الله هو التوحيد، ومن أصول الرواية: جواز الرواية بالمعنى[1].

(العاشرة: أنَّ الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها، أو يعرفها ولا يعمل بها).

لقوله: (**«إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»**).

وقوله: (**قد يكون من أهل الكتاب**): كاليهود والنصارى.

وقوله: (**وهو لا يعرفها**): أي: الشهادة، لا يعرف أهميتها وفضلها ووجوبها، ولا يقولها أو يقولها ولا يعمل بموجبها، وهذا هو الواقع، فكثير من المنتسبين للإسلام، والمنتسبين للعلم لا يعلمون معنى «لا إله إلا الله»، وإن كانوا يقولونها؛ كما أوضح ذلك الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب: «كشف الشبهات»[2].

(الحادية عشرة: التنبيه على التعليم بالتدريج).

يعني أنَّ الرسول ﷺ نبهه إلى أسلوب من أساليب التربية والدعوة، وهو التعليم بالتدريج، وذلك في قوله: (**«فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله... فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم»**)، ثم قال: (**«فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم»**)، وهكذا، ففيه: التنبيه إلى التعليم بالتدرج في الدعوة، وهو منهج مهم في الدعوة إلى الله.

---

(١) وهذا هو قول الجمهور. ينظر: فتح المغيث (٣/ ١٢٠).

(٢) كشف الشبهات بشرح شيخنا (ص٢٠).

(الثانية عشرة: البداءة بالأهم فالأهم).

فيه: التنبيه على البداءة بالأهم فالأهم كذلك، وهذا هو الأسلوب الصحيح، أن يُبدأ مع كل مدعو بالأهم في حقه فالأهم، وهذا كله من الحكمة في الدعوة، فالتدرج من الحكمة في الدعوة، والبداءة بالأهم فالأهم هو من الحكمة في الدعوة أيضًا.

(الثالثة عشرة: مصرف الزكاة).

هي الأصناف الثمانية ومنهم الفقراء، والحديث قد نص على أهم هذه الأصناف وهم الفقراء، وهم أول وأولى مَن يستحق الزكاة؛ لأنَّ الفقير لا يملك شيئًا من كفايته؛ فلهذا بدئ به في الآية: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ﴾ [التوبة: ٦٠]، وإلا فأهل الزكاة ثمانية أصناف في الآية؛ لكن الفقراء هم أول هذه الأصناف؛ ولهذا بدأ الله بهم، وفي هذا الحديث قال: («**تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم**»)، فهذا كأنه خرج مخرج الغالب، فالغالب أنَّ مصرفها الفقراء، والحديث يستدل به على جواز صرف الزكاة في صنف واحد؛ لقوله: («**تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم**»)[(١)].

(الرابعة عشرة: كشف العالم الشبهة عن المتعلم).

يحتمل أنَّ هذه الفائدة يشير بها الشيخ إلى قوله ﷺ لمعاذ: («**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب**»)، والحقيقة أنه ليس في هذا شبهة تكشف؛ بل فيه التنبيه على مَن سيلقاهم بأنهم ذوو علم؛ ليستعد معاذ إلى مجادلتهم ورد شبهاتهم.

(١) ينظر: المغني (٤/ ١٢٧).

(الخامسة عشرة: النهي عن كرائم الأموال).

لقوله: («**فإياك وكرائم أموالهم**»)، فيُنهى المصَدِّقُ الجابي للزكاة عن أن يأخذ كرائم الأموال، وهي: النفيسة؛ بل الواجب أن يأخذ من الوسط إلا برضا المزكي؛ لأنَّ في أخذ الكرائم إجحافًا بحق الأغنياء، كما أنَّ أخذ الرديء إجحاف بحق الفقراء، والواجب العدل وهو أخذ الوسط.

(السادسة عشرة: اتقاء دعوة المظلوم).

دليل هذا قوله ﷺ: («**واتق دعوة المظلوم**»)، واتقاؤها يكون: بترك الظلم، أو التوبة واستماحة المظلوم ورد المظلمة.

(السابعة عشرة: الإخبار بأنها لا تحجب).

دليل هذا قوله ﷺ: («**فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»)، وهذا كناية عن الاستجابة، وذلك أنَّ دعوة المظلوم مستجابة، ويقتضي هذا أن ينتصر الله للمظلوم من الظالم، فدعوة المظلوم مستجابة حتى وإن كان كافرًا؛ لأنَّ الظلم حرام، فلا يجوز ظلم أحد لا مسلم ولا كافر، ولا يجوز التعدي على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

(الثامنة عشرة: من أدلة التوحيد: ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء).

هذه الفائدة ليس في الباب ما يدل عليها، فحديث سهل بن سعد ليس فيه تعرض لذلك، لكن هذه من لفتات الشيخ الدقيقة، وما أشار إليه الشيخ مذكور في السيرة في قصة غزوة خيبر، فأراد الشيخ أن ينبه على ما في ذلك

من الدلالة على التوحيد، ووجه ذلك: أنَّ ما جرى عليهم يدل على أنهم بشر لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًّا، فلا يجوز أن يدعى أحد منهم مع الله في جلب نفع أو دفع ضرٍّ، فالواجب في ذلك: التوجه إلى الله وحده، فإنَّه لا يأتي بالحسنات ولا يدفع السيئات إلا هو.

(التاسعة عشرة: قوله: «لأعطين الراية...» إلخ عَلم من أعلام النبوة).

لأنه يخبر عن مستقبل جازمًا به، وليس مجرد إخبار عن عزمه، فهو يخبر أنه سيحدث هذا بالفعل، لكن إذا قلت: لأعطين فلانًا كذا وكذا، فهذا إخبار عن عزمي ونيتي فقط، ولا أدري هل سيكون هذا أو لا يكون، فهذا أمر آخر.

أما قول النبي ﷺ: (**«لأعطين الراية غدًا»**): إخبار عن أمر سيكون ولا بد، فهذا وجه قول الشيخ: **(عَلم من أعلام النبوة)**، وقد وقع كما أخبر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وكذلك إخباره بالفتح في قوله: (**«يفتح الله على يديه»**)، فوقع كما أخبر، وهو خبر بأمر غيبي، فهذا أيضًا دليل على نبوته ﷺ؛ بل قوله: (**«يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»**)، داخل في قول الشيخ: **(عَلم من أعلام النبوة)**؛ لأنه قال: **(... إلخ)**، وهو إخبار عن سريرة هذا الرجل، فالمحبة حالة قلبية وعمل قلبي، والشهادة لذلك الرجل المعين بأنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، لا يملكه كل أحد، إنما يملكه مَن أطلعه الله على سريرة هذا العبد، وعلى حقيقة حاله ومآله.

(العشرون: تفله في عينيه عَلم من أعلامها أيضًا).

ليس التفل هو العلم، ولكن ما نتج عنه، وهو البرء من الوجع في الحال؛ لكن الشيخ اقتصادًا في العبارة، واكتفاءً بدلالة الكلمة، قال:

(تفله في عينيه)، ثم شفاؤه بسبب ذلك: **(عَلم من أعلامها أيضًا)**؛ أي: دليل من أدلة نبوته ﷺ.

(الحادية والعشرون: فضيلة علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ).

هذا من أدل الأدلة على فضيلته؛ لأننا علمنا بهذا الحديث أنه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، والفضيلة: الشهادة له بذلك، وإلا فكل مؤمن يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، وأهل السنة هم الذين حفظوا فضائل علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ورووها في دواوين الإسلام؛ كهذا الحديث المتفق عليه؛ وذلك بما وصفه به النبي ﷺ بقوله: **(«يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»)**، فهذه شهادة من الرسول ﷺ، ومن وجه آخر حيث اصطفاه لقيادة الجيش الزاحف لفتح خيبر، ثم حصول الفتح على يده، كل ذلك فيه فضيلة له رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فالحديث فيه عدة فوائد تتعلق بعلي:

١-الرد على النواصب الذين يبغضون عليًّا ويسبونه؛ كالخوارج الذين يكفرون عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٢-القطع بإيمان علي وولايته.

٣-أنَّ فتح خيبر كان على يده.

وفي الحديث الرد على الجهمية الذين ينفون الصفات عن الله، فينفون عن الله المحبة، فيقولون: إنه تعالى لا يُحِبُّ ولا يُحَبُّ، وكل ما جاء في النصوص فليس على ظاهره، فيؤولون المحبة من الله بالإنعام، فيقولون: «يحب المؤمنين»؛ يعني: ينعم عليهم، ويفسرون محبة

المؤمنين له بمحبة طاعته وهذا باطل، والحق أنَّ الله يحب ويحب، فيحب المؤمنين والمقسطين والتوابين والمتطهرين حقيقة، ولكن ليست محبته كمحبتنا، كما أنَّ علمه لا كعلمنا ولا سمعه كسمعنا(١).

(الثانية والعشرون: فضل الصحابة في دَوكهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح).

فضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ وذلك لرغبتهم في الخير، ولدَوكهم في تلك الليلة؛ كونهم صاروا يخوضون باحثين وطامعين في ذلك الفضل أيهم يعطاها، وكلهم يرجو أن يعطاها، حيث اشتغلوا بهذا الشأن، وبطلب هذه الفضيلة عن بشارة الفتح؛ لأنَّ الرسول ﷺ أخبر بحصول الفتح، فقال: («**يفتح الله على يديه**»)، فاهتموا بما ينالون به المنزلة عند الله عن الفتح الذي يحبونه بطبعهم، كما قال تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف: ١٣]، فالنصر والفتح يحب بموجب الطبع.

(الثالثة والعشرون: الإيمان بالقدر لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها عمن سعى).

في الحديث دلالة على أنَّ الأمور تجري بقدر، فيجب الإيمان بالقدر، وأنَّ ما قدره الله هو الذي يكون، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وإنما أعمال العباد وحيَلهم وسعي الناس؛ ما هي إلا أسباب، قد يحصل مقتضاها وقد لا يحصل؛ فالذين باتوا يدوكون تلك الليلة، ويرجون حصول هذه الفضيلة، لم تحصل لهم، فهم سعوا إليها برغبتهم وبحثهم، لنيل هذه المنزلة، أما علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلم يسمع شيئًا، ولم يدر

---

(١) ينظر: منهاج السنة (٥/ ٣٨٨-٤٠٨)، والنبوات (١/ ٣٣٨) وما بعدها.

عما قال الرسول ﷺ، فحصل هذا المطلب وهذه المنزلة لمن لم يسع لها وهو علي، ولم تحصل لمن سعى لها، وهم سائر الصحابة، ومرد هذا هو القدر، ولهذا يقول الشيخ فيه: **(الإيمان بالقدر لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها عمن سعى)**، فعلى العبد في مطالبه الدينية والدنيوية أن يتوجه قلبه إلى ربه، وأن يؤمن بالقدر ولا يعتمد على الأسباب، فيفعل الأسباب ولكن لا يعتمد عليها.

(الرابعة والعشرون: الأدب في قوله: «على رسلك»).

أي: على مهل، وهذا فيه الأدب في قيادة الجيوش، فينبغي للقائد أن يسير بالجيش سيرًا رفيقًا، ولا يشق على أصحابه، وبذلك يمكنه التثبت والتروي، بخلاف العجلة، ففيها مشقة على الجند، وتفوت أيضًا النظر والتروي ومعرفة المداخل والطرق التي يوصل منها إلى العدو؛ فلهذا قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**انفذ على رسلك**»؛ أي: على مهلك[1].

(الخامسة والعشرون: الدعوة إلى الإسلام قبل القتال).

لأنه أمره بالدعوة قبل كل شيء، وقبل أن يقاتلهم، وتقدم التفصيل في ذلك، وأنه تجب دعوة الكفار قبل القتال إذا لم يسبق لهم دعوة، فإن سبقت لهم دعوة؛ كانت دعوتهم قبل القتال مستحبة، ويجوز قتالهم حينئذ، وأن يفاجئوا على غرة.

(السادسة والعشرون: أنه مشروع لمن دُعوا قبل ذلك وقُوتِلوا).

يعني: أنَّ الدعوة مشروعة لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا؛ لأنَّ اليهود كانوا قد دعوا قبل ذلك وقوتلوا، وقد أجلوا من المدينة إلى خيبر، ومع

(١) ينظر: النهاية (٢/ ٢٢٢).

ذلك قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: («ادعهم إلى الإسلام»)، ففي هذا دلالة على شرعية دعوة الكفار وإن كانوا قد دعوا قبل ذلك وقوتلوا.

(السابعة والعشرون: الدعوة بالحكمة، لقوله: (أخبرهم بما يجب عليهم).

من فوائد هذا الحديث: الدعوة بالحكمة؛ وهي وضع الأشياء في مواضعها، ومن الحكمة في الدعوة: بيان محاسن الإسلام، وما يتضمنه من شرائع وأحكام، وحكم وأخلاق وفضائل، فيقول الشيخ: **(الدعوة بالحكمة، لقوله: أخبرهم بما يجب عليهم)**؛ لأنَّ هذا مما يرغب في الإسلام، وكثير من الكفار يمنعهم من الدخول في الإسلام جهلهم به، ثم هو لا يسأل ولا يتعلم، فإذا قُيض له مَن يعلمه حقيقة الإسلام، وما يشتمل عليه من كمالات؛ قبِل الإسلام ودخله.

(الثامنة والعشرون: المعرفة بحق الله في الإسلام).

لقوله: (**«وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه»**)؛ أي: في الإسلام، فمما ينبغي للمسلم: أن يعرف، ويعرّف غيره عند دعوته حقوق الله التي أوجبها على عباده؛ فهي الواجبات، ولا يكفي مجرد الانتساب للإسلام؛ بل يجب على المسلم أن يعرف شرائعه، وما يجب عليه فعله، وما يجب عليه تركه.

والتوحيد هو حق الله على عباده، ولكن في الإسلام حقوق لله وحقوق لعباده، وكلها ترجع إلى حق الله، فإنَّ أداء حقوق العباد هو مما أمر الله به، فآية الحقوق العشرة التي سبقت الإشارة إليها في الباب الأول[1]، ذكر الله

---

(١) تنظر: (ص٢٤).

فيها الإحسان إلى الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى اليتامى والجيران وابن السبيل والمماليك والأصحاب، فلكل صنف من هؤلاء الأصناف حق، وأداء هذه الحقوق حيث أمر الله بها، هو من حق الله تعالى، فيجب على المسلم أن يعرف ما فرض الله عليه في الإسلام ليؤديه، وما حرم عليه ليجتنبه، فإنَّ هذا من القيام بحقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالصلوات الخمس أعظم واجبات الدين بعد التوحيد، فهي حقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وحق لله على عباده، كذلك صوم رمضان والحج والزكاة، كلها حقوق لله، وإن كان بعضها يتعلق به حق العباد كالزكاة، فهي حق لله فرضه على الأغنياء، وهي حق للفقراء؛ لأنهم المنتفعون به.

(التاسعة والعشرون: ثواب مَن اهتدى على يديه رجل واحد).

هذه الفائدة مأخوذة من قوله ﷺ: (**«فوالله، لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم»**)، ففي الحديث دلالة على عظم ثواب مَن آمن على يده ولو رجل واحد، فكيف بمن اهتدى على يديه خلق كثير؟! وثوابه لا يعلم قدره إلا الله، لكنه خير من حمر النعم، والمراد بـ (**«حمر النعم»**): الإبل الحمراء، وهي: من أنفس الأموال عند العرب، ولا ريب أنَّ هذا الفضل في هداية الكافر إلى الإسلام كما يقتضيه سياق الحديث.

(الثلاثون: الحلف على الفتيا).

يعني جواز الحلف في جواب السؤال عن حكم من الأحكام الشرعية، سواء كانت تشريعًا أو خبرًا، إذا أراد المفتي أن يؤكد، وعنده جزم في الجواب، وهو متثبت منه، فيجوز للمفتي إذا سئل وقيل له مثلًا:

هل إعفاء اللحية واجب؟ أن يقول: إي والله، أو يبتدئ ويقول: والله إنَّ الله حرم الخمر، فهذا في الأحكام. وفي الأخبار: هل الله فوق العرش، أو هل الله في العلو؟ فيقول: إي والله، إنه في السماء فوق العرش، وفوق جميع المخلوقات، والله إنه ينزل إلى السماء الدنيا؛ فالرسول ﷺ هنا قال: («**فوالله، لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم**»)، وهذا يقع من الرسول ﷺ مرات؛ كقوله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار**»[(١)] قال ابن القيم: «وقد أقسم النبي ﷺ على ما أخبر به من الحق في أكثر من ثمانين موضعًا وهي موجودة في الصحاح والمسانيد»[(٢)].

◆◇◈◇◆

(١) أخرجه مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) إعلام الموقعين (٦/ ٥٤).

(٦)

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ [الإسراء].

وقوله: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٨﴾ [الزخرف].

وقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ [التوبة: ٣١].

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وفي الصحيح: «مَن قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عَزَّوَجَلَّ»(١).

وشرح هذه الترجمة: ما بعدها من الأبواب.

(١) أخرجه مسلم (٢٣) من حديث طارق بن أشيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الشرح

لما ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأدلة على منزلة التوحيد وفضله، وتفاضل الناس فيه، ووجوب الدعوة إليه، أتبع ذلك بما يبين معنى التوحيد، ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله.

يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله):

أي: هذا باب يذكر فيه تفسير التوحيد، وتفسير شهادة ألا إله إلا الله، والمراد بالتوحيد هنا: توحيد العبادة، فهذا هو المقصود الأول من الكتاب كله[(١)]، ومعنى التوحيد: هو عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه، أو يقال: هو إفراد الله بالعبادة، وشهادة ألا إله إلا الله تتضمن التوحيد كما تقدم[(٢)]، فعطف شهادة ألا إله إلا الله على التوحيد، هو من عطف الدالّ على المدلول[(٣)]، فشهادة ألا إله إلا الله تدل على التوحيد، والتوحيد مدلول، والمقصود إيضاح المراد بالتوحيد، وإيضاح معنى شهادة ألا إله إلا الله، بالقول والبيان والاستدلال؛ لأنَّ التفسير يكون بشرح اللفظ بالكلام، وبذكر الدليل على المعنى والاستدلال، ويكون التفسير بالعمل، وهذا هو المقصود، فليس المقصود مجرد التلفظ بشهادة ألا إله إلا الله؛ بل لا بد من تحقيق ذلك في الواقع بالعمل.

---

(١) ينظر: قرة عيون الموحدين (ص٩١).
(٢) تنظر: (ص٤٨).
(٣) ينظر: قرة عيون الموحدين (ص١٧٧).

وقد سبق في الباب الأول والثاني ما يبين معنى التوحيد[(١)]، ولكن الشيخ هنا أراد أن يزيد هذا الأمر بيانًا[(٢)]، وأن يبينه بذكر ضده، فإنَّ من طرق البيان: ذكر الضد، ويقال في البيت المشهور:

... وبضدها تتبين الأشياء[(٣)]

فتعرف حقيقة الصحة بمعرفة المرض ومقاساته، فالشيخ في هذه الترجمة: قصد إلى بيان التوحيد، وبيان شهادة ألا إله إلا الله؛ بذكر ما يتضمن التوحيد أو ينافيه، ويتبين هذا بتدبر ما ذكره الشيخ من الأدلة، فإنه استدل لهذه الترجمة بأربع آيات وحديث.

الأولى: قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ [الإسراء].

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: إشارة إلى المدعوين من دون الله، المذكورين في الآية قبلها: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦﴾ [الإسراء]، وهو توبيخ لهم، فقال: ادعوهم؛ يعني: فلن يستجيبوا لكم، ولن يستطيعوا أن ينفعوكم، وفي هذا توبيخ لهم.

---

(١) تنظر: (ص١٧)، (ص٤٤).
(٢) ينظر: فتح المجيد (١/ ٢٠٥).
(٣) البيت للمتنبي وتمامه:

ونَذيمهم وبهم عرفنا فضله ... وبضدها تتبيَّن الأشياء

ديوانه (ص١١٧).

وقوله: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ﴾: أي: لا يقدرون على كشف ما نزل بكم من الضر، ولا تحويله عنكم، أو تغيير حاله من حال إلى حال بالتخفيف، فلا يملكون كشفه ولا تخفيفه ولا تحويله من شخص إلى شخص، أو من جماعة إلى جماعة، أو من وقت إلى وقت، ولا يملكون تغييرًا ولا تقديمًا ولا تأخيرًا.

ثم قال في وصف أولئك المدعوين المعبودين من دون الله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾، فـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى المدعوين و﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ يعني: يدعوهم المشركون، فالواو في ﴿يَدۡعُونَ﴾ تعود للمشركين، وضمير المدعوين محذوف، والتقدير: أولئك الذين يدعونهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة[١]، يعني هؤلاء المدعوون من دون الله، هم يبتغون إلى ربهم الوسيلة، فهم يطلبون القرب من الله بالعمل الصالح، ويتقربون إليه ويرجون رحمته، ويخافون عذابه، ويوضح هذه الآية سبب النزول:

١- جاء عن ابن مسعود وغيره رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ: أنَّ ناسًا كانوا يعبدون الجن، فأسلم الجن وبقي أولئك على عبادتهم لهم[٢]، مثل الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الأحقاف: ٢٩] الآيات، وبقي هؤلاء على عبادتهم، والمعبودون على حالهم ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ [الإسراء].

(١) ينظر: الدر المصون (٧/ ٣٧٢).
(٢) أخرجه البخاري (٤٧١٤)، ومسلم (٣٠٣٠) بنحوه.

٢- وقيل: هذه الآية نزلت في الذين يعبدون الملائكة والأنبياء[(١)]؛ كالنصارى الذين يعبدون المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وكاليهود الذين يعبدون عزيرًا، فهؤلاء المدعوون من الملائكة والأنبياء والصالحين: هم يبتغون إلى ربهم الوسيلة، وفي هذا إبطال لعبادة غير الله عمومًا، ودلالة على بطلان عبادة الملائكة والصالحين خصوصًا، فالعابد الخائف الراجي لا يليق أن يعبد أو يدعى ويرجى؛ لأنه نفسه عاجز فقير محتاج، ومعلوم أنَّ هؤلاء كانوا يتخذون الملائكة والأنبياء والصالحين شفعاء ووسائط.

وبهذا يعلم: أنَّ اتخاذ الوسائط في العبادة شرك مناف للتوحيد، ومناف لشهادة ألا إله إلا الله، فمن اتخذ واسطة بينه وبين الله في العبادة؛ فإنه مشرك، فهذا من الشرك المناقض للتوحيد[(٢)]، كالذين قال الله فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. وفي الآية الأخرى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

فاتخاذ الوسائط شرك مناف للتوحيد؛ لأنَّ التوحيد يقتضي التوجه إلى الله بالعبادة دون أن يتوسط أحد في ذلك، أما الرسول ﷺ فهو واسطة في تبليغ شرع الله وأوامره ونواهيه، فهذه واسطة لا بد منها[(٣)]، لكن الواسطة الباطلة هي الواسطة في العبادة، واتخاذها طلبًا لشفاعته،

---

(١) ينظر: الطبري (١٤/ ٦٣٠-٦٣١).

(٢) قد نص العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ على ذلك، وحكوا عليه الإجماع؛ وينظر: الأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية (ص٤٤٣)، وشرح نواقض الإسلام لشيخنا (ص١٩).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٢١-١٢٦)، والصواعق (٣/ ٩٣٣-٩٣٤).

وهذه الأمور الثلاثة في قول الله تعالى: ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، أخذ العلماء من هذا: أنَّ التوحيد يقوم على هذه المقامات الثلاثة: المحبة والخوف والرجاء[١]، وربما سميت أركان العبادة[٢]، فمن عبد الله بواحد منها دون غيره فهو ضال.

فالمحبة: هي التي يتضمنها قوله تعالى: ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، فيتنافسون في التقرب إليه طلبًا للقرب منه، وهذا هو مقتضى المحبة، ثم قال: ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾، فهذه ثلاثة أشياء لا بد منها، وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون]، وعرف بعضهم العبادة بأنها كمال الحب مع كمال الذل؛ قال ابن القيم في هذا:

وعبادة الرحمن غاية حبه
مع ذل عابده هما قطبان[٣]

إلى آخر الأبيات.

الآية الثانية: قوله تعالى في شأن إبراهيم: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف]، فأعلن لأبيه وقومه براءته من كل ما يعبدونه إلا ربه الذي فطره؛ كما قال في الآية الأخرى: ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١/ ٩٥)، (١٥/ ٢٦)، ومدارج السالكين (٢/ ٢٥٩).
(٢) ينظر: مجموع مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب (١/ ٣٨٣).
(٣) النونية (١/ ١٧٩ رقم ٤١٥).

أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧﴾ [الشعراء]. هذا هو مفهوم البراءة؛ فالتبري يتضمن المقاطعة وعدم المحبة والبغض والعداوة، وهنا قال: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾، فهذه البراءة من جميع المعبودين إلا الله، وهو معنى لا إله إلا الله؛ فإنَّ كلمة التوحيد -كما تقدم- مركبة من نفي وإثبات[1]، نفي إلهية ما سوى الله، وإثبات الإلهية لله وحده، وهذا تفسير التوحيد، وهذه الآية تتضمن لا إله إلا الله، وتفسرها.

فيعلم من هذه الآية: أنَّ التوحيد لا بد فيه من البراءة من المشركين وشركهم ومعبوداتهم، وأنَّ شهادة لا إله إلا الله تتضمن البراءة من كل ما يعبد من دون الله[2].

إذن: هذا من تفسيرها، ومن تفسير التوحيد، براءة ومعاداة.

ثم قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ﴾ [الزخرف: ٢٨]: أي: جعلها إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

﴿كَلِمَةَۢ﴾: أي: جعل هذه المقالة السابقة: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾؛ فجعل هذه المقولة أو مضمونها: كلمة باقية، وهي لا إله إلا الله[3]، في عقبه؛ بوصيته بها وبدعوته إليها.

---

(١) تنظر: (ص٢٣)، (ص٤٨).
(٢) ينظر: التحفة العراقية (ص٣٧٩-٣٨٠)، وبدائع الفوائد (١/ ٢٤٢-٢٤٣).
(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٥٧٦).

وإبقاؤه تعالى لها في ذريته: أن جعل النبوة والكتاب في ذريته، ففي ذرية إبراهيم الأنبياء من أولاد يعقوب: موسى وعيسى وهارون وداود وسليمان وزكريا، كلهم من ذرية إبراهيم، كما قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنعام] إلى آخر الآيات، فكلهم من ذريته.

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: أي: لعل الناس يرجعون إلى هذه الكلمة.

إذن: الدعوة باقية في ذرية إبراهيم، فلا يخلو عقب إبراهيم ممن يحمل هذه الكلمة.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾ [التوبة: ٣١]، هذا فيه إخبار عن أهل الكتاب أنهم: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ﴾؛ أي: علماءهم ﴿وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾ [التوبة: ٣١]؛ أي: عبادهم، اتخذوهم: ﴿أَرْبَابًا﴾؛ يعني: آلهة يعبدونهم من دون الله، ﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾، كذلك عبدوه من دون الله.

وليس معنى اتخاذهم أربابًا أنهم شركاء لله في الخلق والرزق والتدبير وخلق السموات والأرض؛ بل اتخذوهم آلهة مع الله يعبدونهم.

وليس معنى يعبدونهم أنهم كانوا يصلون لهم، ويذبحون على أقدامهم، وإنما كانوا يطيعونهم في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل، عن علم وعمد وهوى، يدل على ذلك: حديث عدي بن حاتم الذي

رواه الترمذي وغيره، وهو حديث مشهور، وفيه: عن عدي بن حاتم: أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية. فقلت يا رسول الله: إنا لسنا نعبدهم، قال: «**أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه**»؟ فقلت: بلى. قال: «**فتلك عبادتهم**»[(١)] وهذه العبادة هي العبادة بالطاعة، فمن أنواع العبادة: الطاعة، فطاعة المخلوق في تحليل الحرام، وتحريم الحلال: شرك[(٢)].

إذن: التوحيد يقتضي إفراد الله بالتحليل والتحريم، يعني إفراده تعالى بالإيمان بأنه هو الذي يحل ويحرم، وطاعته في ذلك، وطاعة الرسول ﷺ هي عبادة لله، وطاعة الرسول ﷺ هي طاعة لله؛ قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، فطاعة الله وطاعة الرسول ﷺ متلازمتان، لا تنفك إحداهما عن الأخرى، وقد صرح القرآن بأنَّ طاعة غير الله في التحريم والتحليل شرك، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ﴾ يعني في تحليل ما حرم الله: ﴿إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ١٢١﴾ [الأنعام][(٣)]. فمن أطاع أحدًا في تحليل ما حرم الله؛ كالزنا والخمر؛

(١) ينظر تخريجه في (ص٥٩٢).

(٢) ينظر: الإيمان (ص٦٠-٦١)، ومجموع الفتاوى (١/ ٩٨).

(٣) لما أخرجه الترمذي (٣٠٦٩) عن عبد الله بن عباس، قال: أتى أناس النبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، أنأكل ما نقتل ولا نأكل ما يقتل الله؟ فأنزل الله: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ١١٨﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ١٢١﴾ [الأنعام]. وقال: «هذا حديث حسن غريب، وقد روي هذا الحديث =

فإنه بهذا يكون مشركًا؛ لأنَّ استحلال الحرام المعلوم تحريمه من دين الإسلام بالضرورة كفر؛ كاستحلال الزنا وشرب الخمر والربا مطلقًا، فهناك صور من صور الربا فيها اشتباه وخلاف، لكن استحلال الربا مطلقًا مناقض لما هو معلوم بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين، فالذي يقول: لا ربا والإنسان حر يتصرف في ماله كيف شاء؛ يكون بهذا مستحلًّا لما حرم الله، وتوعد عليه بأغلظ الوعيد، فأهل الكتاب من شركهم: الشرك في الطاعة، وهو أنهم أطاعوا الأحبار والرهبان في التحليل والتحريم، وذلك في تحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله، وليس من ذلك ما يقع خطأ من المجتهدين من العلماء، فإنَّ العالم قد يجتهد فيرى هذا حلالًا وهو حرام قطعًا؛ لأنه ما بلغه الدليل أو ما فهمه، أو وجد معارضًا[1]، وهكذا المقلد الذي سأل العالم طالبًا للحق وهو يعلم دينه واستقامته وتقواه فأفتاه، فإذا قدر أنه أخطأ فلا حرج على مَن اتقى الله؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤﴾ [الطلاق]. وقال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال: ٢٩].

= من غير هذا الوجه عن ابن عباس أيضًا، ورواه بعضهم عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن النبي ﷺ مرسلًا».

وأخرج أبو داود (٢٨١٩) عن ابن عباسٍ، قال: جاءتِ اليهودُ إلى النبيِّ ﷺ فذكره بنحوه.

وله طرق أخرى، وصححه البزار (٥٠٥٩)، والألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٥١٠) وقال: «لكن ذكر اليهود فيه منكر، والمحفوظ أنهم المشركون».

(١) هذه هي الأسباب المجملة، وقد ذكرها شيخ الإسلام ثم فصلها فبلغت عشرة أوجه. ينظر: رفع الملام عن الأئمة الأعلام، ولشيخنا -حفظه الله- رسالة نافعة مع اختصارها في هذا الموضوع بعنوان: موقف المسلم من الخلاف باعتناء د. عبد الله بن عائض القحطاني.

ولا يدخل في شرك الطاعة: طاعة أهل العلم الموثوقين في دينهم وعلمهم؛ لأنهم مجتهدون، والمجتهد إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، وقد ورد هذا التفصيل في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية(١)، لكن بعض الناس وإن كان يعرف الحق إذا وجد مَن يفتيه بخلافه، يقول: هذا على ذمة المفتي! معناه أنه متعمد وقاصد -والعياذ بالله- متابعة الهوى، فمَن قلد العالم وهو يعتقد أنه مخطئ، لكن موافقة لهواه؛ فالعالم يكون معذورًا لاجتهاده، وهذا غير معذور في متابعته على خطئه.

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٦٥]: المراد: المشركون الذين اتخذوا من دون الله أندادًا من الملائكة أو الصالحين أو الأصنام أو الجن.

﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾، وفي هذا ذم من الله لأولئك الذين أشركوا معه في المحبة، وجعلوا له أندادًا في المحبة، والمعنى: يحبونهم كما يحبون الله، هذا أصح القولين(٢)، إذن؛ فمن التوحيد: محبة الله فوق محبة كل أحد.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾: أي: المؤمنون الموحدون يحبون ربهم أشد من حب المشركين لأندادهم، وقيل: أشد من حب المشركين لله(٣).

---

(١) ينظر: رفع الملام (ص٢١١) وما بعدها، ومجموع الفتاوى (١٢/ ٤٩٤-٤٩٦)، (١٩/ ١٢٤).

(٢) وهو قول شيخ الإسلام، وقال: «وهذا هو الصواب، والأول قول متناقض وهو باطل». الإيمان (ص١٥٠)، وينظر: مدارج السالكين (٣/ ٣٨٥-٣٨٦).

(٣) ينظر: الدر المصون (٢/ ٢١٢).

وهذه الآية تدل على أنَّ من أنواع الشرك: الشرك في المحبة[١]، فمن أحب غير الله محبة تتضمن تسويته بالله فقد أشرك بالله، والمحبة التي هذه شأنها وحقيقتها، تقتضي أمورًا: الطاعة والذل لذلك المحبوب، والمشركون يحبون أندادهم؛ لذلك يتقربون إليهم بأنواع القربات، ويرجونهم ويخافونهم، فالمحبة أصل تتبعها أحوال وأعمال، فهذا يعلم منه: أنَّ الحب مع الله يناقض التوحيد، أما الحب في الله؛ فهو فرع من محبة الله.

وليس من الشرك في المحبة: المحبة الطبيعية؛ كمحبة الإنسان لولده وزوجه ووالديه، ومحبته للمال، والمحبة الطبيعية لا تضر ما لم يفرط الإنسان فيها، حتى تحمله على ترك واجب أو فعل محرم، وقد يفرط الإنسان في المحبة الطبيعية حتى ينتهي به الإفراط إلى الشرك الأكبر، وسيأتي في هذا الكتاب لهذه المعاني أبوابًا خاصة في المحبة والخوف والتوكل[٢]، وكذلك سيأتي باب خاص بطاعة العلماء والأمراء[٣].

هذه أربع آيات، وكلها تفسر التوحيد؛ فتبين أنَّ التوحيد لا بد فيه من ترك الشرك، وأنَّ من الشرك: اتخاذ الوسائط في العبادة، ويتضمن التوحيد وشهادة ألا إله إلا الله: البراءة من كل معبود سوى الله، كما في

---

(١) سيأتي تفصيل ذلك في (ص٥٤٨) في باب: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].
(٢) تنظر: (ص٥٤٨)، (ص٥٥٧)، (ص٥٦٤).
(٣) تنظر: (ص٥٩١).

كلمة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتتضمن: طاعته تعالى وحده وإفراده، بالطاعة في التحليل والتحريم، وأنَّ الحكم له وحده، فالحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله، وقد ذم الله أهل الكتاب بانحرافهم عن هذا السبيل في قوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٢٩] الآية؛ فالدين ما شرعه الله سبحانه.

وفي الآية الرابعة: دلالة على أنَّ من الشرك: الشرك في المحبة.

والتوحيد يتضمن محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومحبة ما يحب الله، وبغض ما يبغضه الله؛ فمحبة ما يحب الله، وبغض ما يبغض هو من توابع محبة الله: كمحبة الرسول ﷺ، ومحبة المؤمنين، والأعمال الصالحة؛ فكل ذلك توابع لمحبته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا ما يتصل بهذه الآيات.

ثم يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وفي الصحيح)**: أي: في صحيح مسلم، عن أبي مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**«مَن قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله...»**): هذا الحديث مما يفسر أيضًا التوحيد، وشهادة ألا إله إلا الله، وذلك أنه قال فيه: (**«وكفر بما يعبد من دون الله»**) فشرط في عصمة الدم والمال: الكفر بما يعبد من دون الله، فلا يكفي مجرد التلفظ بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، ولا يكفي أن يفرد الإنسان الله بالعبادة، والتوحيد يقال فيه: إفراد الله بالعبادة، لكن هذا من حيث العمل، بأن لا يعبد الإنسان إلا الله، لكن لا بد من إفراده بالإلهية عقيدة؛ وذلك باعتقاد أنه هو الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه، وأنَّ كل معبود سواه باطل؛ قال

تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحج] وهذا هو الذي عبر عنه بالكفر بما يعبد من دون الله.

ويحصل الكفر بما يعبد من دون الله: باعتقاد بطلانها، وأنها معبودة بالباطل ولا تستحق العبادة، وببغضها والبراءة منها كما تقدم في قول إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ۝٢٦﴾ [الزخرف]، فهذا ما يتضمنه الكفر بما يعبد من دون الله، ومن أحسن ما عبر به عن الكفر بما يعبد من دون الله: قول الإمام المجدد: «فأما صفة الكفر بالطاغوت فأن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتكفر أهلها وتعاديهم»[(١)].

ولا يكون الإنسان موحدًا بمجرد أنه لا يعبد إلا الله، حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، والبراءة منها ومن عابديها، وهذا القيد في الحقيقة هو مضمون النفي «لا إله»، فهذا النفي يتضمن الكفر بما يعبد من دون الله، كما أنَّ الإثبات يتضمن الإيمان بالله؛ ولهذا نقول: إنَّ كلمة التوحيد تتضمن الإيمان بالله والكفر بالطاغوت؛ أي: الكفر بكل ما يعبد من دونه، والحقيقة أنَّ قوله ﷺ: (**«وكفر بما يعبد من دون الله»**)، تأكيد لمضمون النفي في قوله: «لا إله»، ولهذا أكثر الأحاديث ليس فيها ذكر هذا الشرط، وجاء التصريح بذلك تأكيدًا لمضمون النفي، وإلا فإنَّ كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» تتضمن الكفر بالطاغوت، والكفر بما يعبد من دون الله، ولكن هذا الحديث اختص

(١) في رسالته: «معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه» وهي في مجموع مؤلفاته (١/ ٣٧٦)، والدرر السنية (١/ ١٦١).

بالتصريح، وإلا فسائر الأدلة إنما فيها ذكر «لا إله إلا الله»؛ كقوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**»(١)، والرسول ﷺ في دعوته يقول للكفار: «**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»(٢). ففهم المشركون من كلمة التوحيد: إبطال آلهتهم؛ لهذا امتنعوا وأبوا وكبر عليهم ما يدعون إليه؛ كما قال تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣]، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص].

قوله: («حرم ماله ودمه»): هذا معنى قوله في الأحاديث الأخرى: «**عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام**»(٣). وهنا قال: «**حرم ماله**»؛ أي: مَن دخل الإسلام حرم ماله؛ فلا يجوز الاعتداء عليه في ماله، وحرم دمه؛ فلا يجوز الاعتداء عليه بالقتل، أما قبل ذلك لما كان على الكفر وهو محارب؛ فدمه وماله حلال.

قوله: (**«وحسابه على الله...»**): في هذا التنبيه على أنَّ المعتبر في الدنيا هو ما يظهر من الإنسان، فمن أظهر الإسلام وأظهر البراءة من المشركين وشركهم؛ وجب الكف عنه واحترامه في دمه وماله وعرضه، وأما باطنه فإلى الله وحسابه عليه، فالله هو الذي تولى من عباده السرائر، فمن كان صادقًا في توحيده وإيمانه، كان من أهل كرامة الله ومثوبته، وكان من المفلحين، ومَن كان كاذبًا فيما أظهره من الإسلام، فهو المنافق المتوعَّد بالدرك الأسفل من النار إذا مات على نفاقه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٢)، (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠)، (٢١) عن أبي هريرة وجماعة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٢) سبق تخريجه في (ص١٢٧).

(٣) أخرجه البخاري (٢٥) -واللفظ له-، ومسلم (٢٢) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

تبين مما تقدم أنَّ التوحيد يتضمن:

١- ترك الشرك، ومن الشرك: اتخاذ الوسائط في العبادة.

٢- البراءة مما يعبد من دون الله.

٣- إفراده تعالى بالطاعة، وأنَّ من الشرك: الشرك في الطاعة.

٤- إفراده تعالى بالمحبة الموجبة للخضوع والانقياد، وأنَّ من الشرك: الشرك في المحبة.

٥- أنَّ التوحيد لا يتحقق إلا بالكفر بما يعبد من دون الله.

ثم قال الشيخ: **(وشرح هذه الترجمة)**؛ وهي قول: **(باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله)**، وما تضمنته من الأدلة شرحًا وافيًا فيـ: **(ما بعدها من الأبواب)**.

إذن: كل الأبواب التالية شرح وإيضاح لهذه الترجمة، فالأبواب الآتية فيها بيان الشرك بأنواعه، الأكبر والأصغر، وبيان ما يؤدي إلى الشرك من الوسائل، وما يقرب منه، فكل هذا سيأتي في أبواب الكتاب؛ مما يزيد التوحيد والشهادة إيضاحًا وبيانًا.

ثم قال الشيخ:

(فيه أكبر المسائل وأهمها: وهي تفسير التوحيد، وتفسير الشهادة، وبينها بأمور واضحة:

منها: آية «الإسراء»؛ بين فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين، ففيها: بيان أنَّ هذا هو الشرك الأكبر).

الشيخ في هذا الباب كأنه غير طريقته، فلم يعدد المسائل؛ بل قال: **(فيه أكبر المسائل وأهمها: وهي تفسير التوحيد، وتفسير الشهادة)**، هذا هو مضمون الترجمة ومقصودها، والشيخ ينبه إلى عظمة هذا الأمر وأهميته.

وقوله: (**وبينها بأمور واضحة: منها: آية «الإسراء»**): أي: بينت آية «الإسراء» معنى التوحيد وحقيقته، ومعنى شهادة ألا إله إلا الله بأمور كما سيأتي؛ منها: الرد على الذين يعبدون الصالحين، وأنَّ عبادة الصالحين واتخاذهم وسائط هو عين الشرك الأكبر المنافي لأصل التوحيد، المناقض لشهادة ألا إله إلا الله.

وتفسير التوحيد: هو إفراد الله بالعبادة، والإيمان بوحدانيته في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته. يقول: (**وتفسير الشهادة**): أي: تفسير شهادة ألا إله إلا الله، يعني لا معبود بحق إلا الله، وهي كلمة تدل على التوحيد، ثم يقول الشيخ: (**وبينها بأمور واضحة منها: آية «الإسراء»**)؛ أي: بين ذلك بأمور:

أولًا: قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وهذه الآية تقدمت الإشارة إلى سبب نزولها، وفي الآية النص على أنَّ أولئك المدعوين يدعون ربهم يبتغون عنده الوسيلة، يقول الشيخ: فعلم أنَّ ما كان يصنعه المشركون مع أولئك الصالحين: أنه هو الشرك الأكبر، فمن بيان تفسير التوحيد بهذه الآية: بيان أنَّ مَن دعا غير الله، واستغاث به، وتقرب إليه؛ فقد اتخذه إلهًا مع الله، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

فإنَّ: (**فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين، ففيها: بيان أنَّ هذا هو الشرك الأكبر**)؛ أي: أنَّ عبادة الصالحين واتخاذهم وسائط، هو عين الشرك الأكبر، المنافي لأصل التوحيد، المناقض لشهادة ألا إله إلا الله.

قوله: (ومنها: آية «براءة»، بين فيها أنَّ أهل الكتاب: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلهًا واحدًا، مع أنَّ تفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية، لا دعاؤهم إياهم).

هذا مما يبين أيضًا معنى التوحيد وحقيقته، ومعنى الشهادة، أنَّ من التوحيد: إفراده تعالى بالطاعة، وأنَّ طاعة العلماء والأمراء والأحبار والرهبان في التحليل والتحريم شرك، وأهل الكتاب قد اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله -يعني آلهة-، فأخبر أنهم عبدوهم واتخذوهم أربابًا من دون الله، وفي آخر الآية: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا﴾ [التوبة: ٣١]، فدلت هذه الآية بالتفسير الذي ورد في قصة عدي بن حاتم؛ حين قدم ووجد الرسول يتلو هذه الآية، فقال عدي: إنّا لسنا نعبدهم، قال: «**أليس يحرمون ما أحل الله؛ فتحرمونه؟ ويحلون ما حرم الله؛ فتحلونه؟**» فقلت: بلى، قال: «**فتلك عبادتهم**»[1] فيعلم بهذه الآية: أنَّ طاعة المخلوق في التحليل والتحريم؛ شرك مناف لأصل التوحيد. **يقول الشيخ: (تفسيرها الذي لا إشكال فيه)**: أنَّ المراد بعبادتهم: **(طاعة العلماء والعباد في المعصية، لا دعاؤهم إياهم)**؛ أي: طاعة الأحبار والرهبان في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل؛ على ما جاء في حديث عدي بن حاتم.

وهذا مما يبين أنَّ من معنى التوحيد: إفراد الله بالحكم والتشريع؛ قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، ولا حلال إلا ما أحله الله،

---

(١) ينظر تخريجه في (ص٥٩٢).

ولا حرام إلا ما حرمه الله، فالحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله، والدين ما شرعه الله، فمن أطاع أحدًا في تحليل الحرام، وتحريم الحلال؛ فقد جعله ندًّا لله، وعلم أنَّ هذا ينافي معنى لا إله إلا الله.

قوله: (ومنها: قول الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ للكفار: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف] فاستثنى من المعبودين ربه).

أي: تبرأ من جميع المعبودين، واستثنى ربه.

قوله: (وذكر سبحانه أنَّ هذه البراءة وهذه الموالاة هي: تفسير شهادة أن لا إله إلا الله؛ فقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف]).

أي: جعل الله هذه البراءة من سائر المعبودين، وهذه الموالاة لله رب العالمين، جعل ذلك هو معنى «لا إله إلا الله»، وهو معنى الكلمة الباقية، أو جعل هذه البراءة والموالاة هي الكلمة الخالدة، شهادة ألا إله إلا الله؛ قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٨]، أي: باقية في ذرية إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وأيضًا؛ هذه الآية من سورة الزخرف، هي تفسير للتوحيد، فالتوحيد يتضمن البراءة من المشركين وشركهم؛ ولهذا قال الخليل: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف]، وكما في الآية الأخرى: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

إذن: التوحيد يتضمن البراءة من المشركين.

(ومنها: آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾ [البقرة]. ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله؛ فدل على أنهم يحبون الله حبًّا عظيمًا، ولم يدخلهم في الإسلام؛ فكيف بمن أحب الند أكبر(١) من حب الله؟! فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده، ولم يحب الله؟!).

أي: هذه الآية تدل على أنَّ من الشرك: شرك المحبة، وأنَّ الذين سووا أندادهم بالله في المحبة، متوعَّدون بالنار وحرمانهم من الخروج منها؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾ [البقرة]، فعلم أنَّ تسوية غير الله بالله في المحبة من الشرك المنافي للتوحيد؛ بل لأصل التوحيد، والله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ذم المشركين أن سووا أندادهم بالله، واتخذوا من دونه أندادًا في المحبة، يحبونهم كحب الله، فهذا من الشرك المنافي للتوحيد، **يقول الشيخ: (فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله! فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده، ولم يحب الله!)** فيكون أقبح، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٥﴾ [الزمر].

فالله ذم المشركين أن سووا غير الله بالله في المحبة، تسوية فقط، فقال: ﴿يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٦٥]؛ أي: كحبهم لله، فدل ذلك على أنهم يحبون الله حبًّا عظيمًا، ولم ينفعهم ذلك لما أشركوا به سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ،

---

(١) في نسخةٍ خطية: (أكثر).

فكيف بحال مَن أحب الند أكبر من حبه لله! أو أحب الند وحده ولم يحب الله! فلا شك أنه أقبح وأكفر.

(ومنها قوله ﷺ: «مَن قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله...». وهذا من أعظم ما يبين معنى: «لا إله إلا الله»، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال؛ بل ولا معرفة معناها مع لفظها؛ بل ولا الإقرار بذلك؛ بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له؛ بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله؛ فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه.

فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها! ويا له من بيان ما أوضحه! وحجة ما أقطعها للمنازع!).

كذلك مما يبين التوحيد، وشهادة ألا إله إلا الله: حديث أبي مالك الأشجعي: (**«مَن قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله»**) بهذا القيد، فإنه من أعظم وأبلغ ما يبين معنى «لا إله إلا الله»، **يقول الشيخ: (فإنه)** يعني في الحديث: **(لم يجعل التلفظ بها)** أي: الرسول ﷺ لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال؛ **(بل ولا معرفة معناها مع لفظها)**؛ أي: حتى ولو عرف معناها؛ **(بل ولا الإقرار بذلك)**؛ أي: أنَّ ذلك كله لا يعصم؛ بل ولا كونه لا يعبد إلا الله كما تقدم، لا يحرم ماله ودمه: **(حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله)**، كما هو نص الحديث: «**وكفر بما يعبد من دون الله**»، ولكن كما تقدم: أنَّ المعول في هذا على الظاهر، فإذا قال: «لا إله إلا الله»، وقال: أنا أؤمن بالله وأكفر بما يعبد من دون الله، وكل هذه المعبودات باطلة فحسبنا، وهذا الذي نملك، أما

سريرته فإلى الله، وقد يقول هذا كله ويقول: لا إله إلا الله، وأنا أكفر بما يعبد من دون الله، وأبرأ من كل معبود سواه، بلسانه وهو بخلاف ذلك، فلا علينا إلا أن نكف عنه كما قال ﷺ: «**حرم ماله ودمه**»، لكن لو قال: لا إله إلا الله، وقال: هذه المعبودات أنا لا أقول فيها شيئًا، لكن أنا لا أعبد إلا الله، أما الناس لا أتعرض لهم ولا أقول: إنهم كفار، أو أنَّ هذه المعبودات باطلة، فنقول له: لا يكفي، فهذا أصل عظيم، وهو لا بد من تكفير الكفار: كاليهود والنصارى، وكثير من المنتسبين إلى الإسلام اليوم لا يكفرون اليهود والنصارى ولا المشركين عباد القبور، وهذه مصيبة عظيمة؛ فلا يكون الإنسان مسلمًا حتى يعتقد أنَّ اليهود والنصارى على باطل، وأنهم ليسوا على دين صحيح؛ بل هم على دين باطل، إما منسوخ وإما مبتدع، وأصل كفرهم تكذيبهم لمحمد ﷺ، رسول الله إلى الناس كافة[(١)]، فلا بد من اعتقاد كفرهم، فلا يجتمع أبدًا الإسلام والنصرانية، وليس بيننا وبينهم إخاء، فحذار من الدعايات التي تقوم على مبدأ خبيث، وهو التقريب بين النصرانية -بالتعبير الصحيح الشرعي وليس المسيحية- والإسلام، والتقريب بين اليهودية والإسلام؛ لأنَّ اليهود والنصارى كلهم أهل كتاب، وحكمهم في الجملة واحد، لكن الكفر يجمعهم، وأحكامهم في الإسلام متشابهة، وإن كان اليهود يختصون بزيادة العداوة، والنصارى أقرب إلى المودة، لكن هم أعداء، ومن الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ

---

(١) ينظر: الجواب الصحيح (١/ ١٠٩) وما بعدها، (٢/ ٢٢٣)، (٣/ ٤٣٥)، وشرح نواقض الإسلام لشيخنا (ص٢٣).

أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥١]، فسوى الله بينهم في قطع الموالاة؛ قال تعالى: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١﴾ [المائدة]، ولما ذمهم وأمر بقتالهم قال سبحانه: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [التوبة: ٢٩] وهم: اليهود والنصارى، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۝٢٩﴾ [التوبة]، يعني: كلهم -اليهود والنصارى- ممن يجب قتالهم؛ حتى يسلموا أو يعطوا الجزية، ثم قال بعدها: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، ولما ذمهم بتكذيب بعضهم بعضًا، قال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣]، ولما حكى الله أمانيهم، حكى عن الجميع: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، فاليهود والنصارى أحكامهم في الإسلام واحدة، فلا بد من اعتقاد كفرهم، فمن مات منهم على كفره؛ فهو من حطب جهنم، وهو كافر مستحق للخلود في النار؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [البينة: ٦]، وتقدم ذكر الحديث الثابت في الصحيح أنَّ النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده؛ لا يسمع بي يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بي، إلا أدخله الله النار، أو كبه الله على وجهه في النار**»[1]، فلا بد من تحقيق هذا الأصل، وهو الكفر بما يعبد من دون الله، ويتضمن: الكفر بعبادة ما يعبد من دون الله؛ كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

(١) سبق تخريجه في (ص١٥٣).

في «سورة الكافرون»: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾ [الكافرون].. إلى آخر السورة، ففيه: البراءة مما يعبد من دون الله، ومن عبادتهم.

والشيخ ينوه بمضمون هذا الحديث؛ بقوله: **(فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها! ويا له من بيان ما أوضحه! وحجة ما أقطعها للمنازع!)**، وسبق أنَّ قوله: **(وكفر بما يُعبد من دون الله)**، هو في الحقيقة تأكيد لمضمون النفي «لا إله»، فإنَّ قوله: «لا إله»: يتضمن الكفر بما يعبد من دون الله، يعني لا إله حق؛ بل كل إله باطل إلا الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٣٠﴾ [لقمان].

وبعد هذه الترجمة التي جعلها الشيخ أصلًا لما بعدها من الأبواب، بدأ بذكر أبواب تتضمن أنواع الشرك.

◆◇◈◇◆

(٧)

باب من الشرك: لبس الحلقة والخيط ونحوهما؛ لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر].

عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أنَّ النبي ﷺ رأى رجلًا في يده حلقة من صفر، فقال: «ما هذه»؟ قال: من الواهنة، فقال: «انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو مت وهي عليك؛ ما أفلحت أبدًا» رواه أحمد بسند لا بأس به[1].

وله عن عقبة بن عامر مرفوعًا: «مَن تعلق تميمة؛ فلا أتم الله له، ومَن تعلق ودعة؛ فلا ودع الله له»[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٠٠٠)، وابن ماجه مختصرًا (٣٥٣١)، والبزار (٣٥٤٧)، وابن حبان (٦٠٨٥)، واختلف في هذا الحديث فصححه ابن حبان وحسنه البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ٧٧)، وضعفه الألباني في الضعيفة (١٠٢٩).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٤٠٤)، وأبو يعلى (١٧٥٩)، وصححه ابن حبان (٦٠٨٦)، والحاكم (٧٥٠١)، وسيورده المصنف في الحديث الآتي.

وفي رواية[(١)]: «مَن تعلق تميمة؛ فقد أشرك»[(٢)].

ولابن أبي حاتم عن حذيفة: «أنه رأى رجلًا في يده خيط من الحمى، فقطعه وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف][(٣)]».

الشرح

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (باب من الشرك: لبس الحلقة والخيط ونحوهما؛ لرفع البلاء أو دفعه): يعني: هذا باب بيان أنَّ من الشرك: لبس الحلقة والخيط.

(لرفع البلاء): أي: بعد نزوله، والبلاء يعني: المكروه وأنواع الأمراض الجسدية أو النفسية.

(أو دفعه): أي: قبل نزوله، والحلقة والخيط لا يفيدان شيئًا، ولبسهما وتعلق القلب بهما في حصول الشفاء وزوال المكروه من الشرك الأصغر.

وقوله: (لبس الحلقة): سواء كانت من حديد أو صفر أو غير ذلك.

---

(١) قال الشيخ سليمان في التيسير (١/ ٣١٠): «وقوله في «رواية» هذا يوهم أن هذا في بعض روايات الحديث المذكور، وليس كذلك، بل المراد أنه في حديث آخر، رواه الإمام أحمد أيضًا».

(٢) أخرجه أحمد (١٧٤٢٢)، والحارث بن أبي أسامة في مسنده (٥٦٣- زوائده)، والطبراني في الكبير (٨٨٥) عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط، فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله، بايعت تسعة وتركت هذا؟ قال: «**إن عليه تميمة**» فأدخل يده فقطعها، فبايعه وقال: فذكره.
أورده الهيثمي في المجمع (٥/ ١٠٣): وقال: «رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد ثقات». وبنحوه قال المنذري في الترغيب (٥١٩١)، وتقدم آنفًا.

(٣) في تفسيره (١٢٠٤٠).

وخص الشيخ الحلقة والخيط؛ لورودهما في الحديث والآثار.

وقوله: (لرفع البلاء أو دفعه): أي: أنَّ لبسها بهذا القصد؛ فهذا قيد، ولو لبس حلقة أو خيطًا للزينة، كالأساور كما تلبس النساء أو مثل الساعة؛ فلا يدخل في هذا الباب، فهي لم تلبس لهذا المعنى؛ ولهذا قيده الشيخ **بقوله: (لرفع البلاء أو دفعه)**؛ يعني: لدفع الضر قبل نزوله الذي يخشى الإنسان أن يصيبه، أو لرفعه بعدما أصابه، فلبس الحلقة والخيط والتميمة، -سواء كان هذا اللباس على اليد، أو الرقبة أو غيرهما-.

وقوله: **(ونحوهما)**: أي: ما أشبههما كالتميمة والودعة.

كل هذا من الشرك الأصغر، والشرك الأصغر قد يعظم في نفس صاحبه؛ فينتهي به إلى الشرك الأكبر، لكن الأصل في مثل هذا: أنه من الشرك الأصغر[١].

والتعلق بهذه الأشياء شرك؛ لأنَّ تعليقها يتضمن الاعتماد عليها؛ والاعتماد والتعلق على الأسباب الحقيقية شرك؛ لأنه ينافي التوكل على الله، فكيف بالتعلق أو الاعتماد على أسباب وهمية؛ فالتعلق بالحلقة والخيط والودع والتميمة، وتعليق الخرز ولبسها لهذا الغرض، تعلق بما ليس هو سبب أصلًا، يعتقد مَن تعاطاها أنها تنفع وليست نافعة؛ فيجمعون بين اعتقاد السببية فيما ليس بسبب، والاعتماد عليه؛ فيعتمدون على ما ليس بسبب أصلًا، فيكون الاعتماد عليها أقبح من الاعتماد على

---

(١) ينظر: تيسير العزيز الحميد (١/ ٣٠٠)، والدرر السنية (١١/ ٤٩٦).

الأسباب الصحيحة، وتعاطي الأسباب الكونية والشرعية يجب أن يكون مقرونًا بالتوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فلبس الحلقة أو الخيط ليس له أثر في دفع ولا رفع، ومَن يلبسها لذلك لا دليل له، ولا حجة له إلا مجرد التوهم، وبإيحاء من الشيطان، فإنَّ الشيطان يزين التعلق بالأسباب الوهمية.

ثم استدل الشيخ في هذا الباب بآية وحديثين وأثر.

فأما الآية؛ فهي قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ﴾ [الزمر: ٣٨] أي: يكفيني الله، فهو حسبي: ﴿عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٣٨﴾ [الزمر].

وقوله: ﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم﴾ [الزمر: ٣٨]: في هذا توبيخ للمشركين على تعلقهم بمعبوداتهم حيث يدعونها ويرجونها؛ وذلك ببيان أنها لا تكشف ضرًّا ولا تجلب رحمة: ﴿هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٨]: أي: لا تكشفه ﴿أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦ﴾ [الزمر: ٣٨]: أي: لا تمنع فضل الله ممن أراده به، ولا تكشف بأس الله عمن أنزله به، فهذه المعبودات من الأصنام وغيرها كالأوثان هذا شأنها، فالله وحده هو المتفرد بكشف الضر، وجلب النفع، وإنزال الرحمة؛ قال تعالى: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [فاطر: ٢].

إذن: هذه المعبودات لا تكشف ضرًّا ولا تجلب نفعًا؛ لأنها عاجزة ناقصة مخلوقة، فلا تملك لنفسها ولا لغيرها، نفعًا ولا ضرًّا، والآية وإن

كانت نازلة في المشركين الشرك الأكبر الذين يدعون الأصنام، ويدعون آلهتهم من دون الله؛ فقال الله فيهم: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٣٨]، فالشيخ استدل بها على الشرك الأصغر(١)؛ بجامع أنه تعلق بغير الله ورجاء للنفع، واستدفاع للضر من جهة ما لا يملك شيئًا من ذلك، وهذا من قبيل الاستدلال بالآيات النازلة في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر؛ كما سيأتي في كلام الشيخ أنَّ هذا من طريقة السلف، فالمشركون يتعلقون بآلهتهم يرجونها ويخافونها، وإن كانوا يقرون أنها لا تنفع ولا تضر؛ بل يتخذونها وسائط، فقوله: ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الزمر: ٣٨]، استفهام توبيخ وإنكار على المشركين، وهو في نفس الوقت فيه تقرير للمخاطبين بما يقرون به(٢)، فإنَّ الكفار يقرون بأنَّ آلهتهم لا تكشف الضر، لكنهم يتعلقون بها على أنها وسائط، واتباعًا لآبائهم.

إذن: ما يعلق من تمائم وما يلبس من حِلق أو خيوط لا تجلب نفعًا، ولا تدفع ضرًّا، ولا ترفع بلاء، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧]، وهذا عام؛ فيشمل ما يتعلق به المشركون من الأصنام والأوثان؛ مما يعبدونه من الأموات -من صالحين وغيرهم-، ويشمل ذلك ما يعتقده الجهال فيما يعلقونه من حروز وتمائم وودع وخرز.

(١) ينظر: تيسير العزيز الحميد (١/ ٣٠٢).
(٢) قال مقاتل: فسألهم النبيُّ ﷺ؛ فسكتوا. ينظر: تفسير البغوي (٧/ ١٢١)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٥٩).

وذكر الشيخ من أدلة هذه الترجمة: حديث عمران بن حصين، وحديث عقبة بن عامر، وأثر حذيفة.

قوله: (عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبي ﷺ: رأى رجلًا في يده حلقة من صفر): الحلقة: من نوع السوار على العضد.

والصفر: نوع من المعادن معروف[1]، لونه أصفر ويشتبه بالذهب وليس بذهب، تُتخذ منه الأواني والحلي؛ لكنه رخيص.

قوله: (فقال: «ما هذه»؟) الرسول يراها لكن كأنه يقول: لم هذا؟ أو ما هذا الفعل، وهو لبسك لهذه الحلقة؟! ولهذا قال: **(من الواهنة)**، فإما أن يكون استفهام إنكاري، أو استفهام على حقيقته، وفيه: الاستفصال قبل الإنكار.

قوله: **(قال: من الواهنة)**: يعني: لبستها بسبب الواهنة؛ لمنع أو دفع الواهنة، وهي مرض يأخذ في العضد، يكون منه ضربان للعرق[2].

قوله: **(فقال: «انزعها»)**: يعني: اخلعها خلعًا سريعًا، ولم يقل اخلعها أو اتركها؛ بل قال له: **(«انزعها»)**، والنزع يشعر بقوة. وقوله: **(«انزعها»)**: فيه الدلالة على المبادرة بخلعها.

قوله: **(«فإنها لا تزيدك إلا وهنًا»)**: أي: لا تزيدك إلا بلاءً على بلاء، وضعفًا إلى ضعف، فجاء بالجواب متناسبًا مع قوله: **(من الواهنة)**[3]،

---

(١) الصُّفْرُ: النحاس الجيد، وقيل: الصفر ضرب من النحاس، وقيل: هو ما صفر منه. ينظر: لسان العرب (٤/ ٤٦١).

(٢) ينظر: النهاية (٥/ ٢٣٤).

(٣) قال في التيسير (١/ ٣٠٨): «فإن قيل: كيف قال ﷺ: «**لا تزيدك إلا وهنًا**» وهي ليس لها تأثير؟ قيل: هذا -والله أعلم- يكونُ عقوبةً له على شركه، لأنه وضعها لدفع الواهنة؛ فعُوقب بنقيض مقصوده». اهـ.

وليس للحلقة أثر في نفع ولا ضر، وإنما زيادة الوهن بفعل الرجل؛ فكأنه قيل له: لا يزيدك لبسها إلا وهنًا.

قوله: («**فإنك لو مت وهي عليك؛ ما أفلحت أبدًا**»): هذا فيه وعيد شديد لمن فعل مثل ذلك؛ بعدم الفلاح والعياذ بالله، يعني ما نلت الفلاح، ويعبر به عن الهلاك والخسران المبين، والفلاح هو الفوز والظفر بالمطلوب، والنجاة من المرهوب، وفي هذا أبلغ تحذير، فأنكر عليه الرسول وأغلظ له في القول، وهذا دليل على أنَّ لبس الحلقة؛ لرفع البلاء أو لدفعه حرام، وأنه من أسباب حرمان الفلاح.

وجاء في بعض الروايات ما يدل على أنَّ ذلك الرجل هو نفسه عمران[١]، عبر عن نفسه بالرجل، يعني أبهم ولم يقل رأى علي النبي، وهذا يدل على تحريم لبس الحلقة من حديد أو من صفر، أو من غيرهما.

والذي يظهر لي: أنَّ هذا الوعيد لمن أصر على لبسها بعد علمه بالحكم، وسيأتي ذكر المسألة المتعلقة بذلك في كلام الشيخ.

والرسول لا يحتاج أن يأتي ويأخذ بيد عمران ويخلعها منه، ولكن قال له كلامًا شديدًا لن يتأخر بعده عمران عن نزعها.

(**وله عن عقبة بن عامر مرفوعًا: «مَن تعلق تميمة؛ فلا أتم الله له...»**): التميمة ما يعلق على الأولاد أو غيرهم من الحروز، سواء كان مكتوبًا أو غير مكتوب، كالخرز والودع أو العظام، كما سيأتي في الباب الذي بعده[٢]، لدفع العين أو لرفع وكشف الضر.

(١) كما في رواية البزار (٣٥٤٧)، والرُّوياني (٧٢)، وابن حبان (٦٠٨٨)، والحاكم (٧٥٠٢)، وغيرهم.

(٢) تنظر: (ص١٩٦).

وقوله: («**مَن تعلق تميمة**»): يعني علق تميمة على بدنه أو عنقه أو عضده وتعلق بها قلبه.

وقوله: («**فلا أتم الله له**»): هذا فيه دعاء عليه، لا أتم الله له ما يريد، ولا حقق له ما يرجو.

وقوله: («**ومَن تعلق ودعة**»): الودعة: شيء يستخرج من البحر يسمى الودع[1]، أشبه ما يكون بعظم، يعلق باعتقاد أنه ينفع ويدفع.

وقوله: («**فلا ودع الله له**»): أي: لا ترك الله له ما ينفعه، فهذا دعاء عليه أيضًا، والمعنى: لا تركه في دعة وهناء من أمره؛ بل أصاره الله إلى القلق، فالجزاء من جنس العمل.

وفي رواية: («**مَن تعلق تميمة؛ فقد أشرك**»): وهذا نص على أنَّ تعليق التميمة ونحوها كالودع شرك، ويدل لهذا تمامًا ما جاء في الباب الذي بعده، باب ما جاء في الرقى والتمائم، وهو حديث ابن مسعود: «**إنَّ الرقى والتمائم والتولة شرك**»[2].

وفي حديث عقبة التصريح بأنه شرك، وفيه: الدعاء على مَن تعلق تميمة أو ودعة، فيدل ذلك على تحريم تعليق التمائم وأنه شرك.

(ولابن أبي حاتم عن حذيفة: أنه رأى رجلًا في يده خيط من الحمى، فقطعه وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف]**)**.

فالواحد من المشركين يقر بأنَّ الله خالقه وخالق السموات والأرض، وهذا قدر من الإيمان، ولكنه مع ذلك يعبد مع الله غيره

(١) ينظر: النهاية (٥/ ١٦٨).

(٢) ينظر تخريجه في: (ص١٩٦).

فيجمع بين الإيمان والشرك، وهذا معنى الآية: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف]؛ فالإقرار بتوحيد الربوبية إيمان، وعبادة غير الله شرك، والآية وإن نزلت في أهل الشرك الأكبر؛ فحذيفة استدل بها على الشرك الأصغر، وهو لبس الرجل الخيط من الحمى.

قوله: **(رأى رجلًا في يده خيط من الحمى)**: يعني: لبسه بسبب الحمى يستشفي به، يعتقد أنَّ لبسه يرفع الحمى، وهذا الخيط لا ينفع، ولا أثر له في كشف الحمى، ولو قدر أنه شفي فلا نقول: إنه شفي بسبب هذا الخيط؛ لأنَّ هذه أسباب وهمية، لكنه صادف قدرًا.

فأنكر عليه حذيفة؛ لأنه علم أنه إنما علقه لكشف الحمى عنه، فأنكر عليه بالفعل، والمنكر ينكر: بالقول وبالفعل، بحسب الأحوال.

وفي هذا دلالة على إطلاق اسم الشرك على لبس الحلقة والخيط والتميمة والودع.

ونلاحظ أنَّ الرسول ﷺ أنكر على عمران بالقول؛ فقال: «**انزعها**». وبين له أنها شر، وأنها لا تنفع؛ بل لا تزيده إلا وهنًا، وحذيفة قطع الخيط من الرجل ولم يكلمه؛ بل بادر إلى القطع، فالأول إنكار بالقول، وهذا إنكار بالفعل، وعلى الإنسان أن يتحرى من الوسائل ما هو الأجدى، فإذا حصل المقصود بالقول كفى، وإن بادر إلى التغيير بالفعل من غير أن يترتب على ذلك مفسدة؛ فذلك هو الواجب؛ لقوله ﷺ: «**مَن رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه**»(١) الحديث.

(١) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والإنكار بالفعل أبلغ، فقطعُ حذيفة الخيط أبلغ في زجر المتلبس بالذنب، فمن كفاه الإنكار بالقول؛ كما إذا قيل له: انزع الحلقة أو اقطع الخيط، اكتفي بذلك، ومَن لم ينزجر إلا بالفعل، وكان الإنكار عليه بالفعل لا يؤدي إلى العناد والإصرار على المنكر؛ أنكر عليه بالفعل، فالمحتسب عليه أن يراعي المصلحة، ويدرأ المفسدة.

(فيه مسائل:

الأولى: التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك).

قوله: (**لمثل ذلك**): أي لرفع البلاء أو دفعه.

وقوله: (**التغليظ**): أي: التشديد في النهي، وذلك بذكر الوعيد الشديد.

وهذه الفائدة مأخوذة من قوله ﷺ: (**«فإنك لو مت وهي عليك؛ ما أفلحت أبدًا»**)، فهذا فيه تغليظ وتهديد ووعيد شديد، يدل على أنَّ لبس الحلقة ونحوها لرفع البلاء أو دفعه من المنكرات العظيمة، لكن مَن تاب تاب الله عليه.

(الثانية: أنَّ الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح[١]، فيه شاهد لكلام الصحابة: أنَّ الشرك الأصغر أكبر من الكبائر).

قوله: (**«فإنك لو مت وهي عليك؛ ما أفلحت أبدًا»**): هذا وعيد شديد، يدل على أنَّ هذا ذنب عظيم، أكبر من سائر الكبائر؛ لأنه قال: (**«ما أفلحت أبدًا»**)، ولأنَّ أصل الدين: التوحيد، وكل ما يقدح في التوحيد؛ فهو أعظم من غيره.

---

(١) في نسخة التيسير (١/ ٣٠٩): (ما أفلح أبدًا).

يقول الشيخ: (**فيه شاهد لكلام الصحابة: أنَّ الشرك الأصغر أكبر من الكبائر**): فإنَّ لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه الأصل أنه من الشرك الأصغر، إلا أن يعتقد أنَّ الحلقة والخيط مؤثرة دون مشيئة الله وقدرته، وهذا خلاف الغالب؛ لأنَّ الغالب أنَّ مَن يفعل ذلك يعتقد أنها سبب، ويغفل عن كونها مستقلة عن مشيئة الله وقدرته، ومن شواهد ما أشار إليه الشيخ: قول ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقًا»[1] فعنده أنَّ الحلف بالله كذبًا -وهو من كبائر الذنوب- أهون من الحلف بغير الله؛ وقد تقدم التفصيل في مسألة: هل الشرك الأصغر أعظم من الكبائر، وهل هذا القول على إطلاقه؟ في الباب الرابع[2].

(الثالثة: أنه لم يعذر بالجهالة).

لأنَّ الرسول ﷺ أخبره بما يستحق من الوعيد، وقد كان جاهلًا يوم لبسها قبل إنكار النبي ﷺ عليه، وهذه المسألة تحتاج إلى تفصيل:

١-إن كان المراد أنه لم يعذر بالجهالة، وأنه يستحق هذا الوعيد؛ وإن كان جاهلًا، فهذا فيه نظر، فالنصوص يفسر بعضها بعضًا، فالذي يظهر: أنَّ هذا الوعيد مرتب على ما لو أصر على تعليقها، أو لبسها بعد علمه بالنهي والتحريم؛ كسائر الذنوب، إنما يستحق العذاب مَن قامت عليه الحجة؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [الإسراء]، أما لو مات وهي عليه قبل أن يبين له، فالأظهر أنه لا يلحقه هذا الوعيد،

(١) ينظر تخريجه في (ص٦١٦).
(٢) تنظر: (ص١١٢)، (ص١١٤).

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥].

٢- وإن كان مراد الشيخ أنه لم يعذر بالجهل؛ بل أنكر عليه، وقال: («انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهنًا»)؛ فهذا صحيح لا إشكال فيه؛ لأنَّ الجهل لا يمنع من الإنكار، كون الفاعل للمنكر جاهلًا؛ فهذا لا يمنع من الإنكار عليه بحسب الحال، إما بالرفق واللين، أو بالشدة والتغليظ، فالرسول إنما أغلظ في القول تنفيرًا له عن هذا الفعل؛ فقال: («انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهنًا»)؛ أي: لا تزيدك إلا ضعفًا وعلة.

مسألة: في بلد يعرف فيه التوحيد، هل يعذر الساجد للقبر فيه بالجهل؟

الجواب: الجهل أمر تختلف فيه أحوال الناس، فقد يكون الإنسان جاهلًا ولو كان هناك مَن يعرف التوحيد؛ لأنه يكون بعيدًا أو غافلًا ولم ينبه، فالإنسان الجاهل إذا لم يدع ويبين له يبقى على جهله، وهل يعذر بالجهل؟ هذه مسألة أخرى، والمهم أنه جاهل، وما كان منه إعراض ولا تقصير، لكن هو غافل، ولم يتهيأ له مَن يدعوه ويبين له وينكر عليه، فهذا جاهل، وهل يعذر؟ هذا محل نظر وتردد وخلاف بين أهل العلم، أما مَن يقع منه شيء من الشرك الأكبر جهلًا، في حالة عرضية؛ فأرجو أنه معذور، لكن الشأن فيمن يتدين بالشرك، وحياته كلها قائمة على تعظيم الأضرحة ودعاء الموتى، فهذا هو محل النظر، هل يكون معذورًا بسبب جهله؛ حيث لم يتهيأ له مَن يدعوه ويبين له وينكر عليه؟ أم أنه ليس بمعذور؛ لأنَّ هذا هو الشرك المناقض لأصل الدين، فهو مشرك ولا يكون من المسلمين على تقدير أنه غير معذور؟ وهذا محل اجتهاد وتأمل، والأمر خطير، وأرجو -والله أعلم- أنَّ مَن كان جاهلًا على هذا

النحو، ولم يتهيأ له مَن يدعوه ويبين له، أرجو أنه معذور إن شاء الله[(١)]؛ لأنه يؤمن بالله ورسوله، وهو لم يعلم أنَّ هذا يناقض ما جاء به الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فهو يريد تحقيق اتباع النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فيظن أنَّ هذا الصنيع لا ينافي ما جاء به الرسول ﷺ، والأمر خطير، فيجب نشر التوحيد بين المسلمين، ومَن كان من أهل تلك البلاد، وقد مَن الله عليه بمعرفة التوحيد والشرك؛ عليه أن يدعو إلى الله، ويحذر من عبادة غير الله، ومن التعلق بقبور الصالحين، فيقوم بواجب الدعوة إلى الله، ثم الله يفعل ما يشاء: يضل مَن يشاء ويهدي من يشاء، ويحسن هنا أن نذكر نصًّا لشيخ الإسلام ابن تيمية؛ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنا بعد معرفة ما جاء به الرسول؛ نعلم بالضرورة أنه لم يشرع لأمته أن يدعو أحدًا من الأموات، لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، ولا بلفظ الاستعاذة ولا بغيرها، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت، ولا إلى ميت ونحو ذلك؛ بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور، وأنَّ ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين؛ **لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يَتَبَيَّنَ[(٢)] لهم ما جاء به الرسول مما يخالفه**»[(٣)].

---

(١) قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا كنَّا لا نكفِّر من عبد الصنم، الذي على عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهما، لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم، فكيف نكفِّر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا، أو لم يكفر ويقاتل؟ ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ١٦﴾ [النور]». الدرر السنية (١/ ١٠٤).

(٢) هكذا ضبطت في: «الاستغاثة» و«مصباح الظلام» للشيخ عبد اللطيف (ص٤٩٨)، وفي موضع آخر من «مصباح الظلام» (ص٣١١): (يبين). ويقارَن بما في «الأسنة الحِداد» للشيخ ابن سحمان (ص١٥٧).

(٣) الاستغاثة في الرد على البكري (ص٤١١).

(الرابعة: أنها لا تنفع في العاجلة؛ بل تضر لقوله: «لا تزيدك إلا وهنًا»).

من فوائد هذا الحديث: أنَّ الحلقة الملبوسة لا تنفع في العاجلة؛ بل تضر، فيمكن أن يعاقب الإنسان فيزيده الله علة إلى علته، ومرضًا إلى مرضه، زيادة على مرض قلبه بالتعلق بها والاعتماد عليها.

فإما أنها لا تنفع فعلًا، وإلا قد يبتلى الإنسان ويحصل له مطلوبه؛ ابتلاء وفتنة.

وقوله: (**«لا تزيدك إلا وهنًا»**): أي: ما تنفع ولا تزيد إلا ضعفًا؛ بسبب الشرك والمخالفة، فالذنوب لا تزيد الإنسان إلا شرًّا وضعفًا ووهنًا.

(الخامسة: الإنكار بالتغليظ على مَن فعل مثل ذلك).

الإنكار بالتغليظ أسلوب من أساليب الإنكار على مَن فعل مثل ذلك، وهذا قد تختلف فيه الأحوال كما سبقت الإشارة[١]: أنَّ المنكر يختلف باعتبار المنكِر والمنكر عليه، والفعل المنكر، فقد يكون من الحكمة التغليظ، وقد يكون من الحكمة الرفق واللين، وقد يكون من الحكمة الإنكار بالقول، وأحيانًا تكون الحكمة بالإنكار بالفعل؛ فلعل الرسول ﷺ أغلظ لعمران؛ لأنه من فضلاء الصحابة، ومن الناس الذين ينبغي أن يكونوا أبعد من غيرهم عن هذه الجهالات، فمثلًا إذا وقعت المخالفة والتقصير والانحراف من طالب علم، فهذا ليس كالإنسان العادي من سائر الناس، فيستوجب من الإنكار عليه أعظم من غيره.

وهذه الفائدة مأخوذة من قوله: (**«انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو مت وهي عليك؛ ما أفلحت أبدًا»**).

---

(١) تنظر (ص١٨٦).

(السادسة: التصريح بأنَّ مَن تعلق شيئًا؛ وكل إليه).

هذه الفائدة مرتبطة بالباب الآتي، فهذا الباب ليس فيه هذا المعنى: بأنَّ مَن تعلق شيئًا وكل إليه، والبابان بينهما تداخل وتقارب كما سيأتي.

فقوله: **(التصريح بأنَّ مَن تعلق شيئًا وكل إليه)**: يعني: مَن علق شيئًا، وتعلق قلبه به؛ وكله الله إليه، وتركه لما علقه به، ومَن وكله الله إلى نفسه، أو إلى سبب من الأسباب؛ لم يفلح؛ بل لم يكن له من ذلك التعلق إلا الخيبة والخسران.

(السابعة: التصريح بأنَّ مَن تعلق تميمة؛ فقد أشرك).

هذا مستفاد من الرواية الأخرى في حديث عقبة، فهي نص في أنَّ تعليق التميمة شرك، وفي هذا أبلغ تحذير عن تعليق التمائم، فمن تعلق شيئًا وكله الله إليه، وتخلى الله عنه، ومَن وكله الله إلى نفسه وحيلته؛ فهو مخذول ومغبون.

(الثامنة: أنَّ تعليق الخيط من الحمى من ذلك).

كما جاء في قصة حذيفة، وقول المصنف: **(أنَّ تعليق الخيط من الحمى)**: أي: بسبب الحمى أو من أجل الحمى، هو **(من ذلك)**: أي: من الشرك الأصغر، أو من نوع تعليق التمائم بدليل الآية.

(التاسعة: تلاوة حذيفة الآية دليل على أنَّ الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر، كما ذكر ابن عباس في آية «البقرة»).

فإنَّ حذيفة لما قطع الخيط من يد الرجل تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف]. والآية إنما نزلت في

المشركين الشرك الأكبر، ففيها: أنَّ الصحابة كانوا يستدلون بالآيات النازلة في الشرك الأكبر على تحريم الشرك الأصغر؛ لأنَّ الكل فيه تعلق بغير الله، وبجامع الاسم؛ لأنَّ الشرك الأصغر هو نوع من الشرك، ولصاحبه حظ من وعيد المشركين، كما جاء عن ابن عباس في آية البقرة، وهي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة]. قال: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الآية: «الأنداد: هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل»[١]، وذكر من أمثلة الشرك الخفي قول الرجل: «هذا من الله ومنك»، و«لولا الله وأنت»، و«لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص»، و«لولا البط في الدار لأتانا اللصوص»، ففسر التنديد بأمثلة من الشرك الأصغر، والشيخ قد عقد بابًا بهذه الآية كما سيأتي[٢]، فقول ابن عباس: «الأنداد: هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل»: فيه: الاستدلال بالآيات النازلة في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر، من جنس استدلال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكما صنع الشيخ نفسه في الآية الأولى في الباب.

(العاشرة: أنَّ تعليق الودع من[٣] العين من ذلك).

تعليق الودع؛ وهو شيء يستخرج من البحر، وهي: أجسام ملساء تشبه العظام، يعلقها الجهال كذلك لدفع العين: **(من ذلك)**: أي: من قبيل تعليق التمائم، وأنه من الشرك الأصغر.

---

(١) ينظر تخريجه في (ص٦١٥).

(٢) تنظر: (ص٦١٥).

(٣) في نسخة: (عن).

(الحادية عشرة: الدعاء على مَن تعلق تميمة أنَّ الله لا يتم له، ومَن تعلق ودعة فلا ودع الله له. أي ترك الله له).

في حديث عقبة ابن عامر: (**«مَن تعلق تميمة؛ فلا أتم الله له»**)، هذا دعاء عليه بأن لا يتم الله له مطلوبه.

وقوله: (**«فلا ودع الله له»**): كذلك دعاء عليه بأن لا يترك الله له خيرًا ولا أمرًا يحبه، وهذا يدل على التحريم.

وقوله: (**«مَن تعلق تميمة؛ فلا أتم الله له»**): أبلغ من قوله: لا تعلقوا تميمة، والباب الآتي يتضمن زيادة بيان؛ لما تضمنه هذا الباب.

مسألة: ما حكم لبس الحلق والأساور في اليد دون اعتقاد شيء؟ وكيف يكون شركًا؟

الجواب: لبس الخيط والحلقة والأساور لا شك أنَّ للنية فيه تأثيرًا، فمن قصد بما يلبسه من ذلك رفع البلاء أو دفعه؛ كدفع العين، والشفاء من مرض؛ فذلك هو الشرك الذي وردت الأحاديث فيه بالوعيد الشديد؛ كقوله ﷺ للذي لبس حلقة من صفر يستشفي بها من الواهنة: «**انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو مت وهي عليك؛ ما أفلحت أبدًا**»[(١)]. وقال: «**مَن تعلق تميمة فقد أشرك**»[(٢)] ومَن لبس هذه الأشياء زينة؛ فإن كان مما جرت العادة من التزين به، وكان مما يباح التزين به؛ كالمرأة تتزين بسوار الذهب فلا بأس، فأما إن كان

---

(١) سبق تخريجه في (ص١٧٨).
(٢) سبق تخريجه في (ص١٧٩).

مما يحرم التزين به؛ كالذهب للرجل، أو ما فيه تشبه الرجل بالمرأة، أو المرأة بالرجل، أو التشبه بالكفار والكافرات، فمعلوم أنَّ ذلك كله حرام، فهذا الذي يلبس سوارًا أو خيطًا على يده: ينظر في حكمه بناء على هذا التقرير، وكذلك إذا كان الملبوس مما يشتبه ويظن أنه مما يعتقد فيه، فينبغي للمسلم اجتنابه؛ صيانة لعرضه حتى لا يظن به سوءًا، ومَن عرض نفسه للتهم؛ فلا يلومن إلا نفسه.

(٨)

باب ما جاء في الرقى والتمائم

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولًا أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر، أو قلادة إلا قُطِعت»[(١)].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الرقى والتمائم والتولة شرك». رواه أحمد وأبو داود[(٢)].

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعًا: «مَن تعلق شيئًا؛ وكل إليه» رواه أحمد والترمذي[(٣)].

«التمائم»: شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن؛ فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

و«الرقى»: هي التي تسمى العزائم، وخص منها الدليل ما خلا من الشرك؛ فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٥)، ومسلم (٢١١٥).

(٢) أخرجه أحمد (٣٦١٥)، وأبو داود (٣٨٨٣)، ابن ماجه (٣٥٣٠)، وصححه ابن حبان (٦٠٩٠)، والحاكم (٨٢٩٠)، (٧٥٠٥).

(٣) أخرجه أحمد (١٨٧٨١)، والترمذي (٢٠٧٢)، وللحديث شواهد: منها: حديث عمران وعقبة، وقد تقدم في (ص١٧٨).
وحديث أبي هريرة: عند النسائي (٤٠٧٩)، وسيأتي في «باب بيان شيء من أنواع السحر» في (ص٤٩١).

و«التولة»: هي شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

وروى أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا رويفع، لعل الحياة ستطول بك؛ فأخبر الناس أنَّ مَن عقد لحيته، أو تقلد وترًا، أو استنجى برجيع دابة أو عظم؛ فإنَّ محمدًا بريء منه»(١).

وعن سعيد بن جبير؛ قال: «مَن قطع تميمة من إنسان؛ كان كعدل رقبة». رواه وكيع (٢).

وله عن إبراهيم؛ قال: «كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن»(٣).

الشَّرح

يقول الشيخ: (**باب ما جاء في الرقى والتمائم**): يعني هذا باب ذكر ما جاء من الأدلة في حكم الرقى والتمائم، وهذا الباب له ارتباط ظاهر بما قبله، ويمكن أن يقال: إنه أعم منه؛ ففي الباب السابق؛ قال: (**باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه**)، وذكر فيه حديث عقبة بن عامر: (**«مَن تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومَن تعلق ودعة**

(١) أخرجه أحمد (١٦٩٩٥)، (١٦٩٩٦)، (١٧٠٠٠)، وأبو داود (٣٦)، والنسائي (٥٠٦٧)، وجوَّده ابن مفلح في الآداب الشرعية (٣/ ١٥٤) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٧).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٢٣٤٧٣).

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٢٣٤٦٧).

فلا ودع الله له»)، وفي رواية: (**«مَن تعلق تميمة؛ فقد أشرك»**)[١]، وفي هذا الباب ذكر أيضًا حكم الرقى، فهذا الباب أعم من الذي قبله؛ ففيه بيان حكم الرقى والتمائم.

والشيخ أفرد الرقى والتمائم بباب عن لبس الحلقة والخيط؛ ذلك بأنَّ لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه محرم مطلقًا؛ فلهذا جزم في الباب الأول، وقال: (**باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه**)، فجزم بالحكم، وقال: (**باب من الشرك**)، وذكر الأدلة على هذا، أما هذا الباب فلم يصرح؛ بل أبهم وأجمل؛ فقال: (**باب ما جاء في الرقى والتمائم**)؛ يعني: باب ما جاء من النهي عنها، وما جاء فيها من الرخصة، وهذا مما يدل على فقه الشيخ ودقته في تراجم الكتاب، فذكر أنَّ الرقى والتمائم فيها تفصيل[٢]، فالرقى منها ما هو مشروع؛ كما في قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لا رقية إلا من عين أو حمة**»[٣]، ومنها ما هو محرم؛ ولهذا قال الشيخ في نفس الباب: (**و«الرقى»: هي التي تسمى العزائم، وخص منها الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة**).

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا**»[٤]، فالرقى المحرمة هي الرقى المشتملة على الشرك، أو الرقى المجهولة

(١) تقدم تخريجه في: (ص١٧٨).
(٢) ينظر: التيسير (١/ ٣١٨).
(٣) سبق تخريجه في: (ص٧٩).
(٤) أخرجه مسلم (٢٢٠٠) -بنحوه-، وأبو داود (٣٨٨٦) -واللفظ له- من حديث عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

التي لا يُدرى ما حقيقتها، والتمائم فيها تفصيل؛ فالتمائم التي من القرآن فيها خلاف، وقد ذكره الشيخ في هذا الباب، وذكر تفسير التمائم: أنه شيء يعلق على الصبيان لدفع العين.

قوله: **(في الصحيح)**: أي: «صحيح البخاري»: **(عن أبي بشير الأنصاري أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولًا)**، هو زيد بن حارثة كما جاء في بعض الروايات(١).

(«أن لا يبقين في رقبة بعير»): أي: أمره أن يبلغ الناس، أو أن يفعل ذلك بنفسه، بألا يترك على بعير من إبل الجيش أو ممن حوله.

(«قلادة من وتر»): الوتر: واحد الأوتار، وهو الخيط من جلد يكون بين طرفي القوس، كان أهل الجاهلية يعلقون الأوتار على الإبل لدفع العين والبلاء؛ فهو من جنس التميمة(٢).

(«أو قلادة إلا قطعت»): (أو): للشك من الراوي، يعني هل قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **(«أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر»)**، أو قال: **(«أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة»)** فقط، بدون قوله: **(«وتر»)**؟ والصواب أنَّ النهي عام لا يختص بالوتر(٣)، فيدل على تحريم تعليق الخيوط والأوتار، سواء من جلد أو قطن، أو من أي نوع كان، فتعليق شيء من ذلك لدفع

---

(١) ينظر: التمهيد (١٧/ ١٦٠)، ومقدمة فتح الباري (ص٢٩١).
(٢) ينظر: النهاية (٥/ ١٤٩)، ولسان العرب (٥/ ٢٧٥).
(٣) يؤيد رواية الإطلاق ما جاء عند أبي داود (٢٥٥٢) بلفظ: «قلادةٌ من وتر، ولا قلادة» بالجزم. ينظر: شرح مسلم للنووي (١٤/ ٩٥-٩٦)، وفتح الباري (٦/ ١٤١-١٤٢).

البلاء والعين أو رفع المرض؛ كله من الشرك، سواء كان على حيوان أو إنسان، هذا هو المقصود، أما لو كانت قلادة من أجل الزينة؛ كمن يضع على بهيمته قلادة يزينها بها، أو لشد شيء في الحيوان؛ فليس من هذا الباب، وكذلك الشأن في الإنسان.

قوله: («**إلا قطعت**»): هذا من التغيير للمنكر باليد، يعني أرسل النبي ﷺ رسولًا بأن يقطع ما يجد هذا الرسول، أو يأمر الناس بقطع ما في أعناق إبلهم، وكذلك الغنم أو البقر، فهذا لا يختص بالإبل، لكن ذكر الإبل خرج مخرج الغالب، أو لأنه الواقع.

فهذا الحديث فيه: الأمر بقطع ما يعلق بناء على اعتقاد جلب النفع ودفع الضر؛ من وتر أو غيره على الصحيح، وفيه دلالة على أنه ينبغي لولي الأمر أن يرسل مَن ينكر المنكر بالقول أو بالفعل.

(وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الرقى والتمائم والتولة شرك». رواه أحمد وأبو داود).

هذا الحديث يدل بظاهره على أنَّ الرقى شرك، والتمائم شرك، والتولة شرك، وهذا نهي أكيد: عن الرقى والتمائم والتولة.

وقوله: **(وعن عبد الله بن عكيم مرفوعًا: «مَن تعلق شيئًا؛ وكل إليه» رواه أحمد والترمذي):**

أي: مَن علق شيئًا وتعلق به قلبه، وكله الله إليه، ومعنى ذلك أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعرض عنه ويتركه؛ بل يكله إلى ما لا ينفعه؛ كما قال تعالى: ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ١٣﴾ [الحج].

في هذا تحذير من تعليق التمائم لدفع العين أو لرفع البلاء، وأنه إذا تعلق به واعتمد عليه؛ وكله الله إليه، وأعرض عنه، وحجبه من رحمته، وحرمه من ولايته، ومَن وكله الله إلى نفسه أو أسبابه أو حيلته؛ فهو ضال ضائع هالك!

قوله: (**«التمائم»: شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه. منهم ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.)

فسر الشيخ التمائم بقوله: (**شيء يعلق على الأولاد**)، يزعمون أنه يدفع العين[1]، وهذا تفسير بشيء من الواقع من أجل التوضيح بالمثال، وإلا فالتمائم أعم من ذلك، فاسم التميمة يشمل كل ما يعلق للرفع أو الدفع من كتب أو ودع أو خرز أو حديد مما كان معروفًا عند الناس قديمًا، وفي حكمه ما أحدثه الناس في هذا العصر: كسوار الطاقة ووردة البرسيم، لكن سوار الطاقة إذا ثبت طبيًا أنَّ للبسها فائدة محققة فلا بأس بها، وأما «وردة البرسيم» فلا يجوز اقتناء هذه الماركة؛ لأنها ترمز إلى عقيدة النصارى، فيجب الحذر والتحذير من ترويجها والدعاية لها[2]، وإذا كان المعلق من القرآن ففيه خلاف[3]:

---

(١) ينظر: النهاية (١/ ١٩٧-١٩٨).
(٢) وهي ماركة «فان كليف» (Van Cleef) فرمزها وردة البرسيم يرمز لشيئين: لجلب الحظ، ولصليب القديس باتريك الذي يُحتفَل بعيده في إيرلندا في السابع عشر من شهر مارس-آذار.
(٣) ينظر: التيسير (١/ ٣٢٦).

قال الشيخ: **(فرخص فيه بعض السلف)**: كما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص[١].

(وبعضهم لم يرخص فيه): وجعل التمائم من القرآن من جملة المنهي عنه، وممن منع التمائم التي من القرآن: ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢].

والصواب والراجح -والله أعلم- هو تحريم التمائم مطلقًا، وإن كانت من القرآن؛ وذلك لثلاثة أسباب[٣]:

أولًا: عموم الأدلة؛ لأنَّ الأدلة الدالة على تحريم التمائم ليس فيها استثناء؛ كما في الحديث: «**إنَّ الرقى والتمائم والتولة شرك**»، وقوله ﷺ: «**مَن تعلق تميمة، فلا أتم الله له**»، وقوله: «**مَن تعلق تميمة فقد أشرك**»[٤].

وثانيًا: أنَّ تعليق التمائم من القرآن وسيلة لتعليق غيرها؛ فلو قلنا بجواز تعليق التمائم من القرآن لم نستطع أن ننكر على مَن علق أي تميمة، أو أي حجاب، أو أي كتاب.

---

(١) أخرجه أحمد (٦٦٩٦)، وأبو داود (٣٨٩٣)، والترمذي (٣٥٢٨)، وفيه: وكان عبد الله بن عمرو يعلمهن (أي كلمات: «أعوذ بكلمات الله التامة، من غضبه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون») من عقل من بنيه، ومن لم يعقل كتبه فعلقه عليه. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب»، وضعفه الألباني في تخريج الكلِم الطيب (رقم ٤٩)، ورُوي عن بعض السلف. ينظر: المصنف لابن أبي شيبة (٥/ ٤٣-٤٤) «باب من رخَّص في تعليق التعاويذ»، وقال الشوكاني في تحفة الذاكرين (ص١١٩): «قد ورد ما يدل على عدم جواز التمائم فلا تقوم بفعل عبد الله بن عمرو حجة».

(٢) ينظر: المصنف لابن أبي شيبة (٥/ ٣٥-٣٦) «باب في تعليق التمائم والرقى»، فقد ذكر آثارًا عن ابن مسعود وعمران وحذيفة وعقبة بن عامر وغيرهم.

(٣) ينظر: فتح المجيد (١/ ٢٤٤-٢٤٥).

(٤) سبق في: (ص١٧٨).

وثالثًا: أنَّ تعليق التمائم من القرآن يؤدي إلى امتهان القرآن؛ فإنَّ الذي يعلقها لا بد أن يدخل بها عامدًا أو ناسيًا أماكن قضاء الحاجة، ويعلقها بداخل بدنه؛ فتكون في مغابن البدن، فكثيرًا ما يعلقها في رقبته وتكون تحت إبطه؛ فتكون في الأماكن المستكرهة التي تنبعث منها الروائح الكريهة.

فلهذا كان الراجح: هو تحريم تعليق التمائم التي من القرآن، أما التي من غير القرآن؛ فإنها محرمة بالاتفاق، والله أعلم.

قوله: **(و«الرقى»: هي التي تسمى العزائم، وخص منها الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة)**.

يقول الشيخ: **(و«الرقى»: هي التي تسمى العزائم)**: أي: يسميها الناس العزائم، وهي: استعمال عربي أصيل؛ لأنَّ الراقي يعزم بالنفث بقوة على المريض واللديغ[(١)].

والرقى: جمع رقية، وهي القراءة مع النفث على موضع الألم[(٢)]، فما كان منها من القرآن، ومن الأدعية المأثورة، والأدعية الواضحة الحسنة؛ فتلك رقية جائزة، لكن الرقية بالنسبة للراقي مستحبة؛ لأنه محسن، وبالنسبة للمرقي جائزة، إلا أنه يستحب ترك الاسترقاء للحديث المتقدم في صفة السبعين ألفًا، وهو قوله ﷺ: «**هم الذين لا يسترقون**»[(٣)]، وذكر الرقى في الأحاديث كثير؛ كقوله ﷺ: «**لا رقية إلا من عين أو**

(١) ينظر: لسان العرب (١٢/ ٤٠٠).
(٢) ينظر: لسان العرب (١٤/ ٣٣٢)، وفتح الباري (٤/ ٤٥٣).
(٣) سبق تخريجه في (ص٨٠).

حمة»[١]، وقوله ﷺ: «**اعرضوا علي رقاكم**»[٢]، وسئل عن الرقى فقال: «**لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا**»[٣]، وأذن ﷺ في الرقية، وأقر الذي رقى اللديغ[٤]، ورقى النبي ﷺ نفسه[٥]، ورقاه جبريل[٦]؛ فعلم أنَّ الرقى فيها تفصيل.

وأما التمائم التي تشتمل على الطلاسم والرسومات، أو على دعاء الشياطين، أو الاستغاثة بالموتى والغائبين؛ فذلك بالنسبة للكاتب شرك أكبر، وبالنسبة للمعلق شرك أصغر؛ لأنَّ الغالب أنه لا يدري ماذا في هذا الكتاب، فهو كتاب يكتب فيه ما يكتب، ثم يوضع في غلاف، وإن كان يعلم؛ فحكمه حكم الكاتب؛ لأنَّ الراضي بالشرك كالمشرك.

قوله: **(وخص منها الدليل ما خلا من الشرك)**: يعني أنَّ حديث ابن مسعود عام، وفيه أنَّ الرقى شرك، والأدلة الدالة على جواز الرقية الخالية عن الشرك مخصصة للعموم، فيستثنى من هذا العموم: الرقى التي لا شرك فيها؛ للأدلة الدالة على إباحة الرقية الخالية من الشرك، وذلك كما في حديث بريدة بن الحصيب أنَّ النبي ﷺ قال: «**لا رقية إلا من عين أو حمة**»، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا الحديث في: (باب مَن حقق

---

(١) سبق تخريجه في (ص٧٩).
(٢) أخرجه مسلم (٢٢٠٠) عن عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه مسلم (٢٢٠٠) -بنحوه-، وأبو داود (٣٨٨٦) -واللفظ له- من حديث عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) أخرجه البخاري (٢٢٧٦)، ومسلم (٢٢٠١) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٥) أخرجه البخاري (٤٤٣٩) عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بلفظ: أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات، ومسح عنه بيده...
(٦) أخرجه مسلم (٢١٨٦) من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

التوحيد دخل الجنة بغير حساب)[١]، وهكذا ما صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا**»[٢].

والمقصود: أنَّ قوله ﷺ: «**إنَّ الرقى والتمائم والتولة شرك**»؛ يعني: الرقى التي كان يستعملها أهل الجاهلية؛ فعلم مما تقدم أنه يشترط للرقية المباحة ثلاثة شروط[٣]:

أحدها: خلوها من الشرك، ويتحقق ذلك بأن تكون بالقرآن، والأدعية المشروعة والمباحة.

الثاني: أن تكون بلغة مفهومة، إما العربية أو غيرها، ولا تجوز بغير العربية إلا أن تكون مفهومة المعنى.

الثالث: عدم الاعتماد عليها في حصول الشفاء؛ لأنها سبب والاعتماد على الأسباب شرك في التوحيد.

وقوله: **(و«التولة»: هي شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته)**:

يظهر من هذا التفسير أنَّ التولةَ ضَربٌ من السحر، ويُسمَّى في هذا الوقت: العطفُ، فالسحرُ الذي يقصد به التأثير على العواطف؛ نوعان:

سحر عطف يزيد في حب المتحابين.

---

(١) تنظر: (ص٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٠٠) -بنحوه-، وأبو داود (٣٨٨٦) -واللفظ له- من حديث عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) ينظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٢/ ٥٦٢)، وفتح الباري (١٠/ ١٩٥).

وسحر صرف: ينفر كلًّا من المتحابَّين عن الآخر، ويبغّضه إليه، وكل من العطف والصرف حرام، وسحر الصرف هو المذكور في القرآن في قوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢].

والتفريق بين الزوجين هو ضد المقصود الشرعي، فإنَّ من المقاصد الشرعية: التأليف بين الزوجين، واستمرار الحياة الزوجية؛ ولهذا كان إفساد المرأة على زوجها وتنفيرها منه من أعظم المنكرات.

وقد يقول بعض الناس: إنَّ تحبيب الرجل إلى زوجته والمرأة إلى زوجها أمر مطلوب؛ فأقول: إنَّ التولة حرام وشرك كما في الحديث؛ وإن كانت تحبيبًا للزوجين؛ لأنَّ هذا الحب الذي ينشأ عن السحر ليس حبًّا حقيقيًّا نابعًا عن عقل وفكر واختيار؛ بل هذا تأثير ناشئ عن هذا العمل السحري الشيطاني؛ ولهذا لا يكون حبًّا طبيعيًّا معتدلًا متزنًا؛ بل يكون هذا الحب الذي ينشأ عن عمل السحر فيه إفراط؛ بحيث يتعلق الرجل بالمرأة ويفرط بحبها، ويفتتن بها، حتى إنه ربما يفتضح بين الناس بكثرة ذكره لها، وكلامه فيها، وعدم صبره عنها، وهكذا المرأة.

إذن: هذا ليس من التحبيب الذي ينشأ عن فكر واختيار ونظر للمحاسن؛ بل هذا تأليف شيطاني؛ فلا يعول عليه ولا يغتر به.

ثم قال الشيخ: **(وروى أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا رويفع! لعل الحياة ستطول بك؛ فأخبر الناس أنَّ مَن عقد لحيته، أو تقلد وترًا، أو استنجى برجيع دابة أو عظم؛ فإنَّ محمدًا بريء منه»)**.

حديث رويفع الذي رواه الإمام أحمد فيه: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: (**«يا رويفع! لعل الحياة ستطول بك»**)، هذا رجاء من الرسول ﷺ أنَّ الحياة

ستمتد، وسيطول عمر رويفع، وقد طال عمره كما جاء عن النبي ﷺ[(١)]، وهذا وإن كان بأسلوب الرجاء؛ فهو خبر كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم؛ فقد غفرت لكم**»[(٢)].

قوله: («**فأخبر الناس أنَّ مَن عقد لحيته، أو تقلد وترًا، أو استنجى برجيع دابة أو عظم؛ فإنَّ محمدًا بريء منه**»): في هذا وعيد شديد على مَن فعل شيئًا من هذه الثلاثة:

أولًا: («**مَن عقد لحيته**»): عقد اللحية: فتلها أو عقدها العقد المعروف إذا كانت طويلة، أو يفتلها ويجعلها من نوع الضفائر، قيل: إنَّ هذا مما يفعله بعض الأعاجم تكبرًا وتعاظمًا، إذ يجعل للحيته هيئة تختلف عن سائر الناس، فيجعل لها مظهر كبر وتعاظم[(٣)].

ثانيًا: («**أو تقلد وترًا**»): يعني علقه، وتعلق قلبه به؛ رجاء نفع، أو دفع ضر.

ثالثًا: («**أو استنجى برجيع دابة**»): أي: روث الدابة («**أو عظم؛ فإنَّ محمدًا بريء منه**»).

فدل الحديث أنَّ كلًّا من هذه الأمور الثلاثة حرام: عقد اللحية، وتقلد الوتر لجلب النفع أو دفع الضر، والاستنجاء بالروث أو العظم.

---

(١) فقد مات سنة (٥٦هـ) ببرقة. ينظر: تاريخ ابن يونس (١/ ١٨٠ رقم ٤٨٤)، والإصابة (٣/ ٥٥٦ رقم٢٧١٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) -واللفظ له- عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) ينظر: النهاية (٣/ ٢٧٠)، وذكر الخطَّابي في معالم السنن (١/ ٢٧) وجهًا آخر وهو أنه فِعل أهلِ التأنيث.

وقد ثبت عن النبي ﷺ في الأحاديث النهي عن ذلك؛ كما في حديث سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي رواه مسلم قال: «لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم»[(١)].

وفي حديث رويفع ما يدل على أنَّ ذلك من كبائر الذنوب؛ لقوله: («**فإنَّ محمدًا بريء منه**»)، فالعمل الذي يتبرأ النبي ﷺ من صاحبه ليس من صغائر الذنوب؛ بل هو من كبائرها[(٢)].

والشاهد من الحديث قوله: («**أو تقلد وترًا**»)، ففيه الدليل على أنه من كبائر الذنوب؛ كيف وقد جاء أنَّ تعليق مثل ذلك شرك!

(وعن سعيد بن جبير، قال: «مَن قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة». رواه وكيع).

هذا من قول سعيد، وهو مما لا مجال للرأي فيه؛ فله حكم الرفع، لكنه يكون من قبيل المرسل؛ لأنَّ سعيد بن جبير تابعي[(٣)]، والشيخ استشهد به ولم يعتمد عليه، فهو يؤكد ما سبق من تحريم تعليق التمائم، ووجوب إنكارها بالقول أو بالفعل؛ لأنَّ قول سعيد يدل على فضل إنكار التمائم.

قوله: (**مَن قطع تميمة من إنسان**): أي: قطعها منكرًا لذلك؛ كما فعل حذيفة في قطع الخيط؛ فقطعه وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف][(٤)].

---

(١) برقم (٢٦٢).
(٢) ينظر: شرح الطحاوية لشيخنا (ص٢٥٣).
(٣) ينظر: التيسير (١/ ٣٣٦).
(٤) سبق تخريجه في (ص١٧٩).

وقوله: **(كان كعدل رقبة)**: يعني: قطعه لها يعدل أجر عتق الرقبة، ومعلوم ما في عتق الرقبة من الفضل.

(وله عن إبراهيم؛ قال: «كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن»).

(وله) أي: لوكيع.

(عن إبراهيم): وهو النخعي، أحد أصحاب ابن مسعود. وقوله: **(كانوا)**: أي: أصحاب ابن مسعود، فالصحابي إذا قال: «كانوا» فهو يريد الصحابة، والتابعي إذا قال: «كانوا» يريد التابعين أو بعض الصحابة.

(يكرهون): أي: كراهة التحريم.

قوله: **(التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن)**: هذا ما أشار إليه الشيخ فيما سبق بقوله: **(لكن إذا كان المعلق من القرآن؛ فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)**.

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير الرقى والتمائم).

هو ما ذكره الشيخ بقوله: **(و«الرقى»: هي التي تسمى العزائم، وخص منها الدليل ما خلا من الشرك)**، و**(«التمائم»: شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين)**؛ أي: يزعمون أنه يدفع العين.

(الثانية: تفسير التولة).

وهو قوله: **(و«التولة»: هي شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته)**.

(الثالثة: أنَّ هذه الثلاثة كلها من الشرك من غير استثناء).

هذا ليس بظاهر، فإنه قد سبق استثناء ما رخص فيه من الرقى، وتقدم قول الشيخ: **(ورخص منها الدليل ما خلا من الشرك)**، فالمراد بالرقى في الحديث: الرقى الشركية، فأما الرقية بالأدعية والتعاويذ الشرعية فلا بأس بها، وأما التمائم إذا كانت من القرآن؛ فقد رخص فيها بعض السلف؛ فلا يستقيم قول الشيخ: **(من غير استثناء)**، يريد ظاهر حديث ابن مسعود: **(«إنَّ الرقى والتمائم والتولة شرك»)**؛ لأنه قال بعد الحديث: **(ورخص منها الدليل ما خلا من الشرك)**.

(الرابعة: أنَّ الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك).

أنَّ الرقية من العين والحمة بالكلام المشروع والأدعية المشروعة المأثورة والآيات القرآنية مرخص فيها، فليست من الرقى التي هي شرك، فلا تدخل في عموم حديث: **(«إنَّ الرقى والتمائم والتولة شرك»)**؛ بل المقصود بالحديث الرقية المشتملة على الشرك كما قال ﷺ: **«لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا»**[1].

(الخامسة: أنَّ التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء هل هي من ذلك أم لا؟).

يعني من مسائل هذا الباب: أنَّ التميمة من القرآن مختلف فيها، فابن مسعود وأصحابه على المنع، وعبد الله بن عمرو على الجواز، وتقدم ترجيح القول بالمنع.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠٠) -بنحوه-، وأبو داود (٣٨٨٦) -واللفظ له- من حديث عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(السادسة: أنَّ تعليق الأوتار على الدواب عن[١] العين من ذلك).

هذا مأخوذ من حديث أبي بشير الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره؛ فأرسل رسولًا: **(«أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت»)**، ففيه الدلالة على أنَّ تعليق الأوتار على الدابة هو من جنس تعليق التمائم.

ولا فرق بين تعليق التمائم والأوتار؛ سواء على الإنسان، أو على الدابة أو السيارة، وبعضهم يعلق حذاءً يجعلها في مؤخرة السيارة، وأشياء أخرى يعلقونها، حتى لو علق شيئًا يزعم أنه يطرد الشياطين؛ كما يقال: تعليق جلد الذئب بدعوى أنه يطرد الجن، هو من جنس تعليق التمائم، وكذا تعليق عظم الذئب أو غيره، ودعوى أنَّ الجن تخاف الذئب وتنفر من المكان الذي يعلق فيه جلده أو عظمه خرافة لا حقيقة لها[٢]؛ بل وتعليق الآيات القرآنية في البيت أيضًا ممنوع؛ كتعليقها على الجدران، لكن باعتبار آخر: إن كانت زينة ففيها امتهان لكتاب الله، وإن كانت عبادة كوضعها للتذكير؛ فهي بدعة، وإن كانت لدفع الشياطين والشرور والبلاء؛ فهي نوع من تعليق التميمة[٣].

(السابعة: الوعيد الشديد على مَن تعلق وترًا).

هذا مستفاد من حديث رويفع، وهو قوله: **(«فإنَّ محمدًا بريء منه»)**.

---

(١) في بعض النسخ (من العين) وقال شيخنا: «(عن العين) هي الصحيحة».
(٢) ينظر: معارج القبول (٢/ ٦٢٣)، وفتاوى نور على الدرب لابن باز (١/ ٣١٥).
(٣) ينظر: فتاوى نور على الدرب لابن عثيمين (٢/ ١٢٨).

(الثامنة: فضل ثواب مَن قطع تميمة من إنسان).

هذا مأخوذ من قول سعيد بن جبير، وهو مرسل كما تقدم؛ قال: («**مَن قطع تميمة من إنسان؛ كان كعدل رقبة**»)؛ يعني: كعتق رقبة.

(التاسعة: أنَّ كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف؛ لأنَّ مراده أصحاب عبد الله بن مسعود).

إبراهيم لا يريد الصحابة في قوله: **(كانوا)**، وإنما يريد أصحاب عبد الله بن مسعود؛ فلا يخالف ما ذكره الشيخ في قوله: **(فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه)**؛ لأنَّ إبراهيم إنما يريد بعض السلف، لا يريد بقوله: **(كانوا)** جميع السلف.

(٩)

باب مَن تبرك بشجرة[١]، أو حجر، ونحوهما

وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠﴾ [النجم].

عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر! إنها السنن! قلتم -والذي نفسي بيده- كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾ [الأعراف]. لتركبن سنن مَن كان قبلكم». رواه الترمذي وصححه[٢].

الشَّرح

يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (باب مَن تبرك بشجرة، أو حجر، ونحوهما): يعني: وما أشبههما مما يتبرك به المشركون والجهال. **(ونحوهما)**: أي: من قبر أو عين أو مغارة وغير ذلك مما يتعلق به الجهال والخرافيون.

(١) في نسخة: (بشجرٍ)، وقال شيخنا: «كلاهما بمعنى واحد، والأفضل إثبات شجرة».
(٢) أخرجه أحمد (٢١٨٩٧)، وصححه الترمذي (٢١٨٠)، وابن حبان (٦٧٠٢).

والشيخ أجمل في الترجمة؛ فقال: **(باب مَن تبرك بشجرة، أو حجر، ونحوهما)**؛ يعني: هذا باب بيان حكم مَن تبرك بشجر أو حجر ونحوهما؛ فحذف جواب الشرط؛ لأنَّ التبرك على مراتب، فمنه شرك أكبر، ومنه ما هو شرك أصغر، ومنه ما هو وسيلة إلى الشرك كما سيأتي تفصيله، وبهذا تظهر مناسبة الباب لـ «كتاب التوحيد».

والبركة: هي كثرة الخير ونماؤه، فهذا هو أصل البركة[1]، والله تعالى هو ذو البركة الذاتية، فهو سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ الذي تبارك في نفسه؛ قال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون]، و﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٧٨]، و﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف]؛ فهو ذو الفضل العظيم، وبيده الخير كله، وهو الذي يجعل البركة فيمن شاء وفيما شاء، وهو الذي يبارك على مَن يشاء، ويبارك فيمن شاء، ومَن جعل الله فيه البركة فهو مبارك، فلا يقال لأحد: «تبارك» إلا الله، ولا يقال: تبارك كذا من الأشياء؛ لأنَّ هذا يدل على البركة الذاتية، فتبارك يعني: تعالى وتقدس وكثر خيره سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وكمل في صفاته ونعوت جلاله، فالله تعالى يبارك، والعبد مبارك[2].

والتبرك هو تفعّل من البركة، وهو طلب البركة والتماسها من الشيء، فالتبرك مثلًا بالأشجار: طلب البركة منها، والتبرك بالحجر: طلب البركة من الحجر، ويكون: بالتمسح والتقبيل والإقامة، أو بالطواف، أو بالصلاة عند القبر، أو عند الشجرة، أو بالذبح عندها، وهذه

---

(١) ينظر: لسان العرب (١٠/ ٣٩٥).
(٢) ينظر: بدائع الفوائد (٢/ ٦٨٠-٦٨١)، وجِلاء الأفهام (ص٣٤٨-٣٥٤).

الأفعال منها ما يكون وسيلة إلى الشرك؛ كالتمسح، والتقبيل، والصلاة لله عند القبر، أو الذبح لله عند القبر؛ رجاء البركة، وأنَّ هذا أفضل؛ فهذا كله وسيلة إلى الشرك، ويجر إلى دعاء المتبرك به، أو الصلاة له، أو الذبح له، أو التقرب إليه بأنواع من أنواع العبادة.

وهذا التبرك الذي هو طلب البركة فيه تفصيل:

فالتبرك الذي هو: طلب البركة التي جعلها الله في الذات المباركة على الوجه المشروع، فهذا جائز أو مشروع، وله صور منها:

١ . التبرك بذات النبي ﷺ وآثاره، فقد كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتبركون بآثار النبي ﷺ: بعرقه[١] ووضوئه[٢] وشعره[٣]؛ لأنه مبارك؛ بل ذاته ﷺ هي أبرك ذوات المخلوقين، فإنَّ الله جعل في ذاته من البركة ما ليس في أحد من الناس مثلها، فكان الصحابة يتبركون ويستشفون بآثاره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في حياته وبعد مماته، لكن ما يدعى في عصرنا هذا من وجود شعرة أو لباس؛ فإنه لا يتبرك به لعدم ثبوته، والمخبرون بذلك لا يوثق بهم، ولا دليل عندهم.

فهذا من التبرك الجائز، يعني طلب البركة التي جعلها الله في العين المباركة، فطلبها على الوجه المشروع جائز، والصحيح أنَّ ما يفعله الصحابة من التبرك خاص بالنبي ﷺ[٤].

(١) كما عند البخاري (٦٢٨١)، ومسلم (٢٣٣١) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) كما عند البخاري (٢٧٣١) من حديث المِسْوَر بن مَخْرَمَة، والبخاري (١٨٧)، ومسلم (٥٠٣) من حديث أبي جُحيفة.
(٣) كما عند البخاري (١٧١)، ومسلم (١٣٠٥) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) ينظر: الاعتصام (٢/ ٣٠٢-٣٠٣)، والحِكم الجديرة بالإذاعة لابن رجب (ص٥٥).

٢. ماء زمزم مبارك، فالتبرك به بمعنى الاستشفاء به، وتحري ما جعل الله فيه من البركة أمر مشروع؛ لما ثبت في «صحيح مسلم» أنَّ النبي ﷺ قال في ماء زمزم: «**إنها مباركة، إنها طعام طعم**»[(١)]، زاد الطيالسي والبيهقي: «**وشفاء سقم**»[(٢)]. وروي أنه ﷺ قال: «**ماء زمزم لما شرب له**»[(٣)]

فالأمور التي علم أنَّ الله بارك فيها، وجعلها مباركة؛ كالمواضع المباركة، والأعيان المباركة؛ فإنه يجب اعتقاد ما لها من خصوصية، ولكن لا يجوز أن يفعل معها وفيها إلا ما شرع الله، فلا يلزم من كون الشيء مباركًا أن تطلب بركته إلا بما شرع الله، فأفضل البقاع المسجد الحرام الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝٩٦﴾ [آل عمران]، فمراعاة هذا الفضل يكون بما شرع الله كالطواف بالبيت والاعتكاف والصلاة، قال الله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۝١٢٥﴾ [البقرة]، هذا هو المشروع، ويكون أيضًا باستلام الحجر الأسود وتقبيله، واستلام الركن اليماني؛ اقتداء بالنبي ﷺ.

---

(١) برقم (٢٤٧٣).

(٢) أخرجه الطيالسي (٤٥٩)، والبزار (٣٩٢٩)، والبيهقي (٩٧٤٣)، وقال الحافظ ابن حجر في مختصر البزار (١/ ٤٧٠ رقم ٨٠١)، والألباني في مختصر مسلم (٢/ ٤٥٤ رقم ١٧٠٤) بأن إسناده على شرط مسلم.

(٣) أخرجه أحمد (١٤٨٤٩) وابن ماجه (٣٠٦٢) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال السخاوي في المقاصد الحسنة (٩٢٨): «صححه من المتقدمين ابن عيينة، ومن المتأخرين الدمياطي في جزء جمعه فيه، والمنذري، وضعفه النووي»، وقال ابن القيم في زاد المعاد (٤/ ٣٩٣): «فالحديث إذن حسن، وقد صححه بعضهم، وجعله بعضهم موضوعًا، وكلا القولين فيه مجازفة».

وأما استلام سائر الأركان، أو المقام، أو جدار الحجر، أو أي بناء في المسجد الحرام باليد أو تقبيله أو التمسح به، كل ذلك بدعة[١]، وهو من فعل الجهلة الذين يغلون في الجمادات، ويعتقدون الفضل والبركة فيما ليس فيه فضل ولا بركة، ويغلون في بعض البقاع والمواضع والأشياء المباركة، ويتجاوزون فيها الحد، فمقام إبراهيم -مثلًا- له فضل، فإنَّ الله نوه به فقال: ﴿فِيهِ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥]، لكن ليس من المشروع التمسح به، ولا تقبيله، وكذلك أركان البيت، وقد نبه على هذا المعنى الشيخ عبد الرحمن السعدي في تعليقه على هذا الباب في كتابه الوجيز المختصر على «كتاب التوحيد»؛ المسمى: «القول السديد شرح كتاب التوحيد»[٢].

ويستثنى من ذلك الوقوف في الملتزم؛ وهو ما بين الركن الذي فيه الحجر الأسود والباب[٣]، والدعاء في ذلك المكان، فقد ورد أنَّ النبي ﷺ كان يلتزم البيت فيضع صدره وخده وذراعيه[٤]، وفعل ذلك كثير من

(١) ينظر: الإيضاح في المناسك للنووي (ص٣٩٢-٣٩٣)، واقتضاء الصراط (٢/ ٣٣٥-٣٣٦).
(٢) (ص٥١). وطُبع أيضًا بعنوان: «القول السديد في مقاصد التوحيد».
(٣) ينظر: المطلع على ألفاظ المقنع (ص٢٤٠).
(٤) أخرجه أبو داود (١٨٩٩)، وابن ماجه (٢٩٦٢)، قال الألباني في مناسك الحج والعمرة (ص٢٢): «رُوي ذلك عن النبي ﷺ من طريقين يرتقي الحديث بهما إلى مرتبة الحسن، ويزداد قوة بثبوت العمل به عن جمع من الصحابة منهم ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقال: هذا الملتزم بين الركن والباب وصح من فعل عروة بن الزبير أيضًا. وكل ذلك مخرج في الأحاديث الصحيحة (٢١٣٨)».

الصحابة بعده[(١)]، وذكر الفقهاء استحباب ذلك؛ أي: استحباب الوقوف في الملتزم والدعاء؛ لما روي من الآثار، وذكروا أنه من مواطن الإجابة[(٢)]، وذكروا وقائع من الدعوات المستجابة عند الملتزم[(٣)].

فطلب البركة التي جعلها الله في الذات المباركة على الوجه المشروع خارج عما نحن فيه؛ لأنَّ الشيخ لا يقصد هذا، لكن لا بد من التنبيه على ذلك.

والشيخ يقصد:

١. تبرك المشركين بما لم يجعل الله فيه بركة.

٢. أو التبرك بما فيه بركة لكن على غير الوجه المشروع.

فطلب البركة وتحريها مما لم يجعل الله فيه بركة؛ كشجرة من أشجار الصحراء، فهذا غير جائز؛ لأنَّ هذه الأشجار ليس لها خصوصية، فإن كانت من الشجر الذي جعل الله فيها منفعة فلينتفع بها على وجهه: إن كان فيها دواء يتداوى به، وإن كان فيها غذاء يُغتذى به، وإن كان لها ظل يستظل بها، لكن أن تلتمس فيها البركة الخفية بمجرد الملابسة والعكوف عندها والتعلق بها، والتعليق عليها فهذا إما شرك أو وسيلة إلى الشرك، وكذلك الأمر بالنسبة للأحجار، كطريقة المشركين الذين ينصبون تماثيل وأصنامًا ويتبركون بها، أو إذا وجدوا حجرًا واستحسنوه

---

(١) ينظر: المصنف لابن أبي شيبة (٣/ ٢٣٦) وما بعدها.

(٢) ينظر: المغني (٥/ ٣٤٢).

(٣) ينظر: شعب الإيمان (١٠/ ٢٢٨، رقم٩٨٥٢)، وفتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (٦/ ١٢٥ رقم ١٣٥٩).

نصبوه واتخذوه معبودًا، فكل هذا من التبرك الباطل[(١)]، فإما أن يكون شركًا أصغر أو شركًا أكبر، وإما أن يكون وسيلة إلى الشرك، فمن اعتقد البركة فيما لم يجعلها الله فيه؛ فهو مبطل، ثم إن اعتقد أنَّ هذه الشجرة أو ذلك الحجر بذاته يمنح البركة لمن يعكف عنده ويجلس عنده ويلتمس منه البركة؛ فقد أشرك في الربوبية؛ إذ جعل للمخلوق فعلًا وتأثيرًا دون مشيئة الله، وجعل ذلك شريكًا لله ينفع ويضر، وإن اعتقد أنه مبارك، وأنَّ الله جعل في هذه الشجرة، أو الحجر بركة، فهو يتمسح بها؛ فهذا منكر باطل؛ لأنَّ هذا الصنيع مبني على اعتقاد باطل، وهو التبرك بما لم يجعل الله فيه بركة، وليس له خصوصية، فهو اعتقاد مناقض للواقع، والتماس هذه البركة بالتمسح واللمس، وتعليق الشيء عليه على أساس أنه شيء مبارك؛ فهذا وسيلة من وسائل الشرك، أما إذا كان يتقرب إلى هذه الشجرة، أو إلى هذا الحجر بشيء من أنواع العبادة؛ لاعتقاده أنه يمنح البركة، وأنه شيء يقبل التقرب إليه والعكوف عنده، وأنه ينفع؛ فهذا من الشرك الأكبر، وهذه هي حال المشركين.

إذن؛ فهذا التبرك بالأشجار والأحجار قد يكون شركًا أكبر في العبادة، أو شركًا أكبر في الربوبية، وقد يكون وسيلة إلى الشرك فيكون من قبيل الشرك الأصغر.

والبركة تكون كونية وشرعية:

١. البركة الشرعية: وتكون في الأشياء التي يتعلق بها الشرع؛ كالمسجد الحرام، والحجر الأسود، وما إلى ذلك.

---

(١) ينظر: الحوادث والبدع للطرطوشي (ص٣٨-٣٩)، والباعث على إنكار البدع والحوادث (ص٢٥-٢٨).

٢. البركة الكونية: وتكون فيما يجعله الله في بعض البلاد المباركة؛ من وفرة الأرزاق وكثرة الخيرات.

ثم استشهد الشيخ للباب بآية وحديث:

(أما الآية فقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢﴾ [النجم]).

اللات والعزى ومناة ثلاثة أصنام، هي أشهر أصنام المشركين من العرب في الجزيرة العربية، ولهم أصنام أخرى كثيرة، ومن أشهرها: هبل، والأصنام الموروثة عن قوم نوح: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، فهذه الأصنام الثلاثة المذكورة في الآية:

١- اللات: هذا صنم ثقيف في الطائف، وقرئ: ﴿اللَّاتَّ﴾ بالتشديد، وقرئ: ﴿ٱللَّٰتَ﴾ بالتخفيف[١]، فعلى قراءة التشديد: تفسر بالرجل الذي كان يلت السويق للحاج، فلما مات عكفوا على قبره[٢]، يلتمسون البركة والنفع، ويتقربون إليه بأنواع العبادة، أما على قراءة التخفيف: فاللات فسرت بالصخرة التي كان الرجل يلت عليها السويق[٣]، فإذن: بينهما

---

(١) فروى رويس بتشديد التاء وبمد للساكنين، وهي قراءة ابن عباس ومجاهد ومنصور بن المعتمر وطلحة وأبي الجوزاء، وقرأ الباقون بتخفيفها. ينظر: النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٥٩).

(٣) تنظر: سنن سعيد بن منصور (٧/ ٤٥٤ رقم ٢٠٨٤)، وأخبار مكة للفاكهي (٥/ ١٤٣ رقم ٧٦). وقال مجاهد عن إلحاد المشركين في أسماء الله: «اشتقوا العزى من العزيز، واشتقوا اللات من الله» أخرجه الطبري (١٠/ ٥٩٧). وتنظر: (ص٤١٥)، (ص٦٥٣).

ارتباط وتلازم، فالمشركون صاروا يتبركون بالصخرة واتخذوها وثنًا لهم، وكذلك القبر.

٢- العزى: هذا صنم قريش، كان بين مكة والطائف، في وادي نخلة، وهو عبارة عن شجرة، ثم بني بناء على ثلاث سمُرات(١)، وقد افتخر بها أبو سفيان لما قال يخاطب الصحابة: «لنا العزى ولا عزى لكم»(٢)، يفتخر بها على المسلمين؛ فأمر النبي ﷺ الصحابة أن يجيبوه: «**الله مولانا، ولا مولى لكم**»، ولكن الله هداه فأسلم وحسن إسلامه.

٣- مناة: هذا صنم للأوس والخزرج، وهو بين مكة والمدينة بمكان يقال له: قديد، كان الأوس والخزرج يهلون ويحرمون من عند هذا الصنم(٣).

فهذه ثلاثة أصنام مشهورة، والله ذكرها في هذه الآية جميعًا.

وفي الآية توبيخ من الله لأولئك المشركين؛ قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠﴾ [النجم]؛ يعني: أغفلتم وجهلتم وضللتم! أفرأيتموها آلهة أو تستحق العبادة؟! فهذا غاية الجهل والضلال، فالمشركون اتخذوا بعض الأحجار والأشجار آلهة يعبدونها من دون الله! حتى إنهم اشتقوا هذه الأسماء من أسماء الله، قال بعض السلف: اللات من الإله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان(٤)، فجمعوا بين الشرك في العبادة، والإلحاد في أسماء الله؛ لأنهم عبدوها من دون الله اشتقوا لها أسماء من أسماء الله.

---

(١) ينظر: كتاب الأصنام (ص١٧-١٩)، والسنن الكبرى للنسائي (١١٤٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٣٩)، (٤٠٤٣) من حديث البراء بن عازب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) ينظر: صحيح البخاري (١٧٩٠).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (١٠/ ٥٩٦-٥٩٧)، (٢٢/ ٤٦).

وكان المشركون يتبركون بها؛ وبهذا تظهر المناسبة، فقد كانوا يتبركون بهذه الأصنام، ويعكفون عندها، ويطلبون منها أن تبارك عليهم وعلى أموالهم، وعلى أنفسهم وأمورهم، فكانوا بهذا مشركين الشرك الأكبر؛ لأنهم عبدوها من دون الله طلبًا لبركتها، وما أكثر الأصنام قديمًا وحديثًا! ومثل هؤلاء الذين يتخذون أضرحة الموتى آلهة من دون الله، يعبدونهم من دون الله، كما صنعت ثقيف بقبر ذلك الرجل، فالقبور التي في العالم الإسلامي عليها القباب، والستور والزينات، وحولها السدنة والحراس، والجهال يقصدونها من كل حدب وصوب! وتذبح عندها القرابين، ويراق لها الدماء، وتصب عليها العطور والأطياب! فهذا الصنيع كله من جنس التبرك بالأشجار والأحجار، وهؤلاء يعتقدون أنَّ هذه القبور، أو أصحاب هذه القبور يمنحونهم البركة، ويتقربون إليهم بأنواع القربات؛ فيقعون في الشرك الأكبر بهذا التبرك.

قوله: **(عن أبي واقد الليثي)**: أبو واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو من مسلمة الفتح الذين أسلموا يوم فتح مكة، واسمه الحارث بن عوف[(١)].

قوله: **(قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر)**: أي: خرجوا من مكة إلى حُنين، موضع معروف بين مكة والطائف، بعدما فتح الله مكة على رسوله ﷺ والمسلمين، وأسلم مَن أسلم وخضع من خضع من قريش ومن معهم، وكان خروج الرسول ﷺ إلى حُنين في أول شوال[(٢)]، ليلقى هوازن؛ لأنه بلغه أنهم قد اجتمعوا لحربه؛ فخرج إليهم ﷺ، فجرت موقعة بين المسلمين و المشركين في

(١) اختلف في اسمه، وهذا هو الأصح. ينظر: الثقات لابن حبان (٣/ ٧٢)، والإصابة (١٣/ ٧٧ رقم ١٠٨١٦).
(٢) ينظر: جوامع السيرة (ص ٢٤١).

حُنين، وهي موقعة عظيمة جاء ذكرها في القرآن في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [التوبة]، فيوم حنين يوم معروف مشهور، مثل يوم خيبر ويوم بدر، وهي موقعة حصل على المسلمين فيها أول الأمر هزيمة، بسبب ما وقع من بعضهم من الإعجاب كما قال تعالى: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾، ثم كر المسلمون فهزموا العدو، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة].

يقول أبو واقد: **(خرجنا مع رسول الله ﷺ)**: يعني: من مكة إلى حنين.

(ونحن حدثاء عهد بكفر): يعني: نفسه ومَن أسلم بعد الفتح؛ ولهذا يسمون: مسلمة الفتح، وحدثاء: جمع حديث، يعني: عهدنا بالكفر قريب، وعهدهم بالإسلام كذلك قريب، والذي عهده بالكفر قريب يكون ضعيف الإيمان والبصيرة، فيتعرض للزلل والجهل، ذكر ذلك تمهيدًا لما وقع منهم من المقالة.

قوله: **(وللمشركين سدرة يعكفون عندها)**: يعني: كأنهم مروا بشجرة من السدر يعظمها المشركون ويعكفون عندها، ويعلقون بها أسلحتهم، ويسمونها ذات أنواط، والعكوف على الشيء: ملازمته والبقاء عنده[1]، لكنهم يقيمون إقامة عبادة وتبرك، لا إقامة عادية؛ كالاستظلال، لأنَّ الاستظلال أمر عادي مباح.

---

(١) ينظر: النهاية (٣/ ٢٨٤).

قوله: **(وينوطون بها أسلحتهم)**: يعني: يعلقون بها أسلحتهم[١]، ليس تعليقًا عاديًا بمعنى يرفعون الأسلحة من أجل ألا تسقط؛ بل يعلقونها تعليق تبرك، ويرون أنهم إذا علقوا بها أسلحتهم تصبح ماضية ومسددة، تقطع وتصيب الهدف، يزعمون أنَّ هذا ببركة تعليقهم لها بذات أنواط.

ثم قال أبو واقد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **(فمررنا بسدرة)**: أي: بشجرة من السدر من جنس التي يعظمها المشركون، ويسمونها ذات أنواط. **(فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط)**: تحركت فيهم رواسب الجاهلية، وإلا فهم مسلمون مؤمنون بالرسول ﷺ منقادون لأمره عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، فأصبحوا لا يتصرفون من عندهم؛ بل ينتظرون الأمر من نبيهم ﷺ، فهم لم يذهبوا ليتخذوا لهم سدرة بتصرف من أنفسهم؛ بل قالوا للرسول ﷺ: **(اجعل لنا ذات أنواط)**؛ أي: اجعل لنا سدرة ذات أنواط، يعني معاليق نتبرك بها.

قوله: **(كما لهم ذات أنواط)**: يعني: كما لأولئك المشركين ذات أنواط؛ يريدون سدرة ذات أنواط تكون في الإسلام، ظنًّا منهم أنه يمكن أن يكون هذا، والذي أوجب لهم هذا الطلب: أنهم حدثاء عهد بكفر، ما تمكن العلم والإيمان من قلوبهم.

فقال رسول الله ﷺ لما قالوا له ذلك: **(اللَّه أكبر!)**؛ متعجبًا ومنكرًا لمقالتهم تلك؛ لأنها مقالة منكرة، وهي عجيبة لنكارتها؛ لأنَّ الشيء قد يتعجب من شناعته وقبحه، وقد يتعجب من كماله وحسنه، وأيضًا تعجب ﷺ من التطابق بين مقالتهم ومقالة بني إسرائيل، وفسر ذلك

(١) ينظر: النهاية (٥/ ١٢٨).

بقوله: (**قلتم -والذي نفسي بيده- كما قالت بنو إسرائيل لموسى:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف])، فكبر تعجبًا من التطابق، وإنكارًا لقولهم، فإنَّ قولهم: (**اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط**)، مطابق لقول بني إسرائيل: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، وموسى أنكر على بني إسرائيل، ومحمد ﷺ أنكر على أصحابه الذين قالوا ما قالوا.

قوله ﷺ: («**إنها السنن!**») أي: الطرق التي يقتفي فيها الناس بعضهم بعضًا، فهذه الطرق التي يوافق فيها اللاحق مَن قبله، اتفاقًا أو اقتداء.

قوله: («**قلتم -والذي نفسي بيده-**»)؛ هذا قسم كثيرًا ما يقسمه النبي ﷺ، وهذا من نوع ما تقدم في قوله ﷺ لعلي: «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم**»[(١)]؛ لأنَّ المقسم به هو الله، فهو الذي بيده نفوس العباد، وهذا من الحلف لتأكيد الخبر.

قوله: («**كما قالت بنو إسرائيل لموسى:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾»)، فشبه النبي ﷺ قول بعض أصحابه: اجعل لنا ذات أنواط بمقالة بني إسرائيل التي قصها الله علينا في قوله: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، فالقصتان متشابهتان، فمر هؤلاء الصحابة على سدرة للمشركين؛ فحنوا إلى عادات الجاهلية، وبنو إسرائيل لما رأوا قومًا يعكفون على أصنام لهم قالوا لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، فأنكر عليهم موسى وأغلظ

(١) سبق تخريجه في (ص١٢١).

الإنكار: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٣٩ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٤٠﴾ [الأعراف]، فبين لهم بطلان هذه الآلهة، وعابهم بالجهل، وبين لهم أنَّ ما عليه هؤلاء مآله إلى الدمار والتبار[(١)]، وأنَّ عملهم باطل حابط، وأنه إنما يدعوهم إلى عبادة الله وحده؛ فقال: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٤٠﴾ [الأعراف]؛ فالرسول ﷺ أنكر على الذين قالوا: اجعل لنا ذات أنواط، وأغلظ في الإنكار بتشبيه مقالتهم بمقالة بني إسرائيل؛ فقال: (**«الله أكبر! إنها السنن! قلتم -والذي نفسي بيده- كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝١٣٨﴾ [الأعراف]»**).

ثم قال رسول الله ﷺ: (**«لتركبن سنن مَن كان قبلكم»**)، تركبها يعني: تسير عليها، يقال: ركب الطريق؛ يعني: سلك الطريق، وسار عليه كالمركوب، والمقصود: أنكم ستتبعون مَن قبلكم بركوب طريقتهم، والسنن هو: الطريق، أو السنن: جمع سنة؛ وهي الطريقة[(٢)]، لتركبنها يعني بالاتباع؛ كقوله ﷺ: «**لتتبعن سنن مَن كان قبلكم، شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**» الحديث[(٣)]. وهذه المقالة التي قالها بعض الصحابة هي من ركوب السنن.

---

(١) التبار: الهلاك. ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٧٢)، والمفردات في غريب القرآن (ص١٦٢).

(٢) ينظر: المفهم (٧/ ٣١١-٣١٢).

(٣) أخرجه بنحوه: البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه أحمد (١٠٦٤١) بهذا اللفظ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة؛ فإنَّ الشيخ قال: **(باب مَن تبرك بشجرة، أو حجر، ونحوهما)**؛ يعني فقد أشرك، وفي هذا الحديث دلالة على أنَّ من طرق المشركين: أن يعبدوا الأشجار، ويعكفوا عندها، ويعتقدوا فيها؛ فالحديث ظاهر الدلالة على ما ترجم به الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والشاهد من الحديث ظاهر؛ وهو أنَّ التبرك بالأشجار، والعكوف عندها، طلبًا للبركة منها، وتعليق السلاح أو الثياب أو غيرها؛ أنَّ هذا من صنع المشركين، وأنه منكر، فقد أنكر الرسول ﷺ على مَن طلب ذلك، مع أنهم لم يفعلوا، أنكر عليهم وأغلظ في النكير؛ فعلم أنَّ التبرك بالأشجار ونحوها منكر باطل، وأنه من سبيل المشركين، فالحديث ظاهر الدلالة على المطلوب، وهو أنَّ التبرك بالأشجار والأحجار حرام، وتقدم التفصيل في حكمه.

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية «النجم»).

وهي قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ٢٠﴾ [النجم]، وتقدم أنَّ هذه أسماء لأشهر أصنام العرب في الجزيرة.

(الثانية: معرفة صورة الأمر الذي طلبوا).

هذه الفائدة تتعلق بحديث أبي واقد، وصورة الأمر الذي طلبوه واضح من قولهم: **(اجعل لنا ذات أنواط)**؛ أي: طلبوا أن يجعل لهم سدرة يتبركون بها، ويعكفون عندها، ويعلقون بها أسلحتهم على عادة المشركين، هذا هو الأمر الذي طلبوه.

(الثالثة: كونهم لم يفعلوا).

هم ما فعلوا، وإنما طلبوا فقط، فلم يبتدئوا الأمر من أنفسهم؛ بل جاؤوا يلتمسون إن كان الأمر ممكنًا، وكذلك بنو إسرائيل، لم يفعلوا أيضًا؛ فلهذا في الأول لم يكفروا، لكن لما اتخذوا العجل إلهًا كفروا.

(الرابعة: كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك؛ لظنهم أنه يحبه).

يعني: نيتهم حسنة؛ لأنهم مسلمون، فهم قصدوا الطاعة والتقرب إلى الله بذلك، فظنوا أنَّ اتخاذهم سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم محبوب عند الله، وأنَّ هذا يمكن أن يكون من الإسلام.

وهذه المسألة فيها تأمل، وليست واضحة، فهم طلبوا أن تكون لهم سدرة على طريقة المشركين؛ لأنهم حديثو عهد بكفر؛ فقلوبهم لم تخلوا من رواسب الجاهلية وعوائدها.

(الخامسة: أنهم إذا جهلوا هذا؛ فغيرهم أولى بالجهل).

يقول: (**أنهم إذا جهلوا هذا**): وهم أصحاب الرسول ﷺ، وهو بين أظهرهم؛ فغيرهم من الناس ممن جاء بعد، وبعدوا عن عهد النبوة أولى بالجهل كما هو الواقع، فلقد عظم الجهل بهذا الأمر حتى اتخذت الأضرحة والقبور أوثانًا تعبد من دون الله، وكثير من المسلمين في العالم الإسلامي يدينون بالقبورية؛ أي: عبادة أصحاب القبور، فيدعونهم ويستغيثون بهم ويذبحون لهم، خاصة الرافضة.

قوله: (**فغيرهم أولى بالجهل**): ليس معناه أنَّ كل مَن سواهم جاهل، لكن المقصود: أنَّ مَن بعد الصحابة أحرى بالوقوع في مثل ذلك.

(السادسة: أنَّ لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم).

يعني: أنَّ للصحابة **(من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم)**؛ لأنَّ الصحابة لهم فضل صحبة النبي ﷺ، وهي مختصة بهم، ومع ذلك أغلظ لهم الرسول ﷺ في الإنكار.

لكن أفضل الناس وأعظمهم نصيبًا من هذه الفضيلة: هم السابقون الأولون، فلهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ومضاعفة الأجور ما ليس لغيرهم، حتى من الصحابة الذين جاؤوا بعدهم؛ كما قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لخالد بن الوليد في شأن عبد الرحمن بن عوف: «**لا تسبوا أصحابي، فلو أنَّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»(١).

(السابعة: أنَّ النبي ﷺ لم يعذرهم؛ بل رد عليهم بقوله: «الله أكبر إنها السنن لتتبعن(٢) سنن مَن كان قبلكم»، فغلظ الأمر بهذه الثلاث).

قوله: **(أنَّ النبي ﷺ لم يعذرهم)**: ليس معناه أنه عاقبهم أو أثّمهم، لكن لم يعذرهم من الإنكار؛ بل أنكر عليهم، والإنكار ليس هو في الحقيقة بعقاب؛ بل هو بيان وتعليم وإرشاد، فيكون تارة توبيخًا وتقريعًا، ويشتمل على نوع من التعزير، وتارة يكون مبالغة في البيان.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣) -بهذا اللفظ- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، وأخرجه مسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

(٢) كذا في نسخ «كتاب التوحيد» وفي المصادر الحديثية: «**لتركبن**»، «**لتركبون**»، «**تركبون**»، «**ستركبون**» ولعل المصنف رَحِمَهُٱللَّهُ ذكر لفظ «**تتبعن**» لتقارب المعنى وشيخنا -حفظه الله- شرح الحديث باللفظ الذي أورده المصنف، ولفظ «**تتبعن**» جاء في حديث آخر في غير ما نحن فيه وقد تقدم قريبًا بلفظ: «**لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر...**».

وفي الحقيقة هو عذرهم؛ بحيث لم يؤثِّمهم ولم يعاقبهم؛ فهم معذورون بجهلهم، لكن لم يعفهم من الإنكار؛ بل أنكر عليهم، وأغلظ في الإنكار أيضًا، وكبر الله تنفيرًا لهم عن الأمر، وبيانًا لشناعة ما طلبوا، وإذا كان العمل شنيعًا وكبيرًا؛ فإنه يمكن التغليظ بالإنكار القولي؛ كقولك: هذا حرام، وهذا منكر، واترك هذا؛ كما تقدم في حديث: «**انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا**»[1].

فقوله: (**أنَّ النبي ﷺ لم يعذرهم**): أي: في هذا الأمر الذي طلبوا. (**بل**): أي: أغلظ لهم وقال: (**الله أكبر! إنها السنن!... لتتبعن سنن مَن كان قبلكم**)، فأغلظ لهم في الإنكار في هذه الثلاث، وهي: التكبير، والتشبيه ببني إسرائيل، وقوله: («**لتتبعن سنن مَن كان قبلكم**»)، وتقدم أنَّ الجهل لا يكون عذرًا بترك الإنكار[2]، فالجاهل ينكر عليه بالطريقة المناسبة للإنكار، فالرسول لم يعذرهم؛ بل أنكر عليهم، وأغلظ في الإنكار، وإن لم يكونوا مؤاخذين عند الله، ومستوجبين للعقاب؛ فالصائم -مثلًا- إذا نسي فأكل أو شرب، فإنك تنكر عليه بتذكيره، خلافًا لما يظنه بعض الناس اليوم؛ فيقول: دعه فهو ناسٍ، وهذا ليس بصحيح؛ بل تذكره وتنبهه[3].

(الثامنة: الأمر الكبير -وهو المقصود- أنه أخبر أنَّ طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا لموسى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾).

من فوائد هذا الحديث -وهو أمر عظيم-: التنبيه أنَّ طلب الصحابة من جنس طلب بني إسرائيل، فبنو إسرائيل طلبوا أن يجعل لهم موسى

(١) سبق تخريجه في (ص١٧٨).
(٢) تنظر: (ص١٨٩).
(٣) ينظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (١٥/ ٢٥٥)، مجموع فتاوى ورسائل لابن عثيمين (١٩/ ٢٧٢).

إلهًا يعكفون عليه، فطلب بعض الصحابة من مسلمة الفتح أن يجعل لهم ذات أنواط من جنس طلب بني إسرائيل، فهم طلبوا أن يجعل لهم سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، ويتبركون بها على طريقة المشركين.

ففيه: أنَّ الذي طلبوه أمر عظيم، وأنهم طلبوا الإذن لهم في الشرك؛ لأنَّ الرسول ﷺ نظّر مقالتهم تلك بمقالة بني إسرائيل، وهذا يشعر أنَّ الذي طلبوه هو من الشرك الأكبر، ولا شك أنَّ هذا تنظير يدل على بشاعة ما طلبوا.

(التاسعة: أنَّ نفي هذا؛ من معنى «لا إله إلا الله» مع دقته وخفائه على أولئك).

يقول: **(أنَّ نفي هذا)**: أي: نفي التعلق بالأشجار والأحجار ونحوها طلبًا لبركتها هو من معنى «لا إله إلا الله»؛ لأنَّ التبرك بها نوع تأليه، فنفيه من معنى «لا إله إلا الله»، فلا إله إلا الله تنفي التأله لغير الله بوجه من الوجوه، وتقتضي إفراده تعالى بالعبادة والرغبة والرهبة، وابتغاء الرزق، وابتغاء الخير... فلا إله إلا الله مركبة من نفي وإثبات، فأما النفي؛ فيدل على نفي كل ما يؤله من دون الله وإبطاله، وأما الإثبات؛ ففيه إثبات الإلهية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونفيها عما سواه.

قوله: **(مع دقته وخفائه)**: فكم من شرك هو أكبر لكنه دقيق وخفي وإن كان أكبر؟! فالشرك يكون أكبر وجليًّا من جهة الحكم، ولكنه خفي في صورته.

(العاشـرة: أنـه حلف على الفتيـا، وهو لا يحلف إلا لمصلحة).

لأنـه قـال: **(قلتـم -والـذي نفسـي بيـده-)**: فحلف على هـذا الجـواب والبيان.

قـال الشـيخ: **(وهـو لا يحلـف إلا لمصلحة)**: وهـذا ليس فيه شـك أنه ما حلـف إلا لبيـان أهميـة الأمـر، وقبـح مـا طلبـوا، وشـدة مشـابهتهم لقـول بني إسـرائيل؛ فحلـف على الفتيـا تعظيمًا للأمـر، وهـو لا يحلـف إلا لمصلحـة؛ مثـل مـا تقـدم: «**فوالله لأن يهـدي الله بـك رجـلًا واحـدًا**»[(١)] فهنـاك حلـف للتأكيـد، لزيـادة الترغيـب فـي الدعـوة، وهنـا حلـف لزيـادة التنفيـر عـن ذلك المطلوب المنكر.

(الحادية عشرة: أنَّ الشرك فيه أكبر وأصغر[(٢)]؛ لأنهم لم يرتدوا بهذا).

يقـول الشـيخ: فـي الحديـث دلالـة علـى أنَّ الشـرك فيـه أكبـر وأصغـر، وعلـل ذلـك بقولـه: **(لأنهـم لـم يرتدوا بهـذا)**؛ وكأن هـذه المسـألة تلمح إلى أنَّ الـذي طلبـوه مـن نـوع الشـرك الأصغـر، وهـذا محتمـل، وعنـدي أنَّ ما قال الشـيخ ليـس بظاهـر؛ فالـذي طلبـوه الأظهـر أنـه شـرك أكبـر، ويحتمـل أنـه شـرك أصغـر، وإذا كان شـركًا أكبـر؛ فالذيـن طلبـوه واسـتأذنوا فيـه، ونهـوا عنـه، لـم يكفـروا بذلـك؛ لأنَّ بني إسـرائيل لـم يرتـدوا بقولهـم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ [الأعراف: ١٣٨]؛ لأنهـم مـا فعلـوا، وليـس فـي الآيـة مـا يـدل علـى أنهـم دعـوا إلـى التوبـة والرجـوع، بخـلاف حالهـم يـوم عبـدوا العجـل؛ فإنهـم بعبادتهـم للعجـل كفـروا، وكمـا تقـدم التفصيـل فـي التبـرك بالأشـياء، فـإنَّ

---

(١) سبق تخريجه في (ص١٢١).

(٢) تنظر: (ص١١١).

التبرك منها جائز أو مشروع، أو وسيلة إلى الشرك[(١)]، وهذا يسميه بعضهم شركًا أصغر، ومنه ما هو شرك أكبر.

قوله: **(لأنهم لم يرتدوا بهذا)**: كأن مقتضى كلام الشيخ أنه لو كان الذي طلبوه شركًا أكبر لارتدوا بمجرد طلبه -والله أعلم-، وهذا يخالف ظاهر كلامه في «كشف الشبهات»[(٢)]، ويقتضي كلامه أنه يفرق بين طلب الشرك الأكبر والأصغر، ويعذر الإنسان بالجهل في الشرك الأصغر دون الأكبر، لكن هذا فيه تأمل ولا سيما أنَّ بني إسرائيل قالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، ومع ذلك ما كفروا؛ لأنهم ما فعلوا، لكن لما عبدوا العجل كفروا حتى تابوا.

(الثانية عشرة: قولهم: (ونحن حدثاء عهد بكفر) فيه أنَّ غيرهم لا يجهل ذلك).

قول أبي واقد: **(ونحن حدثاء عهد بكفر)**: يعني نفسه ومَن معه من مسلمة الفتح، أما الصحابة السابقون من المهاجرين والأنصار؛ فإنهم لا يشكل عليهم ذلك، وإنما وقع ذلك من هؤلاء؛ ولهذا قدم للقصة ما يبين السبب بقوله: **(ونحن حدثاء عهد بكفر)**.

(الثالثة عشرة: التكبير عند التعجب، خلافًا لمن كرهه).

فيه دلالة على جواز التكبير عند التعجب خلافًا لمن كرهه، والأمر العجيب قد يكون حسنًا، وقد يكون قبيحًا؛ فإذا عجب الإنسان من شيء

(١) تنظر: (ص٢١٤).
(٢) كشف الشبهات بشرح شيخنا (ص٨٠).

يستحسنه، أو عجب من فظاعة أمر ينكره؛ فيستحب له أن يكبر؛ تعظيمًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن هذا الأمر المنكر إذا كان المتعجب منه منكرًا، وإذا كان غير منكرًا فالتكبير تعظيم لله؛ لأنَّ الشيء واقع بقدره تعالى.

وقد استعاض الناس التكبير: بالتصفيق، وهو من التشبه بالكفار في بعض عاداتهم، ولكن بعض الصالحين صاروا يكبرون جماعيًا بصوت واحد بدلًا عن التصفيق، ولا داعي إلى طلب التكبير منهم كما يفعله بعض الناس.

(الرابعة عشرة: سد الذرائع).

الذرائع: جمع ذريعة، وهي ما يتوصل به إلى الشيء كالوسيلة[1].

يعني: أنَّ الحديث فيه دلالة على سد الذرائع، فإنَّ التبرك بما لم يجعل الله فيه بركة؛ وسيلة إلى الشرك كما تقدم، وسد الذرائع قاعدة شرعية[2]، فسد الذرائع إلى المنكر واجب، وقد قيل: للوسائل حكم الغايات، فالوسائل إلى الحق حق، والوسائل إلى الفضائل مستحبة، أما الوسائل إلى الحرام فهي محرمة، وهناك أشياء كثيرة حرمت سدًّا للذريعة كما سيأتي[3]؛ فالله الذي حرم الشرك وجعله أعظم الذنوب، سد كل طريق يوصل إليه.

(١) ينظر: الفروق للقرافي (٣/ ٢٦٦).
(٢) ينظر: بيان الدليل على بطلان التحليل (ص٢٥٤)، إعلام الموقعين (٤/ ٥٥٣) وما بعدها.
(٣) تنظر: (ص٢٦٢)، (ص٣٩١)، (ص٦٦٤).

(الخامسة عشرة: النهي عن التشبه بأهل الجاهلية).

لقوله: (قلتم -والذي نفسي بيده- كما قالت بنو إسرائيل لموسى)، فكان قولهم هذا مشابهًا لقول بني إسرائيل؛ فذمهم على أن شابهوا بني إسرائيل في طلبهم، وقول بني إسرائيل كلام باطل، صادر عن جهلهم، فهم من أهل الجاهلية في ذلك، قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ١٣٨﴾ [الأعراف]: ما صدر عنهم هذا القول إلا عن جهل؛ ففيه النهي عن التشبه بأهل الجاهلية في أقوالهم، فنحن منهيُّون عن التشبه بأهل الكتاب، وأهل الكتاب الذين انحرفوا عن طريق الرسل هم من أهل الجاهلية، والعرب الذين كانوا قبل مبعث النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هم أيضًا أهل جاهلية وكانوا على جاهلية، فنهينا عن التشبه بأهل الجاهلية في أمورهم المنكرة التي جاء الإسلام بإبطالها، أما ما كان من الأمور التي أقرها الإسلام؛ فليست من الجاهلية في شيء؛ بل هي من الهدى والعلم الصحيح.

(السادسة عشرة: الغضب عند التعليم).

التعليم يكون بالأمر بالشيء أو النهي عنه؛ فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متضمن للتعليم.

يقول الشيخ: في الحديث دلالة على (الغضب عند التعليم)، إذا اقتضى الأمر ذلك، كما إذا أخطأ، أو وقع في الزلل مَن يكون ممن لا يتوقع منه ذلك، أو كان الخطأ كبيرًا، فالغضب عند التعليم فيه إظهار فداحة الأمر، وقبح المنكر، وفيه تنفير وتعظيم للأمر الذي وقع منهم خطأ، فهم وإن كان وقع منهم عن جهل، لكن الرسول ﷺ أغلظ في

القول، وغضب عند وقوع مثل هذا في قولهم: **(اجعل لنا ذات أنواط)**، كما غضب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على بني إسرائيل، وقال لهم: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] الآيات.

(السابعة عشرة: القاعدة الكلية لقوله: «إنها السنن»).

يعني: الطرق التي يتبع فيها اللاحق السابق؛ فهذه سنن ماضية في الأمم: سنن خير، وسنن شر؛ فأهل الخير يقتدون بأسلافهم من أهل الخير، وأهل الشر يقتفون أثر أسلافهم من أهل الشر، وقد يكون في هذا الحديث إشارة إلى معنى قوله ﷺ: «**لتتبعن سنن مَن كان قبلكم**»(١) وقال هنا: **(«لتركبن سنن مَن كان قبلكم»)**.

يقول الشيخ: إنَّ هذه قاعدة كلية مستفادة من قوله: «**إنها السنن**»؛ وذلك أنَّ هذه الأمة تتبع الأمم الماضية، ويجري في هذه الأمة من الانحرافات والمقالات ومن الفرقة نظير ما وقع في الأمم الماضية، على حد قوله ﷺ: «**لتتبعن سنن مَن كان قبلكم**». وهذا الإخبار ليس إقرارًا، ولكن فيه إخبار عن ما سيقع(٢)، فهي قاعدة كلية؛ ولهذا أكدها بقوله: **(«حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم»)**، كما في حديث أبي سعيد(٣)، وهنا قال: «**إنها السنن**» يعني طرقًا مسلوكة، فلا بد أن يتم هذا الأمر، وأن تجري هذه السنن في هذه الأمة، ثم بين أنهم بهذا قد اتبعوا بني إسرائيل في قولهم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ [الأعراف: ١٣٨].. إلى آخره.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٧٠-١٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (٧٣٢٠) -واللفظ له-، ومسلم (٢٦٦٩).

(الثامنة عشرة: أنَّ هذا عَلم من أعلام النبوة؛ لكونه وقع كما أخبر).

أي: ما وقع من الصحابة من قولهم: **(اجعل لنا ذات أنواط)**، علم من أعلام النبوة؛ لأنه طابق قوله ﷺ: «**لتتبعن سنن مَن كان قبلكم**»، ولا يزال هذا الدليل يشهده الناس بحسب علمهم، ومعرفتهم للواقع، فكلما شاهد المسلم شيئًا مما أخبر به الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ازداد إيمانًا، وقال: صدق رسول الله ﷺ، كما قال ﷺ: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة**»(١). والواقع شاهد بما أخبر به الرسول ﷺ.

(التاسعة عشرة: أنَّ كل ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن؛ أنه لنا).

هذه فائدة عظيمة؛ وهي أنَّ كل ما ذم الله به اليهود والنصارى والمشركين، فهو لنا، أي: تحذير لنا، وذم لنا إن عملنا عملهم.

(العشرون: أنه مقرر عندهم أنَّ العبادات مبناها على الأمر، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر: أما «مَن ربك؟» فواضح، وأما «مَن نبيك؟» فمن إخباره بأنباء الغيب، وأما «ما دينك؟» فمن قولهم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ [الأعراف: ١٣٨]) إلى آخره.

هذه فائدة جليلة؛ وهي أنَّ من المتقرر عند الصحابة والمعروف عندهم أنَّ العبادة مبناها على الأمر، لا بالرأي والاستحسان، فلا بد أن

(١) أخرجه مسلم (٩٣٤) من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وسيأتي التعليق عليه في (ص٥٤١).

يصدروا في تعبدهم لله عن أمر الرسول ﷺ؛ لأنهم لم يفعلوا؛ بل طلبوا من الرسول ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط، وهذا يدل على أنَّ العبادة لا بد فيها من الإذن الشرعي، وأنه معروف عندهم؛ فلا يتعبدون لله إلا بما أمروا به، وأذن لهم فيه، والعبادة شرطها أن تكون مأمورًا بها، وموافقة لسنة الرسول ﷺ، فيشترط فيها شرطان: الإخلاص والمتابعة، والمتابعة: هي التي يعبر عنها أحيانًا بموافقة الأمر.

قوله: **(فصار فيه)**: أي: في الحديث من مجموع ما تقدم من هذه المسألة وما قبلها دلالة على مسائل القبرِ التي يسأل عنها الميت في قبره، فيقال له: «**مَن ربك؟**»، و«**مَن نبيك؟**»، و«**ما دينك؟**»، فهذه المسائل هي الأصول التي بنى عليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب كتابه المبارك المشهور: «الأصول الثلاثة».

ثم يوضح الشيخ وجه دلالة الحديث على مسائل القبر؟ لذلك قال: **(أما «مَن ربك؟» فواضح)**، هذا مستفاد من قول الرسول ﷺ: **(الله أكبر!)**، ومن قوله: **(«والذي نفسي بيده»)**، ففي هذا إثبات ربوبيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(وأما «مَن نبيك؟» فمن إخباره بأنباء الغيب): مثل ما تقدم أنَّ هذا علم من أعلام النبوة، فإخباره عن اتباع هذه الأمة لسنن مَن قبلها، ثم وقع كما أخبر، هذا علم من أعلام نبوته؛ ففي هذا إثبات نبوته، وهذه الفائدة تقدمت، لكن الشيخ أراد أن يبين أنَّ الحديث قد دل على مسائل القبر.

(وأما «ما دينك؟» فمن قولهم:): أي: قوم موسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾؛ بل ومن قول الصحابة: **(اجعل لنا ذات أنواط)**؛ لأنهم طلبوا شيئًا

يتدينون به لكنهم غلطوا؛ ففي هذا دلالة على أنه لا بد من دين وعبادة، وأنَّ استمدادها من أمر الله ورسوله كما تقدم.

هذا هو معنى قوله: **(أنَّ العبادات مبناها على الأمر)**.

إذن: لا بد من عبادة، والعبادة مبناها على الأمر.

فهذه مسائل القبر الثلاث: «**من ربك؟**»، «**وما دينك؟**»، «**ومَن نبيك؟**».

(الحادية والعشرون: أنَّ سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين).

سنة أهل الكتاب -أي: اليهود والنصارى- وطريقتهم وسيرتهم مذمومة، كسنة المشركين، يعني كونهم أهل كتاب لا يطهرهم، ولا يزكي أفعالهم وأقوالهم المخالفة للدين الحق، فقد ذمهم الله وتوعدهم في آيات كثيرة، فنهينا عن التشبه بالكفار من المشركين والكتابيين.

فسنة أهل الكتاب مذمومة، وهي سنة من سنن الجاهلية؛ فأهل الكتاب بعد التبديل والتحريف والانحراف صاروا في جاهلية؛ فذمهم الله على مخالفاتهم ومبتدعاتهم؛ فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧﴾ [المائدة].

(الثانية والعشرون: أنَّ المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة، لقوله: «ونحن حدثاء عهد بكفر»).

هذه فائدة ظاهرة ومعروفة ومحسوسة من الواقع.

قوله: **(أنَّ المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه)**: أي: الذي كان على الكفر وانتقل ودخل في الإسلام، وحتى أرباب المعاصي، إذا تابوا لا يؤمن عليهم أن تحدثهم أنفسهم بما كانوا عليه.

وقوله: **(ونحن حدثاء عهد بكفر)**: هو نوع من الاعتذار، ومن أجل هذه الحداثة وهذا القرب من حال الكفر، قالوا ما قالوا؛ فقولهم: **(اجعل لنا ذات أنواط)**، هو من أثر ما في قلوبهم من الشرك الذي كانوا عليه.

◆◈◈◈◆

(١٠)

باب ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام].

وَقَوْلِهِ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر].

عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «لعن الله مَن ذبح لغير الله، لعن الله مَن لعن والديه، لعن الله مَن آوى محدثًا، لعن الله مَن غير منار الأرض» رواه مسلم[(١)].

وعن طارق بن شهاب أنَّ رسول الله ﷺ قال: «دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب!» قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟! قال: «مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئًا، فقالوا لأحدهما: قرب. قال: ليس عندي شيء أقربه.

قالوا له: قرب ولو ذبابًا، فقرب ذبابًا؛ فخلوا سبيله، فدخل النار. وقالوا للآخر: قرب. فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله عَزَّوَجَلَّ، فضربوا عنقه؛ فدخل الجنة». رواه أحمد[(٢)].

---

(١) برقم (١٩٧٨).

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (٨٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٣٠٣٨)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٠٣)، عن طارق بن شهاب، عن سلمان قال:... فذكره موقوفًا عليه. ولم نجده مرفوعًا بهذا اللفظ؛ سوى ما ذكره ابن القيم في الجواب =

الشَّرْح

يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(باب ما جاء في الذبح لغير الله)**: يعني: باب ذكر ما ورد من النهي والوعيد على الذبح لغير الله مما يبين حكمه، وأنه شرك بالله؛ كالذبح للأصنام، وأصحاب القبور، والأوثان.

ولم يبين الشيخ حكم الذبح في الترجمة، فلم يقل: «باب من الشرك الذبح لغير الله»، كما صنع في بعض الأبواب؛ لأنَّ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ له ملاحظات ونظر دقيق في تنويع هذه التراجم، ولعله لم يصرح بالحكم في هذه الترجمة؛ لأنَّ من الذبح ما لا يكون بقصد التقرب؛ بل لقصد الإكرام بالضيافة، كالذبح للضيف، فلم يذبح له تقربًا إليه بإراقة الدم تعظيمًا له، فلما كان الذبح فيه هذا التنوع؛ أجمل الشيخ في الترجمة، ويتبين الحكم بعد ذلك؛ لأنَّ الذبح منه ما يكون عبادة، ومنه ما ليس بعبادة، فالذبح على وجه التقرب والتعظيم بإراقة الدم عبادة، وهو الذي أمر الله به وأمر بإخلاصه له.

= الكافي (ص٦٧) فقال: «وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن سليمان بن ميسرة، عن طارق بن شهاب يرفعه قال: «**دخل رجل الجنة في ذباب**...»، وصحَّح وقفه الألباني في الضعيفة (٥٨٢٩) وقال: «فالحديث صحيح موقوفًا على سلمان الفارسي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ إلا أنه يظهر لي أنه من الإسرائيليات التي كان تلقاها عن أسياده حينما كان نصرانيًا».

تنبيه:

قال الشيخ سليمان في التيسير (١/ ٣٦٩): «هذا الحديث ذكره المصنف معزوًا لأحمد، وأظنه تبع ابن القيم في عزوه لأحمد». وقال الألباني: «إطلاق العزو لأحمد فيه نظر؛ لأنه يوهم بإطلاقه أنه في مسنده، وليس فيه، كما قال الشيخ سليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، ولو كان فيه لأورده الهيثمي في مجمع الزوائد، وليس فيه أيضًا، وإنما هو في الزهد له، كما تقدم». الضعيفة (٥٨٢٩).

والمراد بالذبح لغير الله: ما يذبح من بهيمة الأنعام وغيرها، على وجه التقرب بإراقة الدم تعظيمًا، ولا بد من هذا التقييد: على وجه التقرب بإراقة الدم تعظيمًا للمذبوح له؛ لنخرج الذبح تكريمًا بتقديم الطعام واللحم، لا تقربًا وتعظيمًا بإراقة الدم، أما الذبح على وجه التقرب إليه؛ كالذبح للملوك والسلاطين والعظماء عند مقدمهم -كما نص أهل العلم على ذلك- فهذا من نوع الذبح لغير الله، الذي هو شرك أكبر[(١)]، فمقصود الأول هو التقرب والتعظيم والعبادة لهذا المذبوح له، أما الثاني فلا، إنما هو تكريم له بالطعام؛ ولهذا لا يقصد مما يذبح على وجه التقرب: اللحم، قال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧]، ولهذا لا يجزئ عن الأضحية أن تشتري لحمًا وتتصدق به، فلو اشترى الإنسان لحمًا وتصدق به أيام الأضحية لم يكن مضحيًا.

وذكر الشيخ في هذا الباب: آيتين وحديثين:

أما الآيتان؛ فالأولى: **قوله تعالى:** ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ **[الأنعام]**، يأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نبيه محمدًا ﷺ بإخلاص العمل له، من الصلاة والنسك وغيرهما.

---

(١) ينظر: الدر المختار بحاشية ابن عابدين (٦/ ٣٠٩-٣١٠)، والعزيز شرح الوجيز للرافعي (١٢/ ٨٤-٨٥).

والنسك يراد به: الذبح أو المذبوح، وهو ما يذبح قربانًا، قال تعالى: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]؛ يعني: أو ذبح[(١)]، وإن كان النسك في الأصل يطلق على كل عبادة، فالعبادات كلها أنساك، والرجل الناسك هو العابد، والمتنسك هو المتعبد، لكن غلب إطلاق اسم النسك والأنساك والمناسك على أعمال الحج[(٢)]، ومن أعمال الحج: ذبح الذبائح؛ كالهدي، والفدية -إذا حصل موجبها-، وكذلك الأضحية لغير الحاج، كلها داخلة في النسك، وهي أنواع من القربات، وقرن النسك بالصلاة مما يدل على عظم شأن التقرب إلى الله بذبح القرابين[(٣)]، فالنسك الذي شرع الله هو هذه الأنواع: الهدي؛ وهو ما يهدى إلى الحرم، والأضحية لعموم المسلمين، وكذلك الفدية، ومن ذلك: هدي الإحصار، وهدي التمتع، والعقيقة، كل هذا يجب أن يكون من بهيمة الأنعام؛ الإبل أو البقر أو الغنم.

والمسلم شأنه أن تكون أعماله كلها لله، فهو يحيا لله، ويريد الحياة لله، ويموت لله كما يموت المجاهد في سبيل الله.

وقوله: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾: هذا نفي للشريك؛ فتضمنت الآية معنى «لا إله إلا الله»، فقوله: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾، هو مضمون النفي في كلمة التوحيد،

---

(١) لِما أخرجه البخاري في صحيحه (٤٥١٧) عن كعب بن عُجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حُملتُ إلى النبي ﷺ والقمْل يتناثر على وجهي، فقال: «**ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا، أما تجد شاة**». قلت: لا....» وينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص٧٨).

(٢) ينظر: المفردات للراغب (ص٨٠٢).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٣١-٥٣٣).

وقوله: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، هو مضمون الإثبات في كلمة التوحيد، فالآية اشتملت على معنى «لا إله إلا الله» بما فيها من نفي وإثبات، إلا أنَّ معنى الإثبات مقدم في الآية على معنى النفي، كما تقدم[١] الإشارة إلى مثل هذا في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة]. وهكذا قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦].

وقوله: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾: قال المفسرون: معناه أنه أول المسلمين من هذه الأمة، وإلا فالمسلمون قبله ﷺ كثير، من الأنبياء وأتباعهم، كلهم كانوا على الإسلام[٢].

الآية الثانية: **قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢﴾ [الكوثر]**: هذا أمر من الله لنبيه أن يصلي لربه، وأن يذبح وينحر لربه.

والمراد: النحر وما في معناه كالذبح؛ فإنَّ النحر يختص بالإبل، والذبح لبقية بهيمة الأنعام، فيدل على أنَّ الذبح والنحر والصلاة كل ذلك يجب أن يكون لله، كقوله: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام: ١٦٢]، فتشابهت الآيتان.

وقد قيل في سورة الكوثر: إنَّ الصلاة والنحر هي صلاة العيد ونحر الهدايا والضحايا[٣].

(١) تنظر: (ص٢٣) فقد تقدمت الإشارة لهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [النحل:٣٦].
(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٨).
(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٦٩٣).

ودلت الآيتان على أنَّ الذبح والنحر عبادة، فالنحر والذبح على وجه التقرب بإراقة الدم عبادة؛ لأنَّ الله أمر به، وكل ما أمر الله به فهو عبادة وهو يحبه، وكل ما نهى عنه فتركه عبادة، وإذا كان الذبح نوعًا من أنواع العبادة، فصرفه لغيره شرك.

فأفادت الآيتان: أنَّ الذبح لله عبادة وقربة وعمل صالح كالصلاة، فالذبح لغيره شرك وعمل حابط وكفر مخرج عن ملة الإسلام، فمن ذبح لغير الله تعظيمًا وتقربًا فقد أشرك وكفر؛ لأنه عبد مع الله غيره، وصرف له نوعًا من أنواع العبادة، وهو الذبح، ولهذا قال تعالى: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام].

أما حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فهو قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات)**؛ يعني: أربع جمل، فالكلمة في لغة العرب: هي الجملة، أو الجمل الكثيرة، وقد دل على ذلك القرآن في مثل قوله تعالى: ﴿كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ [المؤمنون: ١٠١]، والمراد بالكلمة قول المحتضر: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ ١٠٠﴾ [المؤمنون]، وليست الكلمة المفردة، فإطلاق الكلمة على اللفظ المفرد؛ اصطلاح النحاة(١).

وهذه الكلمات:

أولًا؛ قوله: **(«لعن الله مَن ذبح لغير الله»)**: هذا هو الشاهد من الحديث، واللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله(٢)، ويكون من الرب قولًا وفعلًا، والله تعالى ذكر اللعن في مواضع من القرآن، فهو تعالى

(١) ينظر: شرح الأُشْمُوني للألفية (١/ ٢٥-٢٧).
(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٥٥).

يلعن مَن يشاء كما يغضب على مَن يشاء؛ قال تعالى في قاتل المؤمن عمدًا: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ٩٣﴾ [النساء]، وقال في إبليس: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨﴾ [ص].

وقول رسول الله ﷺ: **(«لعن الله مَن ذبح لغير الله»)** أي: ذبح له تقربًا إليه وتعظيمًا له؛ لأنه بذلك أشرك بالله.

وقوله: **(«لعن الله»)**: يحتمل -والله أعلم- أنه إخبار عن لعن الله وطرده لمن ذبح لغير الله، ويحتمل أن يكون دعاء من النبي ﷺ على مَن فعل ذلك، بأن يلعنه الله، ويطرده عن رحمته، والاحتمال الأول أبلغ في الزجر؛ لأنَّ الخبر يفيد تحقق المخبر، بخلاف الدعاء[1].

فيدل هذا على تحريم الذبح لغير الله، وأنه من كبائر الذنوب؛ بل إنه شرك؛ لأنه صرف للعبادة لغيره، والعبادة محض حقه سبحانه.

ثانيًا؛ قوله: **(«لعن الله مَن لعن والديه»)**: في هذا دلالة على تحريم لعن الوالدين؛ بل إنه من كبائر الذنوب؛ بل هو من أكبر الكبائر، وهو من أشد أنواع العقوق.

ولعن الوالدين يكون على وجهين:

١- على صفة المواجهة؛ كأن يقول سفيه لوالده: لعنك الله! فهذا لعن فيه مواجهة.

---

(١) ينظر: القول المفيد (١/ ٢٢٢). ويؤيده ما جاء في حديث عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال النبي ﷺ: «**ملعون من ذبح لغير الله**»، أخرجه أحمد (١٨٧٥)، وحسنه الألباني في أحكام الجنائز (ص٢٦٠).

٢- ولعن يكون بالتسبب، وهذا هو الذي نص عليه الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الحديث الصحيحِ الذي قال فيه: «**إنَّ من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**»، قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «**يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه**»(١)، وقد صرح النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنَّ هذا من كبائر الذنوب، وقد جمع النبي ﷺ بين الذبح لغير الله ولعن الوالدين، فقرن بينهما، وهو نظير قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**»(٢) الحديث. وكما قرن الله -فيما يقابل ذلك- بين التوحيد وبر الوالدين؛ فقال: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ [النساء: ٣٦].

ثالثًا: قوله: (**«لعن الله مَن آوى محدثًا»**): آوى: يعني: حماه وأجاره(٣)، أي: الذي أحدث حدثًا يجب عليه به أخذ حق، أو إقامة حد، كمن أحدث جريمة؛ كقتل أو سرقة أو زنا، أو أحدث بدعة في الدين، ثم أريد أخذه لإقامة الحد عليه، ولتطبيق ما يشرع في حقه من العقاب؛ فهذا الذي استحق العقوبة الشرعية لا يجوز لأحد أن يحول بينه وبينها، وأن يأوي هذا الذي أحدث الحدث، فمن آواه فهو ملعون على لسان رسول الله ﷺ، أما إذا توجه وطلب من الأولياء أن يتنازلوا ويعفوا بطيب

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٣) -واللفظ له كما في بعض النسخ بزيادة (فَيَسبُّ أُمَّهُ)- ، ومسلم (٩٠) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٧٦) واللفظ له، ومسلم (٨٧) من حديث أبي بكرة الثقفي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) ينظر: النهاية لابن الأثير (١/ ٣٥١).

نفس، فهذا له أن يشفع في مثل القصاص، أما الحدود التي لله فلا شفاعة فيها؛ قال النبي ﷺ: «**إذا بلغت الحدود السلطان فلعن الله الشافع والمشفع له**»[(١)]، أي: الذي قبل شفاعته، فالذي يأوي المحدث ويحميه ويجيره هو ملعون على لسان رسول الله ﷺ؛ كما في هذا الحديث، وفي رواية: «**لعن الله مَن آوى محدثًا**»، بفتح الدال على أنه اسم مفعول[(٢)]، والمراد بالمحدث: البدعة في الدين؛ قال ﷺ: «**وشر الأمور محدثاتها**»[(٣)]، وإيواء المحدث أو إيواء البدعة يكون: باعتناقها والدعوة إليها، وحماية أهلها.

رابعًا؛ قوله: (**«لعن الله مَن غير منار الأرض»**): منار الأرض: هي معالمها وحدودها[(٤)]، والمقصود بها هنا: المراسيم التي تفصل بين حقوق الجيران، والحدود والعلامات التي تميز ما لهذا وما لذاك، وتغييرها يؤدي إلى الظلم؛ وذلك بأن يدخل من أرض هذا على أرض ذاك، فيغتصب من أرض هذا لذاك، وقد يكون هذا التغيير من أجنبي

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٢٨٤)، وفي الصغير (١٥٨)، والدارقطني (٣٤٦٧)، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: لقي الزبير سارقًا فشفع فيه، فقيل له: حتى نبلغه الإمام، فقال: «**إذا بلغ الإمام فلعن الله الشافع والمشفَّع**»، كما قال رسول الله ﷺ. قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن هشام بن عروة إلا عبد الرحمن بن أبي الزناد».
وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٨٠٧٥)، (٢٨٠٧٧) بنحوه، قال ابن حجر أن إسنادهما حسن. ينظر: الفتح (١٢/ ٨٧-٨٨).

(٢) ينظر: النهاية (١/ ٣٥١)، والمعلم بفوائد مسلم (٢/ ١١٨).

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٧٧) من حديث عمرو بن مرة الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) ينظر: النهاية لابن الأثير (٤/ ٣٦٨).

لينفع أحد الجيران أو الشركاء ويضر بالآخر، وقد يكون من أحد الجيران أو الشركاء ليضيف إلى أرضه من أرض جاره، والوعيد عام؛ لأنَّ «مَن»: من صيغ العموم، وفي الحديث الصحيح: «**مَن أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين**»[(١)]، ولا يدخل في ذلك تغيير اللوحات التي في الطرق للإرشاد؛ وإن كان ذلك لا يجوز.

وكل هذه الأربع من كبائر الذنوب: لعن الوالدين، وإيواء المحدث، وتغيير منار الأرض، وأما الذبح لغير الله- فهو شرك أكبر؛ كما تقدم.

ولا يلزم من ذكر هذه الأمور أن تكون مستوية في الحكم؛ لكن كلها من موجبات اللعن، مع التفاوت. وذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الحديث الثاني: وهو حديث طارق بن شهاب، الذي رواه أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد اختلف في إسناده[(٢)]؛ فمنهم مَن يرويه عن طارق مرفوعًا كما هنا[(٣)]، وطارق بن شهاب هو من صغار الصحابة، وروي عن طارق عن سلمان مرفوعًا وموقوفًا، وبعضهم يرجح الوقف على سلمان، وأنه من قول سلمان؛ فيكون مأثورًا من أخبار بني إسرائيل؛ لأنَّ سلمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان من أهل الكتاب.

وعلى كل حال فالحديث إنما ذكر للاعتضاد لا للاعتماد، والأصل: النصوص العامة في تحريم الشرك وعبادة غير الله، ومن ذلك: الذبح لغير الله، ومنها: حديث علي المتقدم في «صحيح مسلم».

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٨) -واللفظ له-، ومسلم (١٦١٠) من حديث سعيد بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سبق تخريج الحديث في (ص٢٤١)، وبيان ترجيح وقفه.

(٣) لم نجده مرفوعًا بهذا اللفظ؛ سوى ما ذكره ابن القيم في الجواب الكافي (ص٦٧) كما تقدم في (ص٢٤١).

قوله: («**دخل الجنة رجل في ذباب**»): أي: في شأن ذباب، أو بسبب تركه تقريب ذباب؛ كما هو واضح.

قوله: («**دخل النار رجل في ذباب**»): أي: في شأن ذباب، أو بسبب تقريب ذباب، فتكون «في» سببية؛ كما قال ﷺ: «**دخلت امرأة النار في هرة**»؛ أي: بسبب هرة، «**ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض**»(١).

قوله: (**قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟!**): المعنى: هذا أمر غريب؛ فكيف كان؟!

قوله: (**قال: «مر رجلان على قوم لهم صنم»**): الصنم ما نحت على شكل إنسان أو حيوان أو غير ذلك. والوثن أعم منه، وهو كل ما عبد من دون الله؛ من شجر أو حجر أو قبر أو صنم(٢).

والأصنام هي التي قال فيها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾ [إبراهيم].

قوله: («**لا يجوزه أحد**»): أي: لا يمر به أحد مجتازًا.

قوله: («**حتى يقرب له شيئًا**»): فقد جعلوا صنمهم في الطريق؛ فلا يتجاوزه أحد حتى يتقرب إليه بشيء؛ فهم يفرضون على المارة أن يعبدوا صنمهم؛ بما يقربونه له.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣١٨) -واللفظ له-، ومسلم (٢٢٤٢) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولمسلم (٢٢٤٣)، (٢٦١٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نحوه.

(٢) قال مجاهد بن جبر: «الصنم: التمثال المصور، ما لم يكن صنمًا فهو وثن». تفسير الطبري (١٣/ ٦٨٧). وينظر: النهاية (٣/ ٥٦)، (٥/ ١٥١).

قوله: (**«فقالوا لأحدهما: قرب. قال: ليس عندي شيء أقربه»**): واضح أنه لا مانع عنده من أن يقرب؛ ولكن ليس عنده ما يقربه، وهو وإن كان مسلمًا؛ فليس عنده من البصيرة ما يمنعه من الاستجابة لما طلبوا، وقد يكون أراد التخلص بذلك من شرهم.

قوله: (**«قالوا له: قرب ولو ذبابًا فقرب ذبابًا»**): المهم عندهم أن يخضع لصنمهم، برمز العبادة.

قوله: (**«فخلوا سبيله»**): أي: تركوه يمضي في طريقه.

قوله: (**«فدخل النار»**): المعنى: فخلوا سبيله فمات؛ فدخل النار، وهذا يقتضي أنه مات على ذلك ولم يتب، فاستوجب النار بصنيعه ذلك، وقبل ذلك كان مسلمًا.

قوله: (**«وقالوا للآخر: قرب. فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله عَزَّوَجَلَّ»**): فظهر الفرق بين الموقفين، بين موقف الرجل الأول، وموقف الرجل الثاني، فلم يقولوا للثاني: قرب ولو ذبابًا؛ لأنه سد الطريق عليهم.

قوله: (**«فضربوا عنقه»**): ففاز بالجنة. قوله: (**«فدخل الجنة»**): بإيمانه وتوحيده وصبره.

فالأول دخل النار بسبب تقريبه الذباب، والثاني دخل الجنة بسبب ترك تقريب الذباب.

والشاهد من الحديث: أنَّ التقرب لغير الله شرك، مهما كان الشيء المتقرب به، فلو ذبح إنسان عصفورًا يتقرب به إلى غير الله؛ كصنم ونحوه؛ كان شركًا، وهذا هو الذي حصل بالنسبة للرجل الأول؛ قال

بعض أهل العلم: إنَّ العذر بالإكراه إنما هو من خصائص هذه الأمة[(١)]؛ كما في الحديث: «**إنَّ الله تجاوز عن أمتي: الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»[(٢)].

وكما سبق التنبيه على أنه إنما شرع في الإسلام التقرب ببهيمة الأنعام فقط.

هذا هو ما يتعلق بهذا الحديث، ويأتي في المسائل بعض التنبيهات، والمقصود: أنَّ التقرب إلى الله بإراقة الدم عبادة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر].

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾.

الثانية: تفسير قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾).

تقدم الكلام عن معنى هاتين الآيتين، وبيان أنهما تدلان على أنَّ الذبح والنحر على وجه القربة عبادة لله؛ كالصلاة، وهي عظيمة الشأن، فهذه العبادة قرنت بالصلاة، فالنسك الذي هو الذبح أو النحر تقربًا إلى الله هو قرين الصلاة كما في الآيتين، وقد شرع الله في عيد الأضحى: صلاة العيد، وذبح الأضاحي، والحجاج يذبحون الهدايا، والأمر

---

(١) تنظر: المسألة التاسعة في هذا الباب.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥)، والطبراني في الأوسط (٨٢٧٣)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه ابن حبان (٧٢١٩)، والحاكم (٢٨٠١).

بالصلاة عام، وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾؛ يشمل الصلوات الخمس وغيرها من النوافل، ومنها: صلاة العيد.

(الثالثة: البداءة بلعنة من ذبح لغير الله).

البداءة بلعن مَن ذبح لغير الله دليل على أنه أقبح هذه الذنوب، وأعظم هذه الكبائر، فالذبح لغير الله أكبر من لعن الوالدين، ومن إيواء المحدث، ومن تغيير منار الأرض؛ كما بدأ النبي ﷺ بالشرك في حديث: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**»[1].

(الرابعة: لعن مَن لعن والديه، ومنه أن تلعن والدَي الرجل فيلعن والدَيك).

فيه الدلالة على أنَّ لعن الوالدين من كبائر الذنوب، وأنَّ مَن فعل ذلك استوجب اللعن من الله، ومن لعن الوالدين: التسبب في لعنهما، كأن يلعن الرجل والدَي الرجل؛ فيلعن الآخر والدَي الساب.

(الخامسة: لعن مَن آوى محدثًا، وهو الرجل يحدث شيئًا يجب فيه حق الله، فيلتجئ إلى مَن يجيره من ذلك).

تقدم بيان هذا؛ وأنَّ المراد: أن يحول الإنسان دون إقامة ما يجب من حدود، ومن أداء الحقوق، فالذي يؤوي محدثًا معارض لشرع الله، ومضاد لمن يريد إقامة شرعه بتنفيذ الحدود، وتقدم ذكر حديث: «**إذا**

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٦) -واللفظ له-، ومسلم (٨٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

بلغت الحدود السلطان؛ فلعن الله الشافع والمشفع له»[١]، فمن وجب عليه حد؛ فلا يجوز لأحد أن يحميه ويمنع من إقامة الحد عليه.

(السادسة: لعن مَن غير منار الأرض، وهي المراسيم التي تفرق بين حقك وحق جارك من الأرض، فتغيرها بتقديم أو تأخير).

لأنَّ هذا من أنواع الظلم، فهو من كبائر الذنوب، وتغيير منار الأرض يكون بأن يغير المراسيم؛ لينتفع هو ويأخذ ويغتصب من أرض الغير، أو يريد تغييرها عبثًا، فتضيع الحقوق وتتداخل.

(السابعة: الفرق بين لعن المعين، ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم).

هذه مسألة، وهي الفرق بين لعن المعين واللعن على سبيل العموم، فالمذكور في هذا الحديث هو من نوع اللعن العام، فقوله: **(لعن الله مَن ذبح لغير الله)**؛ هذا عام ليس فيه معين، وهكذا الأنواع الباقية، كل هذا من اللعن العام، وهذا أكثر ما ورد في الكتاب والسنة؛ كقوله ﷺ: «**لعن الله السارق، يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده**»[٢]، وهكذا حديث جابر: «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهدَيه، وقال: **هم سواء**»[٣]، وفي «الصحيحين» من حديث عبد الله بن مسعود: «**لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله تعالى**»[٤]، إلى غير ذلك مما

---

(١) سبق في (ص٢٤٩).
(٢) أخرجه البخاري (٦٧٨٣)، ومسلم (١٦٨٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٣) أخرجه مسلم (١٥٩٨).
(٤) أخرجه البخاري (٥٩٣١) -واللفظ له-، ومسلم (٢١٢٥).

ورد لعنه على لسان الرسول ﷺ، وهذا كله على سبيل العموم، أما لعن المعين؛ فهو كأن تقول لسارق رأيته: لعنة الله على هذا، بحجة أنه سارق، وقد لعن الرسول ﷺ السارق، أو تجد شارب خمر فتلعنه وتواجهه؛ فتقول: هذا ملعون، فهذا من قبيل لعن المعين، وهذه الأحاديث لا تسوغ لعن المعين، وفي الحديث: أنَّ رجلًا على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حمارًا، وكان يُضحِك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأتي به يومًا فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله**»[1]، فأنكر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لعن المعين، وإن كان شارب الخمر ملعونًا على لسان الرسول ﷺ، فعلم أنه لا يجوز لعن المعين، ولا يجوز لعن أهل المعاصي على سبيل التعيين؛ كالسارق المعين، والشارب المعين، والمرابي المعين، لا يجوز أن تلعنه بعينه؛ فقد يمن الله عليه بالتوبة، فلا يقع عليه الوعيد، وقد يكون له من الحسنات ما يمنع من وقوع الوعيد عليه كذلك.

فاللعن المذكور في هذا الحديث كله هو من اللعن العام، ولعن أصحاب المعاصي على سبيل العموم؛ لا خلاف في جوازه، وقد جاءت به الأحاديث الكثيرة، وأما لعن المعين فهذا فيه خلاف[2]، والصحيح أنه

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨٠) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه ﷺ قال: «**ما عَلِمْتُ إلَّا أنه يُحِبُّ اللهَ ورسولَه**»: كذا في بعض النسخ وهي رواية أبي ذر عن الكشميهني في البخاري، وهي كذلك في مصابيح السنة للبغوي (٢٧٢٨)، وجاء في أكثر نسخ البخاري: «**ما علمت إنه يحب الله ورسوله**»، وينظر توجيهها في فتح الباري (١٢/ ٧٧-٧٨).

(٢) ينظر: منهاج السنة (٤/ ٥٦٩) وما بعدها، والآداب الشرعية (١/ ٢٦٩-٢٧٨).

لا يجوز لعن العاصي المعين، أما الكافر والمنافق إذا كان رأسًا في الكفر والنفاق؛ فلِلعنه وجه، فإنَّ رسول الله ﷺ قنت ولعن بعض صناديد المشركين وسماهم[(١)].

(الثامنة: هذه القصة العظيمة، وهي قصة الذباب).

هذه قصة عظيمة وعجيبة، ولهذا استفهم الصحابة وقالوا: **(وكيف ذلك يا رسول الله؟!)**.

(التاسعة: كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده؛ بل فعله تخلصًا من شرهم).

من فوائد هذا الحديث: أنَّ مَن فعل الشرك ولو لم يقصده؛ فإنَّ فعله للشرك يوجب دخول النار، كما قال المصنف: **(كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده؛ بل فعله تخلصًا من شرهم)**؛ يعني كأنه مكره، وتقدم أنَّ الرجل لم يظهر الامتناع في البداية؛ بل قال: ليس عندي شيء أقرب، فقالوا له: قرب ولو ذبابًا، فقرب ذبابًا، فخلوا سبيله؛ فدخل النار، وإن كان لم يقصده ابتداء، لكن لما طلبوه وخاف منهم أجابهم إلى ما طلبوا، فخلوا سبيله؛ فاستوجب بذلك دخول النار.

وإذا كان مكرهًا، ولم يقصده أصلًا، وفعله تخلصًا من شرهم كما قال الشيخ؛ فإنه يأتي سؤال: كيف يدخل النار بتقريب ذباب قد أكره عليه، ولم يعذر بالإكراه؟

---

(١) سيأتي في (ص٣٢٨)، في باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ [الأعراف] الآية.

نقول: إنَّ العذر بالإكراه هو من خصائص هذه الأمة؛ لقوله ﷺ: «**إنَّ الله تجاوز عن أمتي: الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»[(١)]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، فالمكره على الكفر: إذا تكلم بكلمة الكفر، أو فعل ما ظاهره كفر، مكرهًا وقلبه مطمئن بالإيمان؛ فإنه لا يكفر؛ لهذه الآية، أما الأمم الماضية، فالذي يظهر -والله أعلم- أنهم لا يعذرون بالإكراه، وقد استدل على هذا بما جاء في قصة أهل الكهف؛ وذلك في قوله: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ۝٢٠﴾ [الكهف]. فنفى الفلاح عنهم مع إكراههم على العودة في ملتهم[(٢)].

وقول الشيخ: **(كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده؛ بل فعله تخلصًا من شرهم)**: ليس بظاهر؛ بل فعله مختارًا؛ لأنه لما قيل له: قرب، قال: ليس عندي شيء أقرب، فاختلف جوابه عن صاحبه الآخر، قالوا: قرب ولو ذبابًا؛ فقرب ذبابًا، وهذا يدل على أنَّ عنده استعدادًا لتنفيذ ما طلب منه كما تقدم، ولو كان الذي امتنع وقتل هو الذي مر أولًا، فرآه الآخر؛ لقوي القول بكونه مكرهًا[(٣)].

(العاشرة: معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبهم مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر).

يقول الشيخ: من فوائد الحديث: **(معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين)**؛ يعني: بقدره خطره وقبحه؛ فالمؤمنون يعرفون أنَّ الشرك ظلم

(١) سبق تخريجه في (ص٢٥٣).
(٢) ينظر: أضواء البيان (٤/ ٩٦-٩٧)، ودفع إيهام الاضطراب (ص٢٠٣-٢٠٥).
(٣) ينظر: القول المفيد (١/ ٢٢٧-٢٢٨).

عظيم فلا يستهينون به، فالشرك ذنب عظيم، هو أكبر من جميع الذنوب؛ ومن أجل ذلك صبر هذا الرجل على القتل، ولم يجبهم إلى ما طلبوا.

وقول الشيخ: **(مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر)**: وهل يمكن أن يطلبوا منه إلا هذا؟! فالعمل الباطن، وهو عمل القلب لا يمكن أحد الاطلاع عليه، ولا الإكراه عليه أبدًا؛ ولهذا لا يعذر الإنسان بالموافقة على الشرك في الباطن؛ قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [النحل].

وفي كلام الشيخ في المسألة التاسعة والعاشرة والثالثة عشرة: تعارض؛ فقد قال في التاسعة في الذي دخل النار: إنه لم يقصده؛ بل فعله تخلصًا من شرهم؛ مع قوله في العاشرة: إنهم لم يطلبوا منه إلا العمل الظاهر؛ مع قوله في الثالثة عشرة: إنَّ المقصود الأعظم عمل القلب حتى عند عبدة الأوثان![1]

(الحادية عشرة: أنَّ الذي دخل النار مسلم؛ لأنه لو كان كافرًا لم يقل: «دخل النار في ذباب»).

هذا ظاهر؛ فلا بد أنه كان قبل ذلك مسلمًا، ولو كان كافرًا من قبل لما قال: دخل النار رجل في ذباب؛ لأنه لو كان غير مسلم لكان مستوجبًا لدخول النار قبل ذلك، سواء قرب ذبابًا أو لم يقرب.

(الثانية عشرة: فيه شاهد للحديث الصحيح «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك»[2]).

يقول الشيخ: في هذا الحديث شاهد للحديث الآخر الصحيح: (**«الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله»**)، فالجنة قريبة والنار مثل

---

(١) ينظر: القول المفيد (١/ ٢٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٨٨) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ذلك، يعني: أنَّ الجنة قد تجب للعبد بعمل يسير، وبكلمة لا يلقي لها بالًا، والنار كذلك قد تجب للإنسان بعمل يسير، أو بكلمة يقولها، كما في الحديث الصحيح: «**إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالًا، يرفعه الله بها درجات، وإنَّ العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالًا، يهوي بها في جهنم**»(١)، فكلمة واحدة توبق الإنسان أو تعتقه، وهذا لا يعني أنَّ هذه الحسنة توجب دخوله الجنة، ولو ترك كل الواجبات، وفعل كل المحرمات، لكن هذه الحسنة تكون سببًا لتوفيقه، بحيث توجب له دخول الجنة، ومَن وجب له دخول الجنة؛ فلا بد أن يوفق للأعمال الصالحة، ومَن وجب له دخول النار؛ فلا بد أن يخذل -والعياذ بالله- حتى لا يوفق لفعل الحسنات، ولا لتجنب المحرمات؛ ليتحقق ما سبق به علم الله وكتابه.

(الثالثة عشرة: معرفة أنَّ عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان).

يقول الشيخ: في الحديث دلالة على أنَّ عمل القلب هو المقصود الأعظم، وهذا صحيح، فعمل القلب هو المقصود، وليست العبرة في الأعمال الظاهرة فحسب، فالأعمال الظاهرة إذا لم تقم على عمل باطن -أي: على عمل القلب- فإنها تصير صورًا ومظاهر لا تنفع صاحبها؛ كما قال ﷺ: «**إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فعبدة الأصنام يريدون الموافقة الباطنة والظاهرة، ولا يريدون مَن يوافقهم ظاهرًا فقط، ولكنهم لا يستطيعون أن يعرفوا مَن الموافق لهم في الباطن، ومَن لم يوافقهم، فالاطلاع على عمل القلب مستحيل بالنسبة لقدرة المخلوق؛ لأنَّ القلوب إنما يعلم ما تنطوي عليه علام الغيوب سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، ومن أطلعه عليه من ملائكته أو غيرهم.

◆◈◈◈◆

(١١)

باب: لا يُذبحُ لله بمكان يُذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ١٠٨﴾ [التوبة].

وعن ثابت بن الضحاك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «نذر رجل أن ينحر إبلًا ببوانة، فسأل النبي ﷺ، فقال: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟» قالوا: لا، قال: «فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟» قالوا: لا، فقال رسول الله ﷺ: «أوف بنذرك؛ فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم» رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما(١).

الشرح

يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (باب: لا يذبح)، بضم الحاء، ولا نافية أو بسكون الحاء، ولا ناهية، والمقصود: على التقديرين تحريم الذبح لله

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٣١٣)، والطبراني في الكبير (١٣٤١)، وقال الجورقاني في «الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير» (٥٥٦): «هذا حديث صحيح»، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» (١/ ٤٩٠): «أصل هذا الحديث في الصحيحين، وإسناده كلهم ثقات مشاهير».

في مكان يذبح فيه لغير الله، وهذا الحكم من باب النهي عن التشبه بالمشركين.

وهذا الباب مناسب للباب الذي قبله غاية المناسبة، فإنه لما بين حكم الذبح لغير الله الذي هو شرك أكبر في الباب السابق، أتبعه ببيان حكم الذبح في المكان الذي يذبح فيه لغير الله، وهو التحريم، وذلك لأمرين:

الأول: أنه وسيلة إلى الذبح لغير الله.

والثاني: أنه تشبه بالمشركين في الذبح بذلك المكان[1].

فإذا عُلم أنَّ الذبح لله عبادة وقربة من أجلّ القربات، فإنَّ مما ينبغي للمسلم أن يعلم أنه لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله، ولذا ينبغي أن يعلم المسلم متى يذبح؟ وأين يذبح؟ وكيف يذبح؟

إذن؛ فالذبح لله له وقت؛ كالأضحية فإنها لا تجزئ لو ذبحها قبل الصلاة، وله صفة، وله كذلك أمكنة مخصوصة، كالهدي له مكان يذبح فيه وهو الحرم.

وقوله: **(يذبح فيه لغير الله)**: هذا المكان يجب اجتنابه، فلا يجوز أن يذبح لله هديًا أو أضحية أو عقيقة بمكان يذبح فيه لغير الله؛ لأنَّ ذلك يتضمن التشبه بالمشركين، فإنه إذا ذبح المسلم لله في ذلك المكان الذي يذبح فيه لغير الله؛ يكون مشابهًا لهم، ويُظن أنه يذبح لغير الله، فبعدًا عن مشابهة المشركين، وسدًّا لذريعة الشرك، وقطعًا للقدوة السيئة؛

---

(١) ينظر: القول السديد (ص٥٦)، والقول المفيد (١/ ٢٣٢).

فإنه يجتنب الذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله؛ لأنه إذا رُئي الإنسان يذبح في ذلك المكان الذي يعرف أنه مكان لذبح المشركين؛ فقد يغتر به مَن لا يعرف حقيقة الحال.

وذكر الشيخ في هذا الباب آية وحديثًا.

أما الآية فقوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة].

ينهى الله تعالى نبيه أن يصلي في ذلك المسجد الذي بني على المعصية، ويعرف بمسجد الضرار، قال تعالى قبل هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [التوبة]. فهؤلاء المنافقون بنوا مسجدًا وزعموا أنهم بنوه لضعفة المسلمين في أيام الشتاء ليصلوا فيه؛ فطلبوا من النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يصلي فيه، وكأنهم أرادوا منه أن يفتتحه ليضفي عليه شرعية ورضًا، وكان بصدد غزوة تبوك، فقال: نحن على سفر، فإذا رجعنا -إن شاء الله- صلينا فيه، -أو كما قال ﷺ-؛ فلما رجع من غزوة تبوك، وقبل أن يصل إلى المدينة، نزل عليه الوحي ببيان حقيقة هذا المسجد، فبعث النبي ﷺ قبل مقدمه إلى المدينة، إلى ذلك المسجد؛ فهدم، وعرف من ذلك بمسجد الضرار[1]، ثم قال سبحانه: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَىٰ

(١) أخرج ذلك الطبري في تفسيره (١١/ ٦٧٢-٦٧٣)، وأورده ابن هشام في السيرة (٢/ ٥٢٩).

ﭐلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة]، وهذا المسجد الذي أسس على التقوى، قال جماعة من السلف: إنه مسجد قباء، وقيل: بل هو مسجد النبي ﷺ[١]، وقد ثبت في حديث صحيح عند مسلم[٢] أنَّ رسول الله ﷺ سئل: أي المسجدين الذي أُسس على التقوى؟ قال فأخذ كفا من حصباء فضرب به الأرض ثم قال: «**هو مسجدكم هذا**» لمسجد المدينة. وهذا نص في أنَّ المراد بالمسجد المذكور في الآية بأنه أسس على التقوى من أول يوم هو مسجد النبي ﷺ.

والشاهد من الآية قوله تعالى: ﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ﴾ [التوبة: ١٠٨]، فإنه نهي من الله لنبيه أن يصلي في ذلك المسجد الذي أعد للمعصية؛ فدل ذلك على أنَّ الأمكنة المعدة للمعصية لا تجوز العبادة فيها[٣]، مثل المسجد الذي بني لمضارة أهل مسجد آخر، فلا يجوز أن يصلى فيه؛ لأنه مؤسس على معصية الله، والله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴿١٨﴾﴾ [الجن]. ومن هذا القبيل: المساجد المبنية على القبور، لا تجوز الصلاة فيها؛ لأنها مؤسسة على الشرك، ومبنية من أجل تعظيم هذه الأضرحة، وهذا من دقيق استدلال الشيخ؛ حيث استدل بهذه الآية على النهي عن الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله، يعني في الأمكنة المعدة للشرك والمعاصي، ومن هذا الجنس: الذبح بمكان مخصص

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١١/ ٦٨١) وما بعدها، وزاد المسير (٢/ ٢٩٨-٢٩٠).
(٢) برقم (١٣٩٨) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٦٥-٢٦٨).

للذبح لغير الله، وبهذا تظهر مناسبة الآية للترجمة، فكأن الشيخ يقول: كما نهي النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يصلي في مسجد الضرار، فقياس هذا؛ لا يجوز الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله، وهو استدلال ظاهر[١].

وأما الحديث؛ فقوله: **(وعن ثابت بن الضحاك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: نذر رجل...)**.

النذر هو أن يوجب الإنسان على نفسه ما لم يجب عليه بأصل الشرع[٢]، كأن يقول: لله علي أن أصوم شهرًا، ولله علي أن أحج، ولله علي أن أصلي كذا، فيوجب على نفسه ما لم يوجبه الله، والأصل أنَّ مَن أوجب على نفسه طاعة؛ وجبت عليه؛ لما سيأتي من قوله ﷺ: «**مَن نذر أن يطيع الله فليطعه**»[٣].

وقوله: **(أن ينحر إبلًا)**، النحر مختص بالإبل، والذبح للبقر والغنم[٤]، ولكن قد يعبر بكل واحد منهما على الآخر، فقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر] عام، يشمل ما ينحر وما يذبح.

وقوله: **(ببوانة)** أي: في بوانة، وهي موضع معروف أسفل مكة، وقيل: هضبة قرب ينبع[٥]، خصه ذلك الرجل بأن ينحر فيه.

---

(١) ينظر: التيسير (١/ ٣٧٦)، وتحقيق التجريد للعجيلي (١/ ١٦٣).
(٢) ينظر: المطلع على ألفاظ المقنع (ص٤٧٧).
(٣) أخرجه البخاري (٦٦٩٦) من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وينظر شرحه في (ص٢٧٩).
(٤) ينظر: تاج العروس (٦/ ٣٦٧).
(٥) ينظر: معجم البلدان (١/ ٥٠٥).

وقوله: (**فسأل النبي ﷺ، فقال: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟» قالوا: لا**) يعني: هل هذا المكان -بوانة- كان فيه وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ والوثن اسم لكل ما يعبد من دون الله من حجر أو شجر أو صنم أو قبر، والصنم ما كان منحوتًا على شكل تمثال كما تقدم[١]، فالوثن أعم من الصنم.

وقوله: (**قال: «فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟»**) يعني: أعياد الجاهلية، (**قالوا: لا**). والعيد اسم لما يعود ويتكرر، كالاجتماع العام الذي يتخذ له مكان وزمان معين، ويطلق على الزمان وعلى الأعمال؛ كما جاء أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال في الجمعة: «**إنَّ هذا يوم جعله الله عيدًا للمسلمين**»[٢]، وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «شهدت العيد مع رسول الله ﷺ»[٣] يعني: شهد الصلاة والاجتماع، فسمى الصلاة والاجتماع عليها عيدًا[٤].

والمقصود: أنَّ الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ استفسر من هذا الرجل.

---

(١) تنظر: (ص٢٥١).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ برواية سويد (١٣٧)، والقعنبي (٢٣٤)، ومن طريقه الشافعي في مسنده (٤٠٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦٠٢٦) عن ابن شهاب الزهري، عن ابن السبّاق أن النبي ﷺ قال: فذكره مرسلًا. قال البيهقي: «هذا هو الصحيح مرسل، وقد رُوي موصولًا ولا يصح وصله». وينظر: الضعيفة (٥٣٤٤)، و(٦٨٢٦).

(٣) أخرجه البخاري (٩٦٢)، (٥٨٨٠).

(٤) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٩٦-٤٩٧)، وإغاثة اللهفان (١/ ٣٤٤-٣٤٥).

فلما قالوا له: لم يكن فيها وثن ولا عيد، قال له: («**فأوف بنذرك**»)[١]، ترتيب للحكم على الوصف بالفاء، وذلك يدل على أنَّ الوصف سبب للحكم؛ فيكون سبب الأمر بالوفاء خلو المكان عن هذين الأمرين: وجود وثن أو عيد من أعياد الجاهلية[٢].

ثم بين ﷺ سبب السؤال عن ذلك المكان؛ فقال: («**فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**»): يعني: لا نذر يلزم ولا نذر يصح، فلو نذر الإنسان أن يشرب خمرًا، أو أن يذبح عند القبر الفلاني، أو أن يصلي عنده، فكل هذا من نذر المعصية الذي لا يجوز الوفاء به، كما قال ﷺ: «**ومَن نذر أن يعصيه فلا يعصه**»[٣]، وقال هنا: («**فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**»).

ونذر العبادة في مكان لا يحل فعلها فيه هو من نذر المعصية؛ كما إذا نذر الإنسان أن يصلي لله في مسجد ضريح البدوي، أو ضريح الحسين، أو ضريح علي، فهذا نذر معصية، فدل ذلك على أنَّ الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله، ويمارس فيه الشرك أنه معصية؛ لأنه علل الإذن بعدم هذه الأمور، وعلل النهي عن الوفاء بوجودها، فترتيب الإذن على الخلو من الوثن والعيد، يدل على أنَّ نذر العبادة في المكان الذي هو عيد للمشركين، أو المكان الذي فيه وثن لهم معصية.

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ: ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢٤٣٨)، والطبراني في الكبير (٧٤)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٣٨-٣٩) من حديث ميمونة بنت كردم، عن أبيها، وأخرجه البزار (٥٠٢٧) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٩٥).

(٣) تقدم في (ص٢٦٦)، وينظر شرحه في (ص٢٧٩).

وقوله: («**أوف بنذرك**»)، هذا الإذن مرتب على خلو المكان من الوثن والعيد، فدل على أنَّ وجودهما علة للمنع من الوفاء بالنذر مع وجود الوثن والعيد الجاهلي.

وقوله: («**ولا فيما لا يملك ابن آدم**») المراد: نذر المعين، فلا يصح أن ينذر الإنسان شيئًا معينًا لا يملكه، كأن يقول: لله علي أن أعتق عبد فلان، فهذا لا يلزم، أما لو نذر شيئًا في ذمته؛ كأن يقول: لله علي أن أعتق رقبة، وهو لا يملكها، فإنَّ هذا نذر صحيح ولازم له، وإن كان لا يملك الرقبة، فعليه أن يشتري رقبة ويعتقها؛ وفاء بنذره.

ووجه الاستدلال بالحديث: أنَّ الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ استفسر عن المكان، هل كان فيه ما هو معصية، من وثن من أوثان الجاهلية، أو عيد من أعيادهم؟ فلما قالوا: إنه لا يوجد شيء من ذلك، قال له: («**أوف بنذرك**»)، فرتب الإذن بالوفاء على خلو المكان عن المعصية؛ فعلم بذلك أنه لو كان فيه وثن أو عيد؛ فإنه لا يجوز الوفاء به، وأنَّ نذر الذبح في ذلك المكان نذر معصية، فمن قصد الذبح بذلك المكان الذي هو من أعياد الجاهلية، أو فيه وثن من أوثانهم، فإنه نذر معصية، لا يجوز الوفاء به، أما إذا كان المكان خاليًا، فإن كان هذا المكان له فضيلة خاصة؛ فإنه يجب الوفاء في ذلك المكان؛ كمن نذر أن ينحر هديًا في الحرم؛ فإنه يجب عليه أن يوفي هناك، ولا يجزئه أن يذبح في غير الحرم؛ لأنَّ الحرم له خصوصية، أما لو نذر أن يذبح بمكان ليس له خصوصية شرعية، وليس فيه مانع شرعي، فإنه يخير: فإن شاء ذبح في ذلك المكان، وإن شاء ذبح في غيره، وذلك مثل مَن نذر أن يصلي في مسجد غير المساجد الثلاثة، يجزئه أن يصلي في أي مسجد؛ لأنه لا فضل

لبعضها على بعض، ماعدا المساجد الثلاثة[١]، فيجزئ مَن نذر الصلاة في مسجد أن يصلي في أي مكان، لكن لا يجوز له أن يسافر ليصلي في ذلك المسجد الذي نذر الصلاة فيه لحديث: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**»[٢]، كذلك مَن نذر أن يذبح في بلدة كذا، فيجزئه أن يذبح في أي مكان؛ لأنه لا خصوصية لهذه البلدة، والحديث ظاهر الدلالة على مضمون الترجمة، وأنه لا يحل الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله، أو في مكان قد أعد لمعصية الله.

وقد أورد شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الحديث في «اقتضاء الصراط المستقيم»[٣]، وأطال الكلام عليه؛ لأنه من جملة الأدلة على تحريم التشبه بالمشركين.

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾).

تقدم أنَّ هذه الآية نزلت في مسجد الضرار.

(الثانية: أنَّ المعصية قد تؤثر في الأرض، وكذلك الطاعة).

هذه الفائدة مأخوذة من الحديث في قوله: (**«هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟»**) و(**«هل كان فيها عيد من أعيادهم؟»**)، وقد تؤخذ من الآية على أساس أنَّ بناء المسجد لتلك الأغراض المحرمة كان سبب نهي النبي ﷺ عن أن يصلي في هذا المسجد.

---

(١) ينظر: المجموع شرح المهذب (٦/ ٥٠٥)، والمغني (٤/ ٣٩٣)، (١٣/ ٣٢٧).
(٢) أخرجه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٨٩-٤٩٩).

يقول الشيخ: من فوائد الآية والحديث: (**أنَّ المعصية قد تؤثر في الأرض، وكذلك الطاعة**)، كما في الأمكنة المعدة لمعصية الله، هذه تؤثر منعًا، وتوجب أن يكون هذا المكان محل سخط؛ لأنه مكان معصية، والمعصية قد تؤثر وليس دائمًا، وكذلك الطاعة تؤثر في الأمكنة المعدة لطاعة الله، فأين المسجد المعد لطاعة الله وعبادته من الملهى، أو المسجد المبني على قبر لعبادة غير الله، أو المسجد الذي قصد منه مضارة المسلمين؟! فالمكان الذي كان عامرًا بطاعة الله يكسبه فضلًا كما في تفضيل المسجد العتيق، والله نوه ببيته ووصفه بالعتق؛ فقال تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج].

ولكن إذا زالت معالم الطاعة أو معالم المعصية؛ فإن المكان يعود إلى ما كان عليه إلا الأمكنة المخصوصة بالوحي كالمساجد الثلاثة، فهذه لا تزول فضيلتها، والمشاعر أمكنة مخصوصة، وقد علقت بها أحكام شرعية ثابتة متعلقة بهذه الأمكنة على وجه الخصوص، لكن لو هجر مسجد ونقل إلى موضع آخر، وأمكن تحويل هذا المسجد المهجور إلى منزل ومسكن، يسكن فيه الناس أو شارع أو متسع؛ فيزول حكم المسجد عنه، كما ثبت حكم المسجد عندما بني المسجد، فيتغير حكم الأرض بتغير ما يبنى عليها.

(الثالثة: رد المسألة المشكلة إلى المسألة البينة؛ ليزول الإشكال).

وهذا مستفاد من سؤال الرسول ﷺ: («**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟... فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟**»)، فإنه قبل السؤال كان الموضوع محتملًا، فبوانة يحتمل أن تكون مما يسوغ الذبح فيها،

ويحتمل ألا يسوغ فيها ذلك، فالذبح في ذلك المكان مع عدم معرفة الواقع مشكل؛ فلذلك استفصل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فبالاستفصال زال الإشكال، وهذا هو وجه قول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**رد المسألة المشكلة إلى المسألة البينة؛ ليزول الإشكال**)، فمن البيِّن أنَّ ما كان فيه وثن، أو ما كان فيه عيد من أعياد الجاهلية، لا يجوز التعبد فيه لله، ولا الذبح فيه لله، وبالاستفسار اتضح حكم نذر هذا الرجل؛ ولهذا قال له بعد هذا الاستفسار: («**أوف بنذرك**»). ويحتمل أنه أراد رد المشكلة إلى البينة في قوله: («**فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله**»).

(الرابعة: استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك).

المفتي إذا سئل عن أمر وفيه احتمال؛ فينبغي له أن يسأل حتى يوقع الفتوى موقعها، وترك السؤال والاستفصال مما يوقع في الخطأ، وهذا من أهم ما ينبغي للمفتي وهو أن يسأل عما يختلف حكمه إذ المسؤول عنه يختلف حكمه، أما إذا كان الأمر لا يختلف حكمه، فلا موجب للاستفصال؛ ولهذا قال: (**إذا احتاج إلى ذلك**)، فإذا كان هناك احتمال فينبغي له أن يسأل، أما إذا كان الأمر متعيناً ولا مجال للاحتمال، فلا يلزم الاستفصال؛ لأنَّ الاستفصال حينئذ لا معنى له[1]؛ ولهذا لما قال الرجل: نذرت أن أنحر إبلًا ببوانة، وهذا مجمل، استفصل عنه، وقال: («**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**» **قالوا: لا، قال:** «**فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟**» **قالوا: لا، فقال رسول الله** ﷺ: «**أوف بنذرك**»).

---

(١) ينظر: إعلام الموقعين (٦/ ٩١-٩٨).

(الخامسة: أنَّ تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به؛ إذا خلا من الموانع).

تخصيص مكان بالنذر جائز لا بأس به؛ بشرط الخلو من الموانع، ولكنه لا يلزم ولا يتعين، فلا بأس بالوفاء بالنذر في ذلك المكان، لكنه لا يجب؛ لأنَّ هذا المكان تخصيصه ليس بطاعة، ونذر غير الطاعة لا يجب؛ كمن نذر أن يصلي في مسجد معين سوى المساجد الثلاثة، فله أن يصلي في أي مسجد -كما تقدم- ولهذا قال الشيخ: **(أنَّ تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به؛ إذا خلا من الموانع).**

(السادسة: المنع منه؛ إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية، ولو بعد زواله.

السابعة: المنع منه؛ إذا كان فيه عيد من أعيادهم، ولو بعد زواله).

هاتان المسألتان دل عليهما الحديث دلالة ظاهرة، لقوله: **(هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟... فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟).**

وقول الشيخ: **(ولو بعد زواله)**، كأنه فهمه من قوله ﷺ: **(هل كان فيها...)** وهذا اللفظ لا يدل على الزوال، وليس نصًّا في ذلك، لكن كأنَّ السياق يشعر بذلك؛ لأنه سأله في وقت ظهور الإسلام.

أما إذا كانت معالم الوثن، ومعالم العيد، ومظاهر أفعال الجاهلية قائمة؛ فهذا بين، أما إذا زالت المعالم وطمست الآثار، فهذا محل نظر؛ لأنه روي أنَّ النبي ﷺ أمر أن يبنى مكان اللات -طاغوت ثقيف بالطائف- مسجدٌ[1] وروى النسائي أنَّ النبي ﷺ قال لأهل اليمامة: «**فاكسروا بيعتكم،**

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٠)، وابن ماجه (٧٤٣)، والبزار (٢٣٢٧) عن عثمان بن أبي العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإسناده ضعيف لذلك صدَّره شيخنا بصيغة التمريض، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود -الأم- (٦٦).

وانضحوا مكانها بهذا الماء واتخذوها مسجدًا»[1]، ولعل الجمع بين هذا وذاك: أنه إذا زالت مظاهر الجاهلية زوالًا تامًّا؛ زال حكم المنع، فيجوز أن يتخذ مسجدًا ويصلى فيه ويعبد الله فيه، ولو كانت هذه البقعة في زمن من الأزمان فيها وثن، لكنه قد زالت معالمه وآثاره؛ فإنَّ النبي ﷺ أرسل إلى اللات بالطائف المغيرة بن شعبة وأبا سفيان فهدماها، وأمر أن يبنى مكانها مسجد، ويمكن أن يقال مثل ذلك في كنائس النصارى إذا أريد تحويلها مساجد.

وقوله: **(المنع منه؛ إذا كان فيه عيد من أعيادهم، ولو بعد زواله)**: هذا من جنس ما قبله، والقول فيه كالقول فيما قبله، إذا كانت مظاهر العيد موجودة فلا يجوز، لكن إذا مسحت، وأصبحت الأرض جرداء وعادت كما خلقت، فالأظهر أنه لا بأس بذلك، فإذا زال الوثن، وزالت مظاهر العيد؛ جاز اتخاذه مسجدًا، وجاز الذبح فيه لله.

(الثامنة: أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة؛ لأنه نذر معصية).

قوله: **(لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة)**، يعني التي كان فيها وثن، أو كان فيها عيد، **(لأنه نذر معصية)**، كما تقدم.

(التاسعة: الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصده).

معناه: يجب الحذر من التشبه بالمشركين بموافقتهم بالذبح في مكان عيدهم أو في يوم عيدهم، والدليل على ذلك هذا الحديث فإنه

---

(١) أخرجه النسائي (٧٠١) -واللفظ له- والضياء في المختارة (١٧٥) عن طلق بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه ابن حبان (١١٢٣)، والألباني في الصحيحة (٢٥٨٢).

عند أهل العلم من أدلة تحريم التشبه بالكفار من المشركين وأهل الكتاب، وأما قول الشيخ: **(ولو لم يقصده)**، فمعناه أنَّ الفعل الذي تحصل به مشابهة المشركين حرام، ولو لم يقصد الفاعل التشبه فإن قصد التشبه كان أقبح والتحريم أشد[(١)].

(العاشرة: لا نذر في معصية).

لا يجوز الوفاء بنذر المعصية لحديث الباب، وللحديث الآتي في الباب الذي بعده.

(الحادية عشرة: لا نذر لابن آدم فيما لا يملك).

أي: لا يصح ولا يلزم فيما لا يملك الناذر، وهذا إذا كان المنذور معينًّا كما إذا قال الناذر: لله علي عتق عبد فلان؛ فإنه لا يصح ولا يلزم.

◆◈◈◈◆

(١) ينظر عدم اشتراط القصد في التشبه في: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٧١-٢٧٢، ٣٥٢)، وجامع المسائل (٣/ ٣٧٣-٣٧٤).

(١٢)

باب: من الشرك: النذر لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ٧﴾ [الإنسان].

وقوله: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

وفي الصحيح عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَن نذر أن يطيع الله فليطعه، ومَن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»[١].

الشَّرْح

يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(باب: من الشرك: النذر لغير الله)**: أي: هذا باب بيان أنَّ: **(من الشرك)**: أي: الأكبر **(النذر لغير الله)**، وذلك أنَّ النذر عبادة، فإذا صرف لغير الله كان شركًا في هذه العبادة[٢]. ثم استدل لكون النذر عبادة بآيتين وحديث.

وتقدم أنَّ النذر إلزام المكلف نفسه ما لم يجب عليه بأصل الشرع[٣]، فإنَّ وجوب الوفاء ليس بالتزام المكلف؛ بل بأمر الرسول ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩٦).

(٢) ينظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص١٦٥)، ومدارج السالكين (١/ ٥٣٢).

(٣) تنظر: (ص٢٦٦).

والنذر فيه تعظيم للمنذور له وعبادة له، فالمسلم إذا قال: «لله علي أن أصوم»؛ فإنه ألزم نفسه أن يعبد الله بهذه الصلاة أو الصيام أو الحج.

والنذر نوعان: نذر معلق على حصول شيء كما إذا قال الناذر: «إن شفى الله مريضي فعلي صيام شهر»، ونذر غير معلق على شيء؛ كقوله: «لله علي صيام شهر»، وأشده كراهة النوع الأول، وهو الذي قال فيه الرسول: «**النذر لا يأتي بخير**»(١)، فلا يكون سببًا في حصول المطلوب، وعدم الوفاء به أعظم إثمًا من عدم الوفاء بالنوع الثاني، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة].

فالنذر لله إن كان طاعة وجب الوفاء به(٢)؛ لقوله ﷺ في حديث عائشة: («**مَن نذر أن يطيع الله فليطعه**»)، وإن كان معصية فلا يجوز الوفاء به؛ كمن قال: «لله علي أن أصلي عند قبر فلان»، فالصلاة عند القبر معصية، فمن أوجب على نفسه ذلك، لم يجب عليه الوفاء به(٣).

والجاهل الذي ينذر المعصية، مثل أن يقول: «لله علي أن أصلي عند القبر الفلاني»، فهذا يريد التقرب إلى الله، لكنه جاهل في التزامه

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩٢)، ومسلم (١٦٣٩-٤) -واللفظ له- عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) ينظر: المغني (١٣/ ٦٢٢-٦٢٣).

(٣) تنظر: (ص٢٦٨).

بذلك، لأنه يظن أنَّ هذا طاعة لله، وهو مما نهى الله ورسوله عنه فهو نذر معصية.

فمن نذر أن يطيع الله وجب عليه الوفاء به لحديث الباب، وفيه الأمر بالوفاء؛ فمن نذر لله عبادة مشروعة، إما واجبة أو مستحبة، وجب عليه الوفاء به، أما الواجب فوجوبه متقدم، وفي النذر تأكيد له.

وكثير من الناس يعد النذر عبادة لله، والصواب أنَّ عقد النذر في ذاته ليس بعبادة لله؛ بل هو منهي عنه كما تقدم لكنه عبادة بمضمونه ومقصوده؛ فمضمونه تعظيم المنذور له، ومقصوده التقرب إلى الله بالشيء المنذور من صلاة وصيام وصدقة، فصار النذر عبادة من هذين الوجهين.

وعلى هذا فالنذر لله عبادة، والنذر لغيره شرك كالذين ينذرون لقبور الأولياء، وقد أثنى الله على الموفين بالنذر؛ فقال تعالى في الثناء على عباده: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧]، وقرن النذر بالنفقة؛ فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، وأمر النبي ﷺ بالوفاء بنذر الطاعة كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: («**مَن نذر أن يطيع الله فليطعه، ومَن نذر أن يعصيه فلا يعصه**»).

وإن كان النذر معلقًا على حصول شيء، فهذا مذموم قطعًا؛ فلا يجوز أن يقول الإنسان: إن شفى الله مريضي تصدقت بكذا، أو صمت كذا، فهذا النذر المعلق على شرط: إما مكروه أو محرم؛ لقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل**»[(١)]، وإذا

---

(١) ينظر: المفهم (٤/ ٦٠٦-٦٠٧)، وفتح الباري (١١/ ٥٧٨).

كان النذر مطلقًا غير معلق على حصول شيء، فقيل: إنه أيضًا ينهى عنه؛ لأنَّ الإنسان في عافية فلا يلزم نفسه ويحرجها، وقد يسر الله عليه، ومن أهل العلم مَن يقول: «إنَّ النذر المطلق لا يتناوله النهي»[(١)]، والأظهر: النهي عن النذر مطلقًا؛ لعموم قوله: «**إنه لا يأتي بخير**»[(٢)].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي الصحيح)**: أي: في «صحيح البخاري».

(وفي الصحيح عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَن نذر أن يطيع الله فليطعه، ومَن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»).

هذا أصل في باب النذور، وهو دليل على وجوب الوفاء بالنذر، أما قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [الإنسان: ٧]، فليس فيه دلالة على الوجوب، إنما فيه دلالة على فضل الوفاء بالنذر، وإنما الدليل على وجوب الوفاء بالنذر هذا الحديث.

وقد ذهب أكثر أهل العلم إلى وجوب الوفاء بنذر الطاعة مطلقًا[(٣)]، وهذا هو الصواب، فأي طاعة يلتزم بها العبد؛ فإنه يجب عليه الوفاء بها من صلاة أو صدقة أو حج أو اعتكاف أو صيام، لكن على المسلم أن يحذر من أن يلزم نفسه بما لعله لا يقوى عليه فيحرج نفسه، ويعرضها للحرج.

وهذا النذر الذي يجب الوفاء به يسميه أهل العلم: نذر التبرر، الذي يقصد به البر، والتقرب إلى الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، سواء كان مطلقًا أو مشروطًا، وأما نذر اللجاج والغضب فهو الذي يقصد به الحض أو المنع، ولا يجب

---

(١) ينظر: البيان والتحصيل (٣/ ١٣٧).
(٢) ينظر: المجموع شرح المهذب (٨/ ٤٣٤).
(٣) ينظر: المجموع شرح المهذب (٨/ ٤٤٣-٤٤٥)، والمغني (١٣/ ٦٢٣).

الوفاء به؛ بل يخير بين الكفارة وفعل المنذور، كالذي ينذر من أجل أن يلزم نفسه بفعل أو يمنع نفسه من فعل، كمن يقول: إن لم أفعل كذا فعلي صيام شهر، أو إن فعلت كذا فعلي صيام شهر؛ كما يفعل بعض الناس، يريد أن يلزم نفسه بالترك، وقد ينشأ هذا عن معاندة وانفعال وغضب، كمن يقول: إن كلمت فلانًا فعلي أن أتصدق بمالي، أو أن أعتق كل عبيدي، فهذا اسمه عند العلماء نذر اللجاج والغضب، وكفارته كفارة يمين، فيخير: إما أن يفعل المنذور، وإما أن يكفر كفارة يمين، فليس المقصود به التبرر؛ بل المقصود منه الإلزام بفعل أو ترك، فمعناه معنى اليمين.

وقوله: (**«ومَن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»**): إذا نذر الإنسان ما يظنه طاعة وهو معصية، فهذا لا يجوز الوفاء به إجماعًا[١]، كمن قال: «لله علي أن أصلي عند قبر فلان»، أو «أن أذبح عند قبر فلان»، أو «أن أدعو عند قبر فلان»، كل هذا من الأمور المحرمة، ومن وسائل الشرك، فلا يجوز الوفاء به.

ولكن هل يجب عليه أن يُكفِّر؟

فيه قولان لأهل العلم[٢]، والراجح هو وجوب الكفارة؛ لحديث عائشة كما ورد في رواية: «**لا نذر في معصية الله، وكفارته كفارة يمين**»[٣]، وهذا فيما إذا كان المحرم هو نفس المنذور كما في الأمثلة

---

(١) ينظر: مراتب الإجماع (ص٢٥٩)، والإقناع في مسائل الإجماع (١/ ٣٧٥).

(٢) ينظر: المغني (١٣/ ٦٢٤- ٦٢٦).

(٣) أخرجه أحمد (٢٦٠٩٨)، وأبو داود (٣٢٩٠)، والترمذي (١٥٢٤)، (١٥٢٥)، والنسائي (٣٨٣٥)، وابن ماجه (٢١٢٥) قال الترمذي: «هذا حديث لا يصح»، =

السابقة، أما إذا كان نفس النذر معصية، كالنذر للمخلوق الذي هو الشرك، فهذا لا حرمة له، كالحلف بالمخلوق، فلا حرمة له ولا كفارة فيه، مثل مَن يحلف بالنبي ﷺ، أو بالسيد فلان، أو بحياة فلان أو بشرفه؛ فهذا لا حرمة له ولا كفارة فيه؛ لأنه نفسه معصية[١]، أما إذا كان النذر لله لكن المنذور معصية، فهذا الذي نقول: لا يجوز الوفاء به، وكفارته كفارة يمين، كما لو قال إنسان: «والله لأشربن الخمر»، فهنا يحرم الوفاء بهذا النذر، ويجب الحنث بهذه اليمين، ولا يجوز له أن يوفي بيمينه؛ بل يحرم عليه، ويجب أن يكفر عن يمينه.

(فيه مسائل:

الأولى: وجوب الوفاء بالنذر).

هذا مستفاد من حديث أم المؤمنين عائشة، للأمر في قوله: **(فليطعه)**.

(الثانية: إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غيره شرك).

هذا وجه أنَّ من الشرك: النذر لغير الله.

وقوله: **(إذا ثبت كونه عبادة لله)**: سبق توجيه معنى كون النذر عبادة لله؛ وذلك باعتبار مآله، وباعتبار ما يتضمنه من تعظيم المنذور له؛ فصرفه لغيره شرك.

= ولكن له شواهد عن جماعة من الصحابة، وحديث عائشة احتج به الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه. ينظر: مسائل الإمام أحمد وإسحاق برواية الكوسج (رقم ١٧٦٣)، والتلخيص الحبير (٦/ ٣١٣٨ رقم ٢٨١٢).

(١) ينظر: الرد على السبكي (١/ ٣٦٤-٣٦٥)، (١/ ٣٧٥)، ومجموع الفتاوى (١١/ ٥٠٤)، (٣٣/ ٤٨).

(الثالثة: أنَّ نذر المعصية لا يجوز الوفاء به).

فلا يجوز؛ بل يحرم؛ لقوله ﷺ: «**ومَن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**»، فيحرم الوفاء بنذر المعصية؛ لأنَّ النذر لا يسوغ فعل المعصية.

◆◇◈◇◆

(١٣)

باب: من الشرك: الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن].

وعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك» رواه مسلم[١].

الشرح

قوله: (**باب: من الشرك: الاستعاذة بغير الله**): أي: هذا باب بيان أنَّ من الشرك: الاستعاذة بغير الله، والذي يظهر أنه مثل الذي قبله، أي: من الشرك الأكبر وذلك فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ كالاستعاذة بغير الله من النار أو من الشيطان أو من جميع الشرور، فلا يعيذ من النار ومن الشيطان، ولا من جميع الشرور؛ إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[٢].

والاستعاذة: طلب العياذ، وهو الحماية والوقاية من الأمر المحذور المخوف، فالسين والتاء للطلب في الغالب[٣]، والعياذ يكون في دفع

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٨).
(٢) ينظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٢١٣-٢١٤)، ومجموع الفتاوى (٢٦/ ١٥٣).
(٣) ينظر: شرح المفصل (٤/ ٤٤٢).

الشر، فمقصود المستعيذ هو دفع الشر، واللياذ يستعمل في طلب الخير[(١)]، والاستعانة: طلب العون في دفع الشر أو جلب الخير، ومعنى الاستعاذة: الالتجاء والاعتصام، فمعنى أعوذ بالله يعني: ألتجئ وأعتصم بك يا الله.

وقد أمرنا الله تعالى بالاستعاذة به من الشيطان في مواضع كثيرة من القرآن، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ [النحل]، يعني: إذا أردت أن تقرأ القرآن؛ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم[(٢)]. وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٦﴾ [فصلت]. وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ۝٩٨﴾ [المؤمنون].

وقد أنزل الله تعالى سورتين تضمنتا الاستعاذة به، والأمر بالعياذ به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من جميع الشرور عمومًا وخصوصًا، وهما المعوذتان: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾.

فأمر الله نبيه -وأمته تبع له ﷺ- بهذه التعويذات، بأن يستعيذ به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من هذه الشرور؛ فدل ذلك على أنَّ الاستعاذة به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عبادة مأمور بها.

وقد شرع لنا التعوذ بالله في مواضع مختلفة، منها:

- عند قراءة القرآن؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ [النحل].

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد (٢/ ٧٠٣) وما بعدها، وتفسير ابن كثير (١/ ١١٤).

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢١٨).

- وعند وسواس الشيطان؛ قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون].

- وعند نزغة الشيطان؛ قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت].

- وعند دخول الخلاء؛ كان رسول الله ﷺ؛ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**»[(١)].

- وعند دخول المسجد والخروج منه[(٢)].

- وعند إتيان الأهل[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٢)، ومسلم (٣٧٥) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) لما أخرجه أبو داود (٤٦٦) عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ: أنه كان إذا دخل المسجد قال: «**أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم**»، قال: أقط؟ قلت: نعم، قال: «**فإذا قال ذلك قال الشيطان: حفظ مني سائر اليوم**»، وجوَّد إسناده النووي في الأذكار (ص٢٥)، وقال ابن حجر في نتائج الأفكار (١/ ٢٧٧) «هذا حديث غريب، ورجاله موثقون، وهم من رجال الصحيح إلا إسماعيل وعقبة».

ولما أخرجه ابن ماجه (٧٧٣)، وأبو داود (٧٧٣) وصححه ابن خزيمة (٤٥٢)، وابن حبان (٢٠٤٧)، والحاكم (٧٤٧) عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا دخل أحدكم المسجد، فليسلم على النبي ﷺ، وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج، فليسلم على النبي ﷺ، وليقل: اللهم اعصمني** (ولفظ ابن خزيمة والحاكم: **أجرني**) **من الشيطان الرجيم**».

(٣) أخرجه البخاري (١٤١)، ومسلم (١٤٣٤) عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما إنَّ أحدَكم إذا أتى أهله، وقال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فرُزقا ولدًا لم يضره الشيطان**».

فالمقصود: أنَّ الاستعاذة بالله عبادة، وإذن؛ فالاستعاذة بغير الله شرك، ومن الأدلة على هذا: أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذم الإنس الذين كانوا يعوذون بالجن؛ كما في الآية المذكورة: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن]: أي: زاد الإنس الجن رهقًا؛ أي: طغيانًا وكبرًا، وقيل: زاد الجن الإنس خوفًا وذعرًا، وسبب هذا الاختلاف أنَّ في الآية ضميرين، ضمير رفع، وضمير نصب، وكل منهما يحتمل أنَّ المراد به الإنس أو أنَّ المراد به الجن، والأظهر عندي هو الثاني[(١)]، وكان أهل الجاهلية إذا نزلوا منزلًا يقولون: أعوذ بسيد هذا الوادي -يعني من الجن- من سفهاء قومه[(٢)]، فلما رآهم الجن يخافونهم ويلتجئون إليهم ويستعيذون بهم أخافوهم، حتى زادوهم رهقًا.

ولكن ما حكم الاستعاذة بالحاضر القادر كأن تقول: أعوذ بك يا فلان من شر هذا العدو.

الظاهر -والله أعلم- أنه يجوز، وأنَّ الاستعاذة من جنس الاستعانة، ومن جنس الاستجارة، ومن جنس الاستغاثة؛ فتقول: أستجير بك يا فلان، أجرني من هذا العدو، أو أجرني من هذا السبع، أو أجرني يا فلان، للحي الحاضر القادر، فهو كالاستعانة، وإن كانت الاستعانة هي عبادة لله؛ قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾. والاستعانة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه شرك؛ كاستعانة المشركين بأصنامهم

---

(١) وهو قول أبي العالية والربيع وابن زيد. ينظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٣٢٤)، وتفسير الماوردي (٦/ ١١١).

(٢) جاء عن غير واحد من السلف كالحسن ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس ينظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٣٢٢-٣٢٤)، والدر المنثور (٨/ ٣٠١).

وآلهتهم التي يعبدونها من دون الله، وأما الاستعانة بالحاضر القادر فيما يقدر عليه؛ فهذا من الأمر الجائز الذي يكون مشروعًا أحيانًا بحسب الحال، حيث تكون الإعانة به مشروعة؛ كالاستعانة على فعل الخير؛ لأنَّ الله يقول: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: ٢].

فالاستعاذة بالمخلوق فيما يقدر عليه جائزة[١] كما يستعيذ الخائف بمن يدفع عنه؛ كما قال ﷺ: «**مَن سألكم بالله فأعطوه، ومَن استعاذكم بالله فأعيذوه**»[٢].

وأما الحديث فهو: **(وعن خولة بنت حكيم قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك» رواه مسلم)**.

قوله: **(«مَن نزل منزلًا»)**: أي: في سفر، أو حضر[٣]. فيشرع له أن يستعيذ بكلمات الله التامة كما في هذا الحديث؛ ليقيه الله بهذه الاستعاذة من شر ما يحذر.

قوله: **(فقال)**: يعني: بعدما نزل، أو عند نزوله.

---

(١) ينظر: التيسير (١/ ٤٠٠)، وحاشية ابن القاسم (ص١١٠). وسيأتي في (ص٦١٦) قول إبراهيم النخعي أنه «يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان».

(٢) سيأتي تخريجه بتمامه في «باب لا يُرد من سأل بالله»، في (ص٦٦٨).

(٣) إذ لا وجه للتقييد بالسفر مع التنكير. ينظر: شرح الزرقاني على الموطأ (٤/ ٦١٧)، ومرقاة المفاتيح (٤/ ١٦٨٢).

قوله: («**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**»): هذا بدل عن استعاذة أهل الجاهلية.

وهذه من الاستعاذة بصفات الله، وكلمات الله هي كلامه، وكلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى صفة من صفاته، فالاستعاذة بكلماته ليست استعاذة بغيره(١)، فالاستعاذة تكون بالله وبصفاته كما في الحديث: «**أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك**»(٢)، وفي الحديث الآخر: «**أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت، أن تضلني**»(٣).

وكلمات الله تشمل الكلمات الكونية والكلمات الشرعية التي هي القرآن، وهذا الحديث فيه عموم، وأما الكلمات في الحديث الآخر: «**أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برٌّ، ولا فاجر**»(٤)؛ فهي الكلمات الكونية؛ لأنَّ الكلمات الكونية لا يتجاوزهن شيء، ولا يخرج عنهن شيء(٥).

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١/ ١١١-١١٢)، وبدائع الفوائد (٢/ ٧٠٨-٧٠٩).

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٦) من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧١٧) من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) أخرجه أحمد (١٥٤٦١) وابن أبي شيبة (٢٣٦٠١)، وأبو يعلى (٦٨٤٤) من طرق عن جعفر بن سليمان، قال: حدثنا أبو التياح، قال: سأل رجل عبد الرحمن بن خنبش: كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كادته الشياطين؟ فذكره. قال الألباني في الصحيحة (٨٤٠): «والإسناد صحيح، رجاله إلى ابن خنبش على شرط مسلم، وقد اختلفوا في صحبته، وقد اختار الحافظ في الإصابة قول من جزم بأن له صحبة، وهذا الحديث يشهد لذلك؛ فإنه قد صرح فيه أنه أدرك النبي ﷺ» ينظر: الإصابة (٦/ ٤٤٧ رقم ٥١٣٥).وأخرجه بنحوه عن خالد بن الوليد، وابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وحسنه بشواهده ابن حجر في نتائج الأفكار (٤/ ٩٦).

(٥) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٢٨٤-٢٥٦)، وشفاء العليل (٢/ ٣٧٩-٣٨٠).

قوله: («التامات»): يعني: الكاملات التي لا نقص فيها ولا عيب[١]، وهي تامات في مضمونها؛ وذلك بكمال الصدق والعدل، يبين ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗا﴾ [الأنعام: ١١٥]، وفي قراءة: ﴿وتمَّتْ كَلِمَاتُ ربِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾[٢].

قوله: («من شر ما خلق»): هذا هو المستعاذ منه؛ يعني: من شر كل مخلوق فيه شر، فهو من العام الذي أريد به الخصوص[٣].

والمعنى: من شر كل ذي شر، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢﴾.

والشر: فسره العلماء بأنه الألم وما يفضي إليه[٤]، وأعظم الشرور: المعاصي، وأعظمها: الشرك؛ فإنها تفضي إلى أعظم الآلام، وهو العذاب في النار.

قال ﷺ في الحديث: («لم يضره شيء»)، هذا هو الجزاء، ويتضمن الوعد بالسلامة من الشرور المحتملة، والضرر هو الذي فيه الخطر، وفيه النقص على مَن يصيبه بخلاف الأذى فهو أيسر، فليس كل أذى يضر، إنما الشيء الذي يحاذره الإنسان ويتقى هو الضرر، أما الأذى فلا تتأتى السلامة منه[٥]؛ كما قال تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗى﴾ [آل عمران: ١١١]، ولهذا يجوز الأذى على الله بخلاف الضرر؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ

---

(١) ينظر: النهاية (١/ ١٩٧).
(٢) ينظر: النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٦٢).
(٣) ينظر: بدائع الفوائد (٢/ ٧٢٦-٧٢٧).
(٤) ينظر: بدائع الفوائد (٢/ ٧١١).
(٥) ينظر: الصارم المسلول (٢/ ١١٨-١١٩).

ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، وفي الحديث القدسي: «**يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر**»[(١)]، وقال تعالى: ﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٧٦].

حتى ولو أصاب الإنسان ما يؤذيه فإنه لا يضره؛ لأنَّ هذا وعد بنفي الضرر؛ قال: (**«لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك»**)، وهذا فضل عظيم، لكن شرط ذلك: أن يكون العياذ والالتجاء والاعتصام صادرًا من توجه صادق إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وليس فقط تعوذًا باللسان؛ بل تعوذ بالقلب وباللسان، مع الإيمان بوعد الله والتصديق بهذا الثواب العاجل.

واستُدل بالحديث على أنَّ كلام الله غير مخلوق؛ لأنَّ الاستعاذة بالمخلوق شرك، فلما استعاذ بكلمات الله، علم أنَّ كلام الله غير مخلوق[(٢)]، ولا ريب أنه تجوز الاستعاذة بالله وبصفاته، كما في الحديث: «**أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت، أن تضلني**»[(٣)]. وبهذا يعلم أنَّ الاستعاذة بالله وبكلماته وصفاته من التوحيد، والاستعاذة بغيره شرك.

وفي الحديث: استحباب هذا الذكر؛ فيستحب لمن نزلا منزلًا أن يقول ذلك.

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية «الجن»).

تفسير آية «الجن» سبق بيانه.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وسيأتي التعليق عليه في «باب من سب الدهر فقد آذى الله»، في (ص٦٢٨).

(٢) ينظر: خلق أفعال العباد (٢/ ٢٣٢)، واقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣٢٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧١٧) من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(الثانية: كونه من الشرك).

يعني من فوائد هذا الباب: أنَّ الاستعاذة بغير الله من الشرك؛ لما علم من أنه عبادة.

(الثالثة: الاستدلال على ذلك بالحديث؛ لأنَّ العلماء يستدلون به على أنَّ كلمات الله غير مخلوقة، قالوا: لأنَّ الاستعاذة بالمخلوق شرك).

هذا توجيه للاستدلال على ما ذكره من أنَّ الاستعاذة بغير الله شرك.

(الرابعة: فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره).

وذلك مستفاد من قوله ﷺ: (**«لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك»**)، مع أنَّ لفظ هذا الذكر قليل: (**«أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»**)، ومَن تحرى هذا الدعاء تسننًا واقتداء واتباعًا أُثيب على ذلك؛ فحصل له مقصوده.

(الخامسة: أنَّ كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية من كف شر أو جلب نفع؛ لا يدل على أنه ليس من الشرك).

هذه الفائدة مستنبطة من الآية؛ لأنَّ المشركين الذين كانوا يستعيذون بالجن قد يحصل لهم منهم منفعة وسلامة من شر سفهاء الجن، فربما إذا استعاذ بهم تركوه، وإذا لم يستعذ بهم آذوه؛ لأجل أن يلجئوه إلى الاستعاذة بساداتهم، وكون الشيء تحصل منه منفعة دنيوية؛ لا يدل على أنه ليس من الشرك، ولذا فكون الشيء نافعًا لا يدل على إباحته، فقد يكون حرامًا وفيه منفعة؛ كما قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

فكون الشيء يحصل به منفعة دنيوية أو دفع مضرة دنيوية لا يدل على شرعيته، ولا يدل على أنه ليس من الشرك، بدليل أنَّ الإنس الذين يستعيذون بالجن قد يحصل لهم شيء من مطلوبهم، وهذا كثير، حتى الذين يأتون عند القبور ويدعون الله، قد يحصل لهم بعض مطلوبهم؛ فيظنون أنَّ هذا بسبب هذا القبر، فلا يدل ذلك على أنَّ هذا العمل صحيح، ولا على أنه ليس من الشرك، فأحكام الأفعال لا يستدل عليها بآثارها، وقد يفتن الإنسان فيعطى مطلوبه، والعمل الذي عمله ليس شرعيًّا، فيكون في ذلك له فتنة، وقد يكون ما حصل له ليس هو بسبب ما صنعه لكن يظن ذلك؛ كما نبه على ذلك أهل العلم، أنه قد يأتي الإنسان عند القبر ويدعو ربه بحرارة وصدق؛ فيعطى سؤله بسبب ما قام بقلبه من التوجه، لا بسبب دعائه عند هذا القبر، فيظن الجاهل أنه إنما استجيب دعاؤه لوجوده وحصوله في ذلك الموضع[(١)]، وقد يحصل لأهل المعاصي وأهل الشرك شيء من المنفعة: إما بمعونة الشياطين، أو يحصل ذلك اتفاقًا، أو يحدث ذلك ابتلاء وفتنة[(٢)].

◆◇◈◇◆

(١) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢١٣)، والجواب الكافي (ص٢٥-٢٦).

(٢) ينظر: الجواب الصحيح (٢/ ٣١٨-٣٢٣)، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٣٦٦-٣٦٨).

(١٤)

باب: من الشرك: أن يستغيث بغير الله، أو يدعو غيره

وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس].

وقوله: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأحقاف: ٥] الآيتين.

وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل].

وروى الطبراني «بإسناده»(١) أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله»(٢).

---

(١) زيادة من بعض النسخ وهي مثبتة في التيسير.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (١٠/ ١٥٩) من حديث عُبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فمسند عُبادة من القسم المفقود من المعجم. قال الهيثمي: «ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة، وهو حسن الحديث». وأخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٣٣٣)، وأحمد (٢٢٧٠٦)، أن رجلًا سمع عبادة بن الصامت يقول: فذكره بلفظ: (فقال أبو بكر قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يقام لي، إنما يقام لله**»). =

الشَّرْح

يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (باب: من الشرك: أن يستغيث بغير الله، أو يدعو غيره): يعني: هذا باب بيان أنَّ: **(من الشرك)**: أي: من الشرك الأكبر **(أن يستغيث)** العبد أو الإنسان **(بغير الله)** من الأموات والغائبين وفيما لا يقدر عليه إلا الله أو يدعو غيره.

والاستغاثة: طلب الغوث، وهو كشف الشدة[1]، ولا تكون إلا من المكروب، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]. فالله تعالى هو الذي يغيث المستغيثين ويجيب المضطرين؛ **قال تعالى**: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢].

والدعاء هو الطلب، إما طلب النفع أو طلب دفع الضر، فتكون العلاقة بين الاستغاثة والدعاء: العموم والخصوص، يعني: أنَّ الدعاء أعم من الاستغاثة، فكل استغاثة دعاء؛ لأنَّ فيها طلب الغوث وطلب كشف الكربة وكشف الشدة، وليس كل دعاء استغاثة؛ لأنَّ الدعاء يكون استعانة، ويكون استعاذة، ويكون استنصارًا، ويكون استرزاقًا؛ وهو طلب الرزق، ويكون استشفاء؛ وهو طلب الشفاء؛ فالدعاء أوسع، فعطف الدعاء على الاستغاثة من باب عطف العام على الخاص[2].

= وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١٣٦٠٢) بسياق أطول.
قال ابن كثير بعد أن ساق رواية ابن أبي حاتم: «وهذا الحديث غريب جدًا».

(١) ينظر: الاستغاثة (ص٢٥٥)، ومجموع الفتاوى (١/ ١٠٣).

(٢) ينظر: التيسير (١/ ٤٠٧)، وفتح المجيد (١/ ٣٠١).

والدعاء نوعان: دعاء مسألة، ودعاء عبادة[١]:

فدعاء المسألة هو الطلب الصريح؛ أي: طلب الإنسان ما ينفعه، أو طلب دفع ما يضره، كأن يقول: اللهم اغفر لي، أو اللهم ارزقني ذرية صالحة.

ودعاء عبادة، وهو كل ما يتقرب به إلى الله طلبًا لمثوبته، من صلاة وصدقة وصوم وحج وذكر وتلاوة قرآن؛ فكل هذا يدخل في دعاء العبادة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دعاء المسألة يتضمن دعاء العبادة، ودعاء العبادة يستلزم دعاء المسألة[٢]؛ لأنَّ العابد طالب لحصول منفعة ودفع مضرة فهو يصلي؛ ويرجو رحمة الله ويخاف عقابه، ويصوم رجاء ثواب الله ورجاء النجاة من النار، وهكذا في كل الأعمال الصالحة.

والآيات القرآنية الواردة في الدعاء كثيرة جدًّا، فالله عَزَّوَجَلَّ ذكر الدعاء في آيات كثيرة، أمرًا وثناء على الداعين، كما في قوله تعالى: ﴿كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء]، فأثنى عليهم بالدعاء.

وأمر بالدعاء في قوله: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾ [الأعراف].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ١٠-١١)، وجِلاء الأفهام (ص ١٦٠).
(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ١١).

ونهى عن دعاء غيره في آيات كثيرة؛ كما ذكر بعضها في الباب، ومن الآيات الواردة في دعاء الله؛ قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

ومنها: قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر].

فأمر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بدعائه، وتوعد المستكبرين عن عبادته، ومن ذلك: مَن يستكبر عن دعاء الله ولا يرى به حاجة إلى أن يدعو ربه، مستكبرًا عن عبادة الله، إما أن لا يدعو إلا آلهته الباطلة أو لا يدعو شيئًا؛ بل هو مغرور بنفسه وبما أوتي من حول وقوة، فلا يتوجه إلى الله ولا يرجوه ولا يخافه، وكل من يرجو ربه ويخافه لا بد أن يدعوه، فالمعرض عن دعاء الله مستكبر، وفي الحديث: «**مَن لم يسأل الله يغضب عليه**»(١)؛ فالذي يعرض ويتعمد الإعراض عن الدعاء مذموم، حقيق بأن يحل عليه غضب الله؛ بل المؤمن إذا نزلت به حاجة صغيرة أو كبيرة، أنزلها بربه، فلا يعتمد على حوله ولا على قوته، ولا على أسبابه وحيلته؛ بل

(١) أخرجه أحمد (٩٧٠١)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٥٨)، والترمذي (٣٣٧٣)، وابن ماجه (٣٨٢٧)، عن أبي هريرة مرفوعًا. والحديث قال عنه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٧/ ١٥٤): «تفرد به أحمد، وهذا إسناد لا بأس به»، وتعقبه الحافظ في الفتح (١١/ ٩٥) فقال: «وظن الحافظ ابن كثير أنه أبو صالح السمان فجزم بأن أحمد تفرد بتخريجه، وليس كما قال»، وللحديث شواهد أخرى عن أنس والنعمان بن بشير. ينظر: الصحيحة (٢٦٥٤).

في جميع أموره يتوجه إلى ربه، وإن أخذ بالأسباب؛ ولهذا جاء في الحديث: «**ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها؛ حتى شسع نعله إذا انقطع**»[(١)] يعني: قل: اللهم أصلح لي شأني؛ لأنَّ الأمر والملك كله لله، والخير كله بيده، فيجب أن يتوجه العبد إلى ربه في جميع أموره، وفي جميع حوائج الدنيا والآخرة؛ قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝١٣٤﴾ [النساء]؛ فله الدنيا والآخرة، وله ما في السموات وما في الأرض، رب كل شيء ومليكه، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع.

إذن: السؤال والتضرع وطلب الحوائج وغير ذلك من دعاء المسألة؛ كله عبادة، وإذا كان كذلك فصرف العبادة لغيره شرك، وهذا هو المقصود، وهو الذي قصد إليه المؤلف بالترجمة في قوله: **(باب: من الشرك: أن يستغيث بغير الله، أو يدعو غيره)**، كأن يستغيث بالأموات، أو الغائبين؛ من الملائكة والأنبياء، أو بالأصنام المنحوتة على صور الصالحين أو غيرهم؛ فيدعوهم ويرجوهم، فهذه استغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٠٤)، وأبو يعلى (٣٤٠٣)، عن أنس مرفوعًا. قال الترمذي: «هذا حديث غريب، وروى غير واحد هذا الحديث عن جعفر بن سليمان، عن ثابت البناني، عن النبي ﷺ، ولم يذكروا فيه: عن أنس»، وأخرجه مرسلًا (٣٦٠٤/ ٩) عن ثابت البناني، أن رسول الله ﷺ قال: فذكره. ثم قال: «وهذا أصح من حديث قطن، عن جعفر بن سليمان»، وأخرجه ابن عدي في الكامل (٧/ ١٨١) عن القواريري به...»، فقال رجل للقواريري إن لي شيخًا يحدث به عن جعفر عن ثابت، عن أنس، فقال القواريري: باطل، وهذا كما قال»، وضعَّفه الألباني في الضعيفة (١٣٦٢).

والاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه جائز، كما جاء في قصة موسى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [القصص]، فهذا الإسرائيلي كان بينه وبين القبطي من قوم فرعون اقتتال، فلما مر بهما موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾: أي: من بني إسرائيل ﴿عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾: أي: القبطي من قوم فرعون، ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾: أي: أغاث الذي من شيعته، وقتل الذي من عدوه، فهذه استغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه وهذا جائز.

وكالاستغاثة: الاستعانة والاستنصار، فإنه يجوز بالمخلوق فيما يقدر عليه، قال الله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنفال]. فيجوز أن تقول: انصرني يا فلان على هذا العدو، وكذلك طلب الحوائج ممن يقدر على قضائها، مثل ما يكون بين الناس من التعاون، أما الاستغاثة بالأموات كما يفعل المشركون القبوريون الذين يعبدون الموتى والصالحين أو مَن يُدَّعى لهم الصلاح فلا يجوز، وهو شرك بالله كما سبق تقريره.

وهذه القبور التي يتعلق بها القبوريون، منها: ما هي قبور حقيقية لصالحين، ومنها: ما هي قبور لمجهولين، ومنها: ما هي قبور لفاسقين ادعي لهم الصلاح، ومنها: ما هي قبور وهمية منصوبة ومزعومة لبعض

الصالحين، كقبر الحسين بمصر، فقد حقق العلماء أنَّ هذا قبر مزعوم، فالحسين لم يدفن رأسه ولا جسده هناك(١).

فالاستغاثة بالملائكة وبالأنبياء وبالصالحين وهم أموات، أو الاستغاثة بالأصنام المنصوبة على صور وهيئات وأشكال؛ فهذا سبيل المشركين، وكله من الشرك، فالمشركون الأولون من سائر الأمم الهالكة، شركهم قائم على عبادة غير الله بأنواع العبادات، ومنها: الاستغاثة، ومنها: الدعاء، لكن كان المشركون الأولون يدعون أصنامهم ويستغيثون بمعبوداتهم من دون الله في حال الرخاء، أما في الشدائد فلا، فإذا ركبوا البحر، وتلاطمت الأمواج، وصارت السفينة تتأرجح وتضطرب، وأحاط بهم الموج من كل مكان، وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين، كما **قال تعالى**: ﴿ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ﴾ [الإسراء: ٦٧]، فنسوا آلهتهم، ورجعوا إلى فطرتهم، فهذا حال المشركين الذين أخبر الله عنهم وذكرهم في القرآن كثيرًا؛ وصفًا لحالهم وذمًّا لهم وبيانًا لتناقضهم، أما المشركون في الأعصار المتأخرة، ولا سيما من المنتسبين للإسلام من القبوريين، سواء كانوا ممن ينتسب للسنة أو للشيعة الرافضة وغير الرافضة، فهؤلاء يدعون مَن يغلون فيهم في الرخاء؛ بل يدعونهم في الرخاء والشدة، ويزداد شركهم ويشتد تعلقهم في الشدة، فإذا مسهم الضر واشتدت عليهم الكروب استغاثوا بغير الله،

(١) وقد نص غير واحد من أئمة أهل العلم على أنه لا أصل لذلك، بل حكى شيخ الإسلام الإجماع على أن المشهد المنسوب إلى الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الذي بالقاهرة كذب مختلق بلا نزاع بين العلماء المعروفين. ينظر: مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٥٠-٤٨٩)، والبداية والنهاية (١١/ ٥٨٢).

فالرافضي يقول: يا علي، يا حسين، يا فلان من الأئمة، وهؤلاء الأئمة -رَحِمَهُمُ اللَّهُ- علي وذريته برآء من الرافضة الذين يدعون فيهم ما ليس لهم، وكذلك المشركون في مختلف البلاد من غير الرافضة؛ كعباد البدوي، وعباد الحسين بمصر وغير مصر، وفي العالم الإسلامي أسماء كثيرة، وقبور كثيرة يتعلق بها أولئك المشركون، ومزارات تقصد لدعاء مَن فيها، أو للدعاء عندها والطواف حولها!

فالمقصود: أنَّ من الشرك الأكبر: الاستغاثة بأولئك الغائبين أو الأموات أو الجمادات.

وقد نهى الله تعالى نبيه عن أن يدعو غيره في آيات كثيرة، كما قال تعالى - وهي الآية الأولى في الباب-: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس]، هذا نهي من الله لنبيه عن أن يدعو غيره، ينهاه عن الإشراك به، وقد قال قبلها: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس].

قوله: ﴿وَلَا تَدْعُ﴾: لا دعاء مسألة، ولا دعاء عبادة، ولكن إطلاق الدعاء على دعاء المسألة أكثر[1].

قوله: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾: أي: لا تدع مَن لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًا، فالذي لا يملك نفعًا ولا ضرًّا؛ لا يرجى

---

(١) ينظر: فتح المجيد (١/ ٣١٦).

ولا يخاف، فلا يدعى، فهؤلاء الذين يدعون غير الله يدعون مَن لا يملك لنفسه، ولا لغيره ولا لعابديه نفعًا ولا ضرًا، والذي يستحق أن يعبد هو الذي بيده النفع والضر، وليس ذلك إلا الله تعالى.

قوله: ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾: بأن دعوت غير الله، مما لا ينفع ولا يضر.

قوله: ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾: يعني: من المشركين[1]، والظلم أكثر ما يطلق في القرآن على الشرك، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣﴾ [لقمان].

ثم بين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه هو النافع الضار، وأنه هو الذي يكشف الضر ويجلب النفع، فقال: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧]، فلا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وهذه الآية نظيرها قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢﴾ [فاطر].

فنهى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن دعاء مَن لا ينفع ولا يضر، وبين أنَّ ذلك شرك، ثم بين مَن يستحق أن يقصد بالدعاء والخوف والرجاء وهو الله الذي لا يكشف الضر سواه، ولا يرد أحد خيرًا أعطاه سبحانه؛ قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٧﴾ [يونس].

ووجه دلالة الآية على الترجمة أنَّ دعاء غير الله ظلم؛ أي: شرك؛ فمن دعا مَن لا ينفع ولا يضر -وهذا شأن كل مخلوق- فقد أشرك،

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٠٤).

والله يقول لنبيه: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [الأعراف].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١٧﴾ [العنكبوت]. هذا من قول إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لقومه ينكر عليهم عبادة الأوثان، ويبين لهم نقصها، وأنها لا تصلح للعبادة؛ بل الذي يستحق العبادة هو الله مالك كل شيء، فالرزق عنده فلا يطلب إلا منه، وهو المستحق للعبادة، والشكر له على إنعامه، وهو الذي إليه المرجع والمآب.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ٦﴾ [الأحقاف]، هذا ذم لمن يدعو غير الله من الأموات والغائبين ويرجوهم ويخافهم، ومعنى الآية: لا أحد أضل ممن يدعو من دون الله مَن لا يستجيب له، فهو أجهل الناس وأسفههم، فلا أجهل ولا أسفه ممن يدعو جمادًا أو ميتًا يرجوه ويخافه ويستغيث به، وهو لا يستجيب له ولا ينفع ولا يضر.

وقد وقع كثير من جهلة المسلمين في هذا الشرك، وذلك بالغلو في الأولياء حتى بنوا على قبورهم القباب والمساجد، واتخذوها مزارًا يطوفون بها، ويصلون ويذبحون لها ويحجون إليها، ويدعونهم من قرب وبعد في الشدة والرخاء، وهذا دين الرافضة، وسلك طريقهم ضلّال الصوفية، ولهذا

لا تكاد تخلو بلد من بلدان المسلمين من هذه المزارات التي تشبه اللات والعزى ومناة، ومن سوء حال هؤلاء المشركين ما ذكره الله في قوله: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف].

فإنهم يوم القيامة يتبرؤون منهم، ويكفرون بعبادتهم؛ بل شرك القبوريين في هذا الزمن من الرافضة والصوفية أغلظ من شرك أهل الجاهلية، فإنَّ أولئك يشركون في الرخاء، ويخلصون في الشدة، وهؤلاء المشركون يشركون في الرخاء والشدة(١)، ومن العجب أنَّ المشركين من المنتسبين إلى الإسلام؛ يقولون: لا إله إلا الله، ويعبدون مع الله غيره لجهلهم؛ بمعنى: لا إله إلا الله، وصدق الله في وصفهم إذ يقول: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥﴾ [الأحقاف].

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ [النمل]، هذه الآية جارية على نسق آيات قبلها وبعدها، بدئت بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ [النمل]. ولا شك أنَّ الله خير مما يشركون، فالله هو مالك الملك، وهو على كل شيء قدير، وهو رب كل شيء ومليكه، وهو الذي يعطي ويمنع ويخفض ويرفع، ويعز ويذل، وهو على كل شيء قدير، أما ما يشركون فهي لا تملك لنفسها فضلًا عن غيرها نفعًا ولا ضرًّا.

---

(١) تنظر المسألة السابعة عشرة في (ص٣١١).

ثم قال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: يعني: ما يشركون خير أمن خلق السموات والأرض؟ ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠]، أمعبود مما يؤله من دون الله فعل هذا مع الله؟! -وهم يقرون أنه لم يفعل هذا إلا الله، لم يفعله معه شيء من معبوداتهم-، المعنى: فعل ما ذكر من خلق السموات والأرض، وإنزال الغيث وإنبات الحدائق؟! وهكذا الآية التي بعدها إلى قوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾: أي: ما يعبده المشركون من دون الله خير أمن يجيب المضطر إذا دعاه؟! أيهما خير: الذي لا يجيب مَن دعاه ولا يكشف ضرًّا، أم الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء؟! فكل عاقل يعرف أنَّ الذي يجيب المضطر ويكشف السوء، ويخلق الناس، ويحيي ويميت؛ أنَّ هذا خير، والمشركون الأولون كانوا يقرون بأنَّ الله هو الذي يكشف الضر، وهو الذي يجيب المضطر؛ ولهذا إذا ركبوا البحر، وأحاطت بهم الأمواج، ووقعوا في الضرورة، أخلصوا له الدين قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت]، وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء]، فهل هناك معبود يفعل ذلك؟ الجواب: لا، وهذا أمر مقرر ومستقر عندهم.

ثم ذكر الشيخ حديثًا فقال: **(وروى الطبراني بإسناده)** عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم)**: قيل: إنه أبو بكر[(١)]: **(قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا**

---

(١) جاء ذلك صريحًا عند الإمام أحمد (٢٢٧٠٦)، وابن أبي حاتم في التفسير (١٣٦٠٢) وابن سعد في الطبقات (١/ ٣٣٣).

المنافق)، وجاء في بعض روايات هذا الحديث أنه عبد الله بن أُبي[1] رأس المنافقين، وهو حقيق بهذه الصفة؛ لأنه كان يؤذي المؤمنين، وهو الذي قام بأذى رسول الله ﷺ في أهله، حين حمل كبر الإفك الذي رميت به عائشة أم المؤمنين الطاهرة المطهرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١﴾ [النور]. والمراد بالذي تولى كبره؛ هو: عبد الله بن أبي رأس المنافقين[2]، فهذا هو المنافق الذي كان يؤذي المؤمنين.

فقال مَن قال -وهو أبو بكر كما جاء في بعض الروايات-: **(قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ)**، فإنه قادر عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يغيثهم منه، بأن يقتله أو يحبسه أو يؤدبه لأنه ﷺ هو الإمام المطاع، فجاؤوا للرسول وقالوا: أغثنا من هذا المنافق.

فكأنهم قالوا: جئنا نستغيث بك يا رسول الله، فقال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **(إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله)**، فبين أنَّ الله هو المستغاث به، وأنَّ على العباد أن يتوجهوا بطلب الغوث منه، وإذا استغاثوا بمن يقدر على غوثهم؛ فليعلموا أنَّ هذا المخلوق ما هو إلا سبب، فإن حصل على يده غوث في حدود قدرته وما أوتي من أسباب فهو من الله، فالغوث

(١) كما في تفسير ابن أبي حاتم (١٣٦٠٢).
(٢) أخرجه البخاري (٤٧٤٩)، ومسلم (٢٧٧٠) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا: ﴿وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ﴾ [النور:١١] قالت: «عبد الله بن أبي ابن سلول» وقال الطبري: «وأولى القولين في ذلك بالصواب: قول من قال: الذي تولى كبره من عصبة الإفك، كان عبد الله بن أبي، وذلك أنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير، أن الذي بدأ بذكر الإفك، وكان يجمع أهله ويحدثهم، عبد الله بن أبي ابن سلول». ينظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٩٥-٢١١).

في الحقيقة كان من الله، وقد يقع الإنسان في شدة وكربة، كأن يستولي عليه عدو ويأسره، فيستغيث بإنسان قريب منه، فيهب لنصرته ويفك أسره ويقاوم عدوه، لكن الذي أغاثه على الحقيقة هو الله تعالى.

فعلى المسلم أن ينزل حاجته بربه، وإذا نزلت به شدة؛ فليستغث بالله، وإن أخذ بالأسباب واستنصر بمن ينصره على عدوه، واستعان بمن يمكن أن يعينه على أمر من الأمور فلا حرج في ذلك.

فالرسول ﷺ أرشدهم في قوله: (**«إنه لا يستغاث بي»**)، إلى مَن هو أحق بأن يستغاث به، فندبهم إلى ما هو الأفضل والأكمل، ودلهم إلى المستغاث به على الحقيقة، ومَن يملك الغوث، لأنه على كل شيء قدير(١).

ثم إنَّ قوله: (**«إنه لا يستغاث بي»**): فيه: دلالة على تعظيمه ﷺ لربه، وتعريف لأصحابه بأنَّ الله هو المستعان والمستغاث، وهو الأحق بأن يستغاث به، حتى وإن جرى على يده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فالله هو المغيث.

(فيه مسائل:

الأولى: أنَّ عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص).

سبق التنبيه على هذه المسألة، فالدعاء أعم؛ لأنه يشمل الاستنصار والاسترزاق، ويشمل دعاء الشدة، والدعاء في الرخاء، والاستغاثة تختص

---

(١) ينظر: التيسير (١/ ٤٤٤-٤٤٥).
وهناك توجيه آخر وهو أنَّ المنفيَّ هو الاستغاثة الخاصة بالله، وهي فيما لا يقدر عليه إلا الله وظن أبو بكر الصديق أن النّبيّ ﷺ كان قادرًا في دفع ذلك المنافق فبيّن له النّبيّ ﷺ أنّه ليس عنده في دفعه حيلة. ينظر في: الاستغاثة (ص١٧٤-١٧٥)، (ص١٩٩-٢٠٠).

بطلب الغوث في حال الشدة والكربة، فكل استغاثة دعاء، وليس كل دعاء استغاثة، والدعاء: دعاء مسألة، ودعاء عبادة، والأكثر في القرآن هو الأول.

(الثانية: تفسير قوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾).

تقدم تفسيرها، وأنها تضمنت النهي عن دعاء ما لا ينفع ولا يضر، ومَن فعل ذلك كان من الظالمين؛ أي: المشركين.

(الثالثة: أنَّ هذا هو الشرك الأكبر).

أي: أنَّ دعاء غير الله هو الشرك الأكبر بدليل قوله: ﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾ [يونس]؛ لأنَّ الله سماه ظلمًا، وأظلم الظلم الشرك.

(الرابعة: أنَّ أصلح الناس لو يفعله إرضاء لغيره، صار من الظالمين).

إنَّ أصلح الناس لو يفعل الشرك إرضاء لغيره ولو من غير اعتقاد، كان من الظالمين، وجه ذلك: أنَّ الخطاب في الآية للرسول ﷺ وإن كان معصومًا؛ والله تعالى ينهى أنبياءه عن الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٦٥﴾ [الزمر]، فالشرك هو أعظم الذنوب، فمن أشرك بالله كان من الظالمين المستوجبين لعذاب الجحيم، حتى قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للملائكة: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ [الأنبياء].

(الخامسة: تفسير الآية التي بعدها).

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٧﴾ [يونس]. وهي تدل

على تفرده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بكشف الضر وجلب النفع، فهو الذي يعطي ويمنع، فالخير كله بيده، والملك كله له، فهو المتفرد بالعطاء والمنع، والنفع والضر، يهدي مَن يشاء، ويضل مَن يشاء، وهو العليم الحكيم، والآيات في هذا المعنى كثيرة، كقوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر].

(السادسة: كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفرًا).

يريد: أنَّ دعاء غير الله ليس فيه نفع من منافع الدنيا مع أنه كفر يوجب لصاحبه الخلود في النار فهو شر محض.

(السابعة: تفسير الآية الثالثة).

وهي قوله: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت: ١٧]: فيه: الأمر بطلب الرزق عند الله، لا عند غيره، وفيه: الأمر بعبادته وشكره؛ قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت].

(الثامنة: إنَّ طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله، كما أنَّ الجنة لا تطلب إلا منه).

الرزق لا ينبغي أن يطلب إلا من الله؛ لأنه بيده الملك وبيده الخير، فلا يطلب الرزق إلا من الله؛ لأنه الرزاق وهو خير الرازقين، والرزق لا يختص بالمأكول والمشروب والملبوس؛ بل كل ما ينفع في الدنيا والآخرة فهو رزق؛ فيدخل في ذلك العلم والمال والأهل والأولاد والأصحاب الأخيار؛ فكل مَن سأل شيئًا من ذلك فقد ابتغى عند الله الرزق؛ فيقول المؤمن: اللهم ارزقني علمًا نافعًا، ومالًا حلالًا، وأهلًا

وأولادًا صالحين فيسأل ربه لأنه الكريم الجواد، وهو الذي بيده الملك وبيده الخير، وهو على كل شيء قدير، وهو المعطي المانع فلا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع.

(التاسعة: تفسير الآية الرابعة).

وهي قوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥﴾ [الأحقاف]، وسبق تفسيرها.

(العاشرة: أنه لا أضل ممن دعا غير الله).

هذا من صريح الآية، لقوله: **(ومَن)**، وهو اسم استفهام للنفي، أي: لا أحد أضل.

(الحادية عشرة: أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه).

هذه الفائدة مأخوذة من قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥﴾: أي: هؤلاء المدعوون من دون الله غافلون عن دعاء عابديهم لا يدرون عنهم، ولذا كان الداعون لهم ضالين لظنهم أنَّ معبوديهم يعلمون بدعائهم لهم، ويطمعون منهم أن يستجيبوا لدعائهم فظلوا بجهلهم، وحسن ظنهم بمعبوديهم من دون الله حين ظنوا أنهم سيجيبون دعاءهم هذا، وهم غافلون عن دعائهم فضلًا عن أن يستجيبوا لهم.

(الثانية عشرة: أنَّ تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له).

يدل لهذه المسألة أو الفائدة؛ قوله تعالى: ﴿كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾: أي: كان المدعوون من دون الله أعداء لعابديهم، وأنَّ سبب هذه العداوة هو

دعاؤهم لهم، ولهذا قال الشيخ: **(أنَّ تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له)**.

(الثالثة عشرة: تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو).

أي: من فوائد هذه الآية: تسمية دعوة المشركين لمعبوداتهم عبادة فلذلك كانوا مشركين لأنهم بهذا الدعاء عبدوا مع الله غيره.

(الرابعة عشرة: كفر المدعو بتلك العبادة).

لقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف]: أي: صار المعبودون كافرين بعبادة المشركين لهم؛ أي: جاحدين لها منكرين عبادتهم إياهم كما قال تعالى عن المشركين وشركائهم: ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ۝٢٨﴾ [يونس] إلى قوله: ﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ۝٢٩﴾ [يونس] وفي ذلك خزي للمشركين.

(الخامسة عشرة: أنَّ هذه الأمور هي سبب كونه أضل الناس).

يعني: الأمور المذكورة في الآيتين:

أحدها: أنَّ المشرك يدعو مَن لا يستجيب له مهما دعاه.

الثاني: أنَّ مَن يدعوه غافل عنه لا يدري عن دعائه له.

الثالث: أنه يصير يوم القيامة عدوًّا له.

الرابع: أنه يجحد عبادته له.

فلهذه الأمور كان المشرك أضل الناس.

(السادسة عشرة: تفسير الآية الخامسة).

وهي قوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل]. وتقدم الكلام عليها، وأنها تابعة لما قبلها في ذكر دلائل قدرة الرب تعالى وربوبيته، وبطلان دعاء غيره، وأنه تعالى خير مما يشركون به.

(السابعة عشرة: الأمر العجيب، وهو إقرار عبدة الأوثان أنه لا يجيب المضطر إلا الله، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين).

من فوائد هذا الباب: الأمر العجيب، وهو إقرار عبدة الأوثان بأنه لا يجيب المضطر إلا الله، فهم يقرون بهذا؛ بدليل قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾، يعني: هل ما يشركون به مع الله خير أمن يجيب المضطر إذا دعاه؟! فهم يعرفون أنه لا يجيب المضطر سواه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بدليل أنهم إذا ركبوا البحر وأحاط بهم الموج من كل مكان، دعوا الله مخلصين له الدين، فإذا كانوا في ضرورة أخلصوا الدين لله، وإذا كانوا في رخاء أشركوا بالله، فيشركون في الرخاء، ويخلصون في الشدة.

ولكن الداهية الدهياء أنَّ مشركي هذا الزمان المتأخرين ممن ينتسبون إلى الإسلام، يستغيثون بأندادهم في الرخاء والشدة؛ كما نبه على ذلك الشيخ الإمام في «كشف الشبهات» وفي القاعدة الرابعة من «القواعد الأربع»[1]، فشركهم أغلظ.

---

(١) ينظر: شرح القواعد الأربع (ص٢٤)، وشرح كشف الشبهات لشيخنا (ص٦٧-٦٨).

(الثامنة عشرة: حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد والتأدب مع الله).

هذا مأخوذ من الحديث الذي رواه الطبراني، فهو يدل على حماية الرسول ﷺ حمى التوحيد، حتى وجّه أصحابه إلى أن يستغيثوا بالله وحده، وإن كانت الاستغاثة بالمخلوق الحاضر القادر جائزة، لكن مع ذلك سدًّا لذريعة الغلو قال لهم الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: («**إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله**»).

يقول المصنف: وفيه: **(التأدب مع الله)**، والتواضع له سبحانه، فأرشد ﷺ أصحابه إلى ما هو الأكمل في حقهم، وبين أنه لا يستغاث به فقال: («**إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله**»).

◆◈◆◈◆

(١٥)

باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الأعراف].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر].

وفي الصحيح عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «شُجّ النبي ﷺ يوم أحد، وكسرت رباعيته، فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]»[(١)].

وفيه: عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «اللهم العن فلانًا وفلانًا» بعدما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد؛ فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨][(٢)].

وفي رواية: «يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨][(٣)].

---

(١) ذكره البخاري معلّقًا في كتاب المغازي، «باب: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾» دون قوله: «وكُسرت رَباعيته» (٥/ ٩٩) ووصله مسلم (١٧٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٦٩) ومسلم (١٥٣٨).

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٧٠) مرسلاً، ووهم من زعم أنه معلّق كما قال الحافظ في الفتح (٧/ ٣٦٦).

=

وفيه: عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قام فينا رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء]. فقال: «يا معشر قريش! -أو كلمة نحوها- اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب: لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله ﷺ: لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد: سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئًا»[(١)].

الشَّرح

يقول الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ: (باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ [الأعراف])، هذه أول ترجمة من هذا النوع، وهو الترجمة بالآية، أي: جعل الآية هي عنوان الباب، وستأتي نظائر لهذه الترجمة[(٢)]، فموضوع كل باب هو معنى الآية فيترجم لموضوع هذا الباب؛ فيقال:

= ووصله أحمد (٥٦٧٤)، والترمذي (٣٠٠٤) عن سالم، عن أبيه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فذكره بنحوه. -وفي الترمذي ذكر أبا سفيان بدل سهيل بن عمرو-، قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، يُستغرب من حديث عمر بن حمزة، عن سالم، عن أبيه، وكذا رواه الزهري، عن سالم، عن أبيه، لم يعرفه محمد بن إسماعيل من حديث عمر بن حمزة، وعرفه من حديث الزهري».
وطريق الزهري الذي أشار إليه الترمذي هو ما تقدم في المتن. والحديث حسَّن إسناده الحافظ في التغليق (٤/ ١٠٩-١١٠) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(١) البخاري (٢٧٥٣) ومسلم (٢٠٦).

(٢) تنظر الأبواب: (١٥) و(١٦) و(١٨) و(٣١) و(٣٢) و(٣٣) و(٣٤) و(٣٩) و(٤١) و(٤٢) و(٥٠) و(٥١) و(٥٩).

مثلًا «باب ذكر الدليل العقلي على بطلان الشرك» وإيضاح ذلك من الآية أنَّ ما لا يخلق شيئًا وهو مخلوق مفتقر لا يصلح للإلهية، والاستفهام للإنكار والتوبيخ والتعجب، وبهذا تظهر مناسبة الباب لما قبله؛ فبعد ما ذكر أنواعًا من الشرك، ذكر في هذا الباب ما يدل على بطلانه.

وقوله: ﴿وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٢﴾ [الأعراف]: أي: هؤلاء المعبودون من دون الله عاجزون، لا يستطيعون لعابديهم نصرًا ولا أنفسهم ينصرون؛ والمعنى: أيجعل هؤلاء شركاء لرب السموات والأرض؛ الخالق لكل شيء؛ القادر على نصرة أوليائه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؟! لا ريب أنَّ هذا من أدل دليل على بطلان الشرك وأنَّ التوحيد هو الحق، فعبادة الله وحده لا شريك له هو الحق الموافق للفطر والعقول؛ لأنَّ الله هو النافع الضار المالك لكل شيء، والخالق لكل شيء، وهو على كل شيء قدير، ودعاء المخلوق المربوب المدبر المملوك العاجز ضلال وسفه وجهل وظلم، ولذا كان أظلم الظلم.

ويؤكد هذا المعنى الآية الثانية في الباب، وهي: تدل على تفرد الرب بالملك كله فله ملك السموات والأرض ومَن فيهن وما فيهن، وذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [فاطر:١٣]، وأما آلهة المشركين التي يدعونها من دون الله فقد دلت الآية على أنها لا تملك شيئًا من الموجودات، ولو كان شيئًا تافهًا كالقطمير، وهو اللفافة التي تكون على ظهر النواة[(١)]، ويمثل به في القلة، وذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣﴾ [فاطر]، فعلم بذلك أنَّ أسفه السفه، وأعظم الضلال تسوية مَن لا يخلق شيئًا، ولا يملك شيئًا

(١) ينظر: المفردات (ص٦٧٨).

بالخالق لكل شيء، المالك لكل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أو ليس هذا أعظم دليل على بطلان آلهة المشركين، وأنَّ الله هو الإله الحق المستحق للعبادة وحده، ولهذا كانت «لا إله إلا الله» أعظم مشهود به؛ ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران].

(وقوله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ١٤﴾ [فاطر]). هذه الآية مثل الآية السابقة، فهم أولًا لا يملكون شيئًا، وهذا المعنى يأتي تقريره في القرآن كثيرًا، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ٢٢﴾ [سبأ].

ثم قال تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ﴾: أي: هم أيضًا لا يسمعون إذا دعوتموهم، ﴿وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]: يعني: أنهم بين أمرين:

١- إما أن يكونوا غائبين كالملائكة، لا يسمعون دعاء مَن يدعوهم، أو تكون هذه المعبودات جمادات أحجارًا أو أشجارًا أو تماثيل أو أصنامًا؛ فهي لا تسمع.

٢- وإما لو قدر سماعهم لم يستجيبوا لمن يدعوهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ﴾، كما قال تعالى في الآية في الباب السابق: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ٦﴾

[الأحقاف]. وهنا قال: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾: يعني: يجحدون عبادتكم لهم، ويتبرؤون منكم ومن شرككم؛ بل يكونون لكم أعداء.

وقوله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾: الخبير: هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو الذي عنده علم الغيب، وهو الذي ينبئ وإنباؤه صدق، وهو الخبير الذي لا تخفى عليه خافية.

إذن: فدلالة الآيتين على بطلان ما يعبد من دون الله ظاهرة؛ لأنهما تضمنتا بيان نقص تلك المعبودات.

وقوله: (**وفي الصحيح عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «شُج النبي ﷺ يوم أحد، وكسرت رباعيته، فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾** [آل عمران: ١٢٨]).

حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: (**شُج النبي ﷺ يوم أحد**)، يعني يوم وقعة أحد التي جرت في السنة الثالثة من الهجرة، وشج يعني: جرح في رأسه، أو في وجهه[١]، وهو فعل مبني للمجهول، أي: شجه المشركون، فقد طلبوا شخص النبي ﷺ، يريدون قتله لو قدروا، فحصل على النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في هذه الغزوة بعض الجراحات، فشج ﷺ وجرح، وورد أنه سقط في حفرة، ودخلت حلقتان من حلق المغفر في رأسه ﷺ[٢]، والمغفر: هو غطاء الرأس من الدرع[٣].

---

(١) ينظر: النهاية (٢/ ٤٤٥).
(٢) ينظر: السيرة لابن هشام (٢/ ٧٩)، وفتح الباري (٧/ ٣٧٢).
(٣) ينظر: لسان العرب (٥/ ٢٦).

(وكسرت رباعيته): وهي السن التي تكون بجانب الثنايا، فأول الأسنان: الثنايا، وبعدها: الرَّباعيات، وهي أربع، فالثنايا أربع، والرباعيات أربع.(١)

فقال ﷺ: (**«كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟»**): هذا استفهام استبعاد وتعجب، ففيه استبعاد أن يفلحوا، واستبعاد لهدايتهم؛ لأنَّ قوله: (**«كيف يفلح»**) يتضمن أنه كيف يهتدون ويؤمنون!، وهو يدعوهم إلى الله، ويريد أن يدخلوا الجنة وأن ينجوا من النار!

وقوله: (فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾): يعني: الأمر كله لله، والرسول ﷺ شأنه وواجبه الدعوة إلى الله وتبليغ رسالاته كما قال تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، وليس عليه هدايتهم، أي: ليس عليه أن يجعلهم قابلين للدعوة، فهذا إلى الله وحده، كما سيأتي في باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص](٢)، ويأتي ذكر مناسبة هذا الحديث بعد رواية حديث ابن عمر.

قوله: (**وفيه: عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «اللهم العن فلانًا وفلانًا»، بعدما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد؛ فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾** [آل عمران: ١٢٨]. **وفي رواية: يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾**).

---

(١) ينظر: لسان العرب (٨/ ١٠٨).
(٢) تنظر: (ص٣٥٨).

قوله: (**وفيه**) أي: في الصحيح.

قوله: (**سمع رسول الله ﷺ**): أي: يقنت في صلاة الفجر، وهذا من قنوت النوازل، ليس قنوتًا دائمًا في صلاة الفجر؛ وإنما قنت بسبب ما حصل على المسلمين في وقعة أحد من الهزيمة والقتل، فقد قتل من الصحابة عدد كثير، ورد أنهم سبعون[١]. وقد ثبت أنَّ النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قنت شهرًا يدعو على قبائل من العرب، على رعل وذكوان وعصية[٢]، ويدعو كذلك للمستضعفين بمكة، وهنا فيه: أنه قنت يدعو على هؤلاء الثلاثة، من صناديد المشركين، ولكنهم تابوا؛ فتاب الله عليهم.

فابن عمر يخبر أنَّ الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الركعة الأخيرة من الفجر، إذا قال: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، فإنه يدعو يقول: («**اللهم العن فلانًا وفلانًا**»)، وسماهم في الرواية الأخرى؛ فأنزل الله: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]. يعني: ليس عليك إلا البلاغ، وليس عليك أن تهدي أحدًا، أو تمنع أحدًا الهداية، فهذا إلى الله وحده، هو أعلم بالمهتدين، وهو على كل شيء قدير.

وقوله: («**اللهم العن فلانًا وفلانًا**»): هذا دعاء من الرسول عليهم باللعن من الله، وسبق الكلام في اللعن، وأنَّ معناه الطرد والإبعاد عن رحمة الله[٣]، وأنه يكون من الرب قولًا وفعلًا، وأما من الناس فيكون قولًا فقط؛ لأنه لا أحد يقدر على إبعاد أحد من رحمة الله.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٧٨) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، و(٣٩٨٦) عن البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٦٤)، (٤٠٩٠) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

(٣) تنظر: (ص٢٤٦).

والرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ دعا على أولئك المشركين، فأنزل الله عليه هذه الآية مبينًا أنَّ الأمر له سبحانه وحده؛ قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، فكيف بغير الرسول ﷺ؟! إذا كان الرسول ليس له من الأمر شيء، أفيكون لغيره، وإن كان من أصلح الناس؟! وفي هذا أعظم رد على ملاحدة الصوفية الذين يجعلون للأولياء قدرة على التصرف في الوجود؛ بل أكبر من ذلك قولهم: إنَّ القطب -وهو أكبر العارفين بزعمهم- يدبر أمر العالم[1]، فهذا الحديث يدل على بطلان مذهب الصوفية واعتقادهم في الأولياء، أو في مَن يظنونه أو يعدونه وليًّا، وقد يكون عدوًّا لله تعالى.

وهؤلاء الثلاثة الذين دعا عليهم الرسول ﷺ سيأتي أنَّ الله تاب عليهم؛ فأسلموا فظهر مصداق معنى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ۝١٢٨﴾ [آل عمران].

قوله: (**وفيه: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قام فينا رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشعراء]. فقال: «يا معشر قريش! -أو كلمة نحوها- اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب: لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله ﷺ: لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد: سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئًا»**).

---

(١) ينظر: منهاج السنة (١/ ٩١-٩٦)، ومجموع الفتاوى (١١/ ٤٤٠)، (٢٧/ ٩٦-١٠٥).

هذا الحديث في الصحيح، وقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾، هذه الآية فيها أمر من الله لنبيه بأن ينذر عشيرته، وعشيرة الرجل هم بنو أبيه أو هم قبيلته وهم قرابته الأدنون[(١)].

فالله أمره بإنذار عشيرته، وبإنذار الناس كلهم؛ قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٤٩﴾ [الحج].

وعشيرته: هم قريش، وإن كان أخص الناس به من قريش بنو هاشم، ولكن المراد هنا: قبيلته الكبيرة.

فقام عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكما جاء في الرواية الأخرى: «صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي»[(٢)]، فعم وخص، ونادى قريشًا في الجملة، ثم دعاهم فخذًا فخذًا، حتى تجمعوا.

قوله: (**«فقال يا معشر قريش!» -أو كلمة نحوها-**): يعني نحو قوله: يا معشر قريش، مثل: يا قوم، والمقصود أنه ناداهم حتى اجتمعوا.

قوله: (**«اشتروا أنفسكم»**): يعني: أنقذوا أنفسكم بالإيمان والتوحيد والإخلاص والعمل الصالح، وعلل ذلك بقوله: (**«لا أغني»**): يعني: فإنني لا أغني فلا تتكلوا على قرابتكم مني، فلا أحد يغني من الله شيئًا.

وفي هذا تبري منهم، حيث قال: لا أغني عنكم من الله شيئًا، لكن أنقذوا أنفسكم، واشتروا أنفسكم بالإيمان، والعمل الصالح والتقوى والبر والإحسان.

(١) ينظر: لسان العرب (٤/ ٥٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٧٠) عن عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا بهذا اللفظ، وأخرجه مسلم (٢٠٥) عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا بنحوه.

وهـذه الكلمة عامة لسائر فروع قريش وأفخاذها، والرواية فيها إجمال، وفي الرواية الأخرى أنه ناداهم فخذًا فخذًا[1].

وفي هـذه الرواية نص على عمه وعمته وابنته، فخص بعدما عم، فقال لابنته: («**سليني من مالي ما شئت**»)؛ أي: هـذا هو المقدور لي، ولا بأس بسؤالي ذلك، أما النجاة من النار فليس ذلك إلي، حتى فاطمة؛ قال لها: («**لا أغني عنك من الله شيئًا**»).

ففي هـذا الحديث دلالة على البداءة بالنذارة وصلة الرحم بالأقرب فالأقرب؛ سواء في المنافع الدينية أو الدنيوية، وفي بعض روايات الحديث في هـذا المعنى يقول: «**فإني لا أملك لكم من الله شيئًا، غير أنَّ لكم رحمًا سأبلها ببلالها**[2]»[3]: يعني: صلة الرحم بالأمور الممكنة التي يملكها الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وعم الرجل وعمته وأولاده من أخص الناس به وأقربهم إليه.

وفيه دلالة على جد الرسول واجتهاده في الدعوة إلى الله، وفي النذارة التي أمره الله بها في قوله: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدثر]، وقوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشعراء].

والمقصود: أنَّ وجه الاستدلال بهذه الأحاديث واحد، فهذه الأحاديث كلها تدل على أنَّ الرسول ﷺ بشر، لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًا، فقد شج وجهه، وكسرت رباعيته، وأوذي كما يؤذى سائر الناس، ولو كان يملك من الأمر شيئًا بدون أمر الله لدافع عن نفسه، ولما أصابه ما أصابه،

(١) أخرجه مسلم (٢٠٤) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أي: أصِلُكم في الدنيا ولا أغني عنكم من الله شيئًا. والبلال: جمع بلل، وقيل هو كل ما بلَّ الحلق من ماء أو لبن أو غيره. النهاية (١/ ١٥٣).
(٣) أخرجه مسلم (٢٠٤) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فما أصابه لم يكن باختياره، فكونه تعرض له هذه العوارض دليل على بشريته وبطلان تأليهه، فليس هو بإله؛ بل هو بشر مرسل، يمرض وتصيبه المصائب؛ بل جنس الأنبياء يجوز عليهم القتل، وقُتل من الأنبياء كثير؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وقال الله في محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران]، والنبي أيضًا يدعو ولا يستجاب له، فهذا دليل على أنه لا يملك شيئًا، وليس له من الأمر شيء، كما نصت الآية.

وفي حديث أبي هريرة بيان أنَّ الرسول لا يملك نجاة أحد من النار؛ فدل ذلك على أنَّ محمدًا ﷺ ليس بإله، ولا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله، فالغلو فيه وصرف ما هو من خصائص الرب وحقوقه إليه شرك به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالرسول لا يخلق وهو مخلوق، وهو فقير إلى نصرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يستنصر ربه وينصره أصحابه مددًا من الله؛ كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنفال]، ويقول لعشيرته: («لا أغني عنكم من الله شيئًا»)؛ فكل ذلك يدل على بشريته، وعلى أنَّ الأمر كله لله، وليس له من الأمر شيء ﷺ، وفي هذا أبلغ رد على مَن يغلو فيه ﷺ، ويصرف له ما هو من خصائص الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فلا يجوز أن يطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله؛ فكيف بمن دونه من الصالحين.

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين).

يقول الشيخ: المسألة الأولى: **(تفسير الآيتين)**، ولا شك أنَّ من أهم ما يتضمنه هذا الباب: فهم الآيتين: آية الأعراف، وآية فاطر، وفي كل

منهما دلالـة على بطـلان آلهة المشـركين، وعلى بطلان الشـرك بالله وعبادة غيره، لأنَّ كلًّا من هذه المعبودات لا تخلق شيئًا وهي مخلوقة، ولا تستطيع لعابديها نصرًا، ولا تنصر نفسها، ولا تملك شيئًا، ولا تسمع من يدعوها، ولا تستجيب لدعائهم -كما تقدم-.

(الثانية: قصة أحد).

المسألة الثانية: **(قصة أحد)**، وغزوة أحد من الأحداث العظيمة، ومن أكبر ما وقع بين حزب الرحمن وحزب الشيطان، فهي موقعة عظيمة، فيها عبر وآيات، امتُحن فيها المؤمنون، ومحق الله فيها الكافرين، وأنزل الله فيها قرآنًا كثيرًا من سورة آل عمران، بدءًا من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ [آل عمران][1].

(الثالثة: قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمّنون في الصلاة).

من فوائد حديث ابن عمر: قنوت سيد الأنبياء وخلفه سادات الأولياء، فمحمد ﷺ هو سيد النبيين والمرسلين، وأصحابه هم سادات الأولياء؛ فهم أفضل الناس بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، كما قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2].

قوله: **(وخلفه سادات الأولياء يؤمّنون)**: كأنه ينبه إلى أنه مشهد عظيم تعلوه الهيبة، ويشعر بأهمية الأمر، وأنه دعاء مستجاب، فسيد

---

(١) ينظر: أسباب النزول (ص١٢٠)، والعجاب في بيان الأسباب (٢/ ٧٤٠) وما بعدها.

(٢) ينظر: الواسطية (ص١٢٢) وبشرح شيخنا (ص٢٢٢).

الأنبياء يقنت، وخلفه سادات الأولياء يؤمّنون، ومع ذلك لم يستجب لهم؛ لأنه قنت يدعو على فلان وفلان بأسمائهم كما تقدم، وأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، يريد الشيخ بهذا أن يؤكد -وهذا هو المقصود- أنَّ الملائكة والأنبياء والأولياء كلهم لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله، فالأمر كله لله، ليس للرسول ﷺ منه شيء؛ فضلًا عن مَن دونه، وإذا كان الأمر كذلك بطل التعلق بهم، وتأليههم من دون الله؛ كما يصنع أهل الغلو، الذين يغلون في الأنبياء، وفي الرسول ﷺ والصالحين، حتى أفضى الأمر بأولئك الغالين إلى أن يغلو فيمن ليس من الصالحين، وفيمن لا يُعرف بصلاح، أو مَن يعرف بالفسوق بدعوى أنه صالح، فإذا كان هذا الرسول ﷺ يدعو، وهو سيد النبيين، وخلفه سادات الأولياء يؤمّنون، ومع ذلك لم يستجب لهم، إذن؛ فكيف يدعون مع الله؟! وهم يدعون الله يبتغون إلى ربهم الوسيلة، وقد لا يستجاب لهم، فكيف يصرف لهم ما هو محض حقه سبحانه، وهو العبادة؟! فالعبادة كلها لله، لا يصلح شيء منها لغيره.

(الرابعة: أنَّ المدعو عليهم كفار).

يريد أنَّ ممَّا يقوِّي الأملَ بالإجابة: أنَّ المدعو عليهم كفارٌ؛ ومع ذلك لم يُستجَب للرَّسول ﷺ والصَّحابة معه؛ لأنَّ المتبادرَ أنَّ هؤلاء أحرى بأن يُجيب اللهُ دعاء نبيّه فيهم، فيُهلكهم كافرين، ولا يتوبَ عليهم، لكنَّ اللهَ تابَ عليهم؛ فأسلمَ الثَّلاثة: صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، وقد نبَّه تعالى إلى هذا بقوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ١٢٨﴾ [آل عمران].

(الخامسة: أنهم فعلوا أشياء لا يفعلها غالب الكفار، منها: شجهم نبيهم، وحرصهم على قتله، ومنها: التمثيل بالقتلى؛ مع أنهم بنو عمهم).

أيضًا مما يستوجبون به غضب الله، وغضب المؤمنين، ويستحقون هذا الدعاء، وهذا القنوت: أنهم لم يرتكبوا الكفر وحده؛ بل فعلوا أشياء ما فعلها غيرهم من الكفار، فشجوا الرسول ﷺ، وكسروا رباعيته -كما تقدم- في حديث أنس، ومثّلوا بالقتلى من المسلمين -وهم بنو عمهم-، فجمعوا بين الكفر والعدوان وقطيعة الرحم، والتمثيل: هو قطع بعض أعضاء القتيل[1]؛ كأنفه وأذنه تعبيرًا عن الحنق، وزيادة في الأذى، والرسول ﷺ كان ينهى أصحابه عن المثلة[2].

(السادسة: أنزل الله عليه في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾).

المقصود: أنَّ هذه الآية تؤكد ما سبق، وهي صريحة بأنَّ الرسول ليس له من الأمر شيء؛ بل الأمر كله لله. والمعنى: ادع -أيها النبي- وبلغ رسالة ربك، فذلك حسبك؛ قال تعالى: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [المائدة: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ [النحل]، أما هداية الخلق فهي إلى الله وحده؛ فهو الذي يرحم مَن يشاء، ويعذب مَن يشاء، ويمن على مَن يشاء، ويضل مَن يشاء، ويهدي مَن يشاء، ويتوب على مَن يشاء.

---

(١) ينظر: لسان العرب (١١/ ٦١٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٣١) من حديث بريدة، وسيأتي شرحه في: «باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه»، في (ص٧١٨).

(السابعة: قوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ۝١٢٨﴾ [آل عمران]، فتاب عليهم فآمنوا).

يشير الشيخ إلى أنَّ قوله تعالى: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ۝١٢٨﴾ [آل عمران]، فيه الإشارة إلى أنَّ الله قد يتوب عليهم؛ لأنه جعل الأمر محتملًا، وقد وقع هذا الاحتمال، وقد علم في التاريخ أنهم آمنوا[١]، وهذا دليل على أنَّ الله تاب عليهم، فتاب عليهم أولًا بالتوفيق لقبول الإيمان؛ فتابوا وتاب الله عليهم بقبول توبتهم، ومَن تاب تاب الله عليه، فالتوبة تجبّ ما كان قبلها.

(الثامنة: القنوت في النوازل).

من فوائد الحديث: مشروعية القنوت في النوازل، فإذا حدث على المسلمين نازلة ومصيبة فادحة عظيمة؛ شرع القنوت، والنبي ﷺ قنت شهرًا يدعو على أحياء من العرب، ويدعو للمستضعفين[٢].

(التاسعة: تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم).

المراد: جواز تعيينهم بذكر أسمائهم وأسماء آبائهم، ولذا قال بعد ذلك جواز لعن المعين، وليس هذا في حق كل كافر؛ بل الكفار المعروفين بشدة العداوة للإسلام والمسلمين؛ كالقادة في حرب المسلمين.

---

(١) أخرجه أحمد (٥٦٧٤) وفيه: «فِتِيب عليهم كلهم»، وعند الترمذي (٣٠٠٤) «فتاب الله عليهم فأسلموا فحسن إسلامهم»، إلا أن الترمذي ذكر أبا سفيان بدل سهيل بن عمرو.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٦٤)، (٤٠٩٠) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(العاشرة: لعنه المعين في القنوت).

كأن الشيخ يشير في هذه المسألة إلى جواز لعن المعين من الكفار في القنوت؛ لكنه لم يصرح بالحكم، والذي يظهر: أنه يذهب إلى جواز لعن المعين من الكفار لا من عصاة المؤمنين(١)، وهذا هو الظاهر؛ أنه يجوز لعن المعين من الكفار الذين لهم نكاية وشدة على المسلمين؛ لأنه ﷺ خصهم باللعن وسماهم؛ لشدة أذاهم وتسلطهم، وقد تابوا كما تقدم، والكفار كلهم ملعونون إجمالًا.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران]، لا يدل على النهي عن لعن المعين من الكفار، لكنه يدل على أنه لا يلزم من الدعاء عليهم الاستجابة، وإنما فيه بيان أنَّ الأمر لله، فالرسول ﷺ قد يدعو لأحد ولا يستجاب له، وقد يدعو على أحد ولا يستجاب له.

ولا يمنع من لعن الكافر المعين الشديد العداوة للمسلمين أنه قد يتوب لأنَّ تخصيصه باللعن باعتبار حاله الحاضرة(٢).

(الحادية عشرة: قصته ﷺ لما أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء]).

قصته مذكورة مفصلة من رواية أبي هريرة في آخر الباب وغيره، أنه لما نزلت عليه هذه الآية صعد الصفا ونادى قريشًا فاجتمعوا؛ فناداهم

---

(١) تقدم في (ص٢٥٥) قول الإمام المجدد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السابعة: الفرق بين لَعْن المعَيَّن، ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم».

(٢) حكى أبو بكر ابن العربي عن بعض العلماء عدم جواز لعن الكافر المعيَّن لعدم العلم بالموافاة، وما جاء عن النبي من لعن بعض الكفار المعيَّنين إنما كان ذلك لعلمه بمآلهم، ثم قال: «والصحيح عندي جواز لعنه لظاهر حاله، كجواز قتاله وقتله». ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٧٤).

فخذًا فخذًا، وناداهم إجمالًا: يا معشر قريش، وسمى منهم يا بني فلان، يا بني عبد مناف، وسمى أعيانًا منهم كعمه وعمته، كلهم يقول لهم: أنقذوا أنفسكم من النار، لا أغني عنكم من الله شيئًا، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئًا، اشتروها بالإيمان والتوحيد، وأعتقوها من عذاب الله، إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، هذه هي قصته كما جاء في حديث أبي هريرة وغيره، وقد تقدم.

(الثانية عشرة: جده ﷺ في هذا الأمر؛ بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون، وكذلك لو يفعله مسلم الآن).

يقول الشيخ: من فوائد القصة: جِد النبي ﷺ في هذا الأمر، يعني جِده في الدعوة إلى الله وفي نذارة عشيرته وغيرهم، حتى فعل ما نسب بسببه إلى الجنون، ومعناه أنه بالغ وألح وكرر وخرج على مألوف قومه؛ حتى قالوا: إنه معلم مجنون! فأكذبهم الله بقوله: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الطور]، وقال: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾﴾ [القلم]. وكأن الشيخ يشير إلى ما قاله بعض عشيرة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأشرهم أبو لهب، فإنه قد سخر من النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وسفَّهه، لما جمعهم وقال قولته المشهورة في السيرة: ألهذا جمعتنا[(١)]، فالرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يزل يدعو وينذر ويجاهد حتى أتاه اليقين ﷺ.

وقوله: **(وكذلك لو يفعله مسلم الآن)**: يعني: يفعل الجد والاجتهاد في الدعوة، ينسبه الجاهلون والمنافقون إلى الجنون.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٠١) -واللفظ له-، ومسلم (٢٠٨) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(الثالثة عشرة: قوله للأبعد والأقرب: «لا أغني عنكم من الله شيئًا»، حتى قال: «يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئًا» فإذا صرح -وهو سيد المرسلين- بأنه لا يغني شيئًا عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم؛ تبين له التوحيد وغربة الدين).

هذه فائدة عظيمة وهي المقصود بالباب، يقول الشيخ: إنَّ الرسول ﷺ قال للأبعد من عشيرته -في هذا المقام- وللأقرب منهم، حتى قال لفاطمة، فقال لهم كلهم: لا أغني عنكم من الله شيئًا، فإذا كان الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهو الرسول! يقول لأخص الناس به، وأقرب الناس إليه: لا أغني عنكم من الله شيئًا؛ فما الظن بمن دونه من سائر الصالحين! ثم ما الظن بمن ليس من الصالحين!

ثم يقول الشيخ: مَن تأمل ذلك، وعلم أنَّ رسول الله لا يقول إلا حقًّا؛ لأنه الصادق المصدوق، ونظر فيما عليه خواص الناس من المنتسبين للعلم، وممن يشار إليهم ويوصفون بالعلم، ومع ذلك يقع منهم الغلو في الرسول ﷺ، فيطلبون من الرسول، ويطلبون من الصالحين ما لا يقدر عليه إلا الله، فمن تأمل هذا وهذا، تبين له غربة الدين!

وقوله: **(فإذا صرح -وهو سيد المرسلين- بأنه لا يغني شيئًا عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم)**: يعني من التعلق بالرسول وبالصالحين، وما وقع في قلوبهم من الغلو.

(تبين له التوحيد وغربة الدين): أي: تبين له أنَّ التوحيد هو التوجه إلى الله وحده بالخوف والرجاء والتوكل، وبكل أنواع العبادة، والإيمان بأنَّ الله تعالى وحده هو المالك لكل شيء، وهو الذي له الأمر وبيده الخير وبيده الملك، ومن ذلك الشفاعة فإنها ملك لله، فمن نجا بشفاعة الرسول ﷺ أو غيره من الأنبياء والصالحين؛ فإنَّ الله هو الذي نجاه لأنه أذن للشافع وقبل شفاعته، ورحم المشفوع له، فعاد الأمر كله لله، وليس للرسول من الأمر شيء، فضلًا عمن دونه، وعلم أنَّ الله هو الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه[١].

وتبين له كذلك غربة الدين الحق؛ لأنه قد غلب على الناس الشرك والغلو في الصالحين، والتعلق بالأولياء؛ كما هو بين ظاهر في واقع القبوريين الذين يبنون المساجد والقباب على القبور، ويصلون عندها ويطوفون بها ويركعون ويسجدون إليها ولها، ويذبحون عندها، ويفعلون أنواع القربات وهم لا يغنون عنهم من الله شيئًا.

◆◈◈◈◆

---

(١) وسيأتي بيان ذلك في: «باب الشفاعة»، في (ص٣٤٧).

(١٦)

باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ].

في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ]، فيسمعها مسترق السمع -ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض، ووصفه سفيان بكفه؛ فحرفها وبدد بين أصابعه- فيسمع الكلمة فيلقيها إلى مَن تحته، ثم يلقيها الآخر إلى مَن تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يُدركه، فيكذب معها مئة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: [كذا وكذا؟][١]، فيصدَّق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء»[٢].

وعن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر، تكلم بالوحي، أخذت السموات منه رجفة -أو قال: رعدة شديدة- خوفًا من الله عَزَّ وَجَلَّ، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدًا، فيكون أول مَن يرفع رأسه

(١) زيادة من صحيح البخاري، وهي مثبتة في بعض النسخ بخط المصنف كالذي في صحيح البخاري سواء. ينظر: فتح المجيد (١/ ٣٤٧).
(٢) أخرجه البخاري (٤٧٠١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عَزَّوَجَلَّ»[1].

الشرح

يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ [سبأ: ٢٣]): يعني: أزيل عنهم الفزع والغشي[2]، مثل ما يقال: مرَّضه، يعني: عالجه ليزول عنه المرض، والمراد: الملائكة كما دل عليه الحديث، وهذه الآية جاءت بعد قوله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ]، فعلم أنَّ المراد بهؤلاء المدعوين: الملائكة، فالملائكة مع عظم خلقهم وقوتهم وكثرتهم، يفزعون ويخافون ويصعقون؛ لأنهم خلق من خلق الله، مربوبون مدبرون، ولكنهم عباد مكرمون؛ فعلم بذلك أنهم ليسوا آلهة، وعلم أيضًا أنَّ المقصود من هذا

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٥١٥)، وتعظيم قدر الصلاة (٢١٦)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣٤٨-٣٤٩)، والطبراني في مسند الشاميين (٥٩١)، وضعفه الحافظ دُحيم فقال: «لا أصل له». ينظر: الميزان (٤/ ٢٦٩ رقم ٩١٠٢)، وضعفه الألباني في تخريج السنة (٥١٥). ومتنه غير منكَر فقد تقدم شاهده في البخاري آنفًا؛ فالنكارة في السند فقط.

(٢) ينظر: المفردات (ص٦٣٧).

الباب: ذكر دليل عقلي على بطلان إلهية الملائكة كما تقدم نظير ذلك في باب قوله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١﴾ [الأعراف][1]، فإنَّ الإله الحق لا يلحقه نقص ولا تصيبه آفة، وسيتضح المقصود من هذا الباب بالمسائل التي ذكرها الشيخ.

وحديث أبي هريرة فيه تفسير لهذه الآية؛ لأنَّ قوله ﷺ: («**إذا قضى الله الأمر في السماء**»): يعني: حكم به وتكلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: («**ضربت الملائكة بأجنحتها**»): يعني: سقطوا على أجنحتهم، يصعقون ويضربون بأجنحتهم من الفزع الذي حصل لهم.

(«**خضعانًا لقوله**»): أي: من أجل وبسبب كلامه تعالى.

(«**كأنه سلسلة على صفوان**»): الصفوان: الحجر الأملس الذي يسميه الناس الصفاة[2]، فالسلسلة إذا جررتها على الحجر الأملس، يكون لها صوت متتابع، لا يتبين صوت هذه الحلقة من الحلقة الأخرى؛ بل كلها متتابعة، وهذا التشبيه لبيان أنَّ الصوت يأتي متتابعًا، لا أنَّ صوت الرب مثل صوت السلسلة؛ بل يسمعون الصوت متتابعًا كتتابع صوت السلسلة، وإلا فكلام الرب لا تبلغ العقول كيفيته[3].

(«**ينفذهم ذلك**»): يعني: أنَّ الصوت ينفذ في أسماع الملائكة فيصعقون[4].

---

(١) تنظر: (ص٣١٣).

(٢) ينظر: النهاية (٣/ ٤١).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٢٣٤).

(٤) هذا ما استظهره الشيخ سليمان في التيسير (١/ ٤٨٥) وينظر: فتح الباري (١٣/ ٤٥٨-٤٥٩).

(«**حتى إذا فزع عن قلوبهم**»): يعني: أزيل عنها الفزع، وزال عنهم الغشي والصعق.

(«**قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير**»): والظاهر -والله أعلم- أنَّ قولهم: (قالوا الحق): متضمن لتسمية الأمر الذي قضاه الله؛ أي: فيقولون قال كذا وكذا.

وحديث النواس بن سمعان أيضًا يفسر هذا الحديث، ففيه أنه: («**إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر، تكلم بالوحي، أخذت السموات منه رجفة**»): يعني: أصابت السموات، فالسموات مفعول به مقدم.

(«**أو قال: رعدة شديدة**»): شك من الراوي، هل قال الرسول رجفة أو قال رعدة شديدة؟

(«**فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدًا**»)، هذه كالتفسير لقوله: («**ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله**»).

(«**فيكون أول مَن يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال: الحق وهو العلي الكبير**»)، وهذا يفسر قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ [سبأ].

ثم قال في حديث أبي هريرة: («**فيسمعها مسترق السمع**»): من الجن والشياطين، يسمع ما تقول الملائكة.

فالملائكة يتكلمون بالأمر الذي قضاه الله، وهناك مسترق السمع من الجن والشياطين الذين يترادفون، ويركب بعضهم بعضًا، إلى أن

يصلوا السماء، كما قال تعالى عن الجن: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾ [الجن]. فعند بعثة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ شددت حراسة السماء؛ حفظًا وصيانة للوحي.

قوله: («**ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض**»): يعني: أنَّ مسترقي السمع من الجن، يركب بعضهم بعضًا؛ حتى ينتهوا إلى السماء، والله أعلم كيف يكون ذلك، لكن قال -وهذه جملة معترضة-: (**وصفه سفيان بكفه**)، وسفيان هو ابن عيينة الراوي[1]، وصف هذا الترادف بكفه: (**فحرفها وبدد بين أصابعه**)، وهذا على سبيل التقريب.

(«**فيسمع الكلمة فيلقيها إلى مَن تحته، ثم يلقيها الآخر إلى مَن تحته، حتى يلقيها**»): أي: الأخير («**على لسان الساحر أو الكاهن**») للشك.

(«**فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها**»): يعني: هذه الشياطين ترسَل عليهم الشهب كما في القرآن؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾ [الملك]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٦ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝١٧ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ۝١٨﴾ [الحجر]، وقال: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾ [الصافات]. فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقي الكلمة فتضيع عليهم، وتفوت عليهم الفرصة.

---

(١) ينظر: فتح الباري (٨/ ٥٣٨).

قوله: («**وربما ألقاها قبل أن يدركه**»): أي: فيحرقه الشهاب بعد أن يلقي تلك الكلمة.

(«**فيكذب معها مئة كذبة**»)، فيروّج هذه الأكاذيب بهذه القضية الصادقة، فما يسترقونه قليل ونادر، ويكون إدراك الشهاب لمسترق السمع قبل الإلقاء أكثر من إدراكه بعد أن ألقاه.

فيصدق الناس إذا حدثهم الساحر أو الكاهن: («**فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا**») وهذا كناية عن يوم معين من الأيام.

وقوله: («**قال لنا يوم كذا وكذا؛ كذا وكذا**»): عبارة عن الأمر الذي أخبرهم به.

وقوله: («**فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء**»): أي: يصدق في أكاذيبه؛ بسبب تلك الكلمة الصادقة التي سمعت من السماء.

(**وعن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر، تكلم بالوحي، أخذت السموات منه رجفة -أو قال: رعدة شديدة- خوفًا من الله -عَزَّ وَجَلَّ-**»)؛ فالسموات ترتجف وترتعد لكلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، و(**السموات**): مفعول به و(**رجفة**): فاعل.

(«**فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا**»): صعقًا ليس فيه مفارقة الحياة.

(«**وخروا لله سجدًا، فيكون أول مَن يرفع رأسه جبريل**»): فهو رئيس الملائكة.

(«**فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال: الحق وهو العلي الكبير؛ فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل**»)، فيرددونها جميعًا: قال الحق وهو العلي الكبير.

والمقصود: أنَّ هذا الحديث فيه الدلالة على أنَّ الملائكة تخضع لكلام الله وتصعق؛ مما يدل على أنهم عباد مخلوقون مدبرون، وأنهم يخافون، وبذلك يظهر بطلان اتخاذهم آلهة.

وفي هذا الحديث دليل على فضل جبريل على سائر الملائكة، وهذا متفق عليه، وأنه هو الملك الموكل بالوحي، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء].

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية).

الفائدة الأولى مما تضمنته نصوص هذا الباب: تفسير الآية؛ يعني قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ: ٢٣]، وتقدم ما يدل على تفسيرها في حديث أبي هريرة، وكذلك حديث النواس بن سمعان.

(الثانية: ما فيها من الحجة على إبطال الشرك خصوصًا من تعلق على الصالحين، وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب).

يريد قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾، والمراد بهم الملائكة، وأول الآية قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [سبأ: ٢٢]، وهي تدل على بطلان الشرك من وجوه[١]:

---

(١) ينظر: الجواب الصحيح (٣/ ١٥٤-١٥٥)، والصواعق المرسلة (٢/ ٤٦١-٤٦٢).

الأول: قوله: ﴿لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، فمن لا يملك شيئًا لا يصلح للإلهية.

الثاني: قوله: ﴿وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ﴾ [سبأ: ٢٢]: أي: ولا يملكون قسطًا من الذرة.

الثالث: قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢﴾ [سبأ]أي: ليس أحد منهم معينًا لله في خلق السموات والأرض.

الرابع: أنَّ شفاعتهم لا تنفع عند الله إلا لمن أذن له.

الخامس: قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾: أي: أزيل عنهم الفزع؛ لأنَّ المراد بالآية الملائكة فإنهم يفزعون إذا تكلم الله، ويصعقون كما مر في حديثي الباب، ومَن يفزع ويصعق لا يصلح للإلهية لأنَّ الفزع والصعق نقص.

فهذه خمسة أمور في الآية تدل على بطلان إلهية الملائكة، وكذا غيرهم من الصالحين، ولهذا قيل في هذه الآية: **(إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب)**: كما ذكر الشيخ، وذكره قبله ابن القيم رَحِمَهُمَاٱللَّهُ[1].

(الثالثة: تفسير قوله: ﴿قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ [سبأ]).

تفسير: ﴿قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ [سبأ]، يوضحه حديث النواس بن سمعان، وأنَّ جبريل هو الذي يقول: **(قال الحق)**، وأنَّ

---

(١) وقد ورد نحو هذه العبارة في كلام ابن القيم في مسألة الشفاعة كما في مدارج السالكين (١/ ٥٢٦-٥٢٧)، (٥/ ٥٢٩)؛ ولذا نسبها ابن قاسم في حاشية التوحيد في باب الشفاعة (ص١٣٦) لابن القيم، ونسبها الشيخ عبد اللطيف في عيون المسائل والأجوبة (١/ ٣١٩) لبعض السلف، ولم نجدها فيما عندنا من مصادر.

الملائكة تقول مثل ما قال جبريل، والله تعالى لا يقول إلا الحق خبرًا وأمرًا، صدقًا وعدلًا.

(الرابعة: سبب سؤالهم عن ذلك).

سبب سؤال الملائكة عن قول الله أنهم سمعوا كلام الله، ولم يعقلوه ثم صعقوا فلما أفاقوا؛ سألوا ماذا قال ربنا؟ فيقول جبريل: **(قال: الحق)**.

(الخامسة: أنَّ جبريل هو الذي يجيبهم بقوله: قال كذا وكذا).

أي: يذكر لهم ويخبرهم بما قال الله؛ مما أذن له أن يخبرهم به.

وفي الحديث: (**«فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال: الحق وهو العلي الكبير؛ فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل»**)، وعلى هذا فقوله: (**«قالوا الحق»**) مجمل ليس فيه تعيين لما قاله الرب سبحانه، إنما فيه بيان أنَّ الله لم يقل ولا يقول إلا الحق، ولهذا يقول الشيخ: فيقول جبريل قال: كذا وكذا، يعني على سبيل التعيين.

(السادسة: ذكر أنَّ أول مَن يرفع رأسه جبريل).

لأنَّ جبريل أفضل الملائكة، وكل هذا في حديث النواس.

(السابعة: أنه يقول لأهل السموات كلهم؛ لأنهم يسألونه).

يدل على هذه الفائدة قوله في حديث النواس: **(كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال: الحق وهو العلي الكبير)**.

(الثامنة: أنَّ الغشي يعم أهل السموات كلهم).

هذا مأخوذ من قوله في حديث النواس: (فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدًا).

(التاسعة: ارتجاف السموات لكلام الله تعالى).

هذا مستفاد من قوله في حديث النواس: («أخذت السموات منه رجفة -أو قال: رعدة شديدة- خوفًا من الله عَزَّوَجَلَّ»).

(العاشرة: أنَّ جبريل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله).

جبريل هو الموكل بالوحي كما قال تعالى: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ١٠٢﴾ [النحل]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٩٧﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠﴾ [التكوير]، والمراد بالرسول جبريل(١).

فعلم مما تقدم أنَّ الفوائد من الثالثة إلى العاشرة متعلقة بحديث النواس.

(الحادية عشرة: ذكر استراق الشياطين).

يعني: ذكر استراقهم من السماء لما تتكلم به الملائكة الذين في السماء، أو الملائكة الذين في السحاب، لكن هذا الحديث؛ أعني: حديث أبي هريرة يختص بما يسترقه الشياطين من السماء الدنيا.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٦٣).

وهذا فيه الدلالة على أنَّ الشياطين يسترقون السمع، وقد جاء هذا المعنى في عدد من الآيات؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾ [الملك]. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٦ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝١٧ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ۝١٨﴾ [الحجر]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾ [الصافات].

وهل استراق الشياطين للسمع باق؟

قيل: إنه انقطع ببعثة محمد ﷺ، وقيل: لم ينقطع، لكن أيام البعثة شددت الحراسة على السماء حماية للوحي، وأصبح الشياطين لا يصلون إلى ما كانوا يصلون إليه؛ قال تعالى عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾ [الجن]. فيحتمل أنَّ حماية السماء استمرت، وأنهم بسبب ذلك لا يستطيعون الاستراق، وهذا ليس بظاهر؛ بل الظاهر أنَّ الأمر على ما هو عليه قبل البعثة، فإنَّ صعود الشياطين إلى السماء لاستراق السمع سنة كونية؛ لأنَّ الله قال: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾ [الملك]، وقال: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٦ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝١٧ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ۝١٨﴾ [الحجر](١).

---

(١) ينظر: أعلام النبوة للماوردي (ص ١٣٤).

(الثانية عشرة: صفة ركوب بعضهم بعضًا).

هذا مأخوذ من قول الراوي: **(وصفه سفيان بكفه؛ فحرفها، وبدد بين أصابعه).**

(الثالثة عشرة: سبب إرسال الشهب).

سبب إرسال الشهب ما ذكر في الحديث من استراق الشياطين ما يسمعون من كلام الملائكة ليبلغوه الكاهن فترسل عليهم الشهب إما لمنعهم من استراق شيء من كلام الملائكة، وإما لمنعهم من تبليغه، ولهذا قال في الحديث: **(وربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها)**: أي: إلى مَن تحته، وربما ألقاها قبل أن يدركه، وخبر استراق الشياطين السمع ورد في مواضع من القرآن كقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحجر]. وقال: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ [الصافات]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥].

(الرابعة عشرة: أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وتارة يلقيها في أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه).

هذا واضح من قوله في الحديث: **(فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه)**؛ فالشهاب مدركه ومحرقه، ولكن قول الشيخ: **(وتارة يلقيها في أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه)**: يخالف ظاهر الحديث؛ فإنَّ متعلق الإلقاء أو عدمه هو الشيطان الأسفل، والذي يدركه الشهاب أو لا يدركه هو الشيطان الأعلى الذي باشر استراق

السمع فمتى ألقى الكلمة قبل أن يحرقه الشهاب مضت يتناقلها الشياطين حتى تبلغ الكاهن، وإن أدركه الشهاب قبل أن يلقيها إلى مَن تحته لم تصل إلى الكاهن لأنها ذهبت من أول الطريق إذ لم تتجاوز مسترق السمع لأنَّ الشهاب أدركه قبل أن يلقيها، وهذا واضح في الحديث.

(الخامسة عشرة: كون الكاهن يصدق بعض الأحيان).

الأمر كما قال الشيخ قد يصدق الكاهن بعض الأحيان فإنَّ ما يصل إليه من مسترق السمع صحيح يطابق الواقع، لكنه يخلطها بكذب كثير فيصدقه الناس فيما كذب فيه بسبب ما صدق فيه، ولهذا قال في الحديث: **(فيصدق)**: أي: فيما كذب فيه **(بتلك الكلمة)**: أي: بسبب صدقه في الكلمة التي سمعت من السماء.

(السادسة عشرة: كونه يكذب معها مئة كذبة).

هذا يدل على أنَّ كذب الكهنة أكثر من صدقهم أضعافًا مضاعفة.

(السابعة عشرة: أنه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء).

يعني هذه الكلمة التي سمعت من السماء وقرتها الشياطين في أذنه هي التي روجت الأكاذيب؛ ولهذا درج أهل الباطل على أن يخلطوا باطلهم بشيء من الحق حتى يقبل، فهذه سياسة شيطانية وحقيقة واقعية، فمن أراد أن يروج باطلًا: يضع فيه شيئًا من الحق، ويسميه بالاسم الحسن، ومَن أراد أن يشنع على الحق: يختار له الألقاب القبيحة المنفرة، فالمعطلة سموا نفي الصفات توحيدًا، ويسمون إثبات الصفات تشبيهًا

وتجسيمًا، وشربة الخمر يسمونها بغير اسمها كما جاء في الحديث لتروج، لا يسمونها خمرًا؛ بل يضعون لها اسمًا جذابًا كذابًا[1]، والإباحيون أو الفسقة يسمون الاستقامة تطرفًا ورجعية وتزمتًا! وما أشبه ذلك، ويسمون الانطلاق والانفلات تنوّرًا! وهذا كله من ترويج الباطل وزخرفته.

(الثامنة عشرة: قبول النفوس للباطل، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمئة كذبة).

هذه من استنباطات الشيخ الدقيقة، يقول الشيخ: من فوائد هذا الحديث: تعلق النفوس بالباطل، إذ كيف يتعلقون بواحدة في تصديق الأكاذيب الكثيرة ولا يعتبرون بمئة، فيقبلون مئة كذبة بحجة أنه صدق مرةً!

(التاسعة عشرة: كونهم يلقي بعضهم إلى بعض تلك الكلمة، ويحفظونها ويستدلون بها).

هذا يدل على اهتمام الناس بترويج الباطل.

(العشرون: إثبات الصفات خلافًا للأشعرية[2] المعطلة).

هذه الفائدة مأخوذة من الحديثين فإنَّ كلًّا منهما يدل على إثبات الكلام لله كلامًا مسموعًا خلافًا للأشاعرة فإنَّ كلام الله عندهم معنى

---

(١) مصداقًا لقوله ﷺ: «**إنَّ أُناسًا من أُمَّتي يشربون الخمر يُسمُّونها بغير اسمها**». أخرجه أحمد (١٨٠٧٣) وهو في «السلسلة الصحيحة» (٤١٤).

(٢) زيادة من تيسير العزيز الحميد.

نفسي ليس بحرف ولا صوت، وفي الحديثين رد عليهم ففي حديث أبي هريرة قال عن كلام الله كأنه سلسلة على صفوان، وفي حديث النواس؛ قوله: (**«فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدًا»**)، وقول الشيخ: (**خلافًا للأشعرية المعطلة**): يفهم منه أنهم معطلة لجميع الصفات، والمشهور عنهم أنهم يثبتون سبعًا من الصفات، وينفون ما عداها.

(الحادية والعشرون: التصريح بأنَّ تلك الرجفة والغشي خوفًا من الله عَزَّوَجَلَّ).

رجفة السموات والغشي الذي يحصل للملائكة؛ سببه الخوف من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وهذا يدل على أنَّ الملائكة عبيد ليسوا بآلهة، يفزعون ويخافون ويغشى عليهم ويصعقون، ومَن هذه حاله أفيجوز أن يُتخذ إلهًا مع الله؟!

(الثانية والعشرون: أنهم يخرون لله سجدًا).

هذه فائدة أنهم إذا سمعوا كلام الله وشعروا برجفة السموات صعقوا وخروا لله سجدًا؛ تعظيمًا له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ولكلامه.

فعلم من كل ما تقدم أنَّ الملائكة عباد عابدون، لا آلهة معبودون.

(١٧)

باب الشفاعة

وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنعام].

وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم].

وقَوْلِه: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ].

قال أبو العباس: «نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونًا لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب؛ كما قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة؛ كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ: «أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده -لا يبدأ بالشفاعة أولًا- ثم يقال له ارفع رأسك، وقل يُسمع، وسل تُعط، واشفع تشفع»[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وقال له أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَن أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «مَن قال: لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه»(١) فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص -بإذن الله-، ولا تكون لمن أشرك بالله، وحقيقته: أنَّ الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء مَن أذن له أن يشفع؛ ليكرمه، وينال المقام المحمود.

فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك؛ ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص» انتهى كلامه(٢).

الشرح

يقول المؤلف الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ: (باب الشفاعة): أي: هذا باب ذكر الشفاعة، وبيان حقيقتها وأنواعها.

والشفاعة مصدر: شفع يشفع شفاعة، وهي مأخوذة من الشفع، وهو خلاف الوتر(٣).

وحقيقتها: طلب الخير للغير(٤)، وسمي الشافع شافعًا؛ لأنه يُصيّر صاحب الحاجة شفعًا بعد أن كان منفردًا في طلبه؛ فبانضمام الشافع له صار به شفعًا، لكن لما كانت شفاعته متضمنة للدعاء عديت باللام، فشفعه، أي: صيّره بانضمامه إليه شفعًا، وشفع له، أي: دعا له.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩)، (٦٥٧٠).
(٢) بنحوه مع اختصار في الإيمان الكبير (ص٦٦-٦٧).
(٣) ينظر: لسان العرب (٨/ ١٨٣-١٨٤).
(٤) ينظر: الإيمان (ص٥٦)، ولوائح الأنوار (٢/ ٢٤٦).

وقد ذكر الله الشفاعة في مواضع من القرآن، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة]. وقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ﴾ [الأنعام: ٥١]. وقوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السجدة: ٤]. وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣]. وقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم].

وقال سبحانه في وصف الملائكة: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غافر]. وقال سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر]. ويقول تعالى عن أهل النار: ﴿قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر].

فتضمنت هذه الآيات نفي الشفاعة عن الظالمين المجرمين، وهم الكفار المشركون، فهؤلاء لا تنفعهم شفاعة الشافعين لو وجد مَن يشفع لهم، ولكن لن يوجد مَن يشفع لهم؛ قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غافر]وقال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر].

وليس المراد أنَّ أحدًا يشفع لهم يوم القيامة، ولا تنفعهم شفاعته، فنفي نفع الشفاعة لعدم وجودها[1]، فلا شفيع لهم كما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١]، فلا يشفع أحد للكافرين: لا الملائكة ولا الأنبياء ولا الصالحون، وإنما يشفع الرسول ﷺ، ويشفع الأنبياء والملائكة والصالحون لعباد الله الموحدين؛ كما قال سبحانه تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وكما في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: مَن أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: («**مَن قال: لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه**»).

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم]، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]، فمن أذن الله له بالشفاعة شفع، ولا يأذن بالشفاعة لأحد إلا لأهل التوحيد؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

فدلت هذه النصوص على أنَّ الشفاعة في القرآن شفاعتان: شفاعة مثبتة، وشفاعة منفية، فالشفاعة المثبتة: هي الشفاعة لأهل التوحيد، ولا تكون إلا بإذنه سبحانه للشافع، ورضاه عن المشفوع، ودليل ذلك: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. فلا أحد من الخلق: لا

---

(١) قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن: «فالنفي واقع على ما اعتقدوه وظنوه من وجود شفيع يشفع وينفع، ويقرِّب إلى الله، وذلك الظن والاعتقاد وهمٌ وخيالٌ باطلٌ لا وجود له». ينظر: الدرر السنية (١٣/ ٢٠٩-٢١٠).

الملائكة ولا الأنبياء ولا الصالحون، يشفع عنده يوم القيامة إلا بإذنه، ولا يأذن بالشفاعة إلا لمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهم أهل التوحيد؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۝٢٨﴾ [الأنبياء].

وأما الشفاعة المنفية؛ فهي الشفاعة التي يطلبها المشركون من معبوديهم من الملائكة والأنبياء والصالحين الغائبين والميتين فيطلبون قضاء حوائجهم، ويقولون: إنهم يقدرون على ذلك أو أنهم يشفعون عند الله في قضاء حوائجهم، فهؤلاء المشركون لا يشفع لهم أحد، ولا يأذن الله لأحد بالشفاعة لأحد من أهل الشرك والكفر، فلا تنفعهم شفاعة الشافعين؛ قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۝١٨﴾ [غافر]. والمعنى لو كان هناك مَن يشفع لهم لما أطيع ولا قبل منه، وفي هذا إبطال لما يظنه المشركون من الشفاعة التي هي من جنس شفاعة المخلوق عند المخلوق[١].

فالمخلوق يشفع عند المخلوق بغير إذنه؛ كالوزير والجليس والمستشار، يشفع عند الملك بغير إذنه، ويفرض عليه إرادته، فيضطر المشفوع عنده إلى قبول شفاعته؛ لأنه يخافه ويرجوه، فيجيبه وإن كان كارهًا، رغبة أو رهبة؛ لأنه محتاج إلى هؤلاء، فهم بذلك شركاء له، لأنَّ لهم نوع شركة في الملك إما بمعاونته في تدبير مملكته أو بتعريفه أحوال رعيته أو بالتأثير عليه في نفع ما لا قصد له إلى منفعته[٢]، أما الله

(١) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣٥٨-٣٦٤)، ومفتاح دار السعادة (٣/ ١٥٩١-١٥٩٢).

(٢) ذكر هذه الأوجه الثلاثة: شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١/ ١٢٦-١٢٨).

تعالى فلا شريك له في ملكه؛ ولهذا لا يملك أحد الشفاعة، إنما يشفع مَن أذن الله له، وحتى مَن أذن الله له، إنما يشفع إذا جعل الله في قلبه إرادة الشفاعة، فيجعل في قلب الشافع القصد إلى الشفاعة، ثم مع ذلك لا بد أن يستأذن، فلا يشفع إلا بعد أن يأذن الله له، فالأمر كله لله، أوله وآخره، والمشركون يزعمون لآلهتهم ما لا يكون، فيزعمون لها ما ليس من شأنها؛ قال تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]. وهم يريدون أنهم شفعاء لهم عند الله في مطالبهم الدنيوية من النصر، والرزق، والحظوظ العاجلة، وحصول الأولاد، والوقاية من الشرور والأضرار فيلجؤون إلى هذه الآلهة زاعمين أنها تشفع لهم عند الله، وهم لا يريدون من آلهتهم أن تشفع لهم عند الله يوم القيامة؛ لأنَّ المشركين الأولين لا يؤمنون بيوم القيامة أما المشركون من المنتسبين للإسلام فإنهم يرجون شفاعة معبوديهم في مطالب الدنيا والآخرة[(١)]، لأنهم يؤمنون بالقيامة؛ بخلاف المؤمنين الذين قال الله فيهم: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ﴾ [الأنعام: ٥١]، وهؤلاء هم أهل الإيمان، فالمؤمنون بالله الذين يخافون يوم القيامة، الذي هو يوم الحشر والنشور، وهم يعلمون أنه ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع، هم المنتفعون بالإنذار كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ٤٥﴾ [النازعات]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [يس: ١١]. وسيأتي مزيد بيان لبعض هذه الآيات فيما نقله المصنف عن شيخ الإسلام ابن تيمية الآتي.

---

(١) ينظر: الدرر السنية (٢/ ١٥٨).

قوله: **(قال أبو العباس)**: هذه كنية شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإذا أطلق أبو العباس في كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبنائه وتلاميذه فمرادهم ابن تيمية[(١)].

قوله: **(نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه أو يكون عونًا لله)**: هذا يتعلق بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [سبأ: ٢٢]؛ فإنَّ الله نفى عن آلهة المشركين ملك ذرة في السموات أو في الأرض، ونفى أن يكون لهم شرك في ذرة أو يكون أحد منهم عونًا لله، وهذه الثلاثة هي الباعثة على تعلق المشركين بآلهتهم، وقد نفاها الله، وهذا معنى قول الشيخ: **(نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه أو يكون عونًا لله)**.

قوله: **(ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨])** هذه الآية: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [سبأ: ٢٢]، هي التي قيل إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب[(٢)]، والشفاعة التي أبطلها الله هي التي يظنها المشركون لآلهتهم، وهم يظنون أنَّ آلهتهم تشفع عند الله، كما يشفع المخلوق عند المخلوق، فأبطل الله ذلك، وبين أنَّ الشفاعة لا تكون إلا بإذنه، كما جاء ذلك في مواضع، ولا تكون إلا لمن رضيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وقال تعالى:

(١) ينظر مثلاً: الدرر السنية (١/ ١٩٤)، (١/ ٢٥٤)، (٢/ ٢٨٩).
(٢) تقدم في (ص٣٣٨).

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]، فهذه هي الشفاعة المثبتة التي أثبتها الله في كتابه، وهي التي تكون بإذنه ورضاه، وهذه إنما تكون لأهل التوحيد على ما جاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مَن أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: **(مَن قال لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه)**.

فالشفاعة التي يظنها المشركون هي من جنس شفاعة المخلوق عند المخلوق، التي لا تتوقف على إذن ولا رضا، فوزير الملك يشفع عنده لمن شاء لا ينتظر إذنه، ولا يعتبر رضاه عن المشفوع له أما الله تعالى فهو الغني عن كل مَن سواه، فلا أحد يتقدم بالشفاعة عنده إلا بإذنه؛ لأنَّ الملك كله له، ولا أحد يشارك الله في الملك، قال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزمر].

ومما يدل على ذلك من السنة أنه ﷺ قال في حديث الشفاعة: «**فأنطلق حتى أستأذن على ربي، فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعت ساجدًا، فيدعني ما شاء الله، ثم يقال: ارفع رأسك وسل تعطه، وقل يسمع واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حدًّا**»(١) فدل على أنه لا يبدأ بالشفاعة أولاً؛ بل يسجد ويحمد؛ فيقال له: («**ارفع رأسك وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع**»).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٦) -واللفظ له-، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثـم قـال شـيخ الإسـلام: فـي حقيقـة هـذه الشـفاعة المثبتـة: **(أنَّ الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء مَن أذن له أن يشفع ليكرمه، وينال المقام المحمود)** فحقيقتها أنَّ الله يغفر للمشفوع له بدعاء ذلك الشافع الذي أذن له تعالى بالشفاعة، فيكرم الله الشافع بالإذن له بالشفاعة وقبولها، ويظهر فضله لينال المقام المحمود كما كان للرسول ﷺ.

فالشفاعة إذن؛ كلها من الله وإلى الله، وفيها إكرام من الله للشافع، وفيها إحسان من الله للمشفوع له، بالمغفرة والنجاة من النار.

وقوله: (فالشفاعة التي نفاها القرآن: ما كان فيها شرك): يريد: أنَّ الشفاعة المنفية هي التي يعتقدها المشركون، ومن أجلها يعبدون مَن يظنون أنهم يشفعون لهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

وقوله: (ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع)؛ كما تقدم في الآيات، وهذه الشفاعة التي أثبتها الله بإذنه لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص؛ لقوله ﷺ لأبي هريرة؛ قال ﷺ: **(مَن قال لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه)**.

تنبيه: شفاعة النبي ﷺ لا تطلب منه إلا في حياته في الدنيا قبل موته، وفي الآخرة بعد بعثه ﷺ، ولهذا لم يستشفع الصحابة به لما قحطوا، ولم يتوسلوا به؛ بل عدلوا إلى التوسل بدعاء العباس عم النبي ﷺ، وقال عمر في ذلك: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقينا»[(١)] فيسقون، وأما ما ذكر عن ابن قدامة والنووي

(١) أخرجه البخاري (١٠١٠) عن أنس عن عمر أنه قال... وذكره.

من الاستشفاء، وطلب الاستغفار من النبي ﷺ عند قبره فهو خطأ منهما -عفا الله عنهما- وقد خالفا بذلك هدي الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[(١)].

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيات).

أي: الآيات التي سردها وسبق الكلام فيها.

(الثانية: صفة الشفاعة المنفية).

الشفاعة المنفية: هي التي يظنها المشركون؛ كشفاعة المخلوق عند المخلوق، وهي التي تكون بغير إذنه تعالى ورضاه، وهذه لا تكون أبدًا في حق الله تعالى فإنه لا أحد يشفع عنده بغير إذنه، فلا نقول: لا تنفع فقط؛ بل لا تقع، ولو فرض أنها وقعت فلا تنفع!

(الثالثة: صفة الشفاعة المثبتة).

وهي التي تكون بإذن الله ورضاه بإذنه تعالى للشافع، ورضاه عن المشفوع له؛ لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، ومَن أذن الله له بأن يشفع فقد رضي منه بالشفاعة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم].

(الرابعة: ذكر الشفاعة الكبرى، وهي المقام المحمود).

الشفاعة الكبرى هي شفاعته ﷺ إلى الله بأن يفصل بين عباده ويقضي بينهم، وهي التي وردت الإشارة إليها بأنها المقام المحمود في كلام أبي

---

(١) ينظر: المغني (٥/ ٤٦٧)، والمجموع شرح المهذب (٨/ ٢٥٦).

العباس ابن تيمية، وهذه الشفاعة من خصائصه ﷺ، وهو كذلك يشفع فيمن دخل النار من الموحدين أن يخرج منها، وهذه الشفاعة في أهل الكبائر يشركه ﷺ فيها الملائكة والأنبياء والصالحون.

(الخامسة: صفة ما يفعله ﷺ أنه لا يبدأ بالشفاعة؛ بل يسجد، فإذا أذن له شفع).

هذا دليل على أنه ﷺ لا يشفع إلا بإذنه سبحانه، وهو أكرم الخلق على الله، فكيف بمن دونه!

(السادسة: مَن أسعد الناس بها؟).

الجواب: ما أجاب به النبي ﷺ أبا هريرة، وهو قوله: **(مَن قال لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه).**

(السابعة: أنها لا تكون لمن أشرك بالله).

هذه الفائدة مأخوذة من مفهوم جواب النبي ﷺ لأبي هريرة.

(الثامنة: بيان حقيقتها).

حقيقة الشفاعة المثبتة أنَّ الله إذا أراد أن يغفر لعبده: أذن للشافع بالشفاعة ليكرمه بذلك، ويغفر لعبده المشفوع له بسبب شفاعة مَن أذن الله له؛ فرجع الأمر كله لله.

(١٨)

باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦].

في الصحيح: عن ابن المسيب، عن أبيه؛ قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة؛ جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: «يا عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله» فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟! فأعاد عليه النبي ﷺ فأعادا، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك». فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة]. وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص][(١)].

الشرح

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: (**باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص]**)، هذا من جنس بعض الأبواب المتقدمة التي يجعل الآية هي عنوان الباب، لا

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤) عن المسيب بن حزن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

يترجم بشيء من المسائل والمعاني؛ بل يترجم بالآية، فيؤخذ مقصود الترجمة ومقصود الباب مما ذكر من الأدلة.

وهذا الباب يمكن أن يترجم له بباب: لا يقدر النبي ﷺ على هداية أحد ولو كان أقرب قريب، أو باب: الدليل العقلي على بطلان اتخاذ النبي ﷺ إلهًا من دون الله فهذا الباب بمقصوده نظير باب قوله تعالى: ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا﴾ [الأعراف: ١٩١][(١)]، وباب قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ [سبأ: ٢٣][(٢)]. فكل هذه الأبواب تضمنت أدلة عقلية على بطلان الشرك بالصالحين والشرك بالنبي والشرك بالملائكة.

فإذا كان عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا يملك هداية أحد حتى عمه الذي ناصره؛ علم بذلك تفرد الرب سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بالهدى والإضلال، وأنَّ الرسول ﷺ ليس له من الأمر شيء، وعلم أنه ﷺ ليس له شيء من خصائص الربوبية والإلهية، وينبغي أن يعلم أنَّ الهداية المضافة إلى الله نوعان[(٣)]: هداية التوفيق، وشرح الصدر لقبول الحق، وهذه مختصة بالله، وهي المنفية عن الرسول ﷺ، والنوع الثاني هداية الدلالة والبيان والإرشاد، وهي: تكون من الله، ومن الرسول ﷺ، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢﴾ [الشورى]، وبهذا التقسيم يحصل الجمع بين قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ [القصص: ٥٦] وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ

---

(١) تقدم في (ص٣١٣).

(٢) تقدم في (ص٣٣٢).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١٨/ ١٧١-١٧٥)، وبدائع الفوائد (٢/ ٤٤٥)، وذكر ابن تيمية وابن القيم قسمين آخرين وهما: الهداية إلى مصالح الدنيا، والهداية في الآخرة.

صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى]، وينبغي أن يعلم الفرق بين الهدايتين فهداية التوفيق مختصة بالله لا يقدر عليها إلا الله، وهداية الدلالة والإرشاد يقدر عليها الرسل، وكل داع إلى الله، وفرق ثاني، وهو أنَّ هداية التوفيق مختصة ببعض العباد، وهم الذين هداهم الله، وأما هداية الدلالة والإرشاد فإنها عامة لجميع الناس المؤمنين والكفار، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]، وكذلك قوله تعالى في الإنسان: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ٣]، وهذه الهداية تثبتها المعتزلة، وأما الأولى: فلا يثبتونها لأنهم أخرجوا أفعال العباد عن مشيئة الرب وقدرته تعالى وتقدس[(١)].

وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ [القصص: ٥٦]، هذه هي المحبة الطبيعية، كمحبة الإنسان لقريبه؛ لأبيه ولعمه، وتقدم أنَّ الهداية المنفية في هذه الآية عن الرسول المثبتة لله؛ هي: هداية التوفيق.

ثم ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حديث سعيد بن المسيب عن أبيه في قصة دعوة النبي ﷺ لعمه أبي طالب فإنه قال له: «**يا عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله**»؛ فكان عنده من الكفار؛ من رفقاء السوء: أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية -وهذا الأخير أسلم بعد ذلك- فقالا لأبي طالب: (**أترغب عن ملة عبد المطلب؟!**): يريدون أن يثيروا فيه نخوة العصبية للآباء والأجداد، فأعاد عليه الرسول ﷺ فأعادا؛ فكان آخر كلامه: (**هو على ملة عبد المطلب**): وعبر الراوي بضمير الغائب بدلًا عن ضمير المتكلم تحاشيًا عن التعبير عن المعنى القبيح بضمير المتكلم

(١) ينظر: درء التعارض (٩/ ٢٥-٣٦)، وشفاء العليل (١/ ٢٦٧).

فإنَّ أبا طالب قال: أنا؛ فعبر عن نفسه بالكفر فلا يصلح أن يرويه الراوي بلفظه فلهذا قال: (**هو على ملة عبد المطلب**)، وهذا من حسن الأدب في الكلام، ولهذا نظير في القرآن في المتلاعنين؛ يقول الرجل أنَّ لعنة الله عليه، والأصل: أن يقول علي، وكذلك المرأة تقول: غضب الله عليها، والواجب: أن تقول علي فصرف ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب تجنبًا لشناعة لو عبر بضمير المتكلم فينبغي مراعاة هذا الأدب في نظائر ذلك فلو قال لك رجل أنا كافر أو خنزير فلا ترويه بلفظه؛ بل تقول قال لي هو كافر أو خنزير.

فلما مات أبو طالب على الكفر قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (**لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك». فأنزل الله** عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة]. **وأنزل الله في أبي طالب**: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص]).

وفي هذا الباب مسائل وفوائد ذكرها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويأتي القول فيها.

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] **الآية)**.

تفسيرها يشمل أمورًا:

أولًا: بيان سبب نزولها[1].

---

(١) قال الزجاج: «أجمع المفسرون أنها نزلت في أبي طالب، وجائز أن يكون ابتداء نزولها في أبي طالب وهي عامَّةٌ» معاني القرآن (٤/ ١٤٩). وتعقبه القرطبي (١٣/ ٢٩٩) بقوله: «والصواب أن يقال أجمع جل المفسرين على أنها نزلت في شأن أبي طالب عم النبي ﷺ، وهو نص حديث البخاري ومسلم».

ثانيًا: فيها الدلالة على أنَّ الرسول ﷺ لا يملك هداية أحد، وهي الهداية الخاصة؛ هداية التوفيق؛ فهذه الهداية إنما يملكها رب العالمين، فهو الذي يضل مَن يشاء، ويهدي مَن يشاء، وهو أعلم بالمهتدين سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ويعلم مَن يكون أهلًا للهداية، ومَن ليس كذلك، فهو تعالى حكيم يضع الأشياء في مواضعها.

(الثانية: تفسير قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣] الآية).

هذه الآية فيها نهي الرسول ﷺ والمؤمنين أن يستغفروا للمشركين بعدما تبين لهم أنهم من أصحاب الجحيم، ويدل للنهي قوله: ﴿مَا كَانَ﴾: يعني: ما صح وما استقام، فلا يليق بالنبي ﷺ والمؤمنين أن يستغفروا للمشركين، ولو كانوا أولي قربى، فهذا لا يصح منهم، ولا يليق بمنزلتهم من الدين، ثم ذكر سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ السبب في استغفار إبراهيم لأبيه، وأنه إنما استغفر له لموعدة وعدها إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه.

(الثالثة: -وهي المسألة الكبيرة-: تفسير قوله: «قل لا إله إلا الله». بخلاف ما عليه من يدعي العلم).

هذه المسألة الكبيرة، وهي تفسير قوله: **(قل: لا إله إلا الله)**: فإنَّ معناها: لا معبود بحق إلا الله، وأنَّ كل معبود سواه باطل، فمعناها: أنَّ جميع آلهة المشركين باطلة؛ لأنَّ الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه هو رب العالمين، بخلاف ما عليه أكثر الناس، فإنَّ أكثر الناس يعتقد أنَّ معنى لا إله إلا الله: لا خالق إلا الله.

(الرابعة: أنَّ أبا جهل ومَن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذ قال للرجل: «قل: لا إله إلا الله»؛ فقبح الله مَن أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام).

أكثر الناس يظنون: أنَّ معنى لا إله إلا الله: لا خالق إلا الله، وهذا غلط عظيم، فلو كان هذا معناها لبادر أبو طالب ووافق عليها؛ لأنَّ هذا أمر مستقر عنده، أنه لا خالق إلا الله، ولا مدبر لهذا الوجود إلا الله، وأنه تعالى هو الذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، وهو الذي بيده الملك، وله ملك السموات والأرض، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون]. فالمقصود: أنَّ كثيرًا من المنتسبين للعلم فضلًا عن العامة يظنون أنَّ معنى لا إله إلا الله: لا خالق إلا الله، وامتناع أبي طالب أن يقولها، ومعارضة أبي جهل ومَن معه على أبي طالب، وتحريكهم له بنعرة العصبية للآباء؛ يدل على أنهم يعلمون معنى لا إله إلا الله.

يقول الشيخ: **(فقبح الله مَن أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام):** يعني: بمعنى لا إله إلا الله؛ لأنَّ لا إله إلا الله هي حقيقة الإسلام وأصل الإيمان، وهذا المعنى قال مثله في «كشف الشبهات» لما فسر معنى لا إله إلا الله، وفسر الإله، وبين مراد أهل الجاهلية بلا إله إلا الله فقال: «فلا خير في رجل جهّال الكفار أعلم منه بمعنى «لا إله إلا الله».»(١)

(الخامسة: جِدُّه ﷺ ومبالغته في إسلام عمه).

جده ﷺ في دعوة عمه، وحرصه على ذلك -صلوات الله وسلامه عليه-، فلم يزل يدعو عمه، ويعرض عليه الإسلام مرة بعد مرة بشتى

(١) كشف الشبهات (ص٩) وشرح شيخنا (ص٢١).

الطرق، إلى آخر رمق جاءه، وهو قد حضره الموت، فصار يقول: **(يا عم)**: وهي للتلطف **(قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله)**: فخشي أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية أن يرق أبو طالب للرسول ﷺ فيستجيب له ويقول كلمة التوحيد، فقالا له: **(أترغب عن ملة عبد المطلب؟!)**: يهيجان فيه نعرة العصبية، فالرسول ﷺ يعيد عليه، وهما يعيدان، فكان آخر قوله: **(هو على ملة عبد المطلب)**؛ فمات على الشرك والكفر.

(السادسة: الرد على مَن زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه).

يقول الشيخ من فوائد هذا الباب، وهذه الفائدة مأخوذة من قصة أبي طالب فإن الرسول ﷺ دعا عمه إلى الإسلام بأن يقول: «لا إله إلا الله» فاعترض عليه الرجلان؛ فقالا: **(أترغب عن ملة عبد المطلب؟!)**؛ فعلم بذلك أنَّ أبا طالب وعبد المطلب لم يكونا على ملة الإسلام؛ بل ملة عبد المطلب عبادة الأوثان فلهذا قال الشيخ: **(الرد على مَن زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه)**: يعني: الشيخ بذلك بعض الغلاة بالنبي ﷺ، ومن غلوهم زعمهم أنَّ جميع آباء الرسول ﷺ كانوا موحدين، ولهم في هذا الزعم شبهات، وهو زعم باطل، ومما يدل على ذلك نهي الله نبيه أن يستغفر لعمه وأبيه وأمه، ومما يؤكد ذلك ما ثبت في الصحيحين أنَّ النبي ﷺ شفع لعمه حتى كان في ضحضاح من النار، ولولا ذلك لكان في الدرك الأسفل من النار[1]، وأبو طالب ممن قامت عليه الحجة لكن منعه من الإيمان التعصب لملة الآباء، وأما عبد المطلب فلم يدرك بعثة

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩) عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

النبي ﷺ فهو من أهل الفترة، وأهل الفترة يحكم الله فيهم يوم القيامة بما تقتضيه حكمته وعدله[1].

(السابعة: كونه ﷺ استغفر له فلم يغفر له؛ بل نهي عن ذلك).

من فوائد الباب: أنَّ الرسول ﷺ استغفر لعمه فلم يغفر له، وهذا يؤخذ من قوله: **(لأستغفرن لك)**، ومعلوم أنه سيبادر ويستغفر، فكان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يستغفر لعمه حتى جاءه النهي عن ذلك في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾ [التوبة]. فكان قبل أن ينهى يستغفر؛ لأنه لم يأته النهي، ولهذا لما زار قبر أمه بكى وأبكى مَن حوله، وقال: «**استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي**»[2] ﷺ، وذكر الشيخ هذه المسألة ليؤكد مقصود الباب، وهو أنَّ النبي ﷺ ليس له من الأمر شيء فلم يقدر على هداية عمه، واستغفر له فلم يغفر له؛ بل نهي عن ذلك، ومَن هذا شأنه لا يجوز عقلًا ولا شرعًا أن يعبد مع الله.

(الثامنة: مضرة أصحاب السوء على الإنسان).

هذه فائدة عظيمة من فوائد هذا الباب مأخوذة من قصة أبي طالب، وهي: مضرة أصحاب وجلساء السوء على الإنسان؛ لأنَّ من أسباب إصرار أبي طالب على الامتناع عن قول «لا إله إلا الله»: حضور هذين المشركَين؛ حتى أثارا في أبي طالب نعرة التعصب للآباء والأجداد،

(١) ينظر: دفع إيهام الاضطراب (ص١٩٢).
(٢) أخرجه مسلم (٩٧٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فالرسول ﷺ يقول: **(يا عم قل لا إله إلا الله)**، وهذان الرجلان يقولان: **(أترغب عن ملة عبد المطلب؟!)**؛ فأبى أن يقول: «لا إله إلا الله».

(التاسعة: مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر).

لأنَّ الغلو في تعظيم الأسلاف والأكابر يحمل على التعصب لهم، ورد الحق الذي يخالف ما هم عليه.

(العاشرة: الشبهة للمبطلين في ذلك؛ لاستدلال أبي جهل بذلك).

يعني: أهل الجاهلية قديمًا وحديثًا، استدلالهم واحتجاجهم على باطلهم بأنه كذلك كان آباؤهم، واحتجاج المشركين بالتبعية لآبائهم على حد قوله تعالى عن المترفين ممن جاءتهم النذر: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ۝٢٣ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٢٤﴾ [الزخرف]؛ فهذه الشبهة هي التي ضل بسببها المشركون الأولون والآخرون.

(الحادية عشرة: الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم؛ لأنه لو قالها لنفعته).

صح عن النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال: «**الأعمال بالخواتيم**»[1]، وكما في حديث ابن مسعود: «**حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب...**»[2]، وحال أبي طالب شاهد لهذا، فإنه لو قالها لنفعته، ومن الناس مَن يصر على الباطل حتى يموت عليه، ومنهم مَن يهيئ الله له سببًا فيتوب.

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠٧) من حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٣٢)، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

(الثانية عشرة: التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين؛ لأنَّ في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها، مع مبالغته ﷺ وتكريره؛ فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها).

كل هذه المسائل متعلقة بحجة تقليد الآباء والاحتجاج بما كان عليه الأسلاف، وهذه حجة شيطانية، وهي من أقوى ما يتعلقون به للإصرار على باطلهم؛ مما يدل على عظم شأنها في نفوسهم، ويرون أنها كافية لمقاومة أمر الله وشرعه، ومما يدل على ذلك: أنهم لم يزيدوا ولم يدلوا بغيرها على أبي طالب، فلم يزالوا يرددونها حتى بلغت روحه حلقومه، فمات وهو يقول: **(هو على ملة عبد المطلب)**.

(١٩)

باب ما جاء أنّ سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

وفي الصحيح عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣﴾ [نوح].

قال: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عُبدت»(١).

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف(٢): «لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٠) عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، فذكره بسياق أطول وفيه: «تَنَسَّخَ العلم»، وقيل عطاء هو الخرساني ولم يسمع من ابن عباس. قال ابن حجر: «وهذا مما استُعظِم على البخاري أن يخفى عليه لكن الذي قوي عندي أن هذا الحديث بخصوصه عند ابن جريج عن عطاء الخرساني وعن عطاء بن أبي رباح جميعًا». ينظر: فتح الباري (٨/ ٦٦٧-٦٦٨).

(٢) ينظر: الدر المنثور (٨/ ٢٩٣-٢٩٥).

(٣) إغاثة اللهفان (١/ ٣٣٢).

وعن عمر: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله». أخرجاه(١).

وقال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والغلو؛ فإنما أهلك مَن كان قبلكم الغلو»(٢).

ولمسلم عن ابن مسعود: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثًا(٣).

الشرح

يقول الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(باب ما جاء أنَّ سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين)**: يعني: هذا باب ذكر ما ورد من الآثار التي تدل على سبب كفر بني آدم، أي: سبب حدوث الكفر بالشرك بالله وترك الدين الحق، وهو التوحيد، ومن البين أنَّ هذا الباب وثلاثة أبواب بعده فيها انتقال عن مقصود الأبواب السابقة؛ فإنَّ المقصود منها ذكر الأدلة العقلية على صحة التوحيد وبطلان الشرك، وفي هذه الأبواب بيان لسبب حدوث الشرك في العالم ثم يتكرر السبب في أعقاب الزمن، وقد دل ما ذكره الشيخ في هذا الباب

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥)، (٦٨٣٠)، وأخرج أصله مسلم (١٦٩١) وليس فيه موضع الشاهد منه.

(٢) أخرجه أحمد (١٨٥١)، (٣٢٤٨)، والنسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وصححه ابن خزيمة (٢٨٦٧)، وابن حبان (٣٨٧١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٧٠).

على أنَّ أول سببٍ لحدوث الشرك في الأرض هو الغلو في الصالحين، وكأنه جواب في سؤال مقدر، وهو: ما سبب حدوث الشرك في الناس، وقد كانوا على التوحيد عشرة قرون كما جاء عن ابن عباس؟[١].

والغلو هو مجاوزة الحد في الشيء، والمبالغة والإفراط، هذا أصل معناه، والمبالغة والإفراط والتجاوز، كل هذه المعاني يقابلها الجفاء والتقصير والتفريط، والاستقامة فضيلة بين رذيلتين: رذيلة الغلو والإفراط، ورذيلة التقصير والجفاء.

وفي كل الأمور إنما يؤتى الإنسان من أحد هذين البابين: باب الإفراط أو باب التفريط، وصراط الله بين ذلك، بين الغالي فيه والجافي عنه، والغلو في الصالحين هو مجاوزة الحد في حبهم وتعظيمهم وفي منزلتهم، وفي الاعتقاد في فضلهم، واعتقاد فضلهم حق، ومحبتهم وتعظيمهم حق، ولكن المبالغة والإفراط في ذلك هو الغلو، وهذا يكون بإعطائهم ما لا يستحقون من المحبة والتعظيم والمنزلة، فرفعُ النبي إلى منزلة الألوهية وإعطاؤه شيئًا من خصائص الإلهية، أو رفع العبد الصالح عن منزلته بإعطائه شيئًا من خصائص النبوة، أو من خصائص الإلهية، كل ذلك من الغلو في الصالحين.

والناس في الصالحين فريقان: المفرطون الغالون فيهم، أو المقصرون في حقهم؛ وذلك بتنقصهم وجحد فضلهم وفضائلهم وبمعاداتهم، كل هذا من الجفاء والتفريط.

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٣٠٣)، وصححه الحاكم (٣٦٥٤)، والألباني في الصحيحة (٧/ ٨٥٤ رقم ٣٢٨٩).

وكل من الغلو والتفريط على مراتب متفاوتة: قد يكون معصية، وقد يكون كبيرة من كبائر الذنوب، وقد يكون كفرًا بحسبه، وسيتبين تفصيل ذلك في هذا الباب، وفي الأبواب التي بعده، وهي أربعة أبواب بعضها يكمل بعضًا.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]. هذا نهي من الله لأهل الكتاب وهم النصارى؛ لأنهم هم المعروفون بالغلو، وهو يشمل أيضًا اليهود، لكن المقصود هم النصارى لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾ [النساء: ١٧١]إلى قوله: ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢﴾ [النساء].

المعنى: لا تفرطوا في دينكم ولا تبالغوا فيه، وذلك بالابتداع فيه والزيادة عليه، والغلو في أنبيائكم وصالحيكم، ومن ذلك: الغلو في المسيح عيسى ابن مريم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فقد غلا النصارى فيه فقالوا: إنه إله مع الله، وقالوا: إنه ابن الله، وقالوا فيه وفي أمه: إنهما إلهان من دون الله؛ ولهذا يقول الله لعيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ يوم القيامة: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦﴾ [المائدة].

وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ

وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة].

وفي هذا النهي لأهل الكتاب عن الغلو في الدين نهي لهذه الأمة، فليس هذا النهي خاصًّا بأهل الكتاب، وإن كان لفظه ورد في أهل الكتاب، وتوجه الخطاب لهم، فإنَّ حكمه يشمل هذه الأمة(١).

والمعنى: لا تفتروا على الله الكذب، والغلو في الدين هو افتراء للكذب على الله، وفي الآية الأخرى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة:٧٧].

وقوله: **(وفي الصحيح)**: أي: «صحيح البخاري» رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(عن ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **في قول الله تعالى:** ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح]. «**هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عُبدت**»).

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟﴾: يعني: قوم نوح، يوصي بعضهم بعضًا، فالكبراء يحذرون الأتباع، يقولون: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾: أي: لا تطيعوا نوحًا الذي ينهاكم عن عبادة آلهتكم، فلا تتركوها وتمسكوا بعبادتها.

(١) وسيأتي مزيد بيان في: «باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان» في (ص٤٤٢).

وقوله: ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾: هذا تخصيص بعد تعميم وهو تأكيد لقولهم: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾: فهذه خمسة أسماء، وقد أخبر ابن عباس في هذا الأثر أنها أسماء لخمسة رجال من الصالحين من قوم نوح فلما ماتوا أوحى الشيطان إلى قومهم بأن يصنعوا تماثيل لأولئك الرجال، ويجعلوها في مجالسهم، ويسموها بأسمائهم ليتذكروهم بذلك، ولم تعبد هذه التماثيل فلما هلك هذا الجيل، ونسي الناس حقيقة الأمر؛ دعاهم الشيطان إلى عبادتها، وزعم أنَّ مَن قبلهم كانوا يعبدونها فاستجابوا له، وبذلك حدث الشرك في قوم نوح.

وقوله في أثر ابن عباس: **(أن انصبوا إلى مجالسهم... أنصابًا)**: أي: تماثيل صورًا لهم.

وقوله: **(وسموها بأسمائهم)**: أي: سموا هذه التماثيل بأسماء الرجال الصالحين ليتذكروهم بهذه التماثيل لأنه يقال أنهم حزنوا على أولئك الصالحين حزنًا شديدًا[١]، وبذلك صارت هذه التماثيل أصنامًا تعبد من دون الله، ومن البلاء أنَّ هذه الأصنام بقيت بعد الطوفان إلى ما قبل بعثة النبي ﷺ، وكان العرب على دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولكن عمرو بن لحي رئيس خزاعة قال الرسول ﷺ: إنه «**أول مَن غير دين إبراهيم**»[٢]، فإنه ذهب إلى الشام فرأى قومًا يعبدون الأصنام فزين له الشيطان ذلك

---

(١) أخرج الثعلبي في التفسير (٢٧/ ٣٩٧) عن محمد بن كعب قال: «كان لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ خمس بنين: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وكانوا عُبَّادًا، فمات رجل منهم، فحزنوا عليه حزنًا شديدًا، فجاءهم الشيطان...».

(٢) أخرجه الطبراني (١٠٨٠٨) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. قال الهيثمي في المجمع (١/ ١١٦): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط. وفيه صالح مولى التوأمة، =

فأتى بصنم منها فدفعه إلى أهل مكة، ودعاهم إلى عبادته، وهو المعروف بهبل كما دل الشيطان عمرو بن لحي على موضع أصنام قوم نوح ود وسواع ويغوث فجلبها إلى أرض العرب وفرقها بين القبائل، ودعاهم إلى عبادتها، وبذلك غير دين إبراهيم[1].

وقوله في أثر ابن عباس: **(حتى إذا هلك أولئك)**: يعني: الجيل الذين أوحى الشيطان إليهم أن ينصبوا لمجالس أولئك الصالحين أنصابًا ففعلوا، لما هلك ذلك الجيل ونسي العلم؛ أي: العلم بحقيقة الحال، وما كان الناس عليه من التوحيد أتاهم الشيطان، وقال لهم: إنَّ مَن قبلكم كانوا يعبدون هذه الأنصاب ويستمطرون بها، ودعاهم إلى عبادتها فأطاعوه، وبذلك حدث الشرك في قوم نوح، وتبعهم مَن جاء بعدهم على طريقهم، وسيأتي في المسائل ما يوضح هذا المقام.

ثم نقل الشيخ عن ابن القيم قوله: **(قال غير واحد من السلف...)** إلى آخره، وهذا مطابق لقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فـ **(صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد)**: يفسره قوله: **(حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عُبدت)**، ولما طال الأمد وتقادم الزمن؛ عبدوهم بوحي من الشيطان، ولكن زاد هذا النقل أنَّ مما فعله الناس من قوم نوح العكوف على قبورهم؛ فجمعوا بين العكوف على القبور، ونصب التماثيل فهذان الأمران هما سبب الشرك في قوم نوح، ويجمعهما الغلو في الصالحين

= وضعفه بسبب اختلاطه، وابن أبي ذئب سمع منه قبل الاختلاط، وهذا من رواية ابن أبي ذئب عنه»، وله شواهد تنظر في: الصحيحة (١٦٧٨).

(١) ينظر: كتاب الأصنام (ص٨-١٣)، وأخبار مكة للأزرقي (١/ ١٨٧).

لأنهما أثره؛ فعلم بذلك أنَّ العكوف على القبور، ونصب التماثيل من أعظم أسباب الشرك، ومن خطوات الشيطان مكره بالإنسان فإنه يدعوه أولًا إلى الوسائل المفضية إلى مطلوبه لأنَّ ذلك أقرب إلى قبول دعوته، يفعل ذلك في كل الذنوب صغيرها وكبيرها، وهذا ما فعله مع قوم نوح في دعوتهم إلى الشرك فيجب الحذر من مكر الشيطان والحذر من كل الوسائل المقربة إلى ما حرم الله.

ولما حدث الشرك أرسل الله نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ -كما تقدم-، ومكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، وهو يدعوهم بشتى الطرق، بأنواع من الأساليب، كما فصل الله ذلك في نفس السورة: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾ [نوح] الآيات. فهذه السورة كلها في قوم نوح، تحكي قصة نوح مع قومه، من أول السورة إلى آخرها، وبعد هذا الجهد الجهيد المتواصل في زمن مديد، يقول الله في شأن مَن آمن به: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٤٠﴾ [هود]: أي: ما آمن مع نوح طوال هذه المدة إلا قليل، وهم الذين ركبوا معه السفينة.

ففي هذه القصة اتضح ما ترجم له الشيخ، واتضح سبب كفر بني آدم، وسبب حدوث الشرك، وهو: الغلو في الصالحين، فهو سبب ترك الناس للتوحيد الذي كانوا عليه، فتركوا الدين الحق، وعدلوا إلى الشرك بالله؛ فعبدوا مع الله غيره، فأرسل الله إليهم الرسل، ثم نجا رسوله

والمؤمنين، وأهلك المكذبين، وهذه سنته في أنبيائه وأوليائه وأعدائه: النصر والنجاة لأنبيائه وأتباعهم، والهلكة والخذلان والبوار لأعدائهم، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلًا.

(وعن عمر: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله». أخرجاه.

وقال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والغلو؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو».

ولمسلم عن ابن مسعود: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثًا).

هذه ثلاثة أحاديث كلها تدل على ذم الغلو، وفيها التحذير منه.

فالأول: عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ الرسول ﷺ قال: (**«لا تطروني»**): أي: لا تبالغوا في مدحي والثناء علي، فالإطراء هو المبالغة في المدح، والرسول ﷺ جدير بالمدح، وقد مدحه الله وأثنى عليه؛ فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٥٧﴾ [الأعراف]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ

﴿بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦﴾ [الأحزاب]. والآيات في ثناء الله على رسوله كثيرة، ومن ذلك: أنه لا يخاطب الله نبيه ﷺ إلا بصفة الرسالة أو النبوة، بينما يخاطب غيره من الرسل بأسمائهم المجردة، أما الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فسائر ما ورد من النداءات والخطابات له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال: ٦٤]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١]، وجاء في موضوعين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾ [المزمل]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثر].

قوله: (**«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم»**): أي: أنَّ النصارى غلوا في ابن مريم، وبالغوا في مدحه، ووصفه حتى زعموا أنه إله مع الله، أو أنه الله، أو أنه ابن الله.

قوله: (**«إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»**): وفي البخاري: «**إنما أنا عبده**»[١] وهذا هو الحق في الرسول، فالذي يجب اعتقاده ووصف الرسول ﷺ به: العبودية والرسالة، فهو عبد ليس بإله، عابد لله أكمل عبادة، فهو أكمل الناس عبودية لله، ولهذا يذكره الله بصفة العبودية في المقامات العظيمة: في التحدي والنذارة والدعاء والإسراء[٢].

فهذا هو الصراط المستقيم الذي يجب اعتقاده في الرسول، أنه عبد ورسول -كما تقدم- في حديث عبادة بن الصامت: «**مَن شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله**»[٣]، وهكذا جاء في التشهد: «**وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله**»[٤]، فمن رفعه عن منزلة

---

(١) برقم (٣٤٤٥).
(٢) تقدم ذكر الشواهد في (ص٥١).
(٣) أخرجه البخاري (٣٤٣٥) -واللفظ له-، ومسلم (٢٨). وتقدم شرحه في (ص٤٨).
(٤) أخرجه البخاري (٨٣١)، ومسلم (٤٠٢) من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

العبودية، فقد أفرط وغلا، ومَن كذبه أو لم يلتزم بتحقيق متابعته، فقد جفا وفرط في حقه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والواجب الإيمان بأنه عبد الله ورسوله إلى جميع الثقلين، الجن والإنس، وأنه لا يسع أحدًا الخروج عن شريعته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

والحديث الثاني: قال رسول الله ﷺ: (**«إياكم والغلو»**)، هذا أسلوب تحذير، أي: احذروا الغلو في الدين، (**«فإنما أهلك مَن كان قبلكم الغلو»**): وفي لفظ: «**إياكم والغلو؛ فإنما هلك مَن كان قبلكم بالغلو في الدِّين**»[(١)] والشيخ لم يذكر مَن خرّج هذا الحديث، ولا مَن رواه من الصحابة، وهو من حديث ابن عباس، وأخرجه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه[(٢)].

ولهذا الحديث سبب، وهو: أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال لابن عباس غداة جمع: هلم القط لي، يعني: حصا الجمار، قال: فلقطت له حصيات من حصا الخذف، يعني: سبع حصيات مثل حصا الخذف، صغيرات متوسطات بين الحمص والبندق كما ذكر الفقهاء[(٣)]، قال: فلما وضعهن في يده قال: «**نعم بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**». فالمبالغة في الحصا برمي الكبار منها كما يصنع الجهلة غلو في الدين؛ لأنَّ هؤلاء الذين يفعلون هذا يظنون أنهم يرمون عين الشيطان، وأنَّ الشيطان واقف في الجمرة ويرجمونه! ولعل بعضهم يرى أنَّ هذا الجدار الشاخص هو الشيطان! وهذا كله من

(١) وهي رواية أحمد (٣٢٤٨).
(٢) تقدم تخريجه والسياق الذي ذكره شيخنا لأحمد (١٨٥١) إلا أن شيخنا ذكره بلفظ: (أهلك)، (الغلو) وهي عند النسائي وابن ماجه.
(٣) وهذا قول الأثرم، ينظر: المغني (٥/ ٢٨٩).

الجهل، وهذا الجهل أفضى بهم إلى الغلو، ولكن الحديث عام لا يختص حكمه بسببه كما في القاعدة الأصولية أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[1].

(والحديث الثالث: عن ابن مسعود: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثًا).

(**«هلك المتنطعون»**): أي: المتكلفون والمتشددون في أمر الدين كما يفعل الموسوسون في الطهارة والاحتراز عن الحرام في المطعم والمشرب والملبس مما يجعلهم يوجبون على أنفسهم ما لم يوجبه الله، ويحرمون ما لم يحرمه الله، وكل هذا من الغلو في الدين، وبهذا تظهر مناسبة الحديث للباب، وهو يشبه الحديث الذي قبله لفظًا ومعنى؛ ففيه ما أنَّ الغلو سبب الهلكة، ومما يدخل في اسم التنطع التكلف في الكلام للتفاصح والتطاول على الناس، وهم المتشدقون المذمومون في الحديث.

(**قالها ثلاثًا**): يعني: أعاد الحديث ثلاث مرات تحذيرًا وتأكيدًا وتنفيرًا.

(فيه مسائل:

الأولى: أنَّ مَن فهم هذا الباب وبابين بعده؛ تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب).

يقول الشيخ: المسألة الأولى: مَن تدبر هذا الباب، أي: (باب ما جاء في سبب كفر بني آدم...)، وبابين بعده كما سيأتي: (باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح؛ فكيف إذا عبده؟) و(باب ما

(١) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣٢٨).

جاء في أنَّ الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله)، يعني: مَن تدبر ما دلت عليه، ونظر في أحوال المسلمين ووازن بينهما شهد العجب العجاب، وشهد من تقليب الله للقلوب، وكيف تزيغ القلوب عن الحق الواضح البين؛ فتستحسن الباطل، وتؤثره على الحق!

وشهد أيضًا غربة الإسلام، فهذا الواقع الفاسد، وهو الغلو في الصالحين، هو الغالب على أكثر المنتسبين للإسلام، يعرف ذلك من خبر أحوال الناس، فالغلو في الصالحين بمظاهره المختلفة عام في العالم الإسلامي، ولم ينج منه إلا القليل، وقد مَنّ الله على هذه البلاد بدعوة التجديد، وإلا فقد كانت كغيرها من البلاد، فيها الأضرحة، وفيها الغلو في الصالحين، أحياءً وأمواتًا[١]، فطهر الله البلاد من مظاهر الشرك، ومظاهر البدع، فنسأل الله أن يحفظ ما فيها من الخير، ويطهرها مما سرى إليها من الشر.

(الثانية: معرفة أول شرك حدث في الأرض أنه بشبهة الصالحين).

معرفة أول شرك حصل في الأرض، وهو شرك قوم نوح: أنه بسبب الغلو في الصالحين.

(الثالثة: معرفة أول شيء غير به دين الأنبياء، وما سبب ذلك، مع معرفة أنَّ الله أرسلهم).

أول شيء غير به دين الرسل هو الشرك؛ بالغلو في الصالحين وبعبادتهم، قديمًا في قوم نوح، وأخيرًا في جاهلية العرب، وإنما غير

(١) ينظر: تاريخ ابن غنام (ص١٣).

دين إبراهيم بالغلو في الصالحين -كما تقدمت- الإشارة إلى أنَّ عمرو بن لحي هو أول مَن غير دين إبراهيم بالدعوة إلى الشرك، وتحريم ما لم يحرمه الله من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام[١].

(الرابعة: سبب قبول البدع، مع كون الشرائع والفطر تردها).

البدع، وهي: المحدثات في الدين تنكرها الشرائع والفطر، ومع ذلك تقبلها النفوس وتتعلق بها، وتصر عليها، مع مخالفتها الفطر والشرائع، وسبب ذلك الإعراض عما جاءت به الرسل، وتغيير الفطر كما في حديث المولود «**فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[٢]؛ فالفطر السليمة هي التي تستقبح هذا الباطل، أما الفطر المتغيرة فإنَّ هذا هو الذي يناسبها؛ ولهذا المشركون الذين تغيرت فطرهم حتى من المنتسبين للإسلام: ينافحون عن أصنامهم، وعمن يتعلقون به، ويقاتلون ويضحون بأنفسهم في سبيل نصرة الشرك ونصرة هذه الأصنام، وهذه الأضرحة بزعمهم.

(الخامسة: أنَّ سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل: فالأول محبة الصالحين، والثاني فعل أناس من أهل العلم والدين شيئًا أرادوا به خيرًا،

---

(١) البحيرة: التي يمنع درها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس.
الوصيلة: الناقة البكر، تبكر في أول نتاج الإبل، ثم تثني بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم، إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر.
الحام: فحل الإبل يضرب الضِراب المعدود، فإذا قضى ضِرابه ودَعُوه للطواغيت، وأعفَوه من الحمل، فلم يُحمل عليه شيء وسموه الحامي. ينظر: صحيح البخاري (٤٦٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٥٨) -واللفظ له-، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره.).

يعني: أنَّ سبب تغير دين الرسل كلهم، وسبب هذا الغلو والقبول لهذا الباطل، هو: مزج الحق بالباطل لأنه الوسيلة في كل زمان لترويج الباطل؛ فالباطل لو تجرد لرفضته النفوس، ورده كل عاقل، لكن يمزج ويخلط بشيء من الحق؛ فيروج ويقبل، وهذا هو الذي حدث في قصة قوم نوح، فالحق فيما حصل من قوم نوح هو محبة الصالحين، والباطل هو فعل قوم من أهل العلم والخير منهم، وهو تصوير صور أولئك الصالحين، ووضعها في مجالسهم، فهذا باطل ممزوج بمحبة الصالحين، فسبب رواج الباطل هو ما فيه وما قرن به من الحق، وهو حب الصالحين.

(السادسة: تفسير الآية التي في سورة نوح).

ومن تفسيرها: ما جاء عن ابن عباس وغيره.

(السابعة: جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه، والباطل يزيد).

النفوس الأمارة بالسوء، والقلوب المريضة المظلمة: تؤثر الباطل على الحق، وتقبل الباطل وترفض الحق، ومع هذا فالغالب على الناس ما في قلوبهم من الحق والباطل: أنَّ الحق ينقص، والباطل يزيد، فهذا هو الأصل في الإنسان، إلا مَن عصمه الله بالتوفيق والهداية والتيسير لليسرى والتزود من العلم الصحيح، فهذا يعصم بإذن الله من هذه الحال، فينعكس الأمر؛ فمن كان كذلك فإنَّ الباطل في حقه ينقص في قلبه، والحق يزيد؛ قال تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

(الثامنة: أنَّ فيه شاهدًا لما نقل عن السلف: أنَّ البدعة سبب الكفر).

في هذه القصة شاهد لما جاء عن السلف: أنَّ البدعة سبب الكفر[(١)]، وهذا صحيح فلا شك أنَّ بناء المساجد على القبور، والعكوف عليها، وتصوير صور الصالحين ونصبها: مفضية إلى الشرك، فهي وسائل مقربة للوقوع في الشرك، ففي هذه القصة شاهد لما قاله السلف: إنَّ البدعة سبب الكفر، وإنَّ المعاصي بريد الكفر، لأنَّ من سياسة الشيطان: التدرج، فهو يتدرج بالإنسان من اليسير إلى ما فوقه؛ حتى ينتهي به إلى الكفر، فإنَّ غاية الشيطان هو أن يسلخ الإنسان من دينه ويخرجه منه، فهذه هي غايته وغاية أتباعه؛ قال تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾ [البقرة: ١٢٠] الآية.

(التاسعة: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة، ولو حسن قصد الفاعل).

الشيطان يعرف ما يكون سببًا في الإضلال وإفساد القلوب، فهو يحسن البدعة؛ لأنَّ المبتدع يأتي البدعة وهو يراها حسنة، فيرى أنه يتقرب إلى الله بهذا العمل أو بهذا القول، فلا يكاد يتوب[(٢)]، ولا يرجع إلا أن يتداركه الله برحمة منه، فيوفقه ويبصره ويهيئ له الأسباب التي يميز بها بين الحق والباطل.

---

(١) أورده شيخ الإسلام عن بعض السلف بلفظ: «البدع بريد الكفر». ينظر: شرح حديث النزول (ص٤٢٩)، وجاء عن أبي حفص عمرو بن سلمة النيسابوري أنه قال: «المعاصي بريد الكفر كما أن الحمى بريد الموت» أخرجه السلمي في طبقات الصوفية (ص١٠٤)، وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٢٩).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٩)، (١١/ ٦٨٤-٦٨٥)، ومفتاح دار السعادة (١/ ٣٠٨).

(العاشـرة: معرفـة القاعـدة الكليـة وهـي: النهـي عـن الغلـو، ومعرفـة ما يؤول إليه).

هـذه القاعـدة تستفاد مـن القصـة، ومـن سائر نصـوص البـاب، فالنهي عـن الغلـو قاعـدة شـرعية، والغلـو حـرام شـرعًا، وهـو يـؤول إلـى الفسـاد، وإلـى الضـلال، وينتهـي إلـى الكفـر، كمـا آل الأمـر بقـوم نـوح لمـا غلـوا في الصالحيـن، إلـى أن عبدوهـم مـن دون اللـه، وهكـذا جـرى لأتباعهـم ومـن جـاء بعدهـم؛ ممـن ضللهـم الشـيطان كمـا ضلـل مَـن قبلهـم، يقولـون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف: ٢٣].

(الحادية عشـرة: مضرة العكـوف على القبر؛ لأجل عمل صالح).

مضـرة العكـوف علـى القبـر ولـو لعمـل صالـح، فالعكـوف عنـد القبـور مـن أجـل العبـادة عندهـا -تذكّـرًا لأصحابهـا وتبـرّكًا بتربتهـا-: وسـيلة قريبة مـن أعظـم وسـائل الشـرك، كمـا وقـع لقـوم نـوح، عكفـوا علـى قبورهـم، ثم صـوروا تماثيلهم فعبدوهم.

(الثانيـة عشـرة: معرفة النهي عـن التماثيل، والحكمة في إزالتها).

هـذه كالتـي قبلهـا، فقـد تواتـرت الأحاديـث عـن النبي ﷺ فـي النهـي عن التصويـر، واستعمال الصـور، ونصـب التماثيـل فـي البيـوت وخارجهـا، وجـاء الوعيـد الشـديد فـي ذلـك، كمـا فـي قولـه ﷺ: «**أشـد النـاس عذابًا يوم القيامـة المصـورون**»(١) وثبـت أيضًـا عـن النبـي ﷺ أنـه لعـن المصوريـن(٢)،

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩) -واللفظ له- من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٤٧) من حديث وهب بن عبد الله السوائي أبو جحيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومن فوائد هذه القصة -أي: قصة قوم نوح وما فعلوه بصالحيهم- أنَّ فيها دليلًا على مفسدة التصوير، وأنَّ تصوير الصالحين من أسباب حدوث الشرك؛ بل التصوير في حد ذاته هو نوع من الشرك؛ لأنَّ فيه مضاهاة لخلق الله قال ﷺ: «**يضاهون بخلق الله**»[(١)]؛ ولهذا كما جاء النهي عن التصوير واستعمال الصور، جاء الأمر بإزالتها، وبتكسير الأصنام وبطمس الصور، وبهدم ما بني على القبور كما جاء في «صحيح مسلم» عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال لأبي الهياج الأسدي: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع تمثالًا إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته. وفي رواية: ولا صورة إلا طمستها»[(٢)].

فهاتان فتنتان: فتنة القبور، وفتنة التماثيل، فالعكوف على القبور ونصب التماثيل: هما سبب حدوث الشرك في العالم، وهما سبب حدوث الشرك عبر التاريخ إلى اليوم.

(الثالثة عشرة: معرفة عظم شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها).

(معرفة عظم شأن هذه القصة): أي: قصة قوم نوح، وقصة أولئك الخمسة الصالحين، وما فعله قومهم من تصوير صورهم، ونصب تماثيلهم في مجالسهم، وذلك لأنَّ الحاجة ماسة إلى معرفة سبب حدوث الشرك، لنحذر هذا السبب، فإذا عرف السبب المؤدي إلى الشر والفساد كان ذلك مقتضيًا لتجنبه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧) من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

(٢) برقم (٩٦٩).

(وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها): أي: أكثر الناس لا يعرفون خطر الغلو في الصالحين، ولا يعرفون قصة أولئك الخمسة من قوم نوح، فينبغي للمسلم أن يعرف الشرك وأسبابه المقربة إليه؛ ليتجنب الأسباب المفضية إلى الشرك؛ اتقاء له ولأسبابه.

(الرابعة عشرة: وهي أعجب وأعجب: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم[١] وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أنَّ فعل قوم نوح هو أفضل العبادات، واعتقدوا[٢] أنَّ ما نهى الله ورسوله عنه[٣] [ليس][٤] هو[٥] الكفر المبيح للدم والمال).

هذه المسألة الرابعة عشرة، يقول الشيخ: **(وهي أعجب وأعجب!)**: أي: أعجب مما تقدم، وهي قراءة أولئك القبوريين الذين يعكفون عند القبور، ويتخذونها أعيادًا، ويبنون عليها المساجد والقباب، ويقصدونها للصلاة عندها، ونحر القرابين لها يقرؤون هذه القصة، يعني: العلماء منهم يقرؤون هذه القصة في كتب الحديث؛ كالبخاري وغيره، وفي كتب التفسير، ويعرفون معنى الكلام، وهي قصة واضحة الدلالة أنَّ شرك قوم نوح سببه الغلو في الصالحين؛ بالعكوف أولًا، وبنصب التماثيل لهم ثانيًا، وهم مع ذلك يعرفون معنى الكلام، وقد حال الله

(١) المثبت في نسخة دغش: (بينه)، وقال شيخنا أن (بينهم) هي الصواب.
(٢) في نسخة: (فاعتقدوا).
(٣) في نسخة: (نهي الله ورسوله عنه).
(٤) زيادة من شيخنا كما سيأتي.
(٥) في نسخة: (فهو).

بينهم وبين قلوبهم؛ حتى اعتقدوا أنَّ فعل قوم نوح -وهو عبادة الصالحين ودعاؤهم والاستغاثة بهم- أفضل العبادات، فعلم بهذا أنه قد حيل بينهم وبين قلوبهم.

ثم قال الشيخ: **(واعتقدوا أنَّ ما نهى الله ورسوله عنه؛ هو الكفر المبيح للدم والمال)**، ولا يخفى أنَّ في ظاهر الكلام تناقض فقد قال أولًا أنهم اعتقدوا أنَّ فعل قوم نوح من أفضل العبادات، وقال ثانيًا اعتقدوا أنَّ ما نهى الله ورسوله عنه من الغلو في الصالحين وعبادتهم كفرًا مبيحًا للدم والمال، وهذان الاعتقادان متضادان فإنَّ اعتقاد فعل قوم نوح من أفضل العبادات باطل، واعتقاد أنما نهى الله ورسوله عنه من ذلك كفر اعتقاد حق، فيحتاج الكلام لتصحيح المعنى إلى صياغة توضح المقصود، ويسلم بها الكلام من التناقض، وأقرب ما يحقق ذلك إضافة «ليس» قبل قوله: **(هو الكفر المبيح للدم والمال)**[(١)].

(الخامسة عشرة: التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة).

هذا لم يرد في اللفظ الذي ذكره الشيخ، لكن كأنه استنباط مما جاء في بعض ألفاظ القصة، وأنَّ الشيطان جاء إلى الجيل الثاني، أو الأجيال المتأخرة، وأوحى إليهم أنَّ هذه التماثيل يستنزل بها المطر، ويستشفع بها في قضاء الحوائج[(٢)]، وإلا فلم يأت في اللفظ المذكور التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

---

(١) ووُجِّه كلام المصنف بتوجيهات أخرى تنظر في: التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد (ص١١٦)، والقول المفيد (١/ ٣٨٩).

(٢) تنظر آثار السلف في ذلك في: تفسير الطبري (٢٣/ ٣٠٣-٣٠٥).

(السادسة عشرة: ظنهم أنَّ العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك).

ظن الجيل المتأخر أنَّ العلماء الذين صوروا تلك الصور أرادوا ذلك، يعني أرادوا شفاعتهم، ومعلوم أنَّ الأولين إنما صوروا صور أولئك الصالحين؛ ليتذكروهم فيتأسوا بهم، ويقتدوا بأفعالهم.

(السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم»؛ فصلوات الله وسلامه على مَن بلغ البلاغ المبين).

يريد الشيخ أنَّ قوله ﷺ: (**«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم...» الحديث**)، فيه نهي صريح عن المبالغة في مدحه ﷺ وردٌّ على أهل الغلو في شخصه الكريم ﷺ، وقوله ﷺ: «**كما أطرت النصارى ابن مريم**»، ليس تقييدًا للإطراء المنهي عنه فيختص النهي بما ادعته النصارى في المسيح، وعليه فيباح ما دونه، فإنَّ هذا فهمًا باطلًا لم يفهمه أحد من السلف الصالح والأئمة؛ بل كل الإطراء حرام وغلو، وتخصيص النهي عن إطراء الرسول ﷺ بمثل ما زعمته النصارى في المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ من الإلهية والبنوة لله هو طريقة أهل الغلو بالنبي ﷺ من الصوفية، وقد صرح بذلك صاحب «البردة» بقوله:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم
واحكم بما شئت مدحًا فيه واحتكم(١)

وقوله ﷺ: (**«كما أطرت النصارى ابن مريم»**): تشبيه في جنس الإطراء فإنَّ كل مَن أطرى الرسول ﷺ، وغلا في مدحه فقد أشبه النصارى،

(١) ينظر: البردة بشرح ابن مقلاش (ص ٢٥٥ رقم ٤٣).

ولو لم يقل بمثل قولهم في المسيح من البنوة والإلهية؛ فالغلو والإطراء للنبي درجات منها ما ينتهي إلى الكفر، ومنها ما دون ذلك، وكله داخل في قوله ﷺ: «**لا تطروني**»، وكله حرام ومعصية للنبي ﷺ.

(الثامنة عشرة: نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين).

وذلك في قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: («**هلك المتنطعون**»)، هذا تحذير لنا عن التنطع، وليس هو مجرد دعاء عليهم أو خبر عنهم؛ بل في هذا نصيحة لنا وتحذير عن التنطع.

(التاسعة عشرة: التصريح أنها لم تعبد حتى نسي العلم، ففيها: بيان معرفة قدر وجوده، ومضرة فقده).

رجع الشيخ إلى قصة قوم نوح، فهذه المسألة لو تقدمت مع المسائل الأولى المتعلقة بالقصة لكان أولى.

فمن فوائد قصة قوم نوح: أنَّ هذه التماثيل لم تعبد حتى نسي العلم، ومات العلماء: **(فلما هلك أولئك ونسي العلم عبدت)**: ففي هذا: بيان فضل وجود العلم، وأهمية نشره، ومضرة فقده، فنشر العلم ووجوده: يمنع من الوقوع في حبائل الشيطان وخدعه، وفقد العلم يؤدي إلى الاستجابة لدعوة الشيطان.

والشيطان يلقي في قلب الإنسان الوساوس والشبهات، ويزين له الشهوات فمن لا علم عنده يقبل الشبهات، ويتبع الشهوات بداعي الهوى، أما مَن أوتي العلم؛ فإنه يدرك خطر هذا وهذا، فإذا وفق؛ رد الشبهات ولم يتبع الشهوات.

(العشرون: أنَّ سبب فقد العلم: موت العلماء).

هذه الفائدة، وهي أنَّ من أعظم أسباب فقد العلم: موت العلماء، يدل لها قوله ﷺ: «**إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم؛ فضلوا وأضلوا**»[(١)]، ففي هذه القصة شاهد لهذا الحديث، أنَّ سبب فقد العلم موت العلماء، وهذا يشهد به الواقع.

◆◈◆◈◆

(١) أخرجه البخاري (١٠٠) - واللفظ له-، ومسلم (٢٦٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢٠)

باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح؛ فكيف إذا عبده؟!

في الصحيح عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة، وما فيها من الصور، فقال رسول الله ﷺ: «أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح، أو الرجل الصالح، بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله»[(١)].

فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل[(٢)].

ولهما عنها: لما نزل برسول الله ﷺ، طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه، فقال -وهو كذلك-: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا. أخرجاه[(٣)].

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ، قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإنَّ الله تعالى قد اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا،

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤)، ومسلم (٥٢٨).
(٢) بلفظه من إغاثة اللهفان (١/ ٣٣٣)، وبنحوه في اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٩١).
(٣) أخرجه البخاري (٤٣٥ و٤٣٦)، (١٣٣٠)، (١٣٩٠)، ومسلم (٥٣١).

ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإنَّ مَن كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»[(١)].

فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن -وهو في السياق- مَن فعله، والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يُبنَ مسجد، وهو معنى قولها: «خشي أن يتخذ مسجدًا»؛ فإنَّ الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدًا؛ بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدًا، كما قال ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا»[(٢)].

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «إنَّ من شرار الناس: مَن تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد» ورواه أبو حاتم في صحيحه[(٣)].

الشرح

قوله: (**باب ما جاء من التغليظ**): أي: هذا باب ذكر ما ورد من الأدلة من السنة الدالة على التشديد (**فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح؛**

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (٣٨٤٤)، والبزار (١٧٢٤) -واللفظ له-، وأبو يعلى (٥٣١٦)، وصححه ابن خزيمة (٧٨٩)، وابن حبان (٦٨٤٧).
والحديث ذكره البخاري في صحيحه (٧٠٦٧) معلقًا بصيغة الجزم، إلى قوله: «**وهم أحياء**».

فكيف إذا عبده؟!): فإذا كان مَن عبد الله عند قبر رجل صالح يعد من شرار الخلق، وتحق عليه لعنة الله؛ فكيف إذا عبده؟! وهذا هو التغليظ بالوعيد الشديد على مَن عبد الله عند قبر رجل صالح، فعبادة الله عند القبور هو من اتخاذها مساجد، وهو وسيلة قريبة إلى الشرك الأكبر، وقد ورد الوعيد الشديد على مَن اتخذ القبور مساجد: بأن يصلي عندها أو يبني عليها مسجدًا، ومَن صلى عندها فقد اتخذها مسجدًا، ولو لم يُبنَ مسجد، يقول الشيخ: **(فكيف إذا عبده؟!)**: معناه: أنَّ الأمر أشد وأغلظ، وهذا ظاهر فإنَّ الأول وسيلة إلى الشرك، والثاني هو الشرك الأكبر.

(في الصحيح عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة، وما فيها من الصور، فقال رسول الله ﷺ: «أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح، أو الرجل الصالح، بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله»).

هذا الحديث: **(عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ)**: في أصل الحديث: «أنَّ أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا للنبي ﷺ، فقال...» الحديث[1]. لأنَّ كلاً من أم حبيبة وأم سلمة ممن هاجر إلى الحبشة.

(فقال رسول الله ﷺ: «أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح، أو الرجل الصالح»): شك من الراوي[2]، والمعنى لا يختلف.

---

(١) أخرج هذه الرواية: البخاري (٤٢٧)، (٣٨٧٣)، ومسلم (٥٢٨).
(٢) قال الكَوْرَاني في الكوثر الجاري (٢/ ١١٦): «الشك من عائشة» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(«**بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور**»): ففي هذا: أنَّ من عادة النصارى: بناء المساجد على قبور صالحيهم، ومن عادتهم: تصوير صالحيهم، ووضع تلك التماثيل في تلك المعابد.

والمسجد هو المكان المتخذ للصلاة والتعبد، والمراد هنا: الكنيسة معبد النصارى[1]، يعني يبنون عليه كنيسة.

ثم قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: («**أولئك شرار الخلق عند الله**»): يعني: هؤلاء أشر الخلق.

فعلم أنَّ بناء المساجد على القبور والصلاة عندها، ونصب التماثيل للصالحين: أنه من عادة النصارى، فمن يفعل ذلك من المسلمين يكون متشبهًا بالنصارى، ومستحقًّا للذم والوعيد الذي ورد في حق مَن اتخذ القبور مساجد.

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل**).

يعني الذين بنوا على قبور صالحيهم المساجد، وصوروا تماثيلهم، جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور بالبناء عليها والعكوف عندها، وفتنة التماثيل التي فيها مخالفة لشرع الله، وفيها غلو في الصالحين، وهو وسيلة قريبة إلى الشرك بهم، فهؤلاء الذين ورد ذكرهم في هذا الحديث وذمهم وتوعدهم، جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل، وهما فتنتان عظيمتان عمت البلوى بهما قديمًا وحديثًا؛ كما سبقت

---

(١) قال الزجاج: كل موضع يُتعبد فيه فهو مسجد. لسان العرب (٣/ ٢٠٤).

الإشارة إلى أنَّ العالم الإسلامي قد طغى فيه هذا الشر، وصار كثير من المسلمين يتدينون ويتعبدون بقصد القبور، والعكوف عندها، والذبح لها، والصلاة عندها، والطواف حولها، وبناء المساجد عليها، وقد بلغ الأمر ببعض أولئك الغلاة أن فضلوا الحج إلى المشاهد، وهي: المساجد المبنية على القبور فضلوه على الحج إلى البيت العتيق، ومنهم مَن صنف في مناسك الحج إلى المشاهد، والأخص بذلك الرافضة(١)، وكذا مَن قلدهم من الصوفية القبورية؛ ثم قال الشيخ:

(ولهما عنها: لما نُزل برسول الله ﷺ، طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه، فقال -وهو كذلك-: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا. أخرجاه).

قوله: **(ولهما)** أي: للبخاري ومسلم، وإذا قال ذلك فإنه يغني عن قوله في آخر السياق: **(أخرجاه)**.

(عنها) أي: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قالت: **(لما نُزل برسول الله ﷺ)**: أي: نزل به الموت؛ فهو فعل مبني للمجهول.

---

(١) منهم محمد بن النعمان الملقب بالمفيد، وهو أحد شيوخ الرافضة، فقد صنَّف كتابًا في مناسك حج المشاهد كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في غير موضع، منها في «قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق» (ص٦٨-٦٩)، ومنهاج السنة (٣/ ٤١٩). وجاء في كتاب التوضيح عن توحيد الخلَّاق (ص٢١٧): أن أحد الغلاة ألف كتابا سماه «مناسك حج مشاهد الأبرار لمن عنى إليهم من المقيمين والزوار»، فلعله هو المراد، والله أعلم.

قوله: **(طفق يطرح خميصة له على وجهه)**: الخميصة كساء فيه أعلام، أي: خطوط[١].

و**(طفق)**: أي: شرع لأنَّ هذا الفعل من أفعال الشروع.[٢]

(يطرح خميصة له على وجهه): وذلك لشدة ما يجد ﷺ، فيجعل الخميصة على وجهه؛ **(فإذا اغتم كشفها)**: أي: فإذا اغتم وضاق عليه نفسه كشفها.

(فقال -وهو كذلك-): يعني: وهو في حال سياق الموت، وشدة ما يلقى من ذلك.

قال: **(«لعنة الله على اليهود والنصارى»)**: هذا لعن من الرسول ﷺ لليهود والنصارى، واللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله[٣]، فقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **(«لعنة الله على اليهود والنصارى»)**: دعاء عليهم بذلك.

وذكر السبب في ذلك بقوله: **(اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)**، وعند اليهود والنصارى مما يوجب لعنهم أسباب كثيرة منها اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد.

ولم يزل ﷺ يدعو، ويبلغ أمته، وينصح لهم إلى آخر رمق، وهو في السياق يحذر أمته من أن يفعلوا فعل اليهود والنصارى.

وقوله: **(يحذر ما صنعوا)**: هذا من قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تبين مقصود الرسول في لعن اليهود والنصارى في هذا المقام، وهو تحذير أمته أن يفعلوا فعل اليهود والنصارى فيتخذوا قبره مسجدًا.

---

(١) ينظر: النهاية (٢/ ٨١-٨٢).
(٢) ينظر: شرح ابن عقيل على الألفية (١/ ٣٢٣).
(٣) تقدم في (ص٢٤٦)، (ص٣١٩).

قالت: **(ولولا ذلك)**: أي: لولا الخوف من اتخاذ قبره مسجدًا **(لأبرز قبره)**: أي: دفن مع المسلمين في البقيع، ولكن خشي أن يتخذ قبره مسجدًا؛ فدفن ﷺ في حجرة عائشة في المكان الذي مات فيه، وقد صح عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من حديث أبي بكر الصديق: لما قبض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه؛ فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا ما نسيته، قال: «**ما قبض الله نبيًّا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه**»؛ ادفنوه في موضع فراشه[1]. فما ذكرته عائشة من سبب ترك إبراز قبره ظن منها، والصواب: أنَّ دفنه ﷺ في حجرة عائشة تنفيذ لما رواه الصديق.

وقوله: **(غير أنه خُشي أن يتخذ مسجدًا)**: أي: خشي الصحابة أن يتخذ قبره مسجدًا، ويحتمل أن يكون **(خَشي)**: أي: خشي النبي ﷺ أن يتخذ قبره مسجدًا[2].

وفي هذا الحديث: دلالة على كمال نصحه ﷺ لأمته، وعلى استمراره في دعوته إلى آخر حياته.

وفيه: دلالة على تحريم اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد.

وفيه: دلالة على أنه من كبائر الذنوب، وذلك للعن مَن فعله.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٠١٨) - واللفظ له-، وأبو يعلى (٤٥)، عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا.
قال الترمذي: «هذا حديث غريب، وعبد الرحمن بن أبي بكر المليكي يُضعَّف من قبل حفظه، وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه، فرواه ابن عباس، عن أبي بكر الصديق، عن النبي ﷺ أيضًا».
وأخرجه النسائي في الكبرى (٧٠٨٤) بنحوه عن أبي بكر موقوفًا، وصححه ابن حجر في الفتح (١/ ٥٢٩)، وصححه الألباني بطرقه في أحكام الجنائز (ص١٧٤).

(٢) ينظر: مطالع الأنوار (٢/ ٤٧٩-٤٨٠)، وشرح مسلم (٥/ ١٢).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: **(ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ، قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإنَّ الله تعالى قد اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن مَن كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»)**.

(ولمسلم) أي: وروى مسلم في صحيحه **(عن جندب بن عبد الله)**: هو البجلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **(قال: سمعت النبي ﷺ، قبل أن يموت بخمس)**: أي: بخمس ليال، في آخر حياته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وقد أوشك فراقه للدنيا.

(وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل»): يعني: أمتنع أن يكون لي منكم خليل، ولا أقبل أن يكون لي منكم خليل، وأفر إلى الله من ذلك، فهو أمر لا يجوز، فلا يحل له ﷺ أن يكون له من أمته خليل، والخلة هي أكمل المحبة، وأعلى درجاتها، والرسول ﷺ يحب كل المؤمنين، ويحب أصحابه كلهم، ويخص منهم بمحبته، فقد قيل له ﷺ: مَن أحب الناس إليك؟ قال: «**عائشة**» قيل: فمن الرجال؟ قال: «**أبوها**»[(١)]، وقال في علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**»[(٢)]؛ إذن فكل المؤمنين أحبابه ﷺ، وهو يحبهم، لكن لم يكن له منهم خليل، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مبينًا السبب أن يكون له من أمته خليل: **(«فإنَّ الله تعالى قد اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا»)**؛ فهذا

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤) من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦) عن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقد تقدم شرحه في (ص١٣٤).

الحديث نص في أنَّ الرسول ﷺ خليل الله، كما أنَّ إبراهيم خليل الله، ولهذا محمد وإبراهيم -عليهما الصلاة والسلام وعلى سائر النبيين والمرسلين- يعرفان بالخليلين، أما إبراهيم فقد نطق القرآن في شأنه بهذه المنزلة العظيمة، وهي الخلة؛ وذلك في قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ [النساء]. فالخليل هو المحبوب المحبة الكاملة، فلإبراهيم من محبة الله منزلة الخلة، وكما دل القرآن على هذه الفضيلة لإبراهيم فقد دلت السنة الصحيحة على ثبوت ذلك لنبينا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو هذا الحديث، وإذا كان محمد ﷺ سيد ولد آدم؛ فلا بد أن يكون له من الخلة مثل أو أعلى مما لإبراهيم عَلَيۡهِمَا ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وبعض الغالطين يقول: إنَّ إبراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله، ويروون في ذلك حديثًا ضعيفًا: «**إبراهيم خليل الله... وأنا حبيب الله**»(١)، وهذا ضعيف سندًا ومتنًا، فالمحبة هذه حاصلة لكل المؤمنين؛ فالله تعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٨﴾ [آل عمران]. وهو يحب الصابرين، ويحب المقسطين، والمتقين كل هذا في القرآن، فليس في وصف النبي ﷺ بأنه حبيب الله تفضيل له على غيره من المؤمنين، ولهذا يعبر الذين تغلغل هذا المعنى في نفوسهم عن الرسول بالحبيب، وإذا كان خليل الله فهو حبيب الله؛ لأنَّ الخلة أخص من المحبة، فكل خليل حبيب، وليس كل حبيب خليلًا.

---

(١) أخرجه الدارمي (٤٨)، والترمذي (٣٦١٦)، والضياء في المختارة (٤٠٩) عن ابن عباس مرفوعًا. قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ»، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي، وقال في تعليقه على العقيدة الطحاوية (ص٢١): «لم يثبت في حديث أنه ﷺ حبيب الله».

يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في نفس الحديث: («ولو كنت متخذًا»): أي: هذا على سبيل الفرض والتقدير («من أمتي خليلًا»)، وفي بعض الألفاظ: «لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا»[(١)]، وفي بعض الروايات: «ولكن صاحبكم خليل الله»[(٢)].

وقد تقدم براءته من ذلك في قوله ﷺ: («إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل»).

وفي هذا فضيلة عظيمة لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فذلك يدل على أنه أحب الناس إلى النبي ﷺ، ومَن كان أحب إلى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فهو أحب إلى الله، فأبو بكر هو صديق هذه الأمة، وهو أفضل الأمة بعد نبيها، فهو أحب إلى الله من سائر الأمة بعد محمد ﷺ.

وفي هذا -كما سيأتي في المسائل- رد على الرافضة، الطائفة المخذولة الخبيثة، شر طوائف الأمة، الذين من مذهبهم البغيض الخبيث: بغض أبي بكر وعمر وسائر الصحابة، وسبهم ولعنهم، ونسبتهم إلى الظلم والفسق أو الكفر، فهذا الذي يقول فيه الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: («ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا»): عند الرافضة هو العدو، بزعمهم الخبيث: أنه عدو للرسول ﷺ، وأنه منافق -قبحهم الله- ولكنهم يكتمون عفنهم، فإنَّ من أصولهم: التقية، ومعناها: التستر على ما عندهم من دغل ودخل.

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ أبو عوانة (١٠٥٠٧)، وأخرجه مسلم (٢٣٨٣) بلفظ: «لاتَّخذتُ ابن أبي قُحافة خليلًا» من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٨٣-٦) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد استدل العلماء بهذا الحديث: على خلافة أبي بكر بعد النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فمن كان أحب إليه؛ فهو أولى بالأمر من بعده[1].

وفي هذا الحديث أيضًا رد على الجهمية المعطلة نفاة الصفات؛ لأنَّ في الحديث إثبات المحبة لله، فمعنى خليل الله: المحبوب لله أكمل محبة، والحديث يدل سياقه على أنَّ الله خليل عبده ورسوله، فمحمد خليل الله، والله خليله، ويدل لذلك قوله: (**«إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإنَّ الله تعالى قد اتخذني خليلًا»**): وهذا يقتضي بأن يكون الله له خليلًا.

ثم قال رسول الله ﷺ: (**«ألا وإنَّ مَن كان قبلكم»**): أي: من أهل الكتاب، كما يدل له حديث عائشة المتقدم في لعن اليهود والنصارى.

و(**«ألا»**) أداة استفتاح (**«فلا تتخذوا القبور مساجد»**): هذا نهي والخطاب للأمة يحذرهم فيه ﷺ من أن يسلكوا مسلك الأمم قبلهم؛ فلا يتخذوا قبره الشريف ﷺ، ولا قبر غيره مسجدًا، ولكن قبره ﷺ يدخل في ذلك دخولًا أوليًا؛ لأنه قال ذلك بعد قوله: (**«ألا وإنَّ مَن كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد»**)؛ فلم يكن هذا على سبيل المدح لهم؛ بل سيق مساق الذم، بدليل أنه قال بعدها: (**«ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»**): وهذا تأكيد، فزاد ﷺ الأمر شدة بقوله: (**«فإني أنهاكم عن ذلك»**): أي: يؤكد النهي الذي قبله.

(١) ينظر: التيسير (١/ ٥٧٩)، وذكر شيخ الإسلام في منهاج السنة (١/ ٥١٠) وما بعدها جملة من الأحاديث الدالة على خلافة أبي بكر، منها هذا الحديث.

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فقد نهى عنه في آخر حياته)**: أي: عن اتخاذ القبور مساجد فلم يزل ينهى ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد، ثم نهى عنه مرة أخرى قبل أن يموت بخمس كما في الحديث المتقدم، ثم لعن مَن فعل ذلك وهو في سياق الموت، إذن هذا يدل على خطورة الأمر، وغلظ تحريم هذا الفعل.

ثم قال الشيخ: **(والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يُبنَ مسجد)**: أي: الصلاة عند القبور هو من اتخاذها مساجد، إذن؛ فاتخاذها مساجد يكون بأحد أمرين: ببناء المسجد عليها، وبالصلاة عندها[1]، فمن صلى عند قبر، أو صلى في المقبرة؛ فقد اتخذها مسجدًا، وهذا معنى قول عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: **(ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خُشي أن يتخذ مسجدًا)**: فخشي الصحابة أن يتخذ قبره ﷺ مسجدًا بالصلاة عنده، فإنهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لم يكونوا ليبنوا عند قبره، أو على قبره مسجدًا، لكن الذي يخشى منه: أن يكون من بعض الناس ارتياد قبر الرسول ﷺ من أجل الصلاة عنده، فهذا هو الذي خشي، لا أن يبنى عليه مسجد، فإنَّ هذا لا يكون؛ لأنَّ الصحابة لم يكونوا ليفعلوا ذلك، فهم أبعد الناس عن هذه الأمور، وكل موضع يصلى فيه يسمى مسجدًا كما قال ﷺ: **(«جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا»)**، فمن صلى عند قبر فقد اتخذه مسجدًا، وهذا كله يؤكد أنَّ اتخاذ القبور مساجد لا يختص ببناء المساجد عليها؛ بل يشمل الصلاة عندها؛ ثم قال الشيخ:

---

(١) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٩٨)، وفي تحذير الساجد للألباني (ص٢٩) مزيد تفصيل وبيان.

(ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «إنَّ من شرار الناس: مَن تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد» ورواه أبو حاتم في صحيحه).

هذا هو الحديث الأخير في هذا الباب: **(عن ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **مرفوعًا)**: أي: إلى الرسول ﷺ، فابن مسعود يروي ذلك من قول الرسول ﷺ.

قوله: (**«إنَّ من شرار الناس»**): شرار: جمع شر، وشر بمعنى أشر، فكأنه قال: إنَّ من أشر الناس مَن تدركهم الساعة وهم أحياء.

قوله: (**«مَن تدركهم الساعة»**): يعني: مقدماتها؛ لأنَّ الساعة هي القيامة، التي هي قيام الناس من قبورهم؛ قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ۝٥٥﴾ [الروم]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣﴾ [النازعات].

والشاهد من الحديث قوله: (**«الذين يتخذون القبور مساجد»**)؛ فهذا يطابق قوله ﷺ في حديث عائشة الأول، لما ذكرت أم سلمة وأم حبيبة ما رأتاه من الكنيسة، وما فيها من الحسن والتصوير، قال لهم: (**«أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح، أو الرجل الصالح، بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله»**)؛ فهذا الحديث الأخير في هذا الباب مع الحديث الأول؛ كلاهما يدل على أنَّ مَن يتخذ القبور مساجد: من شرار الخلق، والساعة تقوم على المشركين، فإنه كما جاء في الحديث الذي عند مسلم: أنه إذا قبضت أرواح المؤمنين بقي شرار الناس في هذه الأرض؛ فيأتيهم الشيطان ويدعوهم إلى عبادة

الأوثان، فيقبلون على ذلك حتى لا يكون في الأرض مَن يقول: الله الله؛ فعليهم تقوم الساعة[١]، ومن المسائل المتعلقة بهذا الباب مسألة حدثت لما وسع المسجد النبوي فظن بعض الناس أنَّ قبر النبي ﷺ قد دخل في المسجد فيبني على ذلك حكم الصلاة في مسجده ﷺ، وقد صار فيه القبر، والصواب أنَّ قبر النبي ﷺ لم يدخل في المسجد؛ بل لم يزل في بيته في حجرة عائشة غاية الأمر أنَّ المسجد أحاط بالحجرة؛ فالحجرة محاطة بجدران تفصلها عن المسجد فالمصلي في مسجد النبي ﷺ لم يصل عند القبر لكن لا يجوز لمن صلى في مسجد النبي ﷺ أن يتحرى استقبال الحجرة فإنه بذلك يجعلها قبلة، ولا قبلة إلا المسجد الحرام، ولكن إذا استقبلها من غير قصد كما إذا امتدت الصفوف التي في مؤخر المسجد فإنَّ أطرافها من الشرق تحاذي الحجرة التي فيها قبر النبي ﷺ وهذا لا يضر لأنه غير مقصود والله أعلم[٢].

(فيه مسائل:

الأولى: ما ذكر الرسول ﷺ فيمن بنى مسجدًا يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح، ولو صحت نية الفاعل).

المسألة الأولى ما ذكره الرسول ﷺ من الذم والوعيد والنهي الشديد فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، من نبي أو غير نبي، وهو ما تقدم

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٨) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: أن الساعة لا تقوم حتى لا يقال في الأرض: الله، الله، وبرقم (٢٩٤٠) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفيه: قبض أرواح المؤمنين وبقاء شرار الناس وأمر الشيطان لهم بعبادة الأوثان.

(٢) ينظر: حجرة النبي ﷺ تاريخها وأحكامها لعبد الرحمن بن سعد الشثري (ص٣٦٤).

من قوله: («**أولئك شرار الخلق عند الله**»)، ولعن مَن اتخذ قبور أنبياهم مساجد، والنهي المؤكد: («**ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك**»). وقد ثبت الذم والوعيد لمن فعل ذلك (**ولو صحت نية الفاعل**)؛ فمجرد النية لا تصحح العمل، فلا ينفع أهل البدع أنهم يريدون التقرب إلى الله؛ بل حتى -والعياذ بالله- المشركون الذين يتخذون الوسائط يقولون: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٣]. فحسن نية الفاعل لا يصحح العمل، ولا يبرر الفعل ولا يجعل الفعل شرعيًا ولا مرضيًا، فكون نيتهم حسنة هذا شيء آخر، قد تنفعهم عند الله، أو تكون عذرًا لهم، فالله حكيم، لكنها لا تسوغ الفعل، ولا يصير الفعل شرعيًّا بحسن نية فاعله، فالباطل: باطل، والبدعة: بدعة، والمعصية: معصية ولو حسنت نية الفاعل، فيجب أن توزن الأفعال بميزان الشرع لا بنوايا أهلها، ولا باعتبار آراء الناس وأهوائهم، فالميزان هو الشرع، وهو الذي يحكم به على الأفعال، هل هي حق أو باطل؟ معروف أو منكر؟ فما دل الشرع على أنه معروف فهو معروف، وما دل الشرع على أنه منكر فهو منكر، ويجب أن يلاحظ هذا الأمر على ما يفعله الإنسان في نفسه، أو ما يحكم به على أفعال غيره.

(الثانية: النهي عن التماثيل بتغليظ الأمر في ذلك).

كما يدل لذلك الحديث الأول في قوله ﷺ في الذين يبنون المساجد على قبور الصالحين، ويصورونهم: («**أولئك شرار الخلق عند الله**»): إذن؛ فهذا الذم مرتب على الفعلين، بناء المساجد على قبور الصالحين، ونصب تماثيلهم، فكل منهما منكر، ووسيلة إلى الشرك قريبة؛ فيجب الحذر من الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

(الثالثة: العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك، كيف بين لهم هذا أولًا، ثم قبل موته بخمس قال ما قال، ثم لما كان في السياق لم يكتف بما تقدم).

هذه مسألة واضحة؛ وهي مبالغة النبي ﷺ في التحذير من اتخاذ القبور مساجد، فإنه بين لهم تحريم ذلك في حياته، ثم نهاهم عن ذلك قبل أن يموت بخمس، ثم لم يكتف بما تقدم؛ بل لعن -وهو في سياق الموت- مَن فعل ذلك من اليهود والنصارى تحذيرًا للأمة.

(الرابعة: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر).

لا يخفى أنه ليس في نصوص الباب التصريح بالنهي عن اتخاذ قبره مسجدًا لكنه مفهوم من عموم الأحاديث، وفي سياقها إشارة ظاهرة من النبي ﷺ إلى نهي الأمة عن اتخاذ قبره مسجدًا.

(الخامسة: أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم).

أي: أنَّ اتخاذ القبور مساجد هو من سنن اليهود والنصارى، فمن يفعل ذلك من هذه الأمة فقد تشبه باليهود والنصارى، وقد قال ﷺ: «**مَن تشبه بقوم فهو منهم**»[(١)]، فالذين يبنون المساجد على القبور، ويقصدون الصلاة عندها، فهؤلاء -والعياذ بالله- عاصون لنبيهم، ومتشبهون بأعدائهم، وفي هذا محادة لله ورسوله، فالله تعالى ينهى عن الشرك، ويحذر منه في آيات كثيرة، والنبي ﷺ ينهى عن الشرك ووسائله.

---

(١) أخرجه أحمد (٥١١٤)، و(٥١١٥)، وأبو داود (٤٠٣١) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا. وصححه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢/ ٦٧٦ رقم ٧٩٧)، وحسنه ابن حجر في الفتح (١٠/ ٢٧١).

فالذي يفعله هو متشبه باليهود والنصارى، فيلحقه من الوعيد الذي دل عليه حديث: «**مَن تشبه بقوم فهو منهم**».

(السادسة: لعنه إياهم على ذلك).

أي: لعنه ﷺ اليهود والنصارى على هذا الفعل؛ مما يدل على أنَّ اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، من موجبات اللعنة، إذن؛ فهو من كبائر الذنوب.

(السابعة: أنَّ مراده ﷺ: تحذيره إيانا عن قبره).

هذا يؤكد ويشرح ما تقدم، وهو أنَّ مراد النبي ﷺ من لعن اليهود والنصارى في هذه الحال: هو تحذيره إيانا عن فعل ذلك في قبره، يعني: تحذيره أن نفعل في قبره فعل اليهود والنصارى عند قبور أنبيائهم، فهذا -كما تقدم-: أنَّ نهيه تعالى أهل الكتاب عن الغلو في الدين هو نهي لنا.

(الثامنة: العلة في عدم إبراز قبره).

من فوائد هذا الباب: بيان السبب في عدم إبراز قبره، إشارة إلى قول عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: **(ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا)**؛ فهذه هي العلة في عدم إبراز قبره، ولا يلزم أن يكون ذلك هو العلة وحده، لكن هذا من فوائد عدم إبراز قبره، وإلا فقد جاء عنه ﷺ أنه قال: «**ما قبض الله نبيًّا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه**»[١]؛ فهذه سنته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في أنبيائه.

(١) تقدم تخريج الحديث في (ص٣٩٧).

(التاسعة: في معنى اتخاذه مسجدًا).

هذا تقدم في كلام الشيخ في نفس الباب، وأنَّ معناه: الصلاة عندها، وبناء المسجد عليها، وكل من الأمرين هو من اتخاذها مساجد.

(العاشرة: أنه قرن بين مَن اتخذها مسجدًا وبين مَن تقوم عليهم الساعة، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته).

المسألة العاشرة: أنَّ النبي ﷺ في حديث ابن مسعود قرن بين مَن اتخذ القبور مساجد، ومَن تدركهم الساعة وهم أحياء -وهم المشركون-، فجمع في هذا الحديث: بين الذريعة إلى الشرك -وهو اتخاذ القبور مساجد- وخاتمة هذا الصنيع ونهايته، وهو الشرك؛ فجمع بين ذريعة الشرك وخاتمته.

(فذكر الذريعة إلى الشرك): أي: اتخاذ القبور مساجد **(قبل وقوعه)**: أي: قبل وقوع اتخاذ القبور مساجد **(مع خاتمته)**: وهي الشرك، فقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **(«إِنَّ من شرار الناس: مَن تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد»)**: تضمن الوسيلة والغاية: الوسيلة إلى الشرك، والغاية وهي الشرك، حيث جمع بين مَن اتخذوا القبور مساجد، ومَن تدركهم الساعة وهم أحياء.

(الحادية عشرة: ذكره في خطبته قبل موته بخمس: الرد على الطائفتين اللتين هما أشر أهل البدع؛ بل أخرجهم بعض السلف من: الثنتين والسبعين فرقة، وهم: الرافضة والجهمية، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول مَن بنى عليها المساجد).

هذه الفائدة مأخوذة من قوله ﷺ: («إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإنَّ الله تعالى قد اتخذني خليلًا، كما اتَّخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا»).

ففي هذا الحديث: الرد على الطائفتين: الرافضة والجهمية المعطلة، فأما الرد على الرافضة ففي قوله: («ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا»)؛ لأنَّ الرافضة هم الذين يبغضون أبا بكر ويسبونه ويفسقونه أو يكفرونه، وأما الرد على الجهمية ففي قوله: («فإنَّ الله تعالى قد اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا»)؛ لأنَّ الجهمية ينفون الخلة والمحبة عن الله، والأمر كما قال الشيخ إنَّ الرافضة والجهمية شر طوائف أهل البدع.

وقول الشيخ: (بل أخرجهم بعض السلف من: الثنتين والسبعين فرقة)، وهذا مأثور عن عبد الله بن المبارك، وعبد الرحمن بن مهدي[1]، ومعنى ذلك أخرجهما من الأمة، وهذا يقتضي أنهم كفار، فأما الجهمية فكما قال ابن القيم في الشافية الكافية[2]:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في
عشر من العلماء في البلدان

أي: تحمل القول بكفر الجهمية خمس مئة من العلماء، وهذا ناتج ضرب خمسين في عشرة؛ كما قال ابن القيم:

---

(١) ينظر: السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ١٠٩)، (١/ ١١٩).
(٢) النونية (١/ ٢٠٦ رقم ٦٣٣-٦٣٤).

والللالكائي الإمام حكاه عنـ
ـهم بل حكاه قبله الطبراني

وأما الرافضة؛ فغلاتهم؛ كالنصيرية والإسماعيلية يقول عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية: «أجمع المسلمون على أنهم أكفر من اليهود والنصارى»(١)، وأما الإمامية الاثنا عشرية فأصولهم كفرية، لكن فيهم الجهال وفيهم المتأول، وإلا فأصولهم أيضًا كفرية، وأقوالهم أقوال كفرية، فإذا كان الأئمة قالوا: مَن قال القرآن مخلوق فهو كافر(٢)؛ فالرافضة قد انتقلت إليهم: أصول المعتزلة، إضافة إلى أصولهم مِن سب الصحابة وتكفيرهم وتفسيقهم، والغلو في أهل البيت، والقول بعصمة الأئمة، يضاف إلى ذلك: أنَّ متأخريهم صاروا قبورية؛ فهم أول مَن أحدث بناء المساجد على القبور في هذه الأمة(٣)، وهم الذين أحدثوا الشرك في هذه الأمة، فهم بذلك مشركون، يستغيثون بعلي والحسين وبالأئمة؛ فشرور الطوائف مجتمعة في الرافضة، ومن مذهبهم التقية التي حقيقتها النفاق، فيجب الحذر منهم كما قال تعالى: ﴿فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ [المنافقون: ٤]، ولا صلح بيننا وبينهم؛ لأنه في هذا العصر قامت دعوى اسمها دعوة التقريب، وهي دعوة تخريب تقوم على الخداع والمكر، فإنَّ الحق والباطل لا يجتمعان ولا يقتربان، كما أنَّ الشرك والتوحيد لا يلتقيان ولا يجتمعان، فحب الصحابة وبغضهم لا

---

(١) التدمرية (ص٤٩) وينظر: مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٤٩) وما بعدها.
(٢) ينظر على سبيل المثال: السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ١٢٢)، (١/ ١٢٣)، (١/ ١٢٨).
(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٦٦)، والرد على الإخنائي (ص١٥٠).

يجتمعان، ولا يجتمع البيان والوضوح مع النفاق والمكر والخداع، إذن؛ فلا تقارب أبدًا، ودعوة التقريب دعوة فاشلة باطلة، وإنما يكون التقريب برجوعهم عن الباطل، ودخولهم في المذهب الحق مذهب أهل السنة.

والمقصود أنَّ في الحديث: الرد على الطائفتين؛ لأنَّ الحديث -كما تقدم- فيه دلالة على أنَّ أبا بكر هو أفضل الأمة، وهذا وجه الرد بهذا الحديث على الرافضة، وفي قوله: («**فإنَّ الله تعالى قد اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا**»): إثبات الخلة لله تعالى والمحبة، وهذا وجه الرد بالحديث على الجهمية.

وقوله: (**وهم أول مَن بنى عليها المساجد**): يعني: في هذه الأمة.

(الثانية عشرة: ما بُلي به النبي ﷺ من شدة النزع).

من فوائد الحديث: أنَّ الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بشر يبتلى وتعتريه الأمراض والآلام، وفي ذلك رفع لدرجاته، ومن ذلك: أنه ﷺ حصل له شدة عند الموت، بدليل قوله في الحديث الثاني حديث عائشة: (**لما نزل برسول الله ﷺ، طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه**): أي: من شدة ما يجد، فتارة يضع الخميصة على وجهه، وتارة يكشفها، فإذا اغتم بها كشفها، ولهذا تقول فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «وا كرب أباه»؛ لما رأت من الشدة على الرسول ﷺ، فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**»[1] وهذه الشدة ليست هي شدة خروج الروح، فإنَّ روح المؤمن تسيل وتخرجُ كما تسيل القطرة مِن في السقاء[2]

(١) أخرجه البخاري (٤٤٦٢) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٣) وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٧٣) عن البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، وصححه الحاكم (١٠٧)، والبيهقي في =

بيسر، فكيف بالنبي -عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟! بل هذا الكرب حصل له بعدما نزل به الموت، من آلام وأوجاع، لكن عند خروج روحه ﷺ فكما ذكرت عائشة أم المؤمنين أنه -وهي مسندته ﷺ على صدرها- تقول: «قبضه الله بين سحري ونحري»[1] ﷺ، ثم قالت -وهو على ذلك-: «دخل عبد الرحمن بن أبي بكر، ومعه سواك رطب، فنظر إليه، حتى ظننت أنه يريده فأخذته، فمضغته ونفضته وطيبته، ثم دفعته إليه؛ فاستن به كأحسن ما رأيته مستنًّا قط»، أي: استاك بالعود، فقد كان ﷺ يحب السواك؛ لأنه طيب ويحب الطيب، ويكره الروائح الكريهة، ثم بعد ذلك أشار بأصبعه: «**اللهم في الرفيق الأعلى**»، ثم قضى ﷺ[2]، فما يحصل للمسلم من آلام وأوجاع في حال المرض وعند نزول الموت به، يكون فيها خير له، من تكفير السيئات للمؤمن، أما الرسول ﷺ فنقول: فيها رفع لدرجاته، ومضاعفة لحسناته على صبره ﷺ، وهو بشر تعرض له هذه الأمور، وفيها دلالة على بطلان مَن يزعم إلهية النبي ﷺ، فهو لا شك تعتريه المصائب والآلام -كما تقدم-[3].

(الثالثة عشرة: ما أُكرم به ﷺ من الخلة).

من فوائد هذا الباب وعلى وجه الخصوص الحديث الثالث: ما أكرم به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من الخلة، وأنه خليل الله، وفي هذا خصوصية له،

= شعب الإيمان (٣٩٠). وينظر تحقيق نفيس لابن القيم للحديث ومناقشة مَن ضعَّفه في تهذيب السنن (٣/ ٣١٩).

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٩)، ومسلم (٢٤٤٣).

(٢) أخرجه بنحوه البخاري (٤٤٣٨)، (٤٤٣٧).

(٣) تنظر (ص٣١٧) وما بعدها.

وكرامة له من ربه، أكرمه الله بالخلة، فهو أحب الخلق إلى الله، وهو أفضل الخلق، وسيد ولد آدم ﷺ.

(الرابعة عشرة: التصريح بأنها أعلى من المحبة).

هذا مستفاد من الحديث مع غيره لا منه فقط، فإذا جمعنا بين قوله ﷺ لما قيل له: مَن أحب الناس إليك؟ قال: «**عائشة**» قال: فمن الرجال؟ قال: «**أبوها**»[1] فهذا فيه التصريح: بأنَّ أحب الناس إلى النبي ﷺ هو أبو بكر، فأثبت له المحبة ونفى عنه الخلة، وأثبت الله تعالى لعباده المؤمنين المتقين، والمتطهرين والتوابين والمقسطين المحبة، وخص الخلة بمحمد ﷺ وإبراهيم؛ ففي مجموع هذه النصوص التصريح بأنَّ الخلة أعلى من المحبة.

(الخامسة عشرة: التصريح بأنَّ الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ).

لقوله ﷺ: (**«لو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا»**).

(السادسة عشرة: الإشارة إلى خلافته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

وذلك بأنه: إذا كان أبو بكر أحب الناس إلى الرسول؛ فهذا يقتضي أن يكون أولى بالأمر من بعده، وقد حصل هذا، ودل على ذلك أدلة كثيرة وهذا منها، فهذا الحديث: (**«لو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا»**): هو واحد من الأدلة الكثيرة التي استدل بها أهل السنة على أنَّ خلافة أبي بكر ثبتت بالنص، قيل: بالنص الجلي،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤) عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقيل: بالنص الخفي والإشارة[١]، والأظهر عندي أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة، ثم إنَّ الصحابة اتفقوا على ذلك؛ فجمع الله قلوبهم على أبي بكر تحقيقًا لحكم الله، ولما يحبه رسول الله ﷺ[٢].

◆◇◈◇◆

(١) ينظر: منهاج السنة (١/ ٤٨٦-٥٢٦)، ومجموع الفتاوى (٣٥/ ٤٧-٤٩).
(٢) ينظر: شرح الطحاوية لشيخنا (ص٣٦٤-٣٦٧).

(٢١)

باب ما جاء أنَّ الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله

روى مالك في الموطأ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[(١)].

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾ [النجم]، قال: كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره، وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كان يلت السويق للحاج[(٢)].

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٢٤٠ رقم ٥٩٣/ ١٨٣) عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار مرسلًا.
وأخرجه عبد الرزاق (١٥٨٧) وابن أبي شيبة (٧٥٤٤)، و(١١٨١٩) عن زيد بن أسلم مرسلًا؛ فلم يذكرا عطاءً.
ووصله البزار كما في كشف الأستار (٤٤٠)، ومن طريقه ابن عبد البر في التمهيد (٥/ ٤٣) عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا.
وله شاهد من حديث أبي هريرة: أخرجه أحمد (٧٣٥٨)، والحميدي (١٠٥٥) عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، والحديث صححه الألباني في أحكام الجنائز (ص٢٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٥٩).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج. رواه أهل السنن[(١)].

الشرح

هذا هو الباب الثالث من الأبواب التي نوه بها الشيخ فيما تقدم؛ بقوله: (أنَّ مَن فهم هذا الباب وبابين بعده، تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب)[(٢)]، وهنا يقول: **(باب ما جاء أنَّ الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله)**.

وهذا المعنى مستفاد في الجملة من مضمون البابين قبله، لكن الشيخ أراد أن يصرح به، وأن يفرده بترجمة، وأن يذكر له بعض الأدلة زيادة على ما سبق.

فقال: **(باب ما جاء)**: يعني: باب ذكر ما جاء من الأدلة على أنَّ الغلو في قبور الصالحين: **(يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله)**: أي: آلهة تعبد من دون الله، فالغلو في قبور الصالحين: ببناء المساجد عليها وبإسراجها وبالصلاة والدعاء عندها، وبالعكوف عليها؛ يفضي هذا كله -أو بعضه- إلى أن تصير هذه القبور معبودة من دون الله.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٣٠)، وأبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي (٢٠٤٣). وقال مسلم في (كتاب التفصيل) -فيما نقله ابن رجب في فتح الباري (٣/ ٢٠٢)-: «هذا الحديث ليس بثابت، وأبو صالح باذام قد اتقى الناس حديثه، ولا يثبت له سماع من ابن عباس». أما أحاديث لعن زوَّرات القبور فثابتة وقد رواها جماعة من الصحابة كأبي هريرة، وحسَّان بن ثابت، وعبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. ينظر: أحكام الجنائز (ص٢٣٥-٢٣٦).

(٢) تنظر: (ص٣٧٩).

فيستغاث بالأموات، ويلجأ إليهم في الشدائد كما يصنع القبوريون، فيصير القبر باسم صاحبه وثنًا معبودًا من دون الله!

فالغلو في قبور الصالحين يفضي إلى الشرك الأكبر؛ كما أفضى ذلك في قوم نوح، ومَن سلك طريقهم[١].

(روى مالك في الموطأ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»).

(روى مالك): أي: الإمام بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه المعروف بـ «الموطأ» عن النبي ﷺ أنه قال: **(«اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»)**، وقد جاء هذا المعنى من غير طريق، كما جاء معناه عند الإمام أحمد[٢] من حديث أبي هريرة: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[٣].

قوله: **(«اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد»)**، هذا دعاء من النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ألا يكون قبره وثنًا، أي: ألا يكون معبودًا من دون الله، وقد قال بعض أهل العلم: إنَّ الله أجاب دعاء نبيه[٤] كما يقول ابن القيم في الكافية الشافية «النونية»[٥]:

---

(١) تقدم في (ص٣٦٨).
(٢) برقم (٧٣٥٨).
(٣) تقدم في هامش (ص٤١٥).
(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٧/ ٢٦٨-٢٦٩)، (٢٧/ ٣٢٨)، وقاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق (ص٨٦)، (ص١٠٣).
(٥) (٣/ ٨١٤ رقم ٤٠٤٢-٤٠٤٣).

فأجاب رب العالمين دعاءه
وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى اغتدت أرجاؤه بدعائه
في عزة وحماية وصيان

فلم يكن قبره وثنًا، ولم يتخذ مسجدًا، وعلى هذا فيستثنى من عموم: «**لتتبعن سنن مَن كان قبلكم**»[(١)].

وذهب بعض أهل العلم إلى أنه لم يتحقق ما دعا به النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فقد عبده المشركون واستغاثوا به ولجئوا إليه وهذا واقع، فكثيرًا من المنتسبين للإسلام ممن لم يعرف حقيقة التوحيد، يغلو في النبي ﷺ، ويستغيث به في الشدائد، ويدعوه ويرجوه ويخافه، وإذا جاء عند قبره استغاث به والتجأ إليه، أما الشرك بالنبي ﷺ مع الله؛ فهذا واقع في المسلمين، وأمر شائع مشهور لا يمكن جحده، فهم يدعونه من قريب ومن بعيد، ويستغيثون به من قريب ومن بعيد.

والذين قالوا: إنه لم يتحقق مطلوبه، نظروا إلى ما يقع من كثير من المسلمين؛ من دعاء الرسول ﷺ والاستغاثة به، ولا سيما عند الحضور إلى مسجده، والوقوف أمام بيته ﷺ الذي دفن فيه، والذين قالوا: إنَّ الله أجاب دعاءه يقولون: القبر مصون، ودونه جدران وحواجز، فلا يوصل إليه، فالذين يدعونه أو يستغيثون به، من وراء الجدران؛ هم كالذين يستغيثون به في سائر الأقطار، والرسول إنما دعا بأن لا يكون قبره وثنًا

(١) أخرجه البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

يعبد، وهؤلاء لا يصلون إلى القبر، ودعاؤهم له ﷺ من بعد أو من وراء جدران، لا يصير القبر وثنًا، كما أنَّ المسلِّم عليه من بعد أو من وراء جدران لا يعد زائرًا.

(ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾ [النجم]، قال: كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره، وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: كان يلت السويق للحاج).

هذان أثران: عن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ومجاهد وأبو الجوزاء[1] كلاهما من أصحاب ابن عباس.

قال مجاهد بن جبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾ [النجم] قال في اللات: إنه كان يلت السويق للحاج، يعني أنَّ اللات اسم رجل كان يلت السويق.

و**(يلت)**: يعني: يعجن السويق[2]، والسويق أصله دقيق الشعير، أو البر المحموص، وهو طري أخضر، فإذا حمص حب الشعير أو البر حتى يستوي؛ فإنه يطحن، وطحينه هذا يتخذ منه السويق، ويخلط معه شيء حلو؛ كسكر أو نحوه، وقد يجعل معه شيء آخر. فلَتُّ السويق:

---

(١) أبو الجوزاء أَوْس بن عبد الله الرَّبعي البصري من كبار علماء التابعين، حدث عن: عائشة وعبد الله بن عمرو بن العاص، وروى عنه: أبو الأشهب العطاردي وعمرو بن مالك النكري، مات سنة (٨٣هـ). ينظر: الطبقات لابن سعد (٩/ ٢٢٢)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٧١).

(٢) ينظر: النهاية (٤/ ٢٣٠).

يعني خلط السويق بشيء آخر، وهذا يناسب قراءة مَن قرأ: ﴿أَفَرَءيتُم اللَّاتَّ﴾: بتشديد التاء، أما القراءة المشهورة فهي بالتخفيف: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ﴾[1] وقد قيل: اللات مشتق من الإله، قالوا: وهي اسم صخرة بيضاء منقوشة، كان يلت عليها ذلك الرجل السويق[2]، فتبين أنه لا منافاة بين القراءتين والقولين، فالمسألة قريبة، يعني اللات اسم الصخرة، واللات بالتشديد صفة الرجل، وكل منهما قد أُلِّه من دون الله[3].

قال ابن عباس: **(كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره)**: فالشيطان بالمرصاد، يدعو إلى الشرك، وإلى عبادة غير الله! فهم عبدوه، لأنه كان رجلًا صالحًا محسنًا يكرم الحاج، ويلت لهم السويق، فلما مات عكفوا على قبره، وبهذا تظهر مناسبة هذا الأثر، وهذه القصة للباب.

(وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج». رواه أهل السنن).

هذا الحديث فيه ثلاث مسائل؛ فإنَّ الرسول ﷺ لعن زوَّارات القبور، ولعن المتخذين المساجد على القبور، والمتخذين السرج على القبور.

أما قوله: **(لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور)**: فيدل على تحريم زيارة النساء للقبور، وأنه من كبائر الذنوب بدليل اللعن، وقد اختلف

---

(١) روى رويس: بتشديد التاء وبمد للساكنين، وهي قراءة ابن عباس ومجاهد ومنصور بن المعتمر وطلحة وأبي الجوزاء، وقرأ الباقون بتخفيفها. ينظر: النشر (٢/ ٣٧٩).

(٢) تنظر: (ص٢٢٠).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٥٨).

أهل العلم في زيارة النساء للقبور؛ فذهب كثير من أهل العلم إلى الجواز، وذهب جماعة من أهل العلم إلى التحريم(١).

والذين قالوا بالجواز استدلوا بحديث: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**»(٢) قالوا: فهذا عام، وأجيب: بأنَّ ذلك عام، وحديث: (**لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور**): خاص، ومن طرق الجمع بين الدليلين: أن يكون أحدهما عامًّا والآخر خاصًّا؛ فيحمل العام على الخاص، ويستثنى الخاص من العام.

وقد ناقش الإمام ابن تيمية هذه المسألة مناقشة بديعة(٣)؛ فذكر أنه قد صح عن النبي ﷺ لعنه زائرات القبور، وأنَّ حديث ابن عباس وحديث أبي هريرة كذلك بمعناه، لا يقاومهما أي حديث يستدل به على زيارة القبور للنساء، من ذلك: أنَّ النبي ﷺ ثبت عنه أنه أجاب عائشة لما قالت له: أرأيت يا رسول الله ما أقول إذا زرت القبور؟ قال قولي: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين**»(٤) الحديث، يعني أنه علمها كيف تسلم، قال المانعون: هذا يحتمل أن يكون قبل النهي؛ لأنَّ الأصل الإباحة، فزيارة القبور كانت مباحة، ثم نهى الرسول ﷺ عنها حماية لجناب التوحيد، حتى يستقر في القلوب التوحيد، وتعزف عن الشرك ووسائله، ثم قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور**

(١) ينظر: حاشية ابن عابدين (٢/ ٢٤٢)، والمجموع شرح المهذب (٥/ ٢٨٥-٢٨٦).
(٢) أخرجه مسلم (١٩٧٧)، و(٩٧٧) من حديث بريدة الأسلمي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بنحوه، وأخرجه بهذا اللفظ: ابن أبي شيبة في المصنف (١١٨٠٤).
(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٤٣-٣٥٦).
(٤) أخرجه مسلم (٩٧٥) عن بريدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فزوروها»، وفي لفظ: «**فإنها تذكركم الآخرة**»[(١)]، وفي لفظ: «**ألا فزوروها فإنه يرق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة**»[(٢)]، يقول الإمام ابن تيمية ما معناه[(٣)]: إذا كانت هذه الغاية من زيارة الرجال للقبور، فإنَّ النساء لا يليق بهن ذلك ولا يناسبهن؛ لأنهن ضعيفات لا يصبرن، فلو جئن عند القبور للتذكر، لكان منهن العويل والصراخ؛ لأنهن ضعيفات، وإن كان بعض النساء قد يكون عندها جلد، لكن الشأن في جنس النساء.

ومن الوجوه التي ذكرها شيخ الإسلام: أنه لا يعلم أحد من أهل العلم يقول باستحباب زيارة النساء للقبور[(٤)]، لكن القول الآخر المعروف هو إباحة زيارة النساء للقبور، وإذا كانت مباحة فكيف يستدل على ذلك بقوله: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**»؟! وعلى كل تقدير؛ فالصحيح في هذه المسألة هو القول بتحريم زيارة النساء للقبور؛

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٥٦٩) وهو في مسلم (٩٧٦) من حديث أبي هريرة بلفظ: «**فزوروا القبور فإنها تذكر الموت**».

(٢) أخرجه أحمد (١٣٤٨٧)، وأبو يعلى (٣٧٠٧)، والحاكم (١٣٩٣) واللفظ له، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحسَّنه الألباني في أحكام الجنائز (ص٢٢٨-٢٢٩)، وصححه شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند (٢١/ ١٤١) بطرقه وشواهده.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٥٥).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٤٥)، ولعل مراد شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ الأئمة الأربعة؛ حيث قال: «وما علمنا أن أحدًا من الأئمة استحب لهن زيارة القبور»، وإلا فقد قال ابن حزم في المحلى (٥/ ١٦٠): «ونستحب زيارة القبور، وهو فرض ولو مرة ولا بأس بأن يزور المسلم قبر حميمِه المشرك، والرجال والنساء سواء». وقد نص على ذلك شيخنا في فتاوى الجنائز-قيد الطبع- فقال: «ولم يقل أحدٌ من العلماء باستحباب زيارةِ النِّساءِ للقبور، وإنَّما التَّردد بين الجوازِ والكراهةِ والتَّحريمِ، وشذَّ ابن حزم فقال بفرض الزِّيارةِ على الرِّجال والنِّساءِ في العُمر ولو مرَّةً».

لصحة الأحاديث في ذلك، وقوة دلالتها، وعدم ما يقاومها[١]، وللمفاسد المترتبة على زيارة النساء -كما تقدم-.

وقوله: («والمتخذين عليها المساجد والسرج»)، وهذا هو الشاهد من الحديث للباب، واتخاذ المساجد: بناؤها، واتخاذ السرج: تعليقها، ويلتحق ببناء المساجد: بناء القباب، فالمزارات في العالم الإسلامي والأضرحة المعظمة عندهم عليها المساجد، وعليها القباب الطويلة الضخمة، وينفق في هذا السبيل الأموال الطائلة! ومن عادة القبوريين أنهم يبنون المسجد على القبر؛ كقبر شيخ كبير، أو ولي في نظرهم، أو عبد صالح، فيبنون المسجد على قبر المعظم عندهم، ثم يزوره الناس، وربما صلوا في ذلك المسجد، ثم يتدرج بهم الشيطان حتى يوقعهم في الشرك الأكبر.

(والسرج): يعني: والمتخذين عليها السرج؛ أي: المصابيح، واتخاذ المساجد والسرج على القبور من مظاهر الغلو، ووسائل الشرك الأكبر، كما قال المصنف: **(باب ما جاء أنَّ الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله)**، وهذا الحديث مناسب لموضوع الباب السابق، ولعل الشيخ ذكره في هذا الباب لذكر السرج فيه[٢].

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير الأوثان).

الأوثان: جمع وثن، وهو كل ما عبد من دون الله من المخلوقات الأرضية، من حجر وشجر وقبر وصنم، وفرق بعضهم بين الصنم والوثن، بأنَّ الصنم ما نحت على صورة إنسان؛ كأصنام قوم إبراهيم،

(١) للاستزادة ينظر: جزء في زيارة النساء للقبور لبكر أبو زيد.
(٢) ينظر: التيسير (١/ ٦١٥).

ولهذا قال لهم: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝٩٥﴾ [الصافات]، وقال لهم: ﴿مَا تَعْبُدُونَ ۝٧٠ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ۝٧١﴾ [الشعراء]، ومع ذلك سماها أوثانًا في قوله: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ [العنكبوت: ١٧]، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [العنكبوت: ٢٥]؛ فظهر من ذلك أنَّ بين الوثن والصنم عموم وخصوص؛ فكل صنم وثن، وليس كل وثن صنم(١).

(الثانية: تفسير العبادة).

هذه المسألة متعلقة بقوله في الحديث: **(وثنًا يعبد)**، ومعنى العبادة: الذل والخضوع للمعبود حبًّا وخوفًا ورجاء، وهذه أحوال قلبية، وللعبادة مظاهر عملية؛ كالصلاة والذبح والدعاء، فقد تضمن دعاء النبي ﷺ بألا يكون قبره معبودًا مع الله، فإنَّ هذا هو الشرك الأكبر، وهو أبغض شيء إلى النبي ﷺ؛ لذلك فهو يكره أشد الكراهة أن يكون قبره مكانًا لأعظم الذنوب وأظلم الظلم، وهكذا سائر الصالحين، يكرهون أن تكون قبورهم أوثانًا تعبد من دون الله؛ فالذين يعبدون قبور الصالحين يؤذونهم بذلك من حيث يظنون أنهم بذلك يرضونهم.

(الثالثة: أنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه).

لم يستعذ ﷺ إلا مما يخاف وقوعه، إذن: ما حدث من الشرك بالنبي كان متوقعًا ثم صار واقعًا، فكثير من الصوفية يدعون النبي ﷺ، ويستغيثون به من بُعد وقرب.

---

(١) تنظر: (ص٢٥١).

(الرابعة: قرنه بهذا: اتخاذ قبور الأنبياء مساجد).

يعني: أنَّ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قرن بين الدعاء ألا يكون قبره وثنًا يعبد، وذم الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، فجمع بينهما عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**»؛ يعني: كما عبدت قبور الأنبياء من قبلي، قال ﷺ: «**اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

(الخامسة: ذكره شدة الغضب من الله).

غضب الله ثابت في القرآن والسنة وإجماع سلف الأمة، فهو تعالى يغضب، وغضبه ليس كغضب المخلوق الذي يفسره بعض الناس بأنه غليان دم القلب، والصواب أنَّ هذا أثر الغضب[(١)]، وإنما يغضب إذا انتهكت محارمه، وغضب الله يتفاوت في الشدة، وكما جاء في حديث الشفاعة: «**إنَّ ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله**»[(٢)]؛ فغضبه على الكافرين، ليس كغضبه على العصاة.

(السادسة: وهي من أهمها: معرفة صفة عبادة اللات، التي هي [من][(٣)] أكبر الأوثان).

قوله: (من أهمها): أي: من أهم تلك المسائل: معرفة صفة عبادة اللات التي هي من أكبر أوثان المشركين، وتعلم صفة عبادة اللات من

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٦/ ١١٩)، وشرح حديث النزول (ص٤٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) زيادة من التيسير، وجزم شيخنا بإثباتها فقال: «لا بد من إثبات (من)».

قولـه: (**فلما مات عكفوا على قبره**)؛ فالعكوف عند القبر يقصد منه التقرب إليه بأنواع العبادة والطاعة والخضوع.

(السابعة: معرفة أنه قبر رجل صالح).

أي: معرفة أنَّ اللات قبر رجل صالح.

(الثامنة: أنه اسم صاحب القبر، وذكر معنى التسمية).

اللات: هو اسم صاحب القبر الذي اتخذه أهل الطائف معبودًا لهم ووثنًا، وسبب التسمية: أنه كان يلت السويق.

(التاسعة: لعنه زوارات القبور).

لعنه زوارات القبور، مما يدل على تحريم زيارة النساء للقبور، وأنه من كبائر الذنوب، وقد تقدم الكلام عليها.

(العاشرة: لعنه مَن أسرجها).

من الفوائد: تحريم إسراج القبور؛ وهو: إضاءتها بالسرج أو المصابيح الكهربائية أو الشموع؛ فهذا مستوجب ومستحق للعنة الله، وأنه من كبائر الذنوب، وكذا مَن اتخذ عليها المساجد.

توضيح التناسب بين الأبواب الثلاثة:

بمناسبة ختم الباب الثالث، نستعرض مضمون الأبواب الثلاثة؛ ليتضح التناسب بينها، وهي متناسبة، مرتبط بعضها ببعض من جهة المعنى:

فالباب الأول: قد تضمن بيان سبب حدوث الشرك في العالم؛ كما في قصة قوم نوح، وفيه تحذير نبينا ﷺ من إطرائه كما أطرت النصارى

ابن مريم، وفيه تحذيرنا من الغلو في الدين ومن التنطع، وأنَّ ذلك سبب الهلاك.

والباب الثاني: فيه التغليظ والوعيد الشديد والذم لمن اتخذ القبور مساجد، ومَن نصب للصالحين والأنبياء التماثيل، وفيه النهي الأكيد عن اتخاذ القبور مساجد -كما تقدم-، وأنَّ الذين يتخذون المساجد على القبور مذمومون، وقد قرنهم الرسول ﷺ بالمشركين الذين تقوم عليهم الساعة وهم أحياء؛ فقال ﷺ: (**«والذين يتخذون القبور مساجد»**)[(١)].

والباب الثالث: فيه التحذير كذلك من اتخاذ القبور مساجد قال ﷺ: «**اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، وفيه: لعن المتخذين على القبور المساجد والسرج، وهذا يدل على أنَّ الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله.

يقول الشيخ في تلك المسألة: **(مَن فهم هذا الباب وبابين بعده)**، أي: هذه الأبواب الثلاثة، وعرف ما عليه المتسبون للإسلام، من تعظيم القبور، وبناء المساجد عليها، والطواف حولها، والذبح عندها، وبناء القباب عليها، فمن فهم هذه الأبواب وما تضمنته من: التحذير من اتخاذ القبور مساجد، والغلو فيها، والعكوف عندها، وعرف حال المسلمين؛ تبين له غربة الدين، وعلم من قدرة الله وتصريفه للقلوب العجب العجاب! وكيف استطاع الشيطان أن يلبس على جمهور المسلمين من العامة والخاصة، ويزين لهم الشرك المناقض لأصل الدين؛ فلا تعجب

(١) تقدم تخريجه في (ص٣٩٢).

إذا رأيت بعض المنتسبين للعلم في كثير من الأقطار الإسلامية، يزين للناس الغلو في هذه القبور، والتعلق بها، ويحسنون لهم دعاءها والاستغاثة بها، فيدعونهم إلى الشرك الأكبر[(١)]، ومَن عوفي فليحمد الله، ولهذا تظهر هذه النعمة العظيمة التي مَنّ الله بها على هذه البلاد وغيرها ممن انتفع بدعوة الإمام المجدد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١) ينظر: إغاثة اللهفان (١/ ٣٥٣-٣٥٩).

(٢٢)

باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد، وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] الآية.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا علي؛ فإنَّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم» رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات(١).

وعن علي بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أنه رأى رجلًا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها فيدعو؛ فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي، عن جدي، عن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا علي؛ فإنَّ تسليمكم يبلغني أين كنتم» رواه في «المختارة»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٨٨٠٤)، وأبو داود (٢٠٤٢)، وصححه ابن حجر في الفتح (٦/ ٤٨٨)، وحسنه ابن تيمية في الاقتضاء (٢/ ١٧٠).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧٥٤٢)، وأبو يعلى (٤٦٩)، والضياء في المختارة (٤٢٨). وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (٢٠).
وله شاهد مرسل عن سُهيل بن أبي سهيل: أخرجه سعيد بن منصور - فيما نقله عنه شيخ الإسلام في الاقتضاء (٢/ ١٧٢)-وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي (٣٠)، وعبد الرزاق (٦٧٢٦) عن الثوري، وابن أبي شيبة (٧٥٤٣)، و(١١٨١٨) عن أبي خالد الأحمر، كلاهما عن ابن عجلان، عن سهيل به =

الشرح

يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(باب ما جاء في حماية المصطفى)**: نبينا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **(جناب التوحيد)**: أي: باب ما جاء من الأدلة الدالة على أنَّ النبي ﷺ قد حمى جناب التوحيد، وجناب الشيء جانبه وهو ما يلي قاصده، والنبي ﷺ قد دعا إلى التوحيد، وأنذر من الشرك، وبين ما به تحقيق التوحيد وتكميله، ومن كمال نصحه ﷺ: حماية جناب التوحيد مما يقدح به أو ينقصه أو ينقضه، وحمايته مما يقرب من الشرك؛ فيكون جناب التوحيد في حمى لا يصل إليه ما يكدر صفوه، فالرسول ﷺ حمى جناب التوحيد، وسد كل طريق يوصل إلى الشرك، وهي: الوسائل المفضية إلى الوقوع في الشرك أو المقربة إليه من الأقوال والأفعال.

وقوله: (وسده كل طريق يوصل إلى الشرك): هذا من حمايته ﷺ لجناب التوحيد: أنَّ سد كل طريق يوصل إلى الشرك.

ومن قواعد الإسلام الثابتة: قاعدة سد الذرائع، فكل ما يتوصل به إلى الفساد فهو محظور، فلما حرم الله الشرك؛ حرم الوسائل المفضية إليه، ولما حرم الله قتل النفس إلا بالحق؛ حرم الوسائل المفضية إلى

= مختصرًا. قال الألباني في أحكام الجنائز (ص٢٨٠): «مرسل، إسناده قوي»، والحديث يحتمل التحسين بشواهده. قال شيخ الإسلام في الاقتضاء (٢/ ١٧٢): «فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث، لا سيما وقد احتج من أرسله به، وذلك يقتضي ثبوته عنده، ولو لم يكن رُوي من وجوه مسندة غير هذين؛ فكيف وقد تقدم مسندًا؟». وبنحوه قال ابن القيم في إغاثة اللهفان (١/ ٣٨٤). وينظر: تحذير الساجد (ص ١٢٧-١٢٩).

القتل، ولما حرم الزنا؛ حرم الوسائل المفضية إليه، وهذا من حكمة الله في شرعه، ولهذا قلنا: إنَّ بناء المساجد على القبور ليس بشرك لكنه وسيلة إلى الشرك، وقد يسميه بعض الناس شركًا أصغرًا، وكذلك العكوف عند القبور، والصلاة عندها أو الذبح لله عندها، كل ذلك من الوسائل المفضية إلى الشرك.

ومن شواهد هذه القاعدة: النهي عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها[(١)]؛ لأنَّ ذلك وسيلة إلى التشبه بالكفار، أو يكون وسيلة إلى مجاراة الكفار في شركهم وسجودهم للشمس[(٢)]، والمقصود أنَّ من قواعد الشريعة: سد الذرائع المفضية إلى الفساد.

ومن الأدلة على هذه الترجمة المتقدمة من القرآن قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]. في هذه الآية امتنان من الله على عباده بإرسال هذا الرسول، فهو رحمة الله للعالمين؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء]. فإرساله رحمة من الله لأهل الأرض كلهم، لكن مَن آمن به سعد وفاز بهذه المنة، ومَن لم يقبل هدى الله خاب وخسر وأضاع هذه النعمة بسبب تفريطه.

---

(١) وهذا من الأحاديث المتواترة وورد عن جماعة من الصحابة يزيدون على العشرين. ينظر: نظم المتناثر (٨٣).

(٢) كما في مسلم (٨٣٢) عن عمرو بن عبسة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس، حتى ترتفع، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار.... ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس، فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار**».

وقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ وهو محمد ﷺ ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: يعني: من بعضكم تعرفون نسبه وصفته ومدخله ومخرجه وصدقه، وأمانته ﷺ؛ فليس ملكًا لا تعرفون طبيعته؛ بل بشرًا مثلكم تستطيعون الأخذ عنه ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾: يعني: يشق عليه عنتكم، ويشق عليه ما يشق عليكم، وكم ترك النبي ﷺ من أعمال، ومن أمور؛ خشية المشقة على أمته! كقوله ﷺ: «**لولا أن أشقَّ على أمتي لأمرتهم بالصلاة هذه الساعة**»(١)؛ يعني صلاة العشاء في آخر ثلث الليل الأول؛ ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾: أي: حريص على هدايتكم، فهذا ما يهمه أولًا وقبل كل شيء: هداية الخلق؛ ولهذا من كمال حرصه: أنه كان يحزن ويتحسر على إعراض قومه عنه؛ فيقول الله له مسليًا ومؤدبًا: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٨﴾ [فاطر]. وقال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤﴾ [الشعراء].

﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة]، كما قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٨٨﴾ [الحجر]. فهو رحيم بالمؤمنين حفي بهم، وإذا كان أصحابه رحماء بينهم، فهو أرحم بهم من بعضهم ببعض.

وبعد أن ذكر هذه المنَّةَ العظيمةَ أتبعَ ذلك بتهديد المتولِّين المُعرضين عن دعوة هذا النبي الكريم، الناصح الرؤوف الرحيم بالمؤمنين؛ فقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٣٩) -واللفظ له-، ومسلم (٦٤٢) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ [التوبة]. المعنى: الله حسبي، وهو يكفيني؛ فوجه نبيه إلى أن يتوكل على ربه.

فتبين من الآية المسوقة في الباب مطابقتها للترجمة التي عقدها الشيخ؛ فمن هذا شأنه: سوف لا يترك شيئًا يقرب العباد من الجنة إلا بيّنه ورغب فيه وحث عليه، ولا يترك شيئًا يقربهم إلى النار إلا بينه ونفر عنه وحذر منه على حد قوله ﷺ: «**إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم**»[1].

ثم قال الشيخ:

(عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا علي؛ فإنَّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم» رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات).

قوله ﷺ: («**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا**»): يعني: لا تجعلوها كالمقابر؛ بترك الصلاة فيها، والقراءة والدعاء؛ فتكون بمنزلة القبور[2]؛ بل اعمروا بيوتكم بالعبادة، ولا تجعلوها كالمقابر؛ فالمقابر ليست موضعًا للعبادة، فلا يصلى فيها، ولا يتحرى عندها الدعاء.

والمقصود الترغيب في عمارة البيوت بالذكر والصلاة، والدعاء وتلاوة القرآن حتى لا تكون قبورًا؛ فالبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن، ولا يصلى فيه بمنزلة المقبرة وأهله أموات.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) ينظر: شرح المشكاة للطيبي (٣/ ١٠٤٣)، واقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٧٢).

(**«ولا تجعلوا قبري عيدًا»**): يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد، عائد: إما بعود السنة، أو بعود الأسبوع، أو الشهر، أو نحو ذلك...» إلى آخره[(١)]، والمعنى: لا تجعلوا قبري عيدًا ترددوا إليه في أوقات معلومة.

(**«وصلوا علي؛ فإنَّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم»**): يعني: لا تأتوا إلى قبري وتجعلوه عيدًا تترددون عليه من أجل الصلاة والسلام علي؛ فإنَّ صلاتكم في أي مكان أبلغها، فالصلاة والسلام عليه ﷺ أمر ميسر، فالمسلم يُسلم على النبي ﷺ وهو بعيد عن قبره ومسجده، أو قريب يصلي عليه ويسلم عليه حيث كان، وفي الحديث الآخر: «**أكثروا الصلاة علي، فإنَّ الله وكل بي ملكًا عند قبري، فإذا صلى علي رجل من أمتي، قال لي ذلك الملك: يا محمد، إنَّ فلان بن فلان صلى عليك الساعة**»[(٢)].

فالمسلم يصلي ويسلم على النبي في كل صلاة؛ بقوله: «**السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته**»[(٣)] ويقول: «**اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد**

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٩٦).

(٢) أخرجه الديلمي -كما في اللآلئ المصنوعة (١/ ٢٦٠)- عن أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.
قال السخاوي في القول البديع (ص١٦١)، (ص١١٨-١٢٠): «أخرجه الديلمي وفي سنده ضَعْفٌ»، وذكر له شاهدًا من حديث عمار بن ياسر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بنحوه، أخرجه البزار (١٤٢٥)، والحديث حسنه الألباني في الصحيحة (١٥٣٠) بهذا الشاهد وغيره مما في معناه.

(٣) أخرجه البخاري (٨١٣)، (٦٢٣٠)، و(مسلم) (٤٠٢) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»[١]، فقد جاء بألفاظ متنوعة[٢]، فالمسلم يسلم ويصلي على الرسول في كل صلاة أكثر من مرة، وذلك في التشهد الأول والتشهد الثاني.

إذن؛ التردد على قبره ﷺ ليس بمشروع؛ ولهذا لم يكن من عمل الصحابة، فليس كلما جاؤوا للصلاة في مسجده يأتون لقبره؛ ليصلوا ويسلموا عليه؛ بل إنهم يصلون ويسلمون عليه عند دخولهم المسجد[٣]، وإذا صلوا فلم يكن الصحابة الذين هم أعظم إكرامًا وتعظيمًا لنبينا ﷺ يفعلون ذلك، وإنما ورد عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه إذا قدم من سفر يأتي إلى باب الحجرة فيسلم: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا عمر ويمضي[٤]، وليس هناك أدعية مخصوصة

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ: البخاري (٣٣٧٠)، من حديث كعب بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قد جاءت صيغ كثيرة في الصلاة عليه ﷺ، حتى جمعها بعض المتقدمين فبلغت ثمانيًا وأربعين كيفية؛ منها عن النبي ﷺ ست وثلاثون، والباقي عن الصحابة والتابعين، وقد أورد منها صديق حسن خان نحو ثلاثين كيفية، كلها مرفوعة إلا واحدة، وخرَّج الألباني سبعة منها. ينظر: نزل الأبرار لصديق حسن خان (ص١٦٧-١٧١)، وأصل صفة الصلاة للألباني (٣/ ٩١٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٧٧٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه ابن خزيمة (٤٥٢)، وابن حبان (٢٠٤٧).
وأخرجه أبو داود (٤٦٥) وابن ماجه (٧٧٢) وابن حبان (٢٠٤٨) -وصححه- عن أبي حميد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه بشواهده ابن حجر كما في الفتوحات الربانية لابن علّان (٢/ ٤٥).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١١٧٩٣)، وإسماعيل بن إسحاق في فضل الصلاة على النبي (٩٩)، (١٠٠) وصححه الألباني.

يدعى بها عند الزيارة، فهذا هو الأصل في زيارة قبره ﷺ، هو من فعل ابن عمر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: كل ما ورد من الأحاديث في زيارة قبره ﷺ؛ فهي أحاديث مردودة: إما ضعيفة أو موضوعة[١].

(وعن علي بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أنه رأى رجلًا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها فيدعو؛ فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي، عن جدي، عن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا علي؛ فإنَّ تسليمكم يبلغني أين كنتم» رواه في «المختارة»).

هذا الحديث الذي يرويه علي زين العابدين ابن الحسين عن أبيه الحسين -سبط رسول الله ﷺ وريحانته- عن جده علي، أنَّ النبي ﷺ قال: (**«لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا علي؛ فإنَّ تسليمكم يبلغني أين كنتم»**)، هذا الحديث مطابق في معناه للحديث المتقدم، وقد رواه الضياء المقدسي في كتابه المسمى بـ«المختارة»، التي قال عنها شيخ الإسلام ابن تيمية: إنَّ تصحيح الضياء في المختارة خير من تصحيح الحاكم[٢]، فما يكون في «المختارة» الغالب عليها الصحة.

يقول علي بن الحسين: (**أنه رأى رجلًا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها فيدعو؛ فنهاه**)، وحدثه. هكذا ينبغي للمسلم

---

(١) ينظر: الرد على الإخنائي (ص١٤٤)، (ص٢٥٣)، (ص٤٤٨)، وقاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق (ص٨١).

(٢) ينظر: الرد على الإخنائي (ص٢٦٤).

أن ينكر المنكر، ويقيم الدليل على حكم ذلك العمل المنكر، فهو نهاه وذكر له الدليل الموجب لنهيه.

فدل الحديثان على مسائل:

الأولى: النهي عن اتخاذ القبور مساجد.

والثانية: النهي عن جعل البيوت قبورًا بترك العبادة فيها.

والثالثة: النهي عن اتخاذ قبره ﷺ عيدًا.

والرابعة: بيان أنَّ الصلاة والسلام عليه ﷺ من بعد؛ كالصلاة والسلام عليه من قرب؛ ولهذا يقول الحسن بن الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1] لما رأى رجلًا يجيء إلى قبر النبي ﷺ ليصلي ويسلم عليه؛ فدعاه وذكر له الحديث، ثم قال له: ما أنت ومَن بالأندلس إلا سواء[2].

فهاتان قصتان تضمنتا النهي عن قصد قبره ﷺ للدعاء عنده أو للصلاة والسلام عليه، ثم الاستدلال بالحديث إحداهما عن علي بن الحسين، والأخرى عن حسن بن الحسن بن علي؛ قال شيخ الإسلام معلقًا على هاتين القصتين، وتضمنهما للحديث؛ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فانظر هذه السنة

---

(١) الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أبو محمد المدني، الهاشمي العلوي، روى عن أبيه وعبد الله بن جعفر وغيرهما، وعنه أولاده إبراهيم وعبد الله والحسن وجماعة، توفي سنة (٩٧هـ). ينظر: تاريخ دمشق (١٣/ ٦١)، والوافي بالوفيات (١١/ ٣١٨).

(٢) رواه بنحوه: سعيد بن منصور كما في الاقتضاء (١/ ٣٣٨)، والرد على الإخنائي (ص٢٦٧) وهو عند إسماعيل بن إسحاق القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (رقم ٣٠) ولم يذكر هذه الزيادة.

كيف مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت، الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب، وقرب الدار، لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم فكانوا لها أضبط»(١).

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية «براءة»).

تقدم بيان ما تدل عليه.

(الثانية: إبعاده أمته عن هذا الحِمى غاية البعد).

أي: إبعاده أمته عن الوقوع فيما يقدح في التوحيد أو ينقضه؛ فكمال حرصه على هداية العباد تقتضي أن يصون النبي ﷺ أمته عن الوقوع في الشرك.

(الثالثة: ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته).

أخذًا من قوله تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]؛ فهذه فائدة عظيمة: أنَّ من صفات نبينا ﷺ: الرأفة والرحمة بالمؤمنين، والحرص على هداية العالمين ﷺ.

(الرابعة: نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص، مع أنَّ زيارته من أفضل الأعمال).

أي: على وجه الزيارة المرتبة التي تعود وتتكرر بعود الأسبوع أو الشهر؛ وهذا بالنسبة لأهل المدينة، أما شد الرحل لزيارة القبر فلا

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٧٦).

يجوز[(١)]؛ لقوله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**»[(٢)]، لكن مَن زار مسجده فيمكنه أن يزور قبره ﷺ، فهذا معنى **قول الشيخ: (نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص)**.

وقول الشيخ: (مع أنَّ زيارته من أفضل الأعمال): في هذا نظر، ولشيخ الإسلام كلام مستفيض في أنَّ زيارة قبره لم يصح فيها حديث واحد عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[(٣)]، ولم يكن الصحابة يرتادون قبره مترددين عليه، وإنما الذي كان يفعل ذلك ابن عمر إذا أراد سفرًا أو قدم من سفر، كما تقدمت الإشارة إلى هذا، فالقول بأنَّ زيارته من أفضل الأعمال: يحتاج إلى دليل ولا دليل والله أعلم[(٤)].

والمقصود: أنَّ الصلاة والسلام عليه من أفضل الأعمال؛ فقد أمر الله بذلك في كتابه، ورغب فيه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بقوله: «**مَن صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرًا**»[(٥)].

---

(١) ينظر: الرد على الإخنائي (ص١١٤) وما بعدها، ومجموع الفتاوى (٢٧/ ٢٦-٢٨، ٣٢-٣٤)، (٢٧/ ١٨٣-١٩٣)، (٢٧/ ٣٤٢-٣٤٣).

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٨٥٠) بهذا اللفظ، وبنحوه: البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) ينظر هامش (ص٤٣٦).

(٤) ولشيخنا فتوى محررة في الموقع الرسمي بعنوان: «هل زيارة قبر الرسول ﷺ الآن ممكنة أم متعذرة؟».

(٥) أخرجه مسلم (٣٨٤). من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(الخامسة: نهيه عن الإكثار من الزيارة).

لقوله: «**ولا تجعلوا قبري عيدًا**»؛ لأنَّ اتخاذه عيدًا يتضمن كثرة التردد.

(السادسة: حثه على النافلة في البيت).

من قوله: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا**»، وفي الحديث الآخر: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إنَّ الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**»[(١)] يعني: يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة.

(السابعة: أنه متقرر عندهم: أنه لا يصلى في المقبرة).

لأنه قال لهم: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا**»، فلولا أنَّ ذلك متقرر عندهم لما حسن التشبيه؛ ففهموا عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما قال؛ لأنَّ المقابر كان معلومًا عند الصحابة أنها ليست موضعًا للعبادة.

(الثامنة: تعليله ذلك: بأنَّ صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد، فلا حاجة إلى ما يتوهمه مَن أراد القرْب[(٢)]).

علل قوله: **(لا تتخذوا قبري عيدًا)** بقوله: **(وصلوا علي؛ فإنَّ تسليمكم يبلغني أين كنتم)**، وهذا يوجب ألا يكثر الترداد على القبر، وصلاة المسلم وسلامه على النبي ﷺ يبلغه، وإن بعد المكان، فتبين أنَّ زيارته والوقوف عند القبر ليس فيه ما يشرع عند القبر خاصة؛ بل لا يشرع فيه إلا ما يشرع في سائر الأمكنة، فالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ الذي يدعو به الزائرون، مشروع للبعيد والقريب.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٨٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) في بعض النسخ: (القبر) أو (التقرب) بدل (القُرب).

وقوله: **(فلا حاجة إلى ما يتوهمه مَن أراد القرب)**: أي: من الصلاة والسلام عند قبره.

إذن؛ فصل وسلم على نبيك ﷺ في أي مكان كنت.

(التاسعة: كونه ﷺ في البرزخ تعرض عليه أعمال أمته من الصلاة والسلام عليه).

هذه خصيصة له وفضيلة: أنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تعرض عليه صلاتنا، ويُبلَّغ صلاتنا وسلامنا عليه ﷺ، وهذا من أمور الغيب التي لا نعلم كنهها، لكن علينا أن نؤمن بها، فنؤمن بكل ما أخبر به النبي ﷺ ونقف، ونمسك عن الخوض فيما لا علم لنا به؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء].

◆◈◈◈◆

(٢٣)

باب ما جاء أنَّ بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة] الآية.

وقوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [الكهف].

عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لتتبعنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم حَذو القُذَّةِ بالقُذَّة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»، قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟) أخرجاه[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩) وليس فيهما: «**حذْوَ القُذَّة بالقُذَّة**»، والذي في الصحيحين - والسياق لمسلم -: «**لتتبعن سنن الذين من قبلكم، شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا في جحر ضبٍّ لاتبعتموهم**» قلنا: يا رسول الله آليهود والنصارى؟ قال: «**فمن**». وعزو المصنف للصحيحين أراد أصله لا لفظه ولعله صادر عن اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٧٩)، (١/ ١٦٩). والجملة الأولى: أخرجها أحمد (١٧١٣٥) عن شداد بن أوس عن رسول الله ﷺ: «**ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من قبلهم أهل الكتاب حذو القذة بالقذة**». وحسَّنه بشواهده الألباني في الصحيحة (٣٣١٢).

ولمسلم: عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإنَّ أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة[١]، وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإنَّ ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة[٢]، وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم؛ فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم مَن بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا»[٣].

ورواه البرقاني في صحيحه[٤] وزاد: «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا

(١) في أصل نسخة دغش في هذا الموضع (بعامة) وأشار لنسخ بلفظ (عامة)، وينظر التعليق التالي.

(٢) هذا الذي رجحه شيخنا حفظه الله، وفي بعض النسخ (بسنة بعامة) كما هو في أصل صحيح مسلم وفي حاشية الطبعة التركية -ط العامرة- (١/ ١٧١) أشاروا لنسخة: (بسنة عامة).

(٣) برقم (٢٨٨٩).

(٤) لم نجد له كتابًا باسم «الصحيح» وإنما الذي أشارت إليه المصادر أن له مسندًا ضمَّنه ما اشتمل عليه صحيح البخاري ومسلم لا يزال مخطوطًا. ينظر: تاريخ بغداد (٦/ ٢٧)، وكشف الظنون (٢/ ١٦٨٢).

خاتم النبيين، لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم مَن خذلهم حتى يأتي أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى»[1].

الشَّرْح

يقول الشيخ الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(باب ما جاء أنَّ بعض هذه الأمة يعبد الأوثان)**، تقدم أنَّ الوثن كل ما عبد من دون الله؛ من شجر أو حجر أو قبر أو مغارة أو صنم[2]، فالصنم وثن، فبينهما عموم وخصوص، فكل صنم مصور يعبد من دون الله فهو وثن، وليس كل وثن صنمًا؛ فالقبر لا يقال له: صنم.

والمعنى: هذا باب ذكر ما جاء من الأدلة القرآنية والحديثية الدالة على أنَّ بعض هذه الأمة يعبد الأوثان، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قصد بهذه الترجمة الرد على مَن يدعي لهذه الأمة العصمة من الشرك؛ فيزعم بأنَّ هذه الأمة معصومة من الشرك؛ ليتوصل بذلك إلى أنَّ ما يفعله القبوريون ليس بشرك، وما يفعلونه عند الأضرحة من الاستغاثة بالأموات؛ بل وما يكون من دعاء غير الله، سواء كان المدعو ملكًا أو نبيًا أو صالحًا أو صنمًا أو شجرًا أو حجرًا ليس شركًا![3].

---

(١) وأخرج هذه الزيادة أيضا: الإمام أحمد (٢٢٣٩٥)، وأبو داود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢) وصححها ابن حبان (٧٢٣٨)، والحاكم (٨٣٩٠).

(٢) تنظر: (ص٢٥١)، (ص٢٦٧)، (ص٤٢٣).

(٣) ينظر: التيسير (١/ ٦٤٥).

قولـه تعالـى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء].

جاء في سبب نزول هذه الآية؛ أنَّ وفدًا من اليهود جاؤوا إلى المشركين بمكة، يحرضونهم على قتال النبي ﷺ، فسألهم المشركون: أينا أهدى وأينا خير، نحن أم محمد؟ نحن الذين ننحر الكوماء، يعني: نذبح الإبل عظيمة السنام، ونحن الذين نحمي الديار ونكرم الجوار، ونكرم الضيف وما إلى ذلك، أم محمد الذي قطع رحمه، وفرق بين الناس؟! فقال لهم اليهود الخبثاء وعلى رأسهم حيي بن الأخطب وكعب بن الأشرف، وهما طاغوتان من طواغيت اليهود، وكلاهما أهلكهما الله وقتلهما على أيدي أوليائه، فقالوا: لا بل أنتم خير، أنتم أهدى من محمد، وهم والله يعلمون أنَّ محمدًا خير، وأنه أهدى سبيلًا[(١)].

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ هذا أسلوب يقول عنه أهل العلم: أسلوب التعجيب، أي: هل رأيت الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب؟! والمراد بهم في هذه الآية اليهود، فقد أوتوا التوراة.

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ الجبت قيل: إنه السحر، وقيل: هو الشرك، وقيل: الشيطان، وقيل: حيي بن أخطب، وقيل: كعب بن الأشرف[(٢)]، وكلها أقوال صحيحة، فإنَّ الجبت كما يقول أهل اللغة:

---

(١) ينظر: أسباب النزول (ص١٥٥-١٥٧)، والعُجاب في بيان الأسباب (٢/ ٨٨٥).
(٢) ينظر: تفسير الطبري (٧/ ١٣٤)، وزاد المسير (١/ ٤١٩).

تدل على الشيء الرديء الذي لا خير فيه(١)، وهذا المعنى صادق على كل ما ذكر، والطاغوت من الطغيان، وهو ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع(٢)، فكل ما عبد من دون الله فهو طاغوت، ورؤوس الطواغيت كما يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب خمسة: «الطواغيت كثيرون ورؤوسهم خمسة: إبليس...» هذا هو رأس الطواغيت الداعي إلى كل باطل وكل ضلال وفساد «ومَن عُبد وهو راض، ومَن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومَن حكم بغير ما أنزل الله، ومَن ادعى علم الغيب»(٣) هذه أبرز أنواع الطواغيت.

﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يقول هؤلاء اليهود الذين يؤمنون بالجبت والطاغوت للكفار المشركين من أهل مكة من قريش، ومَن على شاكلتهم، ﴿هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾، يعنون المشركين أهدى من الذين آمنوا، وهم النبي ﷺ ومَن معه، والشاهد من الآية قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾، كما سيأتي.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠]؛ المراد من هذه الآية هم الذين عاقبهم الله بألوان العقوبات.

﴿قُلْ﴾ -أيها النبي-: هل أنبأكم بشر من ذلكم؟ ﴿مَثُوبَةً﴾: أي جزاء، والغالب أن يطلق الثواب على جزاء الخير، ولكنه قد يطلق على الجزاء

(١) قال قُطْرُب: الجبت عِند العرب الجبس وهو الذي لا خير عنده. الفائق (٢/ ٣٧٢) وينظر: تاج العروس (٤/ ٤٨٠).
(٢) ينظر: إعلام الموقعين (٢/ ٩٢).
(٣) ينظر: الأصول الثلاثة بشرح شيخنا (ص٤٨-٤٩).

بالشر والعذاب والعقوبة؛ كما قال تعالى: ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين][(١)].

وقوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠]، هؤلاء الذين جمع الله عليهم ألوانًا من العقوبات، هم اليهود؛ ولهذا عرفوا بالأمة الغضبية، وهم المغضوب عليهم في سورة الفاتحة[(٢)]، فهذه العقوبات شر مثوبة.

وقوله: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾: أي: ومَن عبد الطاغوت، وهذا هو الشاهد من الآية.

والآية الثالثة: قوله تعالى في قصة أصحاب الكهف: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [الكهف]: أي: قال الذين أخذوا برأيهم: لنتخذن عليهم مسجدًا، وهذه عادة اليهود والنصارى لا سيما النصارى، إذا مات فيهم الرجل الصالح، أو العبد الصالح؛ بنوا على قبره مسجدًا، فهؤلاء على هذا المنهج؛ لاحظوا في هؤلاء الشبان الصلاح والعبادة، ورأوا أنهم أولياء لله وهم كذلك؛ فاتفقوا أن يبنوا عليهم مسجدًا، وهذا ما لعن النبي ﷺ مَن فعله -كما تقدم-[(٣)].

ولقائل أن يقول بعد هذه الآيات: ما وجه الاستدلال بهذه الآيات على أنَّ بعض هذه الأمة يعبد الأوثان؟ فهذه الآيات كلها في الأمم

---

(١) ينظر: المفردات (ص١٨٠).

(٢) أخرجه أحمد (١٩٣٨١)، والترمذي (٢٩٥٣)، (٢٩٥٤)، عن عدي بن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه ابن حبان (٧٢٠٦)، وابن تيمية في درء التعارض (١/ ١٦٦). وله طرق تنظر في الصحيحة (٣٢٦٣).

(٣) تنظر (ص٣٩١).

الماضية؛ فلماذا أوردها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مستدلًا بها على أنَّ بعض هذه الأمة يعبد الأوثان؟

والجواب: أنَّ الاستدلال بهذه الآيات على أنَّ بعض هذه الأمة يعبد الأوثان لا يتم إلا بضم حديث أبي سعيد إليها[١]، فالدليل هو مجموع الآيات مع الحديث، فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لتتبعن**»: اللام هي لام القسم، فالمعنى: والله لتتبعن، فهو خبر مؤكد بالقسم، والخطاب لهذه الأمة. «**سنن مَن كان قبلكم**» السنن: الطريق، والسنن: الطرق -كما تقدم- في قول الرسول ﷺ: «**الله أكبر إنها السنن**»[٢].

إذن؛ فهذا الحديث فيه: أنَّ هذه الأمة تتبع طرائق الأمم الماضية؛ فكل ما كان في الأمم الماضية؛ فلا بد أن يكون في هذه الأمة ما هو من جنس أفعالهم، وأكد النبي ﷺ ذلك بقوله: «**حذو القذة بالقذة**»: يعني: تتبعونهم مساوين لهم سواء، كما تساوي القذة القذة، والقذة -بضم القاف- واحدة القذذ، وهي ريش السهم[٣]، فالسهم الذي كان آلة للرمي، له أدوات تسمى: ريش السهم، ومن شأنها أن تكون متساوية ومتقابلة ومتحاذية، وفي بعض الروايات: «**حذو النعل بالنعل**»[٤]: يعني: مثل أنَّ

(١) ينظر: حاشية ابن القاسم (ص١٧٧)، والقول المفيد (١/ ٤٥٦).
(٢) جزء من حديث ذات أنواط. تقدم تخريجه في (ص٢١٣).
(٣) ينظر: النهاية (٤/ ٢٨).
(٤) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، والطبراني في الكبير (١٣/ ٣٠ رقم ٦٢)، والحاكم (٤٤٤) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا مرفوعًا. وهذا جزء من حديث الافتراق، وسيأتي بتمامه في (ص٤٦٥).
=

النعل تكون مساوية للنعل الأخرى؛ فالذي يصنع الحذاء يطبق زوج النعل الاثنتين؛ لتكونا متساويتين.

ويؤكد الرسول ﷺ هذه التبعية، وشمولها لكل شيء؛ فيقول: «**حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**»: أي: لدخله أحد منكم، وهذا لم يكن، ولا يكون! فدخول إنسان جحر ضب ليس في العادة، ولا يسع جحر الضب الإنسان! لكن هذا يذكر على سبيل الفرض؛ لتأكيد كمال الإتباع[١]، وفي بعض روايات هذه الأحاديث: «**حتى إن كان منهم مَن أتى أمه علانية لكان في أمتي مَن يصنع ذلك**»[٢].

فكل ما أخبر الله به ورسوله من أحوال الأمم الماضية لا بد أن يكون في هذه الأمة، فإذا كان في الأمم الماضية: مَن عبد الشيطان، ومَن عبد الأصنام، ومَن آمن بالسحر، وبالطاغوت فلا بد أن يكون في هذه الأمة، وإذا كان في الأمم الماضية: مَن بنى المساجد على قبور الأنبياء والصالحين؛ فلا بد أن يكون في هذه الأمة مَن يفعل ذلك، ويستثنى من ذلك قبر النبي

= وموضع الشاهد له شواهد، منها: ما أخرجه أحمد (٢٢٨٧٨)، والطبراني (٦/ ٢٠٤ رقم ٦٠١٧) -واللفظ له- عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقد جزم بنسبته إلى النبي ﷺ ابن عبد البر في التمهيد (٥/ ٤٥)، وكأنه لشواهده. وينظر: الصحيحة (٣٣١٢).

(١) ينظر: شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢١٩-٢٢٠)، وفتح الباري (١٣/ ٣٠١).

(٢) تقدم تخريجه وهو تمام رواية الترمذي السابقة، ولموضع الشاهدِ شواهد، منها: ما أخرجه ابن نصر المروزي في السنة (٤٣)، والبزار كما في كشف الأستار (٣٢٨٥)، والدولابي في الكنى (١٢٧٢)، والحاكم (٨٤٠٤) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بنحوه. ورواه الحاكم بلفظ (زوجته) ووقع في كل المصادر التي تقدم عزو الحديث إليها (أمه) وهو الصواب.
وصححه الحاكم (٨٤٠٤)، والألباني في الصحيحة (١٣٤٨).

ﷺ، فلم يبنى عليه مسجد، ولعل ذلك أثر دعائه ﷺ في حديث: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**»: كما تقدم[(١)]، وحتى بعد توسعة المسجد وإحاطته ببيته؛ فقبره في بيته، وليس في المسجد -كما تقدم- التنبيه على ذلك، فإذا ثبت بقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾ [الكهف]؛ أنَّ أولئك عزموا على أن يتخذوا على كهف أصحاب الكهف مسجدًا؛ فلا بد أن يكون في هذه الأمة مَن يبني المساجد على قبور الصالحين كما يشهد به الواقع، وحصول ذلك في الأمم الماضية كما دل عليه القرآن، دلت عليه السنة الصحيحة، كما في حديث عائشة المتقدم: «**أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح، أو الرجل الصالح، بنوا على قبره مسجدًا**»[(٢)]، وكذلك قوله ﷺ: «**لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[(٣)].

قوله: (قالوا:): أي: الصحابة المخاطَبون: (**«يا رسول الله: اليهود والنصارى؟»**): أي: الذين قبلنا هم اليهود والنصارى؟ فهو خبر لمبتدأ محذوف، ويجوز أن تقول اليهود والنصارى بالنصب على أنه مفعول به لفعل محذوف تقديره تعني اليهود والنصارى؟[(٤)].

(قال: «فمن؟»): استفهام إنكار، أي: فمن هم غير أولئك، وبهذا يتضح ما ترجم به الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(باب ما جاء أنَّ بعض هذه الأمة**

(١) تقدم تخريجه في (ص٤١٥).
(٢) تقدم تخريجه في (ص٣٩١).
(٣) تقدم تخريجه في (ص٣٩١).
(٤) ينظر: لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٥٥٩).

يعبد الأوثان): وهذه الآيات وأمثالها مما يدل على ما وقع في الأمم الماضية من الشرك؛ مع هذا الحديث المتضمن أنَّ هذه الأمة تتبع الأمم الماضية، وتفعل فعلها مما يتعلق بالشرك وغير الشرك حتى فتنة النساء، قال فيها الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**فاتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإنَّ أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»(١)، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**»(٢). فكل ما أخبر الله به عن أهل الكتاب من الشرك والمعاصي؛ كأخذ الرشوة، وترك النهي عن المنكر، والحسد والتفرق، وفتنة النساء، لا بد أن يقع في الأمة مثله.

(ولمسلم عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أنَّ رسول الله** ﷺ **قال: «إنَّ الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإنَّ أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإنَّ ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم؛ فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم مَن بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا»)**.

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ولمسلم)**: أي: وروى مسلم عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو من موالي النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٥٠٩٦) -واللفظ له-، ومسلم (٢٧٤٠) من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله: («إنَّ الله زوى لي الأرض»): يعني: جمعها وقربها، فالزوي: الجمع والتقريب[(١)].

(«فرأيت مشارقها ومغاربها»): يعني: رأى أقطار الأرض من جهتي المشرق والمغرب.

ثم قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **(«وإنَّ أمتي»)**: المراد أمة الإجابة؛ الذين شهدوا أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله.

(«سيبلغ ملكها ما زوي لي منها»): يعني: أمة محمد ﷺ، سيمتد ملكها إلى أقصى المشرق والمغرب، مما زوي للنبي ﷺ، ولم يقل: شمالها وجنوبها؛ بل قال: **«مشارقها ومغاربها»**: فعلم أنَّ ما زوي له منها: إنما هو المشرق والمغرب[(٢)]، وهذا هو العمران في الأرض، يمتد شرقًا وغربًا، ويتقلص العمران شمالًا وجنوبًا، فلا يتمادى كما يتمادى في المشرق والمغرب، وقد امتد ملك هذه الأمة إلى أقصى المغرب، يعني إلى حدود المحيط الغربي؛ المعروف بالأطلسي، ويذكر العلماء أنه إلى طنجة من بلاد المغرب، وكذلك في المشرق تمادى ملك المسلمين حتى وصل الهند والسند، فامتد في الشرق والغرب[(٣)]، أما الإسلام فإنه قد وصل إلى كل الأرض، فملك المسلمين أخص من وصول الإسلام؛ فالإسلام لا يقف عند حدود ملك هذه الأمة؛ بل الإسلام وصل إلى أقطار الدنيا، وإلى سائر البلاد ولا سيما في هذا

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٢٠).
(٢) ينظر: الجواب الصحيح (١/ ١٦٤-١٦٥).
(٣) ينظر: إكمال المعلم (٨/ ٤٢٥)، والمفهم (٧/ ٢١٧).

العصر؛ بسبب ما فتح الله وما قدر من وسائل البلاغ، فوسائل الإعلام والاتصال والمواصلات يسرت أن يصل صدى الإسلام إلى كل مكان، وإن كانت وسائل الإعلام عند المسلمين لم تقم بالواجب عليها إلا يسيرًا جدًّا، فإنَّ أكثر تلك الوسائل تهدم ولا تبني، وتبث الفساد العريض والشر المستطير، فوسائل الإعلام -كما يقال-: ذات حدين، ولكن القوة والتأثير الواسع لبرامج الشر المتنوعة.

ثم قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**وإنَّ أمتي سيبلغ ملكها ما زَوى لي منها**»: أو ما زُوي فيصح الوجهان بالبناء للفاعل أو المفعول، ويترجح أنه مبني للفاعل لقوله في أول الحديث: «**إنَّ الله زوى لي الأرض**»[1].

ثم قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض**»: المراد: ملك فارس والروم وكنوزهم.

والمعنى: وعدني الله الكنزين الأحمر والأبيض، وهذا قد حصل لأمته من بعده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فقد استولى المسلمون على المملكتين العظيمتين، وقوضوا تينك الدولتين: دولة فارس والروم، فدخلت بلاد فارس وبلاد الروم في مملكة المسلمين، ودخل كثير من شعوب تلك البلدان في الإسلام.

وقد تم هذا في عهد الخليفة الراشد، ثاني الخلفاء الراشدين، عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأعظم الفتوحات كانت في عهده، وما كان للأمة فهو للنبي ﷺ، وهذا العطاء تحقق بإعطاء ذلك لأمته ﷺ.

---

(١) ينظر: التيسير (١/ ٦٥٨).

قال العلماء الأحمر هو كنز قيصر؛ لأنَّ غالب مالهم الذهب، والأبيض كنز كسرى؛ لأنَّ غالب مالهم الفضة[(١)]، وقد أتي لعمر بن الخطاب بكنوز كسرى وتاجه؛ فأنفقها وقسمها بين المسلمين، وأنفقها في سبيل الله، وكما جاء في بعض الروايات: «**لَتُنفقن كنوزهما في سبيل الله**»[(٢)]، وقد غنمهما المسلمون، وأنفقوهما في سبيل الله.

(**«وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة»**): أي: بقحط وجدب؛ وذلك بقلة الأمطار، فإنها تنضب الموارد، وتهلك الأموال، ويهلك الناس، وقوله: (عامة): روي بالباء وبدونها، ويحتمل أن تكون الباء زائدة، وهو أظهر[(٣)]؛ لأنَّ (عامة): صفة للسنة.

(**«وأن لا يسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم»**): أي: وسألت ربي ألا يسلط على أمتي عدوًّا أجنبيًّا عنهم؛ كدول اليهود والنصارى والوثنية.

(**«فيستبيح بيضتهم»**): أي: يستبيح بلادهم ويستولي عليها كلها، أو يستبيح بيضتهم يعني: معظمهم وجماعتهم، وهذا لا يكون، فيحصل تسلط من الكفار على المسلمين، ويستولون على بعض أراضيهم، أو كثير من أراضيهم، ولكنهم لا يستولون على جميع بلاد المسلمين، ولا يقدرون على أن يستأصلوا المسلمين ويبيدوهم حتى لو اجتمعت جميع دول الكفر، ليقضوا على المسلمين، ويمحوا الإسلام من الوجود، ما قدروا على ذلك، لهذا الحديث؛ فالإسلام محفوظ، والطائفة المنصورة باقية كما سيأتي في آخر هذا الحديث.

---

(١) ينظر: النهاية (١/ ١٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٢٠)، (٣٦١٨)، ومسلم (٢٩١٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) ينظر: المفهم (٧/ ٢١٧) وتقدم أنها في بعض النسخ بحذفها.

(«**وإنَّ ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد**»): أي: إذا قضى الله قضاء فلا مرد له، فحكمه نافذ لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ [الرعد: ١١]، وقال تعالى: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢﴾ [فاطر].

(«**وإني أعطيتك لأُمتك أن لا أهلكهم بسَنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم مَن بأقطارها**»)؛ هذا فيه أنَّ الله أجاب دعوة الرسول ﷺ.

(«**حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا**»): وقد وقع ذلك في الأمة كما أخبر النبي ﷺ، والمسلمون يؤتون في أكثر الأحيان من أنفسهم، فيقتتلون؛ ليس القتال الشرعي، لكن قتال البغي والأهواء والمطامع! فإذا اقتتلت طائفتان من المسلمين وجب الإصلاح بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى وجب قتالها، والمقصود بالذم؛ هو قتال الفتن الذي يقوم على الشبهات والأهواء والمطامع، وهذا كثير في هذه الأمة؛ كالقتال الذي يكون على الملك، والقتال الذي يكون على الأهواء والأطماع؛ يعني بسبب الأهواء والبدع، حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا بالقتال والتشريد، ويسبي بعضهم بعضًا.

وابتلاء المسلمين بعضهم ببعض لله في ذلك حكم بالغة؛ كتمحيص ذنوب المظلومين، ورفع لدرجات الصابرين، وإظهار لفضل المجتنبين لهذه الفتن؛ فإنه إذا كانت فتن وحروب بين المسلمين لم يتبين فيها وجه

الصواب، ولا يعلم فيها المحق من المبطل؛ فإنه يجب اجتنابها، وكذلك إذا تبين أنه لا وجه للقتال، وأنَّ الحكمة بترك القتال؛ كما فعل أكابر الصحابة في الحروب التي جرت في وقتهم بين علي وأهل الشام، فإنهم اجتنبوها؛ لأنهم رأوا أنَّ القتال ليس فيه مصلحة، وإن تأول مَن تأول فيه، واجتهد مَن اجتهد.

وحديث ثوبان ليس فيه شاهد للباب، وإنما الشاهد في رواية البرقاني، لكن الشيخ رأى أن يذكر الحديث بكامله؛ لما فيه من الفوائد العظيمة.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (**ورواه البرقاني في صحيحه وزاد: «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى يعبد فئام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم مَن خذلهم حتى يأتي أمر الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»).

(**ورواه البرقاني في صحيحه**): يعني: روى حديث ثوبان الذي تقدم الكلام عليه، وقد سبق أنه روى اللفظ المتقدم: مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ورواه البرقاني في صحيحه أيضًا، والبرقاني: أحد الأئمة الأعلام، ومن أصحاب التصانيف الموصوفين بالفقه والعبادة ورواية الحديث، وهو من أئمة وعلماء القرن الرابع وأول الخامس؛ فقد توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عام خمس وعشرين وأربع مئة[1].

(١) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب البَرقاني ولد سنة (٣٣٦هـ)، ورحل في طلب العلم، وجمع الكتب، كان عالمًا بالقرآن عارفًا بالفقه، له حظٌّ =

يقول الشيخ: **(وزاد)**: يعني: البرقاني روى أصل الحديث وزاد قوله ﷺ: (**«وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين...»**)، إلى آخر ما ذكر الشيخ.

وقد اشتملت هذه الزيادة على ست قضايا، منها ما هو ثابت في «الصحيحين» كما سيأتي.

الأولى: قوله ﷺ: (**«وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين»**) **(إنما)**: أداة حصر، والمعنى ما أخاف على أمتي إلا الأئمة المضلين، يعني أخوف ما أخاف عليكم الأئمة المضلين، والأئمة المضلون؛ هم الذين يتبعهم الناس في الشر، ويشمل ذلك:

- أهل السلطة من الأمراء والحكام المضلين الذين يدعون إلى الباطل، وإلى الفتن، والقتال المحرم، ويدعون إلى المنكرات.

- وعلماء السوء الذين يدعون إلى البدع والأهواء، ويحلون الحرام ويحرمون الحلال، ويضلون الناس، أولئك بما أوتوا من سلطان، وهؤلاء بما انتسبوا إليه من العلم.

- والعباد الموسومين بالعبادة والصلاح، فقد يكون منهم الأئمة المضلون؛ لأنَّ الناس يغترون بهم ويقتدون بهم؛ لما يظهر لهم من صلاحهم، وهؤلاء كثير في الأمة، قديمًا وحديثًا، فكم من إمام فتنة بسلطانه! وإمام فتنة بكلامه وعلمه الفاسد! وكم من عابد كذلك يدعي العبادة؛ كطواغيت الصوفية، وكذلك الفلاسفة الذين يدعون العلم؛

= من علم العربية، كثير الحديث، حسن الفهم له والبصيرة فيه. سكن بغداد ومات بها سنة (٤٢٥هـ). ينظر: تاريخ بغداد (٦/ ٢٦)، والسير (١٧/ ٤٦٤).

لأنهم يوصفون بالذكاء والعلم والحكمة؛ فيغتر بهم الناس ويتبعونهم، فخطر هؤلاء عظيم؛ ولهذا خافهم النبي ﷺ على أمته، ويشهد لما تقدم قول ابن المبارك في أبيات له:

وهل أفسد الدين إلا الملوك
وأحبار سوء ورهبانها[(١)]

فقوله ﷺ: («وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين»): فيه تحذير شديد من الأئمة المضلين؛ فكأنه يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: فاحذروهم؛ فإنَّ خطرهم عظيم، كذلك الذين يتصدون للفتوى بغير علم؛ فيفتون بالجهل وبغير علم كما أخبر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنَّ من أشراط الساعة: أن يثبت الجهل ويرفع العلم: «**حتى إذا لم يبق عالمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا؛ فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا**»[(٢)].

الثانية: قوله: («وإذا وقع عليهم السيف»): أي: على الأمة، وقع عليهم سيف الفتنة والحروب العمياء.

(«لم يرفع إلى يوم القيامة»): ابتلاء قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥﴾ [الأنبياء]. وقد ورد أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سأل ربه مسائل ثلاث؛ فأعطاه اثنتين ومنعه الثالثة، فسأل ربه: ألا يجعل بأس أمته بينهم فلم يعطه ذلك، ويشير إلى هذا طرف الحديث المتقدم: («وإنَّ ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك

(١) أخرجه ابن المقرئ في المعجم (١٢٢٥)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٧٩) بلفظ قريب منه، ونُسب لإبراهيم بن أدهم كما في المجالسة وجواهر العلم (١٧٧).
(٢) أخرجه البخاري (١٠٠) -واللفظ له-، ومسلم (٢٦٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم؛ يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم مَن بأقطارها؛ حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا»): وقد وقع كما أخبر، قال أهل العلم: إنَّ السيف وقع على هذه الأمة بمقتل الخليفة الراشد عثمان[1]؛ لأنَّ قتله كان ناشئًا عن فتنة، وعن تجمع أشرار وجهال وضلّال، بخلاف مقتل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فإنه كان عملًا فرديًا، فأبو لؤلؤة المجوسي كان في نفسه حقد على عمر وعلى المسلمين؛ فقتل الخليفة الراشد، أما قتل عثمان فكان عن فتنة دخل فيها كثير من المسلمين: من جاهل ومنافق ومن متأول، ومن ذلك العهد والحروب بين المسلمين قائمة، من مكان إلى مكان، وفي زمان إلى زمان، حروب طاحنة! لله في هذه الحروب حكم بالغة، فكل هذا بقدره تعالى، وله الحكمة البالغة في كل ما يجري في الوجود من خير وشر، فيجب الإيمان بذلك، ففي هذه الفتن ابتلاء وتمحيص؛ فمن الناس مَن ليس له ذنب فيها، فيبتلى مظلومًا فيكرمه الله بما يقع عليه من أذى وضرر، في نفسه أو ماله، ومن الناس مَن يعصمه الله من الدخول في تلك الفتن؛ فيفوز بالأجر العظيم، ومن الناس مَن يقع في شيء من ذلك ثم يتوب؛ فيفوز بالتوبة النصوح من هذه الذنوب، ويحصل بهذه الفتن عقوبة على بعض الظالمين والمجرمين، فإنَّ هذه الفتن تكون عقوبات على بعض الناس، وتمحيصًا وتطهيرًا لآخرين.

---

(١) ينظر: لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٦٠٤)، وفتح الودود في شرح سنن أبي داود للسندي (٤/ ٢٠٧).

والواجب على المسلم في الفتن: ألا يدخل في أي حرب لا يعرف وجه الحق فيه؛ بل يعتزل الفتن، أما المقتتلون فتختلف أحوالهم، وأحكامهم في الدنيا، والله يحكم بينهم يوم القيامة فيما هم فيه يختصمون؛ قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾ [الزمر]. ولقد حذر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من القتال بين المسلمين أبلغ تحذير، وذلك في قوله ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**»؛ فقلت: يا رسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «**إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**»[(١)].

الثالثة: قوله: («**ولا تقوم الساعة**»): أي: القيامة («**حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين**»): الحي هو القبيلة، والأحياء القبائل، ويشهد لذلك الرواية الأخرى: «**حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين**»[(٢)] ومعنى اللحوق بالمشركين: أن ينضموا إليهم فيكونوا معهم، ولا يتبرؤون منهم، فيصير حكمهم حكمهم، ولو لم يشركوا، مادام أنهم لم يتبرؤوا من المشركين؛ بل كانوا معهم وصاروا في فتنتهم، وشر من أولئك مَن يعبد الأوثان؛ ولهذا قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: («**حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى يعبد فئام من أمتي الأوثان**»): الفئام جمع فئة، والفئة الجماعة، يجمع على فئام وفئات[(٣)]، وهذا يدل على الكثرة، فجماعات يعبدون الأوثان، وهم ينتسبون للإسلام!

---

(١) أخرجه البخاري (٣١) و(٦٨٧٥) بتمامه، ومسلم (٢٨٨٨) جزء منه، من حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) كما في مسند أحمد (٢٢٤٥٢) وسنن أبي داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢١٩).
(٣) ينظر: النهاية (٣/ ٤٠٦).

وهذا صادق على هذه الأمم الكثيرة في العالم الإسلامي ممن يتوجه بالعبادة لغير الله، فيتوجهون إلى أصحاب القبور بأنواع العبادة، فيذبحون لهم ويدعونهم، ويستنصرون بهم، ويستغيثون بهم في الشدائد!

وهذه الجملةُ هي الشاهدُ من الحديث، وهي قوله: («**ولا تقومُ الساعةُ حتى يلحقَ حَيٌّ من أمتي بالمشركينَ، وحتى يعبدَ فئامٌ من أمَّتي الأوثانَ**») وهذا مطابقٌ لترجمة الباب: (**بابُ ما جاءَ أنَّ بعضَ هَذِهِ الأُمَّةِ يعبُدُ الأوثان**)، وفيه ردٌّ على مَن يزعمُ أنَّ هذه الأمةَ معصومةٌ من الشِّرك، ومن شبهاتهم الحديث المشهور: «**إنَّ الشَّيطانَ قد أَيِسَ أن يعبُدَه المصلُّونَ في جزيرةِ العربِ**»[1]، وأجيب عنه بأنَّ المرادَ أن يجمعوا على عبادته[2]، وأيضًا فإنَّ اليأسَ مبنيٌّ على ظنٍّ، ومعلومٌ أنَّه قد يقع الأمر بخلاف ظن اليائس[3]، ومما يشهد لحديث الباب قوله ﷺ: «**لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى**»[4] وفي الحديث الآخر: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلَصة**»[5]، وذو الخلصة هو طاغية دوس، الصنم الذي كانت تعبده قبيلة دوس الذين منهم أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الرابعة؛ قوله: («**وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي**»): هذا خبر من النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو الصادق المصدوق-

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٢) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) ينظر: لطائف المعارف (ص٣٩٢).
(٣) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل عبد الله أبا بطين (ص٤٠٤-٤٠٧)، (ص٧٣١-٧٣٧)، وحاشية ابن القاسم (ص١٨٣).
(٤) أخرجه مسلم (٢٩٠٧) من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
(٥) أخرجه البخاري (٧١١٦) -واللفظ له-، ومسلم (٢٩٠٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بأنه سيظهر في هذه الأمة كذابون ثلاثون، كل واحد منهم يدعي النبوة، وقد ظهر كثيرون ممن يدعي النبوة، وأول ذلك: مسيلمة الكذاب، ظهر في حياة النبي ﷺ، والأسود العنسي، أما مسيلمة فظهر في اليمامة، وقد أهلكه الله على أيدي المسلمين بعد وفاة النبي ﷺ، قتله وحشي، الصحابي الذي قتل حمزة بن عبد المطلب، وقد أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، وجاهد وأكرمه الله بقتل هذا الطاغوت المتنبئ الكذاب، وكذلك الأسود العنسي قتل في حياة النبي ﷺ، وظهر منهم آخرون بعد ذلك، ومنهم مَن ظهر في عهد الصحابة، ومنهم مَن ظهر بعد ذلك، ومنهم من المشهورين: المختار بن أبي عبيد، يقال: إنه ادعى النبوة، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ في ثقيف كذابًا ومبيرًا**»[(١)]، قال العلماء: الكذاب هو المختار بن أبي عبيد، والمبير[(٢)]: هو الحجاج بن يوسف[(٣)]، وقد كان للمختار شوكة وصولة، وأظهر التشيع ثم ادعى أنه يوحى إليه، وسلطه الله على قتلة الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثم قُتل هو، قتله مصعب ابن الزبير، وذلك في عام سبع وستين من الهجرة[(٤)]، وظهر بعد ذلك متنبئون آخرون.

يقول العلماء: المراد بالثلاثين مَن تكون لهم شوكة وأتباع، وليس المراد كل مدعي للنبوة؛ فإنَّ مدعي النبوة كثيرون لكن لم تكن لهم شوكة، ولا حجة ولا شبهة؛ بل ادعوها بنوع جنون أو تخليط، وهذا

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٥) عن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) المبير: مهلكٌ يسرف في إهلاك الناس. ينظر: النهاية (١/ ١٦١).
(٣) ينظر: شرح مسلم للنووي (١٦/ ١٠٠).
(٤) ينظر: تاريخ الطبري (٦/ ٣٨)، (٦/ ٩٣).

كثير، ولا زالوا يظهرون بين حين وآخر، ولا زال يسمع الناس بمن يدعي النبوة، وآخر مَن يدعي النبوة ثم يدعي الربوبية: المسيح الدجال[١].

الخامسة: قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: («**وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي**»): هذا أصل من أصول الدين، وهو الإيمان بأنَّ محمدًا ﷺ خاتم النبيين، به ختمت النبوة وتمت عدة الأنبياء، فلا نبي بعده، فكل مَن ادعى النبوة بعده؛ فمعلوم بالضرورة أنه كذاب، لا ينظر فيما جاء به إلا على سبيل التبكيت والتوبيخ والإخزاء، لا من أجل التثبت عن صدقه، فكذبه معلوم من أول وهلة، فكل مَن ادعى النبوة بعد بعثته ﷺ؛ فهو كذاب بالضرورة، مهما جاء به من الخوارق والدجل، فهي مخارق[٢] وليست خوارق، والمسيح الدجال الكذاب يجري على يده أمور عظيمة.

ومحمد ﷺ الخاتم هو رسول الله إلى الناس كافة؛ بل إلى الثقلين الإنس والجن، ولا نبي بعده، وعيسى ابن مريم ينزل في آخر الزمان، ولكنه يحكم بشريعة محمد ﷺ، فهو بعد نزوله يكون من أتباع محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهذا يوافق ما جاء عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لو أنَّ موسى كان حيًّا، ما وسعه إلا أن يتبعني**»[٣]، والمقصود؛ أنَّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يكون من أتباع محمد ﷺ بعد نزوله، وإلا فهو رسول من رسل الله من أولي العزم، وقد قال فيه ﷺ: «**أنا أولى الناس بابن مريم، الأنبياء أولاد علات،**

---

(١) ينظر: فتح الباري (٦/ ٦١٧).

(٢) التخرق: لغةٌ في التخلُّق من الكذب. وخرَق الكذب وتخرَّقه، وخرَّقه، كله: اختلقه؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ١٠٠﴾ [الأنعام]. لسان العرب (١٠/ ٧٥).

(٣) أخرجه أحمد (١٥١٥٦)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني بشواهده في الإرواء (١٥٨٩).

وليس بيني وبينه نبي»[(١)]، وثبت في «صحيح مسلم» قوله ﷺ: «**والله لينزلن ابن مريم حكمًا عدلًا؛ فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليُدعَوُنَّ (وليَدعُوَنَّ) إلى المال فلا يقبله أحد**»[(٢)].

وقوله: «**فليكسرن الصليب**»: الصليب الذي يعبده النصارى، وفي هذا إعلان لإبطال دين النصارى المحرف.

«**وليقتلن الخنزير**»: إعلان بتحريمه.

«**وليضعن الجزية**»: يعني: لا يقبل الجزية، وهنا سؤال: كيف يضع الجزية وقد جاء في شريعة محمد أخذ الجزية؛ قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ۝٢٩﴾ [التوبة]؟ قال العلماء[(٣)]: إنَّ هذا الحديث الذي أخبر فيه الرسول ﷺ أنَّ ابن مريم يضع الجزية، ولا يقبل من الناس إلا الإسلام أو السيف، دليل على أنَّ حكم الجزية مؤقت ينتهي بنزول المسيح.

إذن؛ وضع الجزية بعد نزول المسيح هو من شريعة محمد ﷺ.

السادسة: قوله: («**ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم مَن خذلهم حتى يأتي أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ**»)، هذا المعنى ثابت في الصحيحين من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم مَن خذلهم أو خالفهم، حتى**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٢)، ومسلم (٢٣٦٥) -واللفظ له- من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) مسلم (١٥٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وللبخاري (٢٢٢٢)، (٢٤٧٦) نحوه.

(٣) ينظر: شرح مسلم للنووي (٢/ ١٩٠)، وفتح الباري (٦/ ٤٩٢).

يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس»[(١)]، وهذه الطائفة المنصورة هي الفرقة الناجية التي ذكرها ﷺ في قوله: «**وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قالوا: مَن هم يا رسول الله؟ قال: مَن كان على ما أنا عليه وأصحابي**»[(٢)]. وكل الطوائف تدعي أنها الفرقة الناجية، كما قال الشاعر[(٣)]:

وكل يدعي وصلًا بليلى ... وليلى لا تقر لهم بذاكا

والفرقة الناجية هي التي وصفها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بقوله: «**مَن كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»، فهم الصحابة، وكذلك مَن اتبعهم بإحسان إلى يوم القيامة، فهم المتبعون الملتزمون بما كان عليه الرسول ﷺ عقيدة وسلوكًا، وهذه الفرقة أجيال، ليست محصورة في زمان ولا في مكان، وقد تكون هذه الفرقة مجتمعة في بلد، وقد تكون متفرقة في أقطار، ولا ريب أنها في القرون المفضلة كانت كثيرة، وكانت منتشرة في سائر الأقطار الإسلامية، وكلما تأخر الزمان تقل، وقد تكثر في مكان

(١) أخرجه بهذا اللفظ: مسلم (١٠٣٧) عن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وهو حديث متواتر أخرجه البخاري (٣٦٤٠)، (٧٣١١)، ومسلم (١٥٦)، (١٩٢٠ - ١٩٢٥) من حديث ثوبان، وجابرة بن سمرة، وجابر بن عبد الله، ومعاوية، وعقبة بن عامر، وسعد بن أبي وقاص بألفاظ متقاربة.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وهذا الحديث له شواهد عديدة، وطرق كثيرة بألفاظ متقاربة كما في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٤٤٧ رقم ٤٥٥)، والصحيحة (٢٠٣، ٢٠٤، ١٤٩٢). وقال الحاكم في المستدرك (١٠): «هذا حديثٌ كَثُرَ في الأصول». وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الحديث صحيح مشهور في السنن والمساند» مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٥).

(٣) لم نجده في مصدر متقدم، وعزاه ابن تيمية لمجنون بني عامر. ينظر: الانتصار لأهل الأثر (ص١٠٣-١٠٤).

وتقل[١]، ولكن المعيار هو الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن لم يكونوا أصحاب الحديث؛ فلا أدري مَن هم»[٢]، يعني هم المحكمون للرسول ﷺ، المعتنون بسنته رواية ودراية وعملًا، الذين ليس لهم إمام يتعصبون له ويعتزون بالانتساب إليه إلا الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فيخرج عن ذلك:

- الفرق الكلامية التي ابتدعت بدعًا، وأصلت أصولًا خالفت ما جاء به الرسول ﷺ، وصاروا يوالون عليها ويعادون عليها!

- ويخرج عن ذلك: أتباع المذاهب المتعصبون، أما أتباع الأئمة الذين ينتسبون للأئمة لكن لا يتعصبون لهم؛ بل يحترمونهم ويحكمون في أقوالهم سنة رسول الله ﷺ؛ فهؤلاء هم أتباع الأئمة حقًّا؛ لأنَّ الأئمة أوصوا بهذا، وحذروا من تقليدهم ومن التعصب لأقوالهم دون بينة وبرهان[٣]؛ لأنَّ أهل الحديث عندهم كل يؤخذ من قوله ويرد إلا الرسول ﷺ، وليس المقصود من هذه الدعوى: طرح أقوال الأئمة والإعراض عنها والاستخفاف بها، إنما المقصود عدم التعصب الممقوت والتقليد الأعمى، أما الانتفاع بعلم أهل العلم وببيان الأئمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم وتابعيهم، فيقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- ما وافقوا فيه الدليل؛ فهذا يجب الأخذ به تحكيمًا للدليل، فله حرمة لموافقته للحق.

---

(١) ينظر: شرح مسلم للنووي (١٣/ ٦٦-٦٧)، وفتح الباري (١٣/ ٢٩٥).

(٢) أخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث (ص٢)، وصحح الحافظ إسناد الحاكم في الفتح (١٣/ ٢٩٣).

(٣) تنظر أقوالهم في: مقدمة صفة صلاة النبي للألباني -الأصل- (١/ ٢٣-٣٣).

٢- ما علم مخالفته للدليل، وجب اطّراحه والإعراض عنه، ولا يجوز المتابعة على الأخطاء.

٣- ما لم يتبين فيه هذا ولا ذاك؛ فهو سائغ الاتباع؛ ليس بواجب ولا محرم، ما لم تتبين فيه موافقة أو مخالفة.

وقوله: (**«حتى يأتي أمر الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَى**»**): وفي لفظ: «**حتى تقوم الساعة**»[1] وليس المراد: قيام القيامة الكبرى والنفخ في الصور؛ بل المراد بالساعة هي وقت قبض أرواح المؤمنين كما جاء: «**ثم يبعث الله ريحًا كريح المسك، مسها مس الحرير، فلا تترك نفسًا في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس، عليهم تقوم الساعة**»[2]، وفي الحديث الصحيح عند مسلم: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله**»[3] أي: يصير الناس في غاية من الكفر والضلال والبعد عن الله، وكل ما دل عليه هذا الحديث من فوائد وأحكام له شواهد: منها ما هو في الصحيحين، ومنها ما هو في «صحيح مسلم».

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية «النساء»).

يعني قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ٥١﴾ [النساء]. وقد تقدم تفسيرها.

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ: مسلم (١٩٢٢)، (١٩٢٥) عن جابر وسعد بن أبي وقاص بألفاظ قريبة، وقد تقدم أنه حديث متواتر.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٢٤) من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) مسلم (١٤٨) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(الثانية: تفسير آية «المائدة»).

يعني قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٦٠] الآية. وقد تقدم تفسيرها.

(الثالثة: تفسير آية «الكهف»).

يعني قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [الكهف]. وتقدم تفسيرها.

(الرابعة -وهي أهمها-: ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع؟ هل هو اعتقاد قلب؟ أو هو موافقة أصحابها، مع بغضها ومعرفة بطلانها؟).

هذه المسألة تتعلق بالآية الأولى، يقول: وهي أهمها: ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت المذكور في الآية؟ وهل الإيمان بالجبت والطاغوت الذي ذم الله به اليهود هو اعتقاد القلب؟ كاعتقاد صحة السحر، والأوثان والأصنام، والإيمان بالشيطان؟ أو هو موافقة أصحاب الجبت والطاغوت في الظاهر مع بغضها واعتقاد بطلانها؟ فما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت؟

واليهود لما جاؤوا إلى قريش وقالوا: أنتم أهدى سبيلًا من محمد، فهل هم يعتقدون أنَّ قريشًا أهدى؟ فيقال: إنما قالوها مجرد موافقة لهم، وإلا فإنهم يعتقدون بطلان دين قريش، وبطلان السحر؛ لأنهم أهل كتاب، لكنهم متبعون لأهوائهم، إذن؛ المراد بالإيمان بالجبت والطاغوت في الآية هو الموافقة في الظاهر، فمن وافق السحرة، ووافق المشركين

على شركهم ظاهرًا فهو كافر، ولو كان يعتقد بطلان دين المشركين، وهكذا مَن أظهر موافقة اليهود والنصارى على دينهم هو كافر مرتد، ولو كان يعتقد خلاف ما أظهره.

(الخامسة: قولهم: إنَّ الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلًا من المؤمنين).

يريد الشيخ: أنَّ قول اليهود للمشركين أنهم أهدى سبيلًا من محمد وأصحابه، معلوم أنهم قالوا ذلك وهم يعلمون كذبهم؛ فإنهم يعتقدون أنَّ المشركين كفار، وأنَّ الرسول ﷺ أهدى سبيلًا منهم فذمهم الله بمصانعة المشركين ولعنهم، وما كان منهم إلا موافقة المشركين على دينهم في الظاهر.

(السادسة: وهي المقصود بالترجمة: أنَّ هذا لا بد أن يوجد في هذه الأمة، كما تقرر في حديث أبي سعيد).

يريد الشيخ أنَّ تقرير ذلك يقع في هذه الأمة والاستدلال يحصل بضم حديث أبي سعيد إلى الآيات، فالآيات دلت على وقوع ما ذكر فيمن قبلنا، وحديث أبي سعيد يدل على وقوعه في هذه الأمة؛ فالدليل على المسألة مركب من الآيات والحديث.

(السابعة: التصريح بوقوعها -أعني عبادة الأوثان- في هذه الأمة في جموع كثيرة).

يريد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنَّ من فوائد هذا الباب التصريح بوقوع عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة، وهذا مستفاد من رواية البرقاني لحديث

ثوبان، ونصه: «**ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى يعبد فئام من أمتي الأوثان**».

(الثامنة: العجب العجاب: خروج مَن يدعي النبوة مثل: المختار، مع تكلمه بالشهادتين، وتصريحه أنه من هذه الأمة، وأنَّ الرسول حق، والقرآن حق، وفيه: أنَّ محمدًا خاتم النبيين، ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة وتبعه فئام كثير).

يثير الشيخ في هذه المسألة العجب العجاب؛ من ظهور مَن يدعي النبوة ووجود أتباع وأشياع له، مع دعوى إيمانه بالإسلام والقرآن! فلقد ادعى النبوة مَن ادعاها في حياة الرسول؛ كمسيلمة -كما سبق-، وكذلك الأسود العنسي، وطليحة الأسدي، وهكذا المختار بن أبي عبيد، لكن ظاهر كلام الإمام ابن كثير في تاريخه: أنَّ المختار بن أبي عبيد لم يصرح بدعوى النبوة؛ بل أظهر التشيع، وأظهر الانتصار للحسين، وقد سلطه الله على قتلة الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فكسب بسبب ذلك أتباعًا، وكانت له شوكة، وقد اشتهر أنه أفضى إلى خواصه بأنه يوحى إليه، فهو كذاب مفتر، وعند أهل العلم أنه هو المعني بقوله ﷺ: «**إنَّ في ثقيف كذابًا ومبيرًا**»[1]، قالوا: الكذاب هو المختار، والمبير هو الحجاج[2]، ولكن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يقول في هذا: إنَّ من دواعي العجب أنه يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، ويؤمن بالقرآن؛ لأنه يدعي الإسلام، ويقرأ هو وأتباعه القرآن، وفيه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب]. ومع التضاد التام

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٥) عن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) ينظر: البداية والنهاية (١٢/ ٧١).

بين دعوى النبوة مع شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، ومع الإيمان والإقرار بالقرآن، وفيه التصريح بأنَّ محمدًا ﷺ خاتم النبيين؛ حصل ما حصل! وقد انتهى أمره بأن قتل على يد جنود مصعب بن الزبير عام سبعة وستين من الهجرة.

(التاسعة: البشارة بأنَّ الحق لا يزول بالكلية، كما زال فيما مضى؛ بل لا تزال عليه طائفة).

من فوائد هذا الباب: ما جاء في حديث ثوبان عند البرقاني بأن لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق، ولا تزال، هذا الفعل يدل على الاستمرار والدوام.

فهذه الطائفة باقية إلى أن يأتي أمر الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وسبق تفسير هذا الأمر، وتفسير الساعة في اللفظ الآخر: «**حتى تقوم الساعة**»: وهي ساعة قبض أرواح المؤمنين قبيل يوم القيامة؛ فإنَّ القيامة إنما تقوم على شرار الناس، و«**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله**»[(١)].

وقول الشيخ: **(كما زال فيما مضى)**: أي: قبل مبعث النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ فإنه انقرض أهل الحق، ولم يبق إلا أفراد قليلة كما في الحديث: «**وإنَّ الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب**»[(٢)]، أما الطائفة المنصورة فهي باقية قائمة بأمر الله، وقد تقوم بالجهاد في بعض الأوقات، وكما سبقت الإشارة إلى أنها في القرون الأولى كانت كثيرة، ومنتشرة في سائر أقطار الإسلام،

---

(١) تقدم قريبًا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وكلما تأخر الزمان قلّ عدد هذه الطائفة، وقد تجتمع في قطر واحد، وقد تكون متفرقة، لكن الأرض لا تخلو من هذه الطائفة، وقوله: **(ظاهرين)**: أي: على عدوهم **(لا يضرهم مَن خذلهم)**: أي: مَن تخلى عنهم ولم ينصرهم، ولا **(مَن خالفهم)**: أي: من خصومهم وأعدائهم من الكفار، أو من المتنسبين للإسلام، والصواب: أنَّ الطائفة المنصورة هي الفرقة الناجية؛ فلا فرق بينهما خلافًا لمن ادعى ذلك من المعاصرين.

(العاشرة: الآية العظمى[1]: أنهم مع قلتهم لا يضرهم مَن خذلهم ولا مَن خالفهم).

هذه آية من آيات الله، وسنة من سننه الشرعية والكونية: أنَّ أهل الإيمان المتبعين الحقَّ منصورون -وإن كانوا قلَّةً- ومحفوظون، وكان النبيُّ من الأنبياء وهو واحد يتحدى أمَّةً، ومن ذلك قوله تعالى عن نوح أنه قال لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١﴾ [يونس]. وهكذا كان الأنبياء وأتباعهم قليلين؛ ومع ذلك يحفظهم الله من كيد أعدائهم، فنوح ومَن آمن معه كانوا قلة، وهود ومَن آمن معه كانوا قلة وهكذا، ولكن الله يحفظهم ويكفيهم شر أعدائهم، وهكذا هذه الطائفة محفوظة مع أنَّ أعداءها كثيرون ويكيدون لها، فأهل السنة والجماعة يحاربهم الكفار وفرقُ الضلالة؛ مثل الرافضة والصوفية القبورية، وسائر فرق المبتدعة، وأظهر مثال لذلك ما فعله المعتزلة بالإمام أحمد، والأشاعرة بابن تيمية -رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ-، فهذه آية من آيات الله: أنه لا يضر هذه الطائفة ولا يزيلها مَن خذلهم ولا مَن خالفهم.

---

(١) في نسخة: (العظيمة).

(الحادية عشرة: أنَّ ذلك الشرط إلى قيام الساعة[١]).

هذه الصفة وهي أنهم: «**لا يضرهم مَن خذلهم ولا مَن خالفهم**»: باقية لهم حتى تقوم الساعة، وهذا الوعد باق ثابت لهم؛ حتى يأتي أمر الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

(الثانية عشرة: ما فيه من الآيات العظيمة، منها:

إخباره بأنَّ الله زوى له المشارق والمغارب، وأخبر بمعنى ذلك، فوقع كما أخبر بخلاف الجنوب والشمال.

وإخباره بأنه أعطي الكنزين.

وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين.

وإخباره بأنه منع الثالثة.

وإخباره بوقوع السيف وأنه لا يرفع إذا وقع.

وإخباره بإهلاك بعضهم بعضًا، وسبي بعضهم بعضًا.

وخوفه على أمته من الأئمة المضلين.

وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة.

وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة.

وكل هذا وقع كما أخبر، مع أنَّ كل واحدة منها من أبعد ما يكون في العقول).

---

(١) في نسخة: (أن ذلك إلى أشراط الساعة)، وفي نسخة: (أن ذلك الشرط لقيام الساعة) وما أثبتناه من التيسير.

ينبه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه المسألة الثانية عشر على ما في حديث ثوبان برواياته من الآيات التي كلها علم من أعلام نبوته ﷺ لأنها من أنباء الغيب، وقد وقعت كما أخبر ﷺ، وقد عدد الشيخ هذه الآيات التي كل واحدة منها علم من أعلام نبوته ﷺ ففي رواية مسلم خمس، وفي زيادة البرقاني أربع، وتقدم التنبيه على الشاهد من الباب للحديث، وهو قوله ﷺ: (**«ولا تقوموا الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى يعبد فئام من أمتي الأوثان»**)، وقد نبه الشيخ على بعض هذه الآيات في المسائل المتقدمة، ولكنه أراد أن يؤكد ذلك، وينبه على ما فيها من الدلالة على نبوته ﷺ، والله أعلم.

(الثالثة عشرة: حصره الخوف على أمته من الأئمة المضلين).

تقدم أنَّ هذا ليس حصرًا حقيقيًا، بمعنى أنَّ الرسول لا يخاف على أمته إلا الأئمة المضلين؛ لأنه أخبر أنه يخاف أشياء في أحاديث عدة؛ فالحصر هنا لتأكيد شدة خوفه من الأئمة المضلين، بسبب عظم خطرهم.

(الرابعة عشرة: التنبيه على معنى عبادة الأوثان).

معنى عبادة الأوثان لم يرد في لفظ الحديث، ولا في كلام الشيخ، لكن كأنَّ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يريد التذكير بما هو معلوم من الواقع؛ فإنَّ القبوريين الذين اتخذوا القبور أوثانًا، يعبدون أصحابها من دون الله؛ بالصلاة والذبح والدعاء، ويستغيثون بهم في الشدائد من بعد وقرب.

◆◇◈◇◆

(٢٤)

باب ما جاء في السحر

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

قال عمر: «الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان»[١].

وقال جابر: «الطواغيت كهان كان ينزل عليهم الشيطان، في كل حي واحد»[٢].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[٣].

---

(١) ذكره البخاري في صحيحه (٦/ ٤٥) معلقًا بصيغة الجزم في كتاب التفسير، «باب قوله: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [النساء:٤٣]» ووصله سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٢٤٧ رقم ٢٥٣٤)، والطبري في التفسير (٧/ ١٣٥)، وابن أبي حاتم (٥٤٤٣) وقوَّى إسناده ابن حجر في الفتح (٨/ ٢٥٢) وينظر: تغليق التعليق (٤/ ١٩٦).

(٢) ذكره بنحوه البخاري تعليقًا مجزومًا به في الموضع السابق ووصله الطبري (٤/ ٥٥٨)، وابن أبي حاتم (٥٤٥٢) بنحوه.

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، (٨٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعن جندب[١] مرفوعًا: «حد الساحر ضربه[٢] بالسيف» رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف[٣].

وفي «صحيح البخاري» عن بجالة بن عبدة قال: «كتب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر»[٤].

وصح عن حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت»[٥].

---

(١) وهو جندب الخير الأزدي كما في الأصول بخلاف الطبراني فقد أورده في الكبير في: (ما روى الحسن البصري، عن جندب بن عبد الله). وينظر: الإصابة (٢/ ٢٥٤).

(٢) (ضربُه) أو (ضربةٌ) روي بالهاء والتاء وكلاهما صحيح، والموافق لما في سنن الترمذي: (ضربة). ينظر: التيسير (٢/ ٦٩٣).

(٣) أخرجه الترمذي (١٤٦٠)، والطبراني في الكبير (١٦٦٥)، والدارقطني (٣٢٠٤)، والحاكم (٨٠٧٣).
قال الترمذي: «هذا حديث، لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه، وإسماعيل بن مسلم المكي يُضَّعَف في الحديث من قِبل حفظه، وإسماعيل بن مسلم العبدي البصري قال وكيع: هو ثقة ويروي عن الحسن أيضًا، والصحيح عن جندب موقوفًا».
والحديث ضعفه البخاري كما في العلل الكبير للترمذي (٤٣٠)، وابن عدي في الكامل (١/ ٤٦٢).

(٤) أصل الحديث: أخرجه البخاري (٣١٥٦) مختصرًا وليس فيه ذكر قتل السحرة، وأخرجه بتمامه: سعيد بن منصور (٢/ ١١٩ رقم ٢١٨٠)، وأحمد (١٦٥٧)، وأبو داود (٣٠٤٣)، والبزار (١٠٦٠)، وصححه ابن حزم في المحلى (١١/ ٣٩٦-٣٩٧)، والألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٦٨٤).

(٥) أخرجه مالك في الموطأ (٥/ ١٢٨١ رقم ٣٢٤٧) عن محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة بلاغًا -وفي نسخ الموطأ سعد بن زرارة وأشار الأعظمي لنسخة- ووصله عبد الرزاق في المصنف (١٨٧٤٧)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٧٩١٢)، (٢٨٩٨٠)، والطبراني في الكبير (٣٠٣).

وكذلك صح عن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١].

قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ[٢].

الشرح

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: (باب ما جاء في السحر): السحر لغة: هو ما خفي سببه[٣]، فالشيء الخفي والذي تخفى أسبابه يقال له في اللغة: سحر، فمثلًا من الناحية اللغوية: كل الصناعات الدقيقة الخفية التي لا يعرف الناس أسبابها هي سحر لغة، وليس هو السحر المحرم في الشرع، حتى إنَّ الكلام الفصيح المؤثر على النفوس، جاءت تسميته سحرًا في قوله ﷺ: «**إنَّ من البيان لسحرًا**»، ولتقريب هذا قالوا: ومنه سمي السَّحر سَحرًا، وهو الوقت القصير قبل الفجر؛ فإنه لا ينتبه له أكثر الناس[٤].

أما السِّحر الوارد ذكره في الكتاب والسنة؛ فهو نوعان: حقيقي، وتخييلي[٥].

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٨٩٧٧)، والحاكم (٨٠٧٥) والطبراني في الكبير (١٧٢٥)، والدارقطني (٣٢٠٥)، والبيهقي (١٦٥٧٩)، (١٦٥٨٠) وصححه الذهبي في تاريخ الإسلام (٢/ ٦٢٤ رقم ١٨)، والألباني في الضعيفة (١٤٤٦).

(٢) رواه الخلال في أحكام أهل الملل والردة من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل (ص٤٦٥ رقم ١٣٥٢).

(٣) ينظر: لسان العرب (٤/ ٣٤٨).

(٤) ينظر: لسان العرب (٤/ ٣٥٠).

(٥) ينظر: شرح نواقض الإسلام لشيخنا (ص٣٣-٣٤).

فالتخييلي: ما يخيل به على الأبصار؛ كسحر سحرة فرعون؛ قال تعالى: ﴿قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ [الأعراف]: أي: لم يسحروا عقولهم، وإنما سحروا أبصارهم، وفي الآية الأخرى يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن سحرة فرعون: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [طه]: أي: يخيل لموسى أنَّ عصي السحرة وحبالهم تسعى، وما ذاك إلا تخييل لا حقيقة له، وأما السحر الرياضي؛ وهو: ما يرجع إلى خفة اليد وسرعة الحركة، والسحر التمويهي؛ وهو: ما يكون بتمويه بعض المواد بما يظهرها على غير حقيقتها؛ فهذان النوعان من الغش والخداع، وليسا من السحر الذي هو كفر.

والسحر الحقيقي: هو الذي يؤثر على العقول والأبدان، وهو الذي عرفه بعض أهل العلم بأنه: عزائم ورقى وعقد تؤثر في العقول والأبدان؛ فتمرض وتقتل وتفرق بين المرء وزوجه[(١)]، وهذا النوع هو المذكور في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة]؛ فهذا السحر حقيقي، لكن لا يصل الساحر بسحره مهما بلغ إلى قلب الأعيان؛ كقلب الإنسان حيوانًا، أو الحيوان إنسانًا، أو الحجر ذهبًا، أو الذهب

(١) وهو تعريف ابن قدامة في الكافي (٥/ ٣٣١)، وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «اعلم أنّ السحر في الاصطلاح لا يمكن حدّه بحدّ جامع مانع؛ لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته...» أضواء البيان (٤/ ٥٥٥).

حجرًا قلبًا حقيقيًا[١]، لكن بالتخييل كما فعل سحرة فرعون، فجعلوا الحبال والعصي حيات تمشي في مرأى العين، وقول الشيخ: **(باب ما جاء في السحر)**: أي: هذا باب ذكر ما جاء في السحر والسحرة من الذم والنهي والتغليظ والوعيد الشديد.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، هذا ذم ووعيد لمتعلمي السحر بأنهم ما لهم في الآخرة من خلاق؛ أي: من نصيب ينالون به السعادة، فمآلهم إلى الشقاء، فهم كفرة مع الكفار، وقد دل على كفرهم قوله تعالى: ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقوله تعالى عن الملكين لمن أراد علم السحر منهما: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾ [طه]، وقوله تعالى عن موسى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّـٰحِرُونَ ۝٧٧﴾ [يونس]، وإنما كان السحر كفرًا؛ لأنه مبني على عبادة الشياطين والكواكب؛ فهو مبني على الشرك، وبهذا تظهر مناسبة هذا الباب لـ «كتاب التوحيد»[٢].

والآية الثانية: قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن اليهود: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]، وهذه الآية قد تقدم ذكرها في الباب الذي قبله، وتقدم القول في المراد بالجبت، وأنه قد قيل فيه أقوال عدة، وهي ترجع إلى أنَّ الجبت: هو الأمر الرديء الذي لا خير فيه[٣]؛ فالسحر والشرك والشيطان وما أشبه

---

(١) ينظر: الصفدية (ص١٦١)، ومجموع الفتاوى (٢٩/ ٣٦٨-٣٦٩)، (٢٩/ ٣٩٠-٣٩١).

(٢) ينظر: القول السديد (ص٩٧).

(٣) تنظر: (ص٤٤٥).

ذلك، كلها من الجبت؛ فالجبت كل شيء رديء لا خير فيه؛ من الذوات أو من الأعمال.

ثم قال الشيخ:

(قال عمر: «الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان»)، هذا من معاني الجبت؛ فالسحر جبت، والطاغوت: الشيطان؛ فالشيطان جنس، وليس المراد إبليس الأول؛ بل المراد الجنس، وبتفسير الجبت بالسحر تظهر مناسبة الآية للباب.

قال جابر: («الطواغيت كهان كان ينزل عليهم الشيطان، في كل حي واحد»).

هذا شأن الكهان، وهو: أنه تنزل عليهم الشياطين؛ قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء]، ومما يوضح ذلك ما تقدم في شأن مسترق السمع من الجن، وأنَّ الشيطان إذا أدرك الكلمة من السماء ألقاها إلى مَن تحته، حتى يلقيها الآخر في أذن وليه من الإنس وهو الكاهن؛ فيكذب معها مئة كذبة(١).

فأحياء العرب كانت تقودها الكهان، فالكاهن عندهم هو المرجع، يسألونه عما يكون في المستقبل، وعن المفقود(٢)، فيخبرهم بالمغيبات

---

(١) تقدم في (ص٣٣٢) في باب قولِ الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ].

(٢) ينظر تعريف الكاهن وأوصافه، والفرق بينه وبين العرّاف والمنجم والرمّال، في «باب ما جاء في الكهان ونحوهم» (ص٥١٠).

فيصدق في واحدة ما، ويكذب مئة وأكثر؛ فهؤلاء طواغيت؛ لأنَّ الناس يتبعونهم ويعظمونهم، وهم يدعون علم الغيب.

(وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»).

هذا الحديث متفق عليه، وإن كان الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ لم يعزه[1].

(**«اجتنبوا السبع الموبقات»**): يعني: ابتعدوا عنها واحذروا منها؛ لأنها مهلكات موبقات، يوبقن مَن اقترفهن في الإثم والعذاب.

(**قالوا: يا رسول الله، وما هن؟**) فذكرها، وكلها من الكبائر، وقد دل القرآن على أنَّ كل واحدة منها من كبائر الذنوب؛ لما ورد من الوعيد الشديد في كل واحدة منها فأما الشرك فظاهر؛ فإنه أكبر الكبائر، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة]، وقال تعالى في السحر: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وذكر السحر هو الشاهد من الحديث، وهو ذنب عظيم وكفر، وإن اختلف العلماء فيه بعض الاختلاف بناء على تنوع السحر؛ فمنهم مَن يقول: إنَّ السحر لا يخلو عن الشرك؛ لذلك فهو كفر مطلقًا، يعني تعلمه والعمل به، ومنهم مَن يقول: إنَّ السحر يتنوع؛ فإنه لا يحكم على الساحر بالكفر إلا بعد معرفة حقيقة سحره، كما جاء عن الإمام

---

(١) تقدم تخريجه.

الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: نقول للساحر: صف لنا سحرك، فإن وصف لنا ما هو كفر: كان كافرًا، وإذا وصف لنا ما لا يتضمن الكفر؛ فإنه لا يكفر(١)، فلأهل العلم في حكم السحر قولان(٢)، ويختلف في حكم الساحر تبعًا للاختلاف في حكم السحر كما سيأتي في حكم قتله واستتابته، وذكر السحر هنا في هذا الحديث لا يدل أنه كفر، لكنه يدل على أنه من الموبقات، ومن كبائر الذنوب؛ لأنه ذكر معه: الشرك والقتل، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم إلى آخره.

والجمهور على أنَّ السحر كفر، وتقدم ذكر الأدلة على ذلك.

ولا ريب أنَّ السحر المذكور في سورة البقرة، وهو ما يفرق به بين المرء وزوجه، أنه كفر؛ قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وهذا فيما يظهر أنه لا يتم هذا السحر إلا بعبادة الشياطين والخضوع لهم؛ لأنَّ هذا التفريق يكون بفعل الشياطين، وكذلك إذا قدر أن يكون هذا التفريق بأسباب ومواد تسقى للإنسان؛ فمن استحل ذلك فهو كافر، وإلا فهو ظالم معتدي لأنَّ ما فعله ليس سحرًا في الحقيقة، لكن قد يسمى سحرًا تشبيهًا له بما تفعله الشياطين، كما سميت النميمة سحرًا؛ لما يحصل بها من التفريق بين الزوجين أو المتحابين، كما سيأتي في الباب التالي، ومَن لم يستحله فإنه لا يكفر؛ لأنَّ غاية الأمر أنه تعاطى ما يتوصل به إلى العدوان على الناس والإضرار بهم، كمن يسقي غيره سمًّا فيقتله، أو يسقيه دواء يصيبه بخبل، فهذا ظالم معتدي.

---

(١) ينظر: الأم (٢/ ٥٦٦-٥٦٧)، وتفسير ابن كثير (١/ ٣٧١).
(٢) ينظر: حاشية ابن عابدين (٤/ ٢٤٠)، والمغني (١٢/ ٣٠٠-٣٠٢).

وقال تعالى في قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء]، وقد قرن الله بين الشرك والقتل في غير موضع من كتابه، وكذلك في سنة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فمن ذلك في القرآن قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨]. وذكر السحر بين الشرك وبين القتل، يشعر بأنَّ السحر يتضمن الشرك ولا يخلو عنه، فإنَّ الرسول ﷺ ذكر القتل بعد الشرك والسحر؛ فعطف السحر على الشرك، كأنه من عطف الخاص على العام.

وقال تعالى في أكلة الربا: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٤] إلى قوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى في أكل مال اليتيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى في التولي يوم الزحف: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال: ١٦].

وقال تعالى في قذف المحصنات والمراد العفائف: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النور].

وقوله: ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾: يعني: الغافلات عن الفاحشة، لا يفكرن فيها.

وكبائر الذنوب لا تنحصر في هذه السبع، فالعلماء مختلفون في الكبائر اختلافًا كثيرًا، والصحيح أنَّ كبائر الذنوب لا تنحصر في عدد، وأحسن ما قيل في حد الكبيرة: أنها كل ما رتب عليها حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة من لعن أو غضب أو نار[(١)].

(وعن جندب مرفوعًا: «حد الساحر ضربه بالسيف» رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف.

وفي «صحيح البخاري» عن بجالة بن عبدة قال: «كتب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر».

وصح عن حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت».

وكذلك صح عن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال أحمد: عن ثلاثةٍ من أصحاب النبي ﷺ).

عن جندب بن عبد الله قيل: هو البجلي، وقيل: هو جندب الخير: ابن زهير الأزدي[(٢)]، أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**«حد الساحر ضربه بالسيف»**): وفي لفظ: (**«ضربة بالسيف»**): والمؤدى واحد، والمراد

---

(١) ينظر: شرح الطحاوية لشيخنا (ص٢٥٢-٢٥٤).

(٢) تقدم قريبًا، واختلف في اسمه، فقيل: جندب بن كعب، أو جندب بن زهير، وقيل هما واحد، قال أبو حاتم الرازي في الجرح والتعديل (٢/ ٥١ رقم ٢١٠٧): «جندب بن كعب قاتل الساحر ويقال جندب بن زهير»، فجعلهما واحدًا.

القتل (**رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف**): يعني على جندب من قوله.

(**وفي «صحيح البخاري» عن بجالة بن عبدة قال: «كتب عمر بن الخطاب...»**): أي: كتب إلى عماله أو إلى بعضهم: (**أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر**).

وجاء كذلك عن حفصة بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (**أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت**).

(**وكذلك صح عن جندب**): أنه قتل ساحرًا، ذكر له أنَّ شخصًا يقتل الإنسان ويفصل رأسه عن جسده ثم يعيده؛ فجاء جندب مشتملًا على سيفه، فأتى الساحر فقتله، ثم قرأ: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾ [الأنبياء][1]، فصح قتل الساحر عن ثلاثة من الصحابة: عمر، وابنته حفصة، وجندب؛ ولهذا قال الإمام أحمد صح: (**عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ**).

وقد اختلف العلماء في قتل الساحر؛ فذهب الجمهور إلى وجوب قتله، وهذا يرجع إلى المسألة السابقة[2]، فمن قال بكفر الساحر مطلقًا قال بوجوب قتله، ومَن قال قد يكون سحره كفرًا وقد لا يكون؛ فإنه لا يحتم قتله؛ بل ينظر فيه، فإن كان سحره مما يعد كفرًا؛ فهو مرتد حينئذ، فيجب قتله؛ لأنَّ المرتد يجب قتله، وإن كان لا يعد كفرًا فلا يقتل، ولكن هنا خلاف آخر، وهو أنه إذا تبين أنه يجب قتله: فهل يستتاب فتقبل توبته إذا

---

(١) كما في رواية الطبراني في الكبير (١٧٢٥)، والدارقطني (٣٢٠٥)، والبيهقي (١٦٥٧٩) وتقدم تخريجها.

(٢) تقدم في (ص٤٨١).

تاب أو لا يستتاب؟ أيضًا قولان لأهل العلم، قيل: تقبل توبته لعموم الأدلة الدالة على قبول التوبة؛ قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٧٠﴾ [الفرقان]. وكما قبل الله توبة سحرة فرعون، وقيل: لا تقبل توبة الساحر، ومعنى أنها لا تقبل؛ أي: لا تقبل ظاهرًا، فإن كان صادقًا فيما بينه وبين الله، قبل الله توبته ونجا بهذه التوبة مما يستوجبه من العذاب بسبب السحر، لكن لا تنفعه التوبة ظاهرًا؛ لأنَّ السحر خفي فما الذي يطلعنا على صدق توبته؟! وهذا هو الصحيح لما أثر عن الصحابة، ومن الأدلة المقررة في أصول الفقه: أن يقول الصحابي قولًا ويشتهر ثم لا يعلم له مخالف، وهذا منه، فقد جاء عن عدد من الصحابة ولا يعلم لهم مخالف، فالصحيح أنها لا تقبل توبته إلا أن يتوب قبل أن يؤخذ، فإذا تاب واستقام وحسن حاله قبل القدرة عليه، صحت توبته ظاهرًا، كما لو أقر أنه كان يتعاطى السحر ولكن الله مَنّ عليه وتاب، ولكن إذا اطلع عليه وهو يتعاطى السحر ثم أخذ، ثم أظهر التوبة؛ فهذا محل الخلاف(١).

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية «البقرة»).

هي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ﴾ [البقرة: ١٠٢]. والشيخ وإن لم يذكر تفسيرها لكنه ينبه طالب العلم إلى مراجعة تفسيرها، وقد سبق ذكر شيء من ذلك.

(١) وعدم استتابة الساحر هو المشهور عن أحمد، وبه قال مالك، وأبو حنيفة. ينظر: حاشية ابن عابدين (٤/ ٢٤٠)، والفروق (٤/ ١٥١-١٥٢)، والمغني (١٢/ ٣٠٣).

(الثانية: تفسير آية «النساء»).

هي قوله تعالى: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]. وهذه الآية قد تقدم تفسيرها في الباب السابق(١).

(الثالثة: تفسير الجبت والطاغوت، والفرق بينهما).

تقدم قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**«الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان»**)، وتقدم أنَّ الجبت اسم يعم كل شيء لا خير فيه؛ من الأعمال والأقوال والذوات، ولهذا فسر الجبت بالسحر والشرك والأصنام.

(الرابعة: أنَّ الطاغوت قد يكون من الجن، وقد يكون من الإنس).

هذه المسألة مأخوذة من قول عمر وقول جابر؛ فقول عمر يدل على أنَّ الطاغوت يكون من الجن، وقول جابر يدل على أنَّ الطاغوت يكون من الإنس، ولا منافاة بين القولين، فكل منهما طاغوت، فالشيطان طاغوت، ورأس الطواغيت هو إبليس، والكهان طواغيت، والأصنام طواغيت، ولهذا قال الشيخ في هذه المسألة: إنَّ الطاغوت قد يكون من الإنس، وقد يكون من الجن.

(الخامسة: معرفة السبع الموبقات المخصوصة بالنهي).

من فوائد هذا الباب: معرفة السبع الموبقات المذكورة في حديث أبي هريرة، ومعرفتها من العلم النافع؛ لتحذر وتجتنب؛ وليعرف خطرها وعظيم ضررها العاجل والآجل، وخصت هذه السبع بالذكر؛ لعظم خطرها.

---

(١) تنظر: (ص٤٤٤).

(السادسة: أنَّ الساحر يكفر).

سبق ذكر الأدلة على كفر الساحر، وأنَّ جمهور أهل العلم على أنَّ الساحر كافر، وقول الشيخ هذا يقتضي أنَّ اختياره القول بكفر الساحر.

(السابعة: أنه يقتل ولا يستتاب).

هذه المسألة مرتبطة بالتي قبلها، فيقتل لأنه مرتد بعمله بالسحر، والحقيقة أنَّ السحر لا ينفك عن الشرك، وعبادة الشياطين، والخضوع لهم، والتقرب إليهم، فالساحر إذن يقتل حتمًا، والخلاف فيه تابع للخلاف في حكمه، هل يكفر أو لا يكفر؟ وإذا كان قد ترجح القول بكفره، فالراجح كذلك هو القول بقتله على كل حال، يؤيده: الحديث، والآثار المروية عن الصحابة: عمر، وابنته، وجندب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

وقول الشيخ: **(ولا يستتاب)**: تقدم ذكر الخلاف في استتابة الساحر، وهذا يقتضي أنَّ الشيخ يختار عدم استتابة الساحر، ولا تقبل توبته، وهذا كذلك أحد القولين في المسألة، وهو الراجح، لكنه إن تاب وصدق في توبته، نفعه ذلك فيما بينه وبين الله، أما في الدنيا فحكمه القتل؛ لقوله ﷺ: (**«حد الساحر ضربة بالسيف»**).

ولا يقطع دابر الفساد إلا إقامة هذا الحد على السحرة، أما إذا أمن السحرة وعلموا أنَّ التوبة تنفعهم؛ فإنه لا يعجز أحدهم إذا أخذ أن يقول: إني تبت؛ ليخلى سبيله ويكتفى بتعزيره، فلا يقطع الفساد إلا أن يفعل بالسحرة ما كتب به عمر: (**«أن اقتلوا كل ساحر وساحرة»**).

فلا يُطهِّر المجتمع من هذه العناصر الخبيثة إلا ضرب أعناقهم بالسيف، ومما يعين على ذلك: فضحهم، وعدم الستر عليهم؛ فمن علم

عـن أحـد من أولئك الدجالين المفسـدين، وجـب عليه أن يبلـغ ولاة الأمر؛ ليعملـوا معهـم العقـاب الـرادع، إما بالقتـل إذا توفـرت الأسـباب، أو بالطرد والإبعـاد، فالسـحر مفسـد للعقـول والأبـدان والأديـان، وهـذا مـا نـص عليـه القـرآن، فمـن أهـم مقاصـد السـحرة: التفريـق بيـن الزوجيـن، والسـحرة كغيرهـم مـن أهـل الباطـل لا يظهـرون السـحر بصورتـه الحقيقيـة؛ بل بصورة الطـب أو الرقيـة مثلًا، ومع ذلك لا بد أن يظهـر منهم ما يفضحهم.

(الثامنـة: وجود هذا في المسـلمين علـى عهد عمر؛ فكيف بعده؟!).

هـذه المسـألة مأخـوذة مـن الآثـار المذكـورة في البـاب: عن عمـر وابنته وجنـدب؛ فإنهـا تـدل قطعًـا علـى وجـود السـحر والسـحرة في عهـد الخلافة الراشـدة وقـوة الإسـلام، إذن: فـلا بـد أن يوجـد ذلـك في الأزمـان المتأخرة؛ عهـود الضعـف والجهـل عنـد أكثـر المسـلمين، ومعلـوم شـرعًا أنَّ وجـود مثـل هـذا الشـر فـي ذلـك العصـر لا يسـوغ الشـر الحاضـر، ومـن الشـبه الشـيطانية التـي يتعلـق بهـا مريـدو الفسـاد قولهـم: «هـذه المنكـرات كانـت موجـودة فـي عهـد النبـي ﷺ وصحابتـه» يريـدون بذلـك: عـدم الإنـكار لهذه المنكـرات، ومعلـوم أنَّ مـا وجـد في عهـد الصحابة كان مسـتورًا ومسـتخفيًا بـه، فـلا يـكاد يثبـت إلا بالإقـرار كمـا فـي قصـة ماعـز والغامديـة[١]، وأمـا فـي العصـور المتأخـرة فقـد وجـدت دور البغـاء، واسـتبيحت أسـباب الفواحش فمـن يسـوي بيـن حـال الصحابـة، وحـال النـاس فـي هـذه الأزمان؛ فهـو فاسـد العقـل أو فاسـد القصـد.

◆◇◈◇◆

(١) أخرجه مسلم (١٦٩٥) من حديث بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢٥)

باب بيان شيءٍ من أنواع السحر

قال أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن حيان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه: أنه سمع النبي ﷺ قال: «إنَّ العيافة والطرق والطيرة من الجبت». قال عوف: العيافة زجر الطير، والطرق الخط يخط بالأرض، والجبت قال الحسن: رنة[١] الشيطان. إسناده جيد[٢].

ولأبي داود والنسائي، وابن حبان في «صحيحه» المسند منه[٣].

---

(١) هذا تصحيف سيأتي التنبيه على ذلك في الشرح.

(٢) قاله ابن مفلح في الآداب الشرعية (٣/ ٣٦٥) كما سيأتي في الشرح.

(٣) أخرجه أحمد (١٥٩١٥)، (٢٠٦٠٣)، (٢٠٦٠٤)، وأبو داود (٣٩٠٧)، والنسائي في الكبرى (١١٠٤٣)، وابن حبان (٦١٣١) وصححه، وحسَّنه النووي في رياض الصالحين (١٦٧٠)، وشيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٢).
وضعفه الألباني في تخريج الحلال والحرام (٣٠١). وللحديث شواهد في الصحيح، منها:
حديث معاوية بن الحكم عند مسلم (٥٣٧) قال: قلت: يا رسول الله، إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام... قال قلت: ومنا رجال يخطون، قال: «**كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك**».
وحديث أبي هريرة عند الشيخين في النهي عن الطيرة في (ص ٥٢١).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن اقتبس شعبة من النجوم؛ فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد» رواه أبو داود، وإسناده صحيح[(١)].

وللنسائي من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَن عقد عقدة ثم نفث فيها، فقد سحر، ومَن سحر؛ فقد أشرك، ومَن تعلق شيئًا، وُكل إليه»[(٢)].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ألا هل أنبئكم ما العضه؟ هي النميمة، القالة بين الناس» رواه مسلم[(٣)].

ولهما عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ من البيان لسحرًا»[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٠٠)، وأبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، والطبراني في الكبير (١١٢٧٨)، والبيهقي في السنن (١٦٥٩١) بنحوه. والحديث صححه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٥/ ٢١٥٩ رقم ٣٤٠٤)، وقال الألباني في الصحيحة (٧٩٣): «إسناده جيد».

(٢) أخرجه النسائي (٤٠٧٩)، وابن عدي في الكامل (٥/ ٥٥١)، والطبراني في الأوسط (١٤٦٩). قال الذهبي في الميزان (٤١٤٧): «هذا الحديث لا يصلح؛ لِلينِ عبَّاد، وانقطاعه». وقال المنذري في الترغيب (٤٥٩٠): «رواه النسائي من رواية الحسن عن أبي هريرة، ولم يسمع منه عند الجمهور». وقد حسَّنه ابن مفلح في الآداب الشرعية (٣/ ٦٨-٦٩).
وأخرجه عبد الرزاق كما في جامع معمر بن راشد (١٩٧٧٢) من طريق أبان عن الحسن يرفع الحديث قال: «**من عقد عقدة فيها رقية فقد سحر ومن سحر فقد كفر ومن تعلق علقة وكل إليها**»، وهذا مرسل، ويشهد للجملة الأخيرة حديثَ عبد الله بن عكيم، وقد سبق في «باب ما جاء في الرُّقى والتمائم» (ص١٩٦).

(٣) مسلم: (٢٦٠٦).

(٤) أخرجه البخاري: (٥١٤٦) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بهذا اللفظ، ولمسلم (٨٦٩) نحوه من حديث عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الشرح

يقول الشيخ: **(باب بيان شيء من أنواع السحر)**: تقدم أنَّ السحر نوعان: حقيقي وتخييلي[١]، وكل منهما باطل ومذموم، وسبق الاستدلال لهما: بآية البقرة، وآية طه، والشيخ في هذا الباب يذكر أشياء، منها ما هو من السحر الحقيقي، ومنها ما هو يشبه السحر في أثره وحكمه، وإن لم يكن من السحر بمعناه الخاص، فهذا الباب هو تفصيل لأنواع السحر؛ وبذلك تظهر مناسبته لما قبله.

أول ما ذكر الشيخ حديث: **(حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه: أنه سمع النبي ﷺ قال: «إنَّ العيافة والطرق والطيرة من الجبت»)**. قال عوف -أحد رواة هذا الحديث-[٢]: **(العيافة زجر الطير)**: أي: زجره للاستدلال بحركته على ما سيكون من خير وشر[٣]، فزجر الطير وتهييجه للاستدلال به هو تطير، والطرق هو: الخط يخط في الأرض، أو هو ضرب الحصى[٤]، وهذه طريقة من طرق الكهان والسحرة للاستدلال على بعض المغيبات؛ ولهذا يقول لبيد:

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى
ولا زاجرات الطير ما الله صانع[٥]

---

(١) تنظر: (ص٤٧٧).

(٢) عوف: هو ابن أبي جميلة ويعرف بعوف الأعرابي ولم يكن أعرابيًا، بل شُهر به، وهو ثقة في الرواية، روى عن أبي رجاء العطاردي وأبي عثمان النهدي وجماعة، وعنه شعبة والثوري وغيرهم، مات سنة (١٤٦هـ) وقيل (١٤٧هـ). ينظر: السير (٦/ ٣٨٣)، وتهذيب التهذيب (٨/ ١٦٦، رقم ٣٠٢).

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٣٠).

(٤) ينظر: النهاية (٣/ ١٢١).

(٥) ديوان لبيد بن ربيعة العامري (ص٩٠).

لكن يأبى أولئك الدجالون إلا أن يدعوا علم الغيب؛ فيفعلون ما يفعلون من الضرب بالعصا، وزجر الطير، والخط في الرمال، ثم بعد ذلك يصدرون أحكامًا: سيكون كذا أو لا يكون كذا، وفلان فعل كذا وكذا!

والطيرة هي: التطير والتشاؤم بمرئي أو مسموع، من طير وغيره، لكن أصلها التشاؤم بالطيور، والاستدلال بحركة الطيور على ما سيكون، وهذا سيعقد له الشيخ بابًا مفردًا، وهو: (باب ما جاء في التطير)(١).

ثم ذكر الشيخ عن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: الجبت: «رنة الشيطان»: والرنة هي الصيحة، أي: صيحة الشيطان(٢)، والشيطان الذي هو إبليس، قد روي عن مجاهد أنه رنّ أربع رنات، وصاح صيحات أسى وحزن، حين لعن، وحين أهبط، وحين بعث محمد ﷺ، وحين أنزلت الحمد لله رب العالمين(٣)، لكن الذي يظهر أنَّ رنة الشيطان هي صوته الأثيم الذي يفعله الإنسان، وهو منسوب للشيطان كما قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤]؛ فصوت الشيطان: فسر بكل صوت يدعو للباطل، وكل صوت محرم(٤)، فصوت النائحات، والمغني والمغنيات، هو صوت الشيطان، وهو مما يستفز به الإنسان، فهذه المعازف، والأصوات الرنانة هي رنة الشيطان؛ لأنها بأمره، وتدعو إلى ما يحب من الفواحش والمنكرات، فكل هذه الأصوات الأثيمة هي

---

(١) تنظر: (ص٥٢١).

(٢) ينظر: لسان العرب (١٣/ ١٨٧).

(٣) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٦٧٩).

(٤) وهو قول ابن عباس وقتادة واختاره الطبري. ينظر: تفسير الطبري (١٤/ ٦٥٧-٦٥٨).

من الجبت بالمعنى العام، لأنَّ الجبت هو كل شيء رديء لا خير فيه من الأعمال والأخلاق والذوات -كما تقدم-.

تنبيه: لفظ المسند: **(قال الحسن؛ الجبت: إنه الشيطان)**[١]، وهو معنى صحيح؛ فإنَّ الشيطان أخبث الجبت، ولعل اللفظة تصحفت إلى رنة الشيطان، ويظهر أنَّ الشيخ نقل هذا الحديث بهذا السياق من الآداب الشرعية لابن مفلح[٢]، وعليه فقوله: **(إسناده جيد)**: هو من قول صاحب الآداب[٣].

قال الشيخ بعد ذكر الحديث، وقول الحسن: **(ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه)**: يعني: الحديث رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان، لكنْ أبو داود والنسائي وابن حبان إنما ذكروا المسند، أي: المرفوع منه، ولم يذكروا قول عوف، ولا قول الحسن، وهذه الأمور تشبه السحر من حيث أنها داخلة في الجبت، وقد سبق تفسير الجبت في قول عمر: **(الجبت: السحر)**[٤]، فالعيافة والطرق والطيرة من الجبت بمفهومه العام، فهي من السحر باعتبار أنها تدخل

---

(١) مسند الإمام أحمد (٢٠٦٠٤)، ومن طريقه البيهقي في السنن (١٦٥٩٤).

(٢) (٣/ ٣٦٥) ط الرسالة.

(٣) وقد جاء هذا التصحيف أيضًا في نسخة من تفسير ابن كثير أشار إليها المحقق في طبعة قرطبة (٤/ ١١٦)، والراجح والأظهر أن المصنف صادر عن الآداب الشرعية كما حرره شيخنا، ويبعد أن يكون التصحيف من نسَّاخ «كتاب التوحيد»، فقد سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما في مجموع مؤلفاته - فتاوى ومسائل -(٤/ ٥٤)، عن تفسير الحسن «الجبت» برنة الشيطان، ما رنة الشيطان؟ فقال: «لا أعرف مقصود الحسن...».

(٤) تنظر: (ص٤٨٠).

في مسمى الجبت، وتشبه كذلك السحر من جهة ادعاء علم الغيب وعبادة الشياطين، فاللاتي يرمين بالحصى، ويأتين الكهانة يشبهن السواحر اللاتي ينفثن في العقد.

(وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن اقتبس شعبة من النجوم؛ فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد» رواه أبو داود، وإسناده صحيح).

قوله: (**«مَن اقتبس شعبة من النجوم»**): أي: قطعة من علم النجوم، وهو التنجيم، ولفظ الحديث في الأصول: (**«مَن اقتبس علمًا من النجوم»**)[(١)]: أي: علمًا من علم النجوم، وهو التنجيم؛ يقال: «قبست العلم واقتبسته، يعني تعلمته وحصلته»[(٢)].

(**«فقد اقتبس شعبة من السحر»**)؛ فالحديث يدل على أنَّ التنجيم نوع من السحر، وسيأتي باب مفرد للتنجيم[(٣)].

وقوله: (**«زاد ما زاد»**): يعني: كلما زاد من علم التنجيم زاد حظه من السحر؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وفي هذا تحذير بالغ من علم التنجيم، وهو يدل على وجود علاقة بين المنجم والساحر، كما سيأتي في: (باب ما جاء في الكهان ونحوهم)[(٤)]، بعد هذا الباب، فالمنجم والساحر والكاهن بعضهم من بعض.

---

(١) كما تقدم في التخريج، وفي مصنف ابن أبي شيبة (٢٥٦٤٦)، وأورده بهذا اللفظ الذي ذكره المصنف: ابن بطة في الشرح والإبانة (٤٥٤).

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٤).

(٣) تنظر: (ص٥٣٣).

(٤) تنظر: (ص٥٠٣).

(وللنسائي من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَن عقد عقدة ثم نفث فيها، فقد سحر، ومَن سحر؛ فقد أشرك، ومَن تعلق شيئًا، وكل إليه»).

هذا من السحر الحقيقي المنصوص عليه في القرآن؛ كما قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾. وتقدم أنَّ السحر الحقيقي هو عزائم ورقى، وعقد تؤثر في العقول والأبدان، وتمرض وتقتل وتفرق بين المرء وزوجه[1].

قوله: **(«مَن عقد عقدة ثم نفث فيها، فقد سحر»)**: هذا الفعل لا يتم إلا بمعاونة الشياطين؛ فله سر، وليس كل مَن عقد عقدة وتفل فيها فقد سحر، إذ لا يتم السحر إلا بمعاونة الشياطين، فإذا اقترنت النفس الخبيثة ببعض الأرواح الشريرة من شياطين الجن؛ فإنه يتم له ما أراد من الكيد والإفساد، فمن طرق السحر: أن يعقد العقد وينفث فيها؛ لتحقيق مطلب من المطالب، كالتفريق بين زوجين، أو لإفساد عقل هذا الإنسان حتى تنغص حياته بعد أن كان مستقيم الحال، فالساحر يعمل سحره على ترتيب معين، ولغاية معينة، فيتم له ما أراد بإذن الله الكوني؛ قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وملازمة الأوراد الشرعية في الصباح والمساء مع الاحتساب والاستحضار لعظمة الله: من أعظم الأسباب الواقية من كيد السحرة، وكيد شياطين الإنس والجن، فينبغي للمسلم أن يتحصن بذكر الله والتوكل عليه والتوجه إليه بطلب الحماية والكفاية؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

---

(١) تقدم في: (ص٤٧٨).

ومن ذلك: ملازمة قراءة هذه السور: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾، دبر كل صلاة، وفي الصباح والمساء، ثلاث مرات، ومما جاء فيها: التعوذ بالله من السواحر الخبيثات، والتعوذ بقراءة هذه السور من أعظم الأسباب الواقية من جميع الشرور[1]؛ فينبغي أن تقرأ، وأن يحافظ عليها بوعي وبصيرة وإيمان.

وقوله: («فقد سحر»): أي: عمل السحر، وصار ساحرًا.

ثم قال ﷺ: («ومَن سحر؛ فقد أشرك») فالسحر لا يتأتى إلا مع الشرك[2]، وعبادة الشياطين، وهو من الاستمتاع الذي يكون بين الجن والإنس؛ قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ١٢٨﴾ [الأنعام].

قوله: (ومَن تعلق شيئًا، وكل إليه): أي: مَن تعلق قلبه بشيء من الأسباب التي تعلق كالتمائم، وكله الله إليه، وتركه الله تعالى كما في الحديث المتقدم: («مَن تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومَن تعلق ودعة فلا ودع الله له»)، وفي رواية: («مَن تعلق تميمة فقد أشرك»)[3]، وهنا: (ومَن تعلق شيئًا، وكل إليه)؛ فالواجب على المسلم أن يعلق قلبه بربه،

---

(١) ينظر: زاد المعاد (٤/ ١٢٦).
(٢) تقدم في (ص٤٧٩).
(٣) تقدم تخريجه في (ص١٧٨).

مؤمنًا بأنه لا يأتي بالحسنات ويدفع السيئات إلا هو، وبأنَّ الخير كله بيده، وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، وأنه تعالى هو النافع الضار؛ فيعلق رجاءه بمولاه، الذي بيده ملكوت كل شيء.

(وعن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أنَّ رسول الله ﷺ قال: ألا هل أنبئكم ما العضه؟ هي النميمة، القالة بين الناس» رواه مسلم).

قوله: «**ألا**»: أداة استفتاح أو عرض، «**أنبئكم**»: أي: أخبركم.

«**ما العضه؟**»: العضه[1]: فسره أهل اللغة بالبهت[2]، يعني بالكذب، وفسرها الرسول ﷺ بقوله: «**هي النميمة، القالة بين الناس**»، والنميمة هي نقل الحديث على جهة الإفساد، هذا أصل النميمة[3]، وقد ثبت عن النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ أنه قال: «**لا يدخل الجنة قتات**[4]»: وهو النمام[5]، وذكر الله في سيرة بعض الأشقياء أنه مشاء بنميم؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ [القلم].

والنميمة من جهة الحكم العام، هو التحريم، ومن جهة الأثر، وهو الإفساد، فهي تفرق بين المرء وزوجه، وبين الناس؛ كالسحر، ولا تأخذ حكم السحر، ولا يأخذ النمام حكم الساحر من حيث الكفر، أو تحتم القتل؛ فهي كالسحر في حكمه الإجمالي، وهو التحريم، وهي من كبائر

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية (٣/ ٢٥٤): «هكذا يُروى في كتب الحديث، والذي جاء في كتب الغريب: «**ألا أنبئكم ما العِضَة؟**» بكسر العين وفتح الضاد». وقال شيخنا: «ما في كتب الحديث أوضح».

(٢) ينظر: لسان العرب (١٣/ ٥١٥).

(٣) ينظر: النهاية (٥/ ١٢٠).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥) من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٥) لأنه يَقتُّ الحديث، أي يزوِّره ويهيئُه ويسويه. ينظر: النهاية (٤/ ١١).

الذنوب، ولا يلزم أن تكون بمنزلة السحر في حكمه الخاص، وهو الكفر -كما تقدم- لكن الشيخ ذكر هذا الحديث في النميمة؛ لأنها تشبه السحر في التفريق بين الزوجين أو غيرهما، ولهذا جاء عن بعض السلف: «يفسد النمام والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة»[(١)]، ولذا عدها الشيخ من أنواع السحر.

(ولهما عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ من البيان لسحرًا»).

هذا الحديث متفق عليه **(ولهما)**: أي: للبخاري ومسلم **«إنَّ من البيان لسحرًا»**: أي: الفصاحة والبلاغة، والسحر هو ما خفي ولطف سببه، هذا في اللغة[(٢)]، ومنه البيان وهو القول المؤثر في العقول، وقد اختلف أهل العلم في المقصود بهذا الحديث، فقيل: إنَّ المقصود منه هو مدح البيان، يعني من البيان ومن الفصاحة: ما يجذب الأسماع، ويصرف الأنظار، ويشد الأذهان؛ فهو مدح بهذا الاعتبار، فمن الناس مَن إذا تحدث بما أوتي من بلاغة وحسن بيان؛ يجعل السامع لا يلتفت، فيشده بما أوتي من بيان! ومن أهل العلم مَن يقول: إنَّ هذا ذم، يعني هذا تشبيه للبيان أو لبعض البيان بالسحر، كأنه يقول: **(«إنَّ من البيان»)**: يعني: بعض البيان، كالسحر في التمويه، وتلبيس الحقائق، وإلباس الباطل ثوب الحق، والحق ثوب الباطل،

---

(١) أورده ابن عبد البر بهذا اللفظ عن يحيى بن أبي كثير في بهجة المجالس (١/ ٤٠٣)، ورواه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٧٠) عن يحيى بن أبي كثير بلفظ: «يُفسد النمام في ساعة ما لا يُفسد الساحر في شهر».

(٢) تقدم في (ص٤٧٧).

وهذا هو اللائق بالمقام، وهو الأظهر(١)، فالأصل أنَّ السحر مذموم في الشرع؛ فكيف يقال: إنَّ هذا مدح؟! فمن البيان ما هو إلا سحر يشوه الحقائق، ويموه ويؤثر على العقول؛ حتى تتصور الشيء على غير ما هو عليه، مثل السحر التخييلي، أليس الساحر المخيل يموه على العيون حتى ترى الأشياء على غير حقيقتها؟! كما في سحر سحرة فرعون: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ۞ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ۞﴾ [طه]. فالفصيح البليغ إذا استغل فصاحته وبيانه في الباطل، قد يلبس الحق ثوب الباطل، والباطل ثوب الحق، ويلبس على العقول فترى الأشياء على غير ما هي عليه، ويستشهد لهذا المعنى بقول الشاعر(٢):

في زخرف القول ترجيح لقائله
والحق قد يعتريه بعض تغيير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه
وإن تعب قلت ذا قيء الزنابير
مدحًا وذمًّا وما جاوزت وصفهما
سحر البيان يري الظلماء كالنور

ويشهد لهذا قوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا﴾ [الأنعام: ١١٢]. وهذا الصنف قد يقلب الحقائق في الخصومات، فيجعل المحق مبطلًا، والمبطل محقًّا، وهذا يكون لحنًا بالحجة، ولهذا قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:

(١) ينظر: معالم السنن (٤/ ١٣٦)، والتمهيد (٥/ ١٧١).
(٢) الأبيات لابن الرومي في ديوانه (ص ١١٤٤ رقم ٩٠٨).

«إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض؛ فأقضي على نحو ما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار»(١).

فالصحيح أنَّ قوله ﷺ: «إن من البيان لسحرًا»: ذم لضرب من البيان، وهو ما تزيف فيه الحقائق، ويلبس فيه الحق بالباطل.

(فيه مسائل:

الأولى: أنَّ العيافة والطرق والطيرة من الجبت).

هذه المسألة الأولى تقدم القول فيها، وهي مضمون حديث قبيصة: **(إنَّ العيافة والطرق والطيرة من الجبت)**: فكلها من الجبت، وكلها شر، وعمل منكر، وأعمال جاهلية، وتلاعب من الشيطان..!

(الثانية: تفسير العيافة والطرق).

كما ورد في كلام عوف: **(العيافة زجر الطير، والطرق الخط يخط بالأرض).**

(الثالثة: أنَّ علم النجوم من أنواع السحر).

كما في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(الرابعة: العقد مع النفث من ذلك).

يعني: من السحر العقد مع النفث، وهو أشهر أنواع السحر ومن أخبثها؛ كما نص الله عليه في كتابه: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾، والنفاثات

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٦٩) -واللفظ له-، مسلم (١٧١٣) من حديث أم سلمة هند بنت أبي أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

في العقد: السواحر، فلعل هذا: أهم ما ذكر في هذا الباب، وأمكن هذه الأنواع في السحر، وهو أصل في حقيقته وحكمه، وتقدم أنَّ العقد مع النفث لا يتم به مطلوب الخبيث إلا بمعاونة الأرواح الخبيثة من الجن، ولا تتم معاونة الشياطين إلا بالخضوع لهم وبعبادتهم وطاعتهم.

(الخامسة: أنَّ النميمة من ذلك).

أي: أنَّ النميمة من السحر، لكن تقدم أنَّ النميمة من السحر من جهة الحكم العام، وهو التحريم، ومن جهة الأثر وهو الإفساد، وإلا فهي كلام معتاد، لكن النميمة أشبهت السحر من جهة الأثر، وهو التفريق بين الأحبة، ولا تأخذ حكم السحر، ولا يأخذ النمام حكم الساحر من حيث الكفر، أو تحتم القتل.

(السادسة: أنَّ من ذلك بعض الفصاحة).

أي: أنَّ من السحر: بعض الفصاحة، وتقدم أنَّ المراد بالبيان الذي في الحديث: الفصاحة التي يتوصل بها إلى قلب الحقائق، ولبس الحق بالباطل، وتمويه الباطل، وتشويه الحق، وكذلك من جهة الحكم، ومن جهة الأثر، فالقول فيه كالقول في النميمة.

◆◈◈◈◆

(٢٦)

باب ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في «صحيحه» عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «مَن أتى عرافًا، فسأله عن شيء، فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يومًا»[١].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: «مَن أتى كاهنًا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» رواه أبو داود[٢].

وللأربعة[٣] والحاكم -وقال صحيح على شرطهما-: [وعنه

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣٠) دون قوله: «**فصدَّقه**»، وفيه: «**ليلة**» بدل «**يومًا**» وهو عند أحمد (١٦٦٣٨)، (٢٣٢٢٢) بنحوه.

(٢) أخرجه أحمد (٩٢٩٠)، وأبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩). قال البخاري: «هذا حديث لا يُتابع عليه، ولا يُعرف لأبي تميمة سماع من أبي هريرة في البصريين». ينظر: التاريخ الكبير (٣/ ١٦-١٧ رقم ٦٧). وللحديث شواهد منها: ما أخرجه البزار (٣٠٤٥ -كشف الأستار) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال: «**من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد** ﷺ». قال المنذري في الترغيب (٤٥٩٦): «رواه البزار بإسناد قوي جيد». وبنحوه قال الحافظ في الفتح (١٠/ ٢١٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٣٨٧)، وإرواء الغليل (٢٠٠٦).

(٣) لم نجده عند الأربعة، ولعل المصنف تَبِع الحافظ في الفتح (١٠/ ٢١٧) فقال: «...ما أخرجه أصحاب السنن وصححه الحاكم من حديث أبي هريرة رفعه: (**من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**)». ولعل الحافظ وهم أو أراد الحديث المتقدم. وينظر: التيسير (٢/ ٧٢٥-٧٢٦).

قال][1] «مَن أتى عرافًا، أو كاهنًا فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[2].

ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفًا[3].

وعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «ليس منا مَن تطير أو تُطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له، ومَن أتى كاهنًا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» رواه البزار بإسناد جيد[4].

ورواه الطبراني بإسناد حسن من حديث ابن عباس، دون قوله: «ومَن أتى...» إلى آخره[5].

قال البغوي: «العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك.

---

(١) زيادة من شيخنا، وقال: «هذا هو الصواب»، وفي نسخ «كتاب التوحيد»: بيَّض له المصنف. وقال الشارح في التيسير (٢/ ٧٢٥): «هكذا بيض المصنف لاسم الراوي، وقد رواه أحمد، والبيهقي، والحاكم عن أبي هريرة مرفوعًا».

(٢) أخرجه الحاكم (١٥)، ومن طريقه البيهقي (١٦٥٧٤)، ونقل المناوي في فيض القدير (٦/ ٢٣) عن الحافظ العراقي أنه قال في أماليه: «حديث صحيح». وصححه الذهبي في المهذب في اختصار السنن (١٢٧٩٩).

(٣) أخرجه الطيالسي (٣٨١)، وابن الجعد (٤٢٥)، وابن أبي شيبة (٢٣٥٢٨)، والبزار (١٨٧٣) وأبو يعلى (٥٤٠٨) عن عبد الله بن مسعود موقوفًا بنحوه. قال الحافظ في الفتح (١٠/ ٢١٧): «أخرجه أبو يعلى من حديث ابن مسعود بسند جيد لكن لم يصرح برفعه، ومثله لا يقال بالرأي».

(٤) أخرجه البزار (٣٥٧٨)، وجوَّد إسناده الحافظ في الفتح (١٠/ ٢١٧).

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٢٦٢)، والبزار (٣٠٤٣- كشف)، والضياء في المختارة (٤٢٦)، وأورده الهيثمي في المجمع (٥/ ١١٧) وقال: «رواه البزار، والطبراني في الأوسط، وفيه: زمعة بن صالح، وهو ضعيف». ويشهد له ما سبق.

وقيل: هو الكاهن، والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل: الذي يخبر عما في الضمير»[(١)].

وقال أبو العباس ابن تيمية: «العراف: اسم للكاهن، والمنجم، والرمال، ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق»[(٢)].

وقال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في قوم يكتبون «أبا جاد» وينظرون في النجوم: «ما أرى مَن فعل ذلك له عند الله من خلاق»[(٣)].

الشرح

يقول الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ: **(باب ما جاء في الكهان ونحوهم)**: يعني: هذا باب ذكر ما ورد من النصوص والأحاديث والآثار في الكهان.

والكهان: جمع كاهن، والكاهن يجمع على كهنة، ويجمع على كهان[(٤)]، وهو الذي يخبر بالأمور الغائبة المستقبلة، من أنه سيكون كذا، ويحدث كذا، أو غير المستقبلة، ويتلقى ذلك عن مسترق السمع؛ فيسمع الشيطان الكلمة من الملائكة فيلقيها إلى مَن تحته، ثم يلقيها الآخر إلى مَن تحته، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن

---

(١) بمعناه في شرح السنة (١٢/ ١٨٢) فلا نعلم آخر كلام البغوي هل هو عند قوله: (.. ومن الضالة ونحو ذلك) كما في طبعة الفريان لفتح المجيد، أو إلى قوله: (... وقيل: الذي يخبر عما في الضمير) كما في طبعة دغش العجمي.

(٢) بنحوه في: مختصر الفتاوى المصرية (ص١٥٢)، ومجموع الفتاوى (٣٥/ ١٧٣).

(٣) أخرجه عبد الرزاق كما في جامع معمر بن راشد (١٩٨٠٥)، وابن أبي شيبة (٢٥٦٤٨)، والبيهقي في السنن (١٦٥٩٢).

(٤) ينظر: الصحاح (٦/ ٢١٩١).

يدركه، حتى يقرها في أذن الكاهن[١]، فالكاهن يتلقى أخباره من مسترق السمع، ومن سائر شياطين الجن.

وقوله: (ونحوهم): أي: نحو الكهان، ومنهم: السحرة والمنجمون والعرافون كما سيأتي، فكل هؤلاء أنواع من الذين يدعون علم المغيبات؛ وبهذا يتبين مناسبة هذا الباب للأبواب التي قبله، فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر (باب ما جاء في السحر)، ثم ذكر (باب بيان شيء من أنواع السحر)، ثم أتبعهما بذكر ما يتعلق بالكهان، فبين هذه الأبواب تناسب ظاهر، وهذا من حسن تأليف الشيخ، وترتيبه وتبويبه لهذا الكتاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(روى مسلم في «صحيحه» عن بعض أزواج النبي ﷺ)**: قيل: إنها حفصة أم المؤمنين بنت عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[٢].

(عن النبي ﷺ قال: «مَن أتى عرافًا، فسأله عن شيء، فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يومًا»). ليس في صحيح مسلم: (**«فصدقه»**)[٣] وهذا وعيد شديد وتحذير، وحرمان عظيم! قال العلماء: (**«لم تقبل له صلاة أربعين يومًا»**): معناه: أنه لا يثاب عليها، فيحرم ثواب الصلوات، وليس المراد أنَّ صلاته لا تجزئ بحيث إنه يجب عليه القضاء بعد أربعين يومًا مئتي صلاة؛ بل تجزئ وتُسقط الفرض لكنه يحرم ثوابها، وأهل العلم

---

(١) تقدم في (ص٣٣٢) في باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ].

(٢) حيث أخرجه أبو مسعود الدمشقي، في مسند حفصة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ذكر ذلك محمد بن نصر الحميدي وابن الجوزي والمزي. ينظر: الجمع بين الصحيحين للحميدي (٤/ ٢٤٦ رقم ٣٤٧٧)، (٤/ ٣١٩ رقم ٣٥٧٢)، وجامع المسانيد (٨/ ٤٢٨ رقم ٧٧٦٢)، وتحفة الأشراف (١٣/ ١٢٤ رقم ١٨٣٨٤).

(٣) تقدم قريبًا.

متفقون على أنَّ مَن أتى كاهنًا فسأله: أنه لا يؤمر بقضاء هذه الصلوات؛ بل يجب عليه أن يصلي في هذه الأيام، ولكنه متوعد بحرمان ثوابها[(١)]، وهذا يدل على تحريم سؤال الكهان ونحوهم من العرافين، وأنه كبيرة من كبائر الذنوب، وظاهر الحديث: أنه ولو لم يصدقه، أما لو ذهب إليه ذاهب ليمتحنه لأنه قد نسبت إليه الكهانة ليتثبت، فهذا جائز؛ كما سأل النبي ﷺ ابن صياد[(٢)]؛ لأنَّ السائل يريد أن يتحقق مما نسب إليه حتى يتخذ في حقه ما توجبه الشريعة[(٣)].

(وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: «مَن أتى كاهنًا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» رواه أبو داود.

وللأربعة والحاكم -وقال صحيح على شرطهما-: وعنه، قال: «مَن أتى عرافًا، أو كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ».

ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفًا.

وعن عمران بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: «ليس منا مَن تطير أو تُطير له، أو تكهن أو تُكهن له، أو سحر أو سُحر له، ومَن أتى كاهنًا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» رواه البزار بإسناد جيد).

تضمنت هذه الأحاديث الثلاثة، وأثر ابن مسعود التحذير من إتيان الكهان وسؤالهم وتصديقهم، وأنَّ مَن أتى كاهنًا أو عرافًا فسأله عن شيء فصدقه بما يخبره به فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ وهو القرآن لأنَّ

---

(١) ينظر: شرح مسلم للنووي (١٤/ ٢٢٧).
(٢) أخرجه البخاري (١٣٥٤)، ومسلم (٢٩٣٠) عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.
(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١٩/ ٦٢-٦٣)، والقول المفيد (١/ ٥٣٣).

الكاهن يدعي علم الغيب، ومَن يسأله ويصدقه قد كفر بقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، فلا أحد من الخلق يعلم الغيب حتى الرسل إلا ما يطلعهم الله عليه، ولهذا أمر الله نبيه أن يقول للناس: ﴿لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ۝٢٥ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن]، ومما ينبغي أن يعلم أنَّ الغيب نوعان: غيب مطلق، وهو ما لا يعلمه إلا الله؛ كعدد الملائكة والخمس المذكورة في آية لقمان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

والنوع الثاني: غيب نسبي، وهو ما يعلمه بعض الخلق دون بعض، بأسباب كونية أو شرعية؛ كعدد الأنبياء، وأعداد الشعوب، فمن ادعى العلم بالنوع الأول فهو الذي كفر بما أنزل على محمد، ومَن ادعى الثاني فقد يكون صادقًا وقد يكون كاذبًا، كما دلت هذه الأحاديث على حكم مَن أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول، وهو أنه قد كفر بذلك، وفي هذا الكفر للعلماء ثلاثة أقوال:

قيل: إنه كفر أكبر؛ أي: مخرج من الملة، فمن يفعل ما ذكر فهو مرتد.

وقيل: إنه كفر دون كفر؛ أي: معصية من كبائر الذنوب[(١)].

وقيل بالتوقف عن الجزم بأحد الحكمين، وإجراء الأحاديث على إطلاقها؛ لأنَّ ذلك أبلغ في الزجر.

---

(١) وإليه يميل ابن القيم؛ فقد مثَّل به في الكفر الأصغر. ينظر: كتاب الصلاة (ص٨٨-٩٠)، ومدارج السالكين (١/ ٥١٧-٥١٨).

وروي عن الإمام أحمد القول الأول والثالث[١]، والذي يظهر لي -والله أعلم- أنَّ حال السائلين تختلف[٢]، فمن كان يعتقد أنَّ الكاهن يعلم الغيب فهو من أهل الوعيد بالكفر، ومَن كان لا يعتقد ذلك؛ بل يقول: إنَّ الكاهن له قرناء من الجن يخبرونه مما يجيء به مسترق السمع، أو مما يشاهده الجن من أحوال الناس؛ فمثل هذا لا يكفر؛ بل هو عاص؛ لأنه لم يعتقد أنَّ الكاهن يعلم الغيب، فعلم مما تقدم أنَّ سؤال الكهان يكون على وجوه:

أحدها: مَن يسأل الكاهن ولا يصدقه، فهذا هو المذكور في حديث حفصة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أم المؤمنين، وعقوبته ألا تقبل صلاته أربعين يومًا؛ أي: لا يثاب عليها، وهي: مجزئة يتأدى بها الفرض، فلا يؤمر بقضاء هذه الصلوات.

الثاني: مَن يسأل الكاهن، ويصدقه؛ فهذا هو المتوعد بالكفر؛ كما في حديثي أبي هريرة وما بعده.

فاختلف النوعان في الحكم؛ لاختلافهما في الاعتقاد.

الثالث: مَن يسأل الكاهن ليتحقق مما نسب إليه؛ فمقصود هذا التثبت، كما قال تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]؛ فالسؤال على هذا الوجه جائز؛ بل مستحب.

الرابع: مَن يسأل الكاهن ليمتحنه ويعجزه فيفتضح، والسؤال على هذا الوجه مستحب؛ لأنه من قبيل محاربة الفساد والمفسدين.

---

(١) ينظر: الفروع (١٠/ ٢١٢).
(٢) ينظر: فيض القدير (٦/ ٢٣).

فحكم الأولِ والثاني مستفاد من أحاديث الباب، وحكم الثالث والرابع مستفاد من الأدلة العامة.

نبه على هذه الأقسام الشيخ محمد ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)].

تنبيه: تضمن حديث عمران زيادة، وهي قوله ﷺ: (**«ليس منا مَن تطير أو تُطير له، أو تكهن أو تُكهن له، أو سحر أو سُحر له»**). ومعنى: «**ليس منا**»: البراءة ممن فعل شيئًا من ذلك؛ كقوله ﷺ: «**ليس منا مَن ضرب الخدود، وشق الجيوب...**»[(٢)]؛ فدل الحديث على تحريم التطير والتكهن والسحر، سواء مباشرة أو بطريق الاستعانة بمن يحسن هذه الصناعات الخبيثة، وأشار الشيخ أنَّ لهذه الزيادة من حديث عمران شاهدًا من حديث ابن عباس عند الطبراني.

(قال البغوي: «العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك. وقيل: هو الكاهن، والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل: الذي يخبر عما في الضمير»).

البغوي هو الإمام المعروف، الحسين بن مسعود الفراء، صاحب «التفسير»، و«شرح السنة»، يقول: «العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات»: يعني: بعمليات يعملها، مثل مَن: يخط في الأرض، أو يضرب بالحصى، أو بملاحظة أشياء يستدل بها، ويخبر عن المسروق ومكان الضالة.

---

(١) القول المفيد (١/ ٥٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٧) من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

«وقيل: هو الكاهن، والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل: الذي يخبر عما في الضمير»: يعني: ما في ضمير الإنسان، فيقول: أنا أعرف أنَّ في نفسك كذا وكذا، وقد يصدق -وهو الكذوب- وقد يخطئ في أخباره، فمن العلماء مَن يجعل الكاهن أعم من العراف[١]، ومنهم مَن يجعل العراف أعم من الكاهن، والصحيح أنَّ العراف أعم من الكاهن؛ كما في قول شيخ الإسلام ابن تيمية الآتي، فعطف الكاهن على العراف من عطف الخاص على العام، وإن عطف العراف على الكاهن؛ فهو من عطف العام على الخاص.

(وقال أبو العباس ابن تيمية: «العراف: اسم للكاهن، والمنجم، والرمال، ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق»)، هذا من أحسن ما قيل في التعبير عن العراف، أنَّ العراف اسم عام؛ لأنه صيغة مبالغة من المعرفة، فتصدق على كل مَن يدعي معرفة الأمور الخفية والغيبية، فيتناول الكاهن الذي يدعي معرفة المغيبات في المستقبل، أو يدعي معرفة ما في الضمير، أو معرفة المسروق ومكان الضالة، ويشمل المنجم الذي يعتمد في أخباره على النظر في النجوم، والرمال -وهذا نوع ثالث- الذي يخط على الرمل ويرمي بالحصى، قد يسميه بعض الناس خطاطًا -كما تقدم-: **(إنَّ العيافة والطرق والطيرة من الجبت)**[٢] والطرق: الخط في الأرض.

---

(١) ينظر: شرح صحيح مسلم (١٤/ ٢٢٣). والنهاية (٤/ ٢١٤-٢١٥).
(٢) تقدم تخريجه في (ص٤٩٠).

فالعراف كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(اسم للكاهن، والمنجم، والرمال)** مثل ما يسمونه قراءة الكف، والفنجان، **(ونحوهم)** أي: ممن يدعي معرفة الأمور بهذه الطرق الخفية والشيطانية التي هي ليست طرقًا عادية معروفة، فأما الصناعات التي صار الناس يصلون بها إلى معرفة أمور غائبة وبعيدة، فقد عرفت أسبابها -كالهاتف والراديو-، وأنها وسائل طبيعية خلق الله أسبابها، وهي كلها من نوع مباح، إلا أن تستعمل فيما حرم الله، أما الأصل فهي أشياء معروفة عند ذوي الاختصاص، بأنها صناعة وإن كانت دقيقة وخفية وغريبة وعجيبة.

قوله: **(وقال ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **في قوم يكتبون «أبا جاد» وينظرون في النجوم: (ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق)**، هذا الأثر عن ابن عباس ذكر الشارح أنه روي مرفوعًا إلى الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولكنه لا يصح[1].

(في قوم يكتبون «أبا جاد» وينظرون في النجوم)، أبا جاد اسم لحروف الهجاء مرتبة على ترتيب معين، ولا يزال معروفًا بأبجد هوز... إلى آخرها، أما حروف الهجاء؛ فهي الحروف المعروفة التي أولها الألف وآخرها الياء، فهذه الحروف يكتبها المنجمون ويرتبونها وينظرون في النجوم.

(١) التيسير (٢/ ٧٣٥)، وفتح المجيد (٢/ ٤٩٧). وقد أخرجه ابن الأعرابي (١٧٢٨)، والطبراني (١٠٩٨٠) عن ابن عباس مرفوعًا: «**رُبَّ معلِّم حروف أبي جاد، دارس في النجوم ليس له عند الله خلاق يوم القيامة**». وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ١١٧) بعد أن عزاه للطبراني: «وفيه خالد بن يزيد العمري وهو كذَّاب». وحكم عليه الألباني بالوضع في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٤١٧).

(ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق): أي: من نصيب من الخير والثواب، كما تقدم في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢][(١)]، وهذا الذم بهذا القيد، لمن يكتب هذه الحروف مع النظر في النجوم؛ ليستدل بها على أمور مغيبة، وهكذا المنجمون والكهان، من علامات شرهم وخبثهم: أنه إذا جاءهم السائل يسألونه مثلًا عن اسمه واسم أبيه وأمه، فما علاقة الاسم بالمسؤول عنه؟! إن كان مريضًا مثلًا هل يلزم الطبيب أن يعرف اسم المريض؟! وهل يستفيد من معرفة اسم المريض، أو اسم أبيه أو أمه؟! وهل يستفيد شيئًا في تشخيص المرض؟! فهذا الخبيث المنجم يسأل عن الأسماء ليستنتج من حروفها وحروف الطوالع المناسبة الحكم الذي يخبر به السائل، وعلم التنجيم له قواعد وترتيبات معروفة عند أصحاب هذه الصناعة، وعليها يبنون أحكامهم، ومما يدخلونه في ذلك تاريخ المواليد، وما يصادف من الطوالع؛ فيقولون: هذا المولد طالعه طالع نحس، والآخر سعد، إلى غير ذلك من تخرصاتهم وافتراءاتهم، ولهذا عد التنجيم ضرب من ضروب السحر؛ كما تقدم في حديث ابن عباس في الباب الذي قبل هذا[(٢)]، والله أعلم.

وبعد؛ فأنبه على أمرين:

أحدهما: أنَّ هؤلاء الدجالين يدّعون الطب، ومن دجلهم إذا عرض عليهم حالة؛ فإنهم يطلبون من أجل التعرف على حالة المريض شيئًا من

---

(١) تنظر: (ص٤٧٩) والنهاية في غريب الحديث (٢/ ٧٠).

(٢) تنظر: (ص٤٩١).

ثيابه أو حاجاته الخاصة، ولهذا قد يكون الساحر أو الكاهن في بلد بعيدة أو قريبة؛ فتعرض عليهم الحالات بالمراسلة.

الأمر الثاني: تابع للكلام في «أبا جاد»، وقد تقدم أنَّ مَن يكتب «أبا جاد»، وينظر في النجوم هو من أصحاب التنجيم، أما مَن يكتب «أبا جاد» المسمى عند الناس: «أبجد هوز...» بمثابة الأرقام لضبط عدد، فيرمز لكل عدد بحرف؛ فإنهم يجعلون الألف رمزًا لواحد، والباء لاثنين، وهكذا إلى المئة والمئتين إلى ألف؛ فهذا لا بأس به؛ لأنه اتخذ وسيلة حسابية.

(فيه مسائل:

الأولى: أنه لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن).

لا يجتمع تصديق الكهان والإيمان بما أنزل على محمد ﷺ، وهذا يقتضي أنَّ تصديق الكهان عند الشيخ كفر، هذا هو الذي يظهر من كلام الشيخ.

فالتصديق والإيمان ضدان لا يجتمعان، فمن أتى كاهنًا فسأله عن شيء فصدقه؛ فقد كفر بالقرآن، حيث صدق مَن يدعي علم الغيب، وهذا يناقض قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وتقدم الكلام في مذاهب أهل العلم في حكم مَن أتى كاهنًا فصدقه.

(الثانية: التصريح بأنه كفر).

هذا يؤكد المسألة السابقة.

(الثالثة: ذِكر مَن تكهن له).

أي: بأنه مذموم، فقد تبرأ النبي ﷺ منه، فهو كمن تكهن، والمتكهِّن هو الكاهن، والمتكهَّن له هو السائل.

(الرابعة: ذكر مَن تُطير له).

هذه نظير التي قبلها؛ فالمتطير له هو مَن يطلب من غيره أن يتطير.

(الخامسة: ذكر مَن سُحر له).

مثل مَن يستعين بالساحر على سحر إنسان، فيأتي ويطلب منه أن يسحر فلانًا، أو يعمل له سحرًا يضر بفلان، فهو شريكه في الذم والوعيد.

(السادسة: تعلم «أبا جاد»).

هذا يتعلق بقول ابن عباس.

(السابعة: الفرق بين الكاهن والعراف).

هذا يتعلق بقول البغوي وابن تيمية -رَحِمَهُمَاٱللَّهُ-، وسبق أنَّ بين العراف والكاهن عموم وخصوص؛ فكل كاهن عراف، وليس كل عراف كاهنًا.

◆◈◆

(٢٧)

باب ما جاء في النشرة

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ سئل عن النشرة؟ فقال: «هي من عمل الشيطان» رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود[١].

وقال: «سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله»[٢].

وفي «البخاري» عن قتادة قلت لابن المسيب: رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته، أيُحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع، فلم ينه عنه» انتهى[٣].

وروي عن الحسن أنه قال: «لا يحل السحر إلا ساحر»[٤].

(١) أخرجه أحمد (١٤١٣٥)، وعنه: أبو داود (٣٨٦٨)، والبيهقي (١٩٦٤٥) وله شاهد من حديث أنس مرفوعا أخرجه البزار (٦٧٠٩)، والحاكم (٨٢٩٢) وصححه، وحديث الباب جوَّد إسناده ابن مفلح في الآداب الشرعية (٣/ ٦٣)، وحسنه ابن حجر في الفتح (١٠/ ٢٣٣).

(٢) ذكره ابن مفلح في الآداب الشرعية (٣/ ٦٣) قال جعفر: سمعت أبا عبد الله سئل عن النشرة فقال: «ابن مسعود يكره هذا كله».

(٣) ذكره البخاري تعليقًا مجزومًا به في كتاب الطب، «باب هل يستخرج السحر؟» عند حديث (٥٧٦٥)، ووصله ابن شيبة في المصنف (٢٣٥٢٣)، وابن عبد البر في التمهيد (٦/ ٢٤٤)، ووصله أيضا ابن جرير الطبري في تهذيب الآثار، والأثرم في «السنن»، كما في تغليق التعليق (٥/ ٤٩)، وفتح الباري (١٠/ ٢٣٣). وقال ابن حجر في التغليق (٥/ ٤٩): «إسناده صحيح».

(٤) أخرجه الطبري في تهذيب الآثار كما في فتح الباري (١٠/ ٢٣٤)، وتغليق التعليق (٥/ ٤٩)، وهو تتمة الأثر السابق بلفظ: «قال قتادة: وكان الحسن يكره ذلك، يقول: لا يعلم ذلك إلا ساحر». قال ابن حجر في التغليق (٥/ ٤٩): =

قال ابن القيم: «النشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان، بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور، والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة، فهذا جائز»(١).

الشرح

يقول الشيخ: (**باب ما جاء في النشرة**): أي: هذا باب ذكر ما جاء في النشرة من النهي والذم، أو من الرخصة والجواز.

والمراد بالنشرة: حل السحر عن المسحور، وأصل معناها الكشف عن الشيء، ومنه نشر الميت من قبره، وفي النشرة كشف لحال السحر عن المسحور، وقد تضمن هذا الباب حديثًا وثلاثة آثار، وقول ابن القيم في تقسيم النشرة.

فأما الحديث فقوله ﷺ لما سئل عن النشرة: (**«هي من عمل الشيطان»**)، وهو يدل على تحريمها، لكنه محمول على نوع من النشرة، وهو حل السحر بسحر مثله، كما جاء في كلام ابن القيم.

وأما الآثار: فالأول: قول الإمام أحمد لما سئل عن النشرة قال: (**ابن مسعود يكره هذا كله**)؛ يريد: كل ما يفعله الناس، والمراد بالكراهة:

= «إسناده صحيح» وأورده ابن الجوزي في جامع المسانيد (٢/ ٨٣ رقم ١٠٠٣) بلفظ: «لا يُطلِق السّحرَ إلا ساحرٌ».

(١) بنحوه في إعلام الموقعين (٦/ ٥٥٨).

التحريم، ليس المراد كراهة التنزيه، واستشهاد الإمام أحمد بقول ابن مسعود يدل على أنه يقول به.

والثاني؛ قول سعيد بن المسيب لما سئل عن الرجل **(به طب)**: أي: سحر **(أو يؤخذ عن امرأته)**: أي: يحبس عن امرأته فلا يصل إليها، و**(أو)**: للشك؛ فقال سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لا بأس به)**: أي: لا بأس بما يفعلُ لعلاج المسحورِ؛ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إنَّما يريدون به الإصلاح؛ فأما ما ينفع فلم ينهَ عنه)**، وهذا يدل على أنه يرخص في حل السحر بالسحر، ولكن لا يصح الأخذ بكلامه على الإطلاق؛ فإنه لا يجوز التداوي بالحرام، وإن كان المراد به الاستشفاء؛ كما قال ﷺ: «**إنَّ الله تعالى أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام**»[(١)].

الثالث: قول الحسن: **(لا يحل السحر إلا ساحر)**، وهو يدل على أنه يحرم حل السحر بسحر، وأما قول ابن القيم فقد تضمن تعريف النشرة، وأنها نوعان: حل السحر بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، يشير إلى حديث جابر، قال: ويحمل عليه قول الحسن، ومعنى هذا أنَّ حل السحر بسحر مثله حرام ثم يبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجه ذلك؛ بقوله: **(فيتقرب**

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٧٤)، والبيهقي (١٩٧١٣) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه الدولابي في الكنى (١٣١٥) بلفظ: «**إن الله خلق الداء والدواء فتداووا ولا تتداووا بحرام**»، وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٣٣). ويشهد لقوله: «**ولا تداووا بحرام**» ما علَّقه البخاري بصيغة الجزم في كتاب الأشربة، «باب شراب الحلواء والعسل» قبل حديث (٥٦١٤): قال ابن مسعود، في السَّكَر: «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرَّم عليكم»، وصححه ابن حبان (١٣٩١) بنحوه عن أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا.

الناشر)؛ وهو الساحر، **(والمنتشر)**: وهو المسحور، **(إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور)**، ومعلوم أنَّ الذي يذهب إلى الساحر لحل السحر هو راض بعمل الساحر؛ بل هو طالب من الساحر أن يعمل عمله الشيطاني؛ فالساحر والمسحور -إذن- كلاهما متقرب إلى الشيطان -كما قال ابن القيم-، فيقتضي ذلك تحريم هذا النوع من النشرة، وهذا صريح قول ابن القيم.

قال: النوع الثاني من النشرة: حل السحر بالرقية والتعويذات والأدعية والأدوية المباحة، قال: فهذا جائز، ولا ريب أنَّ هذا لا يقبل الخلاف فهو مباح إجماعًا، والله أعلم.

(فيه مسائل:

الأولى: النهي عن النشرة.

الثانية: الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه مما يزيل الإشكال).

ذكر الشيخ في هذا الباب مسألتين:

الأولى: النهي عن النشرة، وهو مستفاد من حديث جابر.

الثانية: أنَّ تقسيم النشرة الوارد في كلام ابن القيم يحل الإشكال الحاصل بسبب اختلاف فتاوى السلف، والصواب: تحريم حل السحر بسحر مثله، ولو للضرورة ما دام يفضي إلى الشرك؛ فإنَّ الشرك لا يحل بحال من الأحوال[1]، وكلام ابن القيم في النوع الأول من النشرة يتضمن

---

(١) ينظر: المغني (١٢/ ٣٠٤-٣٠٥)، وفتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١/ ١٦٥).

أنَّ حل السحر بسحر مثله مبني على عبادة الشيطان، بتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، نعوذ بالله من الشيطان وشركه.

(٢٨)

باب ما جاء في التطير

وقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١﴾ [الأعراف].

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ [يس: ١٩].

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر» أخرجاه[١]. زاد مسلم: «ولا نوء ولا غول»[٢].

ولهما عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل» قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الطيبة»[٣].

ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٤] قال: «ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: أحسنها الفأل، ولا ترد مسلمًا، فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا

(١) أخرجه البخاري (٥٧٥٧)، ومسلم (٢٢٢٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٢٠) عن أبي هريرة بلفظ: «**ولا نَوء ولا صفر**»، وفي رواية جابر (٢٢٢٢): «**ولا غُول ولا صفر**».

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

(٤) كذا في نسخ «كتاب التوحيد» والصواب: (عروة بن عامر) كما في الأصول الحديثية. ينظر: التيسير (٢/ ٧٧١). وقد وقع هذا التصحيف لغير المصنف كما في: عمل اليوم والليلة لابن السني (رقم ٢٩٣)، والأذكار للنووي (ص٢٧٤)، والوابل الصيب (ص٣٧٤).

أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»[(١)].

وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «الطيرة شرك، الطيرة شرك» وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل. رواه أبو داود، والترمذي وصححه[(٢)]، وجعل آخره من قول ابن مسعود[(٣)].

ولأحمد من حديث ابن عمرو: «مَن ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك، قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك»[(٤)].

وله من حديث الفضل بن العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك»[(٥)].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٩٥٤١)، وأبو داود (٣٩١٩)، والخَلاَّل في السنة (١٤٠٥)، والبيهقي في السنن (١٦٥٩٩)، وشعب الإيمان (١١٢٨) وصححه النووي في رياض الصالحين (١٦٧٧)، وضعفه الألباني في الضعيفة (١٦١٩).

(٢) أخرجه أحمد (٣٦٨٧)، (٤١٩٤)، وأبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وابن حبان (٦١٢٢) وصححه، ونقل المناوي في فيض القدير (٤/ ٢٩٤) تصحيح الذهبي والعراقي.

(٣) قال الترمذي: «سمعت محمد بن إسماعيل يقول: كان سليمان بن حرب يقول في هذا الحديث: وما منا، ولكن الله يذهبه بالتوكل. قال سليمان: هذا عندي قول عبد الله بن مسعود (وما منا)». وقارن بما في: بيان الوهم والإيهام لابن قطان (٥/ ٣٨٧-٣٨٨)، والصحيحة للألباني (٤٢٩).

(٤) أخرجه ابن وهب في الجامع (٦٥٨)، وأحمد (٧٠٤٥)، والطبراني (٣٨)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٢٩٢)، وللحديث شواهد عن فَضالة بن عبيد الله ورُوَيفِع بن ثابت يتقوى بها تنظر في الصحيحة (١٠٦٥).

(٥) أخرجه أحمد (١٨٢٤) وقال المصنف: «فيه رجل مختلف فيه، وفيه انقطاع» ينظر: التيسير (٢/ ٧٧٨)، وضعفه أحمد شاكر في تخريج المسند (٢/ ٤١١)، ومحققو المسند.

الشَّرْح

التطير معناه: التشاؤم بمرئي أو مسموع، وأصله من الطائر؛ لأنَّ العرب كانوا يتشاءمون ببعض الطيور؛ كالغراب والبومة، ويستدلون إذا زجروا الطير بحركته، وما يأخذ من الجهات يمينًا وشمالًا، وإقبالًا وإدبارًا يستدلون بذلك على ما يكون من خير وشر، ولهم في ذلك أقوال وأشعار، ولبعضهم في ذلك خبرة كبني لهب، قال الشاعر:

خبيـر بنـو لهـب فـلا تـك ملغياً
مقالـة لهبـيٍّ إذا الطيـر مـرت[(١)]

والتطير: مصدر تطير، والطيرة: اسم مصدر، ومناسبة هذا الباب لـ «كتاب التوحيد» ظاهرة؛ فإنَّ الطيرة نوع من الشرك الأصغر كما في حديث ابن مسعود الآتي[(٢)]، وفي الطيرة استدلال على ما سيحدث في المستقبل من خير أو شر، ومناسبة هذا الباب للباب الذي قبله، والباب الذي بعده أنها كلها في شأن ادعاء علم الغيب.

وقوله: (باب ما جاء في التطير): أي: هذا باب ذكر ما جاء في التطير من النهي والذم، وقد تضمن هذا الباب آيتين وستة أحاديث؛ فالآيتان؛ قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١﴾ [الأعراف]، والمراد بهذه الآية فرعون وقومه كانوا يتطيرون بموسى؛ قال

---

(١) البيت لرجل من طيئ ولم يُعيَّن كما في شرح الكافية الشافية لابن مالك (١/ ٧٤)، وأُنشد بلا نسبة كما في شرح التسهيل لابن مالك (١/ ٢٧٣)، وشرح ابن عقيل (١/ ١٩٥).

(٢) وقد مثّل العلماء بها في الشرك الأصغر. ينظر: تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٥٢٧)، والإيمان لأبي عُبيد (ص٧٢-٧٣).

تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٣١]، قال الله ردًّا عليهم: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١]: معناه: أنَّ ما أصابهم من خير وشر هو من عند الله بمشيئته وتقديره.

الآية الثانية؛ قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يس]، هذه الآية من سورة يس في شأن أصحاب القرية الذين أرسل الله إليهم ثلاثة من الرسل فكذبوهم و: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [يس]، فردوا عليهم: ﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يس]، ومعنى: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾؛ أي: ما أصابكم من الشر هو بسبب أعمالكم، وبهذا يظهر الجمع بين الآيتين فما أصاب أعداء الرسل من العقوبات هو بقدر الله ومشيئته، وهو بسبب أعمالهم(١).

وأما الأحاديث: فقد تضمن حديث أبي هريرة مع حديث أنس إبطال ستة أمور من اعتقادات أهل الجاهلية:

الأول: أنَّ العدوى؛ وهي: انتقال المرض إلى الصحيح تحصل من المرض بطبعه.

الثاني: الطيرة، وهي: الاستدلال بحركة الطائر على ما سيكون من خير وشر، بناء على اعتقادات معروفة عند أهل الجاهلية -كما تقدم-.

الثالث: الهامة، وهي: طائر؛ قيل: هي البومة، كانوا يعتقدون أنها إذا وقعت على بيت؛ فإنها تنعى أهله لأنهم سيموتون، وقيل: إنها طائر يزعم أهل الجاهلية أنها من عظام الميت أو هي عظام الميت تكون طائرًا،

(١) ينظر: مفتاح دار السعادة (٣/ ١٤٧٧) وما بعدها.

ويسمونه الهامة، تدور على قبر المقتول إذا لم يؤخذ بثأره[١]، ولا يخفى أنَّ هذه خرافة من خرافات أهل الجاهلية، ولذا جاء الإسلام بإبطالها.

الرابع: صفر؛ قيل: المراد به شهر صفر، كانوا يتشاءمون به؛ لأنه بعد المحرم يستبيحون فيه الحرب والقتال، وقيل: إنه داء في البطن شديد العدوى[٢].

الخامس: النوء: وهو النجم كان أهل الجاهلية ينسبون إليه المطر؛ فيقولون: «سقينا بنوء كذا»، وسيأتي في هذا الكتاب باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء[٣]، وجاء الإسلام بإبطال هذا الاعتقاد، وذلك بقوله ﷺ: («**ولا نوء**»).

السادس: الغول، وهو من الجن، فبعض الجن يتمثل ويظهر ويعرض للمسافرين في طرقهم ليضلوهم، وكان أهل الجاهلية يخافونهم، يظنون أنهم يقدرون على إهلاكهم، فجاء الإسلام بإبطال هذا الاعتقاد؛ ليكون المسلم متوكلًا على الله لا يخاف إلا الله، وقوله ﷺ: («**ولا غول**») ليس نفيًا لوجود الغول؛ بل نفيًا لاعتقاد الجاهلية بأنه يضر ويضل، وجاء الإسلام بما يدفع شر الغيلان، وذلك فيما روي أنَّ ﷺ قال: «**إذا تغولت الغيلان**»؛ أي: كثرت وتلونت[٤] «**فبادروا بالأذان**»[٥].

(١) ينظر: النهاية (٥/ ٢٨٣).
(٢) ينظر: النهاية (٣/ ٣٥).
(٣) تنظر: (ص٥٣٩).
(٤) ينظر: النهاية (٣/ ٣٩٦).
(٥) أخرجه أحمد (١٤٢٧٧) واللفظ له، والنسائي في الكبرى (١٠٧٢٥)، من حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وأخرجه البزار (٣١٢٩-كشف الأستار) عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وضعفه الألباني في الضعيفة (١١٤٠).

وقوله ﷺ في حديث أنس: («**لا عدوى ولا طيرة**») شاهد لحديث أبي هريرة، وقوله ﷺ: («**ويعجبني الفأل**») قالوا: وما الفأل يا رسول الله؟ قال: («**الكلمة الطيبة**»)، يدل على أنَّ الفأل ليس من الطيرة المنهي عنها؛ لأنَّ ما يعجب الرسول فهو عنده مرضي ومحمود، وقوله: «**الكلمة الطيبة**»: المراد: الكلمة يسمعها الإنسان فيسر بها كما إذا سمع مريض مَن يقول: يا سالم أو سمع طالب حاجة مَن يقول: يا ناجح، فيتفاءل بنجاحه، ويتفاءل المريض بشفائه.

وفي حديث عقبة بن عامر شاهد لحديث أنس في الفأل، وهو قوله ﷺ: لما ذكرت عنده الطيرة: («**أحسنها الفأل**»)، وقوله ﷺ: («**ولا ترد مسلمًا**») أي: الطيرة؛ لأنَّ المسلم لا يلتفت إلى ما يقع في نفسه من تشاؤم بمرئي أو مسموع، فإذا تشاءم بشيء، وهو يطلب حاجة مضى في حاجته، ولم يرجع بسبب التشاؤم الذي وقع في قلبه، ولهذا قال ﷺ: «**ولا ترد مسلمًا**»، ويؤيد ذلك، ويشهد له؛ قوله ﷺ في حديث عبد الله بن عمرو الآتي: («**مَن ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك**»)، ويؤيده كذلك حديث الفضل بن عباس؛ قال ﷺ: («**الطيرة ما أمضاك أو ردك**»)، ومما يكفر الله به ما يقع في القلب من الطيرة: أن يقول العبد ما جاء في حديث عروة بن عامر: («**اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**»)، ومضمون هذا الدعاء تحقيق التوكل على الله، ولهذا لما ذكر ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قوله ﷺ: («**الطيرة شرك، الطيرة شرك**») قال: («**وما منا إلا**»)؛ أي: وما منا أحد إلا يكون في قلبه شيء من ذلك، ولكن الله يذهبه بالتوكل، ويشهد لقوله ﷺ: «**الطيرة شرك، الطيرة شرك**»، حديث عبد الله بن عمرو؛ قال ﷺ: «**مَن ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك**»؛ فقالوا يا رسول الله؛ فما

كفارة ذلك؟ قال: (**«أن تقول: لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك»**)، وفي هذا تحقيق لتوحيد الربوبية وتوحيد الإلهية، وهو من دفع الشيء بضده.

ومعنى قوله: «**لا خير إلا خيرك**»؛ أي: الخير كله منك وبيدك. وقوله: «**لا طير إلا طيرك**»؛ أي: كل طائر فهو من خلقك أنت تصرفه؛ فالأمر كله لك. وقوله: «**ولا إله غيرك**»؛ أي: أنت الإله المعبود بحق وحدك لا شريك لك، ويشهد لقوله ﷺ: «**مَن ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك**»؛ قوله في حديث الفضل: «**الطيرة ما أمضاك أو ردك**»؛ أي: الطيرة التي هي شرك؛ هي التي يعمل بها الإنسان، فإما أن يتطير فألا فيمضي في حاجته، وإما أن يتطير تشاؤمًا فيرجع عن حاجته، أما مَن وقع في نفسه شيء من الطيرة، فلم يلتفت إليه؛ بل مضى في حاجته متوكلًا على الله، فإنَّ الطيرة لا تضره فإن رجع عن حاجته متطيرًا فهو الذي أشرك؛ لأنه لم يتوكل على الله؛ بل اعتمد على ما رأى وسمع وتشاءم به، فاعتمد على ما لم يجعله الله سببًا لشر ولا دليلًا عليه.

وقد تضمن هذا الباب أمورًا:

١- إبطال اعتقاد أهل الجاهلية في العدوى والطيرة والهامة وصفر، والنوء والغول.

٢- أنَّ أحسن الطيرة الفأل، لكن لا يعتمد عليه في المضي لحاجته، فإنه حينئذ يقع في الطيرة؛ لقوله ﷺ: «**الطيرة ما أمضاك أو ردك**»، وقوله: «**مَن ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك**»[1].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٣/ ٦٧)، وفتح الباري (١٠/ ٢١٥).

٣- أنَّ التوكل على الله يذهب ما يقع في القلب من الطيرة ويرفع الإثم، ويبرأ به المسلم من الشرك.

٤- أنَّ الطيرة الشركية، ما أمضى الإنسان في حاجته أو رده.

٥- أنَّ كفارة الطيرة أن يقول العبد: «**اللهم لا خير إلا خيرك**...» إلى آخره.

٦- أنَّ التوحيد يدفع الشرك عن قلب المؤمن، ولهذا قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت**»، وهذا من تحقيق توحيد الربوبية، ومن ثمراته تحقيق التوكل على الله.

٧- أنَّ التطير بالأنبياء والصالحين عادة أعداء الرسل، وهو أقبح التطير؛ لأنَّ الأنبياء والصالحين سبب للخير، فاعتقد الكفار أنهم سبب الشر الذي يصيبهم.

٨- ذكر الجمع بين آية يس: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ [يس: ١٩]، وآية النمل: ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٤٧].

٩- ذكر الجمع بين قوله ﷺ: «**لا عدوى**»، وقوله ﷺ: «**فر من المجذوم فرارك من الأسد**»[١]، وقوله في الحديث الآخر: «**لا يورد ممرض على مصح**»[٢].

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٥٧٠٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو بهذا اللفظ في مصنف ابن أبي شيبة (٢٦٩٣٦)، ومسند الإمام أحمد (٩٧٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٧١)، ومسلم (٢٢٢١) - واللفظ له- من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال العلماء في الجمع[١]: إنَّ قوله ﷺ: «**لا عدوى**»: نفي لاعتقاد أهل الجاهلية أنَّ المرض يعدي بطبعه، وأما الحديثان الدالان على وجود عدوى؛ فذلك من قبيل ترك الأسباب المفضية لانتقال المرض، وهي: المخالطة، والجذام والجرب معروفان بالعدوى، ومع ذلك فلا يلزم من مخالطتهما حصول العدوى، وقد جاء مجذوم إلى النبي ﷺ وبين يديه طعام فوضع يده في الصحفة، وقال: «**كل بسم الله ثقة بالله**»[٢]، وسأل رجل النبي ﷺ عن الإبل تكون كالظباء فيدخل بينها البعير الأجرب فتجرب، يشير إلى أنَّه أعداها؛ فقال ﷺ: «**فمن أعدى الأول**»[٣]، يريد ﷺ أنَّ ذلك كله بإذن الله، وهذا الجواب من النبي ﷺ من أبلغ الكلام لأنه تضمن الجواب مع غاية الإيجاز، وتضمن إبطال الدور والتسلسل اللذين هما من الممتنعات ذكر معنى ذلك ابن القيم في «بدائع الفوائد»[٤].

(فيه مسائل:

الأولى: التنبيه على قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١] **مع قوله:** ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ [يس: ١٩]).

يشير الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الجمع بين الآيتين، وقد تقدم ذكره.

---

(١) ينظر: مقدمة ابن الصلاح (ص٣٩٠)، ولطائف المعارف (ص١٦٠)، وقد أشبع ابن القيم الكلام في هذه المسألة في مفتاح دار السعادة (٣/ ١٥٧٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٩٢٥)، الترمذي (١٨١٧) -واللفظ له-، وابن ماجه (٣٥٤٢) من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه ابن حبان (٦١٢٠)، والحاكم (٧١٩٦).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧١٧)، ومسلم (٢٢٢٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) (٤/ ١٥٣٣-١٥٣٤).

(الثانية: نفي العدوى).

قوله ﷺ: «**لا عدوى**» هل هو نفي لوجود العدوى وأنه ليس هناك مرض يعدي، أم نفي للعدوى على ما تعتقد العرب بأنَّ المرض يعدي بطبعه؟

قال العلماء: هو نفي للعدوى على ما يعتقد أهل الجاهلية من أنَّ المرض يعدي بطبعه، أو أنَّ العدوى حتم لازم، وكلاهما باطل، ويستدل العلماء على وجود العدوى -بإذن الله- بمثل قوله ﷺ: «**لا يورد ممرض على مصح**»، وقوله: «**وفر من المجذوم كما تفر من الأسد**»، وعلى ذلك فقوله: «**لا عدوى**»: نفي متضمن للنهي؛ فالعدوى على اعتقاد أهل الجاهلية باطل لا وجود لها، ولا يجوز لمسلم أن يعتقد اعتقاد الجاهلية.

(الثالثة: نفي الطيرة).

نفي الطيرة ليس هو نفيًا لوقوع التطير، فالتطير موجود، لكنه نفي ما يظن من حصول الشؤم عند رؤية المكروه المتطير به، والنفي هنا بمعنى النهي، وهو أبلغ في التحريم[(١)].

(الرابعة: نفي الهامة).

الهامة تقدم أنها نوع من الطيور يقال: إنها البومة، والعرب كانوا يتطيرون بها، وقيل: إنها غيرها، وذكروا في ذلك خرافة تقدمت الإشارة إليها؛ فعطفها على الطيرة من عطف الخاص على العام.

(الخامسة: نفي صفر[(٢)]).

---

(١) ينظر: مفتاح دار السعادة (٣/ ١٤٨٤).

(٢) اختار شيخنا ضبطها هكذا: (صفر) بالتنكير، وفي النسخ (نفي الصفر) بالألف واللام.

صفر قيل: هو شهر صفر، وكان العرب يتشاءمون به، وقيل: إنه داء في البطن يعدي؛ فعطفه على العدوى من عطف الخاص على العام.

(السادسة: أنَّ الفأل ليس من ذلك؛ بل مستحب).

لقوله: «**ويعجبني الفأل**» قالوا: وما الفأل؟ قال: «**الكلمة الطيبة**»؛ فالإنسان يسر عندما يسمع الكلمة الطيبة، مثل المريض إذا سمع: سالم، يستأنس بها ويرتاح إليها، ويتفاءل بحصول السلامة، وكل صاحب شأن مهموم بأمر إذا سمع الكلمة التي تناسب حاجته فرح بها؛ كالذي يبحث عن ضالة إذا سمع: واجد واجد، يتفاءل بأنه يجد ضالته.

(السابعة: تفسير الفأل).

وهي الكلمة الطيبة كما في الحديث.

(الثامنة: أنَّ الواقع في القلب من ذلك مع كراهته لا يضر؛ بل يذهبه التوكل).

هذا جاء في قول ابن مسعود بعدما روى عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**الطيرة شرك، الطيرة شرك**»، قال: «**وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل**».

ففي هذا دلالة على أنَّ ما يقع في النفس من الخوف الذي لا يبني عليه الإنسان شيئًا، لا تقدمًا ولا تأخرًا؛ فإنه لا يضر.

(التاسعة: ذكر ما يقوله من وجده).

يقول: «**اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**». واللفظ الآخر: «**اللهم لا خير إلا خيرك، ولا**

طير إلا طيرك ولا إله غيرك»، فيدعو لطرد ما يجد في نفسه من التطير، ويتحصن بدعاء الله وذكره سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

(العاشرة: التصريح بأنَّ الطيرة شرك).

كما في حديث ابن مسعود: «**الطيرة شرك، الطيرة شرك**»: وهي من الشرك الأصغر.

(الحادية عشرة: تفسير الطيرة المذمومة).

كما في حديث الفضل بن عباس: «**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**»، فهذه هي الطيرة المذمومة التي هي نوع من الشرك، أما ما يقع في النفس من غير أن يعمل الإنسان بموجبها، ومن غير أن تؤثر عليه فعلًا أو تركًا، أو تقدمًا أو تأخرًا؛ فإنها لا تضره.

◆◇◈◇◆

(٢٩)

باب ما جاء في التنجيم

قال البخاري في «صحيحه»[(١)] قال قتادة: «خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك؛ أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به» انتهى.

وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب[(٢)] عنهما[(٣)].

ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق[(٤)].

---

(١) ذكره تعليقًا مجزومًا به، في كتاب بدء الخلق، «باب في النجوم» بعد حديث (٣١٩٨)، ووصله ابن جرير في التفسير (١٤/ ١٩٣)، (٢٣/ ١٢٣)، وابن أبي حاتم في التفسير (١٦٥٣٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٢٢٦ رقم ٧٠٢)، وابن حجر في تغليق التعليق (٣/ ٤٨٩) من طرق أخرى.

(٢) حرب: هو حرب بن إسماعيل الكرماني الحنظلي، أبو محمد- وقيل أبو عبد الله- الفقيه، صاحب الإمام أحمد، روى عن الإمام أحمد مسائل كثيرة، وروى عنه أبو حاتم الرازي؛ رفيقه، وأبو بكر الخلال، وآخرون. قال الذهبي: «مسائل حرب من أنفس كتب الحنابلة، وهو كبير في مجلدين»، توفي سنة (٢٨٠هـ). ينظر: طبقات الحنابلة (١/ ٣٨٨ رقم ١٨٩)، والسير (١٣/ ٢٤٤).

(٣) رواه حرب في مسائله -كتاب الطهارة والصلاة (ص٥٩٥ رقم ١٣١٠-١٣١١)

(٤) رواه عنهما حرب في مسائله (ص٥٩٤).

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر» رواه أحمد وابن حبان في «صحيحه»[1].

الشَّرْح

يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(باب ما جاء في التنجيم)**: أي: باب ذكر ما ورد في التنجيم، وفي حكمه وأنواعه.

والتنجيم: هو النظر في النجوم، والاستدلال بها، والعلم المتعلق بالنجوم تنجيم، وتقدم حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «**مَن اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**»[2].

وعلم النجوم هو التنجيم، وهو ضرب من السحر، ولهذا أورد الشيخ في آخر الباب حديث أبي موسى: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر**»؛ فيقال: كيف استدل الشيخ بهذا الحديث على تحريم التنجيم؟ والجواب: لأنَّ التنجيم من السحر، والمنجم مصدق بالسحر.

قال العلماء: والتنجيم نوعان: علم التأثير، وعلم التسيير[3].

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٥٦٩)، وابن حبان (٦١٣٧)، وأبو يعلى (٧٢٤٨)، والحاكم (٧٢٣٤) وصححه.

(٢) تقدم تخريجه في (ص٤٩١).

(٣) ينظر: الإبانة لابن بطة (٣/ ٢٤٤)، وبيان فضل علم السلف لابن رجب (ص٣٥-٣٧).

- وعلم التأثير: هو الاستدلال على الحوادث الأرضية بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها، وهو محرم بالإجماع كما حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية(١)، ومنه ما هو كفر أكبر؛ كاعتقاد أنَّ النجوم فاعلة ومؤثرة بنفسها، وأنَّ الحوادث الأرضية منفعلة ناتجة عن إرادة النجوم، وهذا تأليه للنجوم، وهو الذي كان يصنعه الصابئة قوم إبراهيم.

- وعلم التسيير: وهو علم سير النجوم من الشرق إلى الغرب، ومعرفة طلوعها وأفولها وما تدل عليه، وفيه خلاف، قيل: بأنه مكروه، وقيل: إنه لا يجوز، وقيل: إنه جائز، وهذا هو الصواب؛ فهو علم نافع امتن الله به على العباد؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل].

«قال قتادة: «خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك؛ أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به»).

خلق الله هذه النجوم لثلاث:

- زينة للسماء كما قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾ [الصافات]، ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظًا﴾ [فصلت: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٢)، والأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية (ص٤٤٤).

- ورجومًا للشياطين كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ [الحجر].

- وعلامات يهتدى بها كما في الآيتين المتقدمتين.

(فمن تأول فيها غير ذلك): يعني: مَن اعتقد غير هذه المعاني الثلاثة: **(أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به)**؛ لأنه أشغل نفسه بما لا خير فيه، وتكلف ما لا علم له به بالدعاوى الكاذبة، مثل قولهم: إذا ولد في النجم الفلاني، فإنه يحصل له كذا وكذا، من السعادة أو الشقاء!

قال الشيخ: (وكره قتادة تعلم منازل القمر): القمر له منازل، وهي: ثمانية وعشرون منزلًا، ويستدل بها على فصول السنة، ولكل منزل نجم يعرف باسمه، وتسمى الأنواء، وهي ثمانية وعشرون نجمًا في السنة[١].

(ولم يرخص ابن عيينة فيه): أي: في تعلم منازل القمر، وهو علم التسيير، فالنجوم يهتدى بها في معرفة الزمان والمكان؛ فتعرف بها الجهات، وتحديد القبلة للصلاة، وهذا لازم مستقر لا يتغير يشاهده الناس، والنجوم يستدل بها على الزمان والمكان؛ قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل]، وفي الظلمات؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧]. وقد وجد في هذا الزمان وسائل حديثة يهتدون بها ويستدلون بها؛ فيعرفون بها القبلة والجهات، ويعرفون بها المواقع، ولكن هذه الوسائل طارئة غير

---

(١) تنظر أسماؤها في: مفاتيح العلوم (ص٢٣٨-٢٣٩).

ثابتة، وتنقطع إذا بطلت هذه الحضارة وبطلت مقوماتها، وأيضًا هي قابلة للخطأ؛ لأنه يمكن أن يحصل فيها خلل، أما هذه النجوم فهي ثابتة بنظامها المحكم.

(ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق): هما الإمامان الكبيران المحدثان، ولا شك أنَّ قولهما أرجح من قول قتادة وابن عيينة، وهذا في علم التسيير، أما علم التأثير -كما تقدم- فلا ريب أنه حرام، والمنجم يدخل في السحر والكهانة، لأنه من جنس الكاهن، وهو داخل في اسم العراف كما تقدم أنَّ العراف: اسم للكاهن، والمنجم، والرمال، ونحوهم[1]؛ لأنه يدعي المعرفة ويستدل بالنجوم على الحوادث الأرضية بأنه سيحدث كذا، أو أنه قد حدث كذا؛ فيستدل بالنجوم وباجتماعها وافتراقها وحركتها على الحوادث الأرضية.

(وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر» رواه أحمد وابن حبان في «صحيحه»).

هذا الحديث من أحاديث الوعيد: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر**»: الإدمان هو المداومة على شرب الخمر، ففرق بين مَن يشرب الخمر أحيانًا، وبين مَن هو مدمن لا يصبر عنه، ويشربه دائمًا، وكذلك المصر على شرب الخمر لا يتوب منها هو مدمن.

«**وقاطع الرحم**»: هذا أيضًا من أهل الوعيد، وكل من: إدمان الخمر، وقطيعة الرحم، من كبائر الذنوب.

(١) تنظر: (ص٥١١).

«**ومصدق بالسحر**»: قد يكون التصديق بالسحر كفرًا؛ لحديث: «**مَن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد** ﷺ»[1].

(فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق النجوم).

الحكمة في خلق النجوم تقدم في قول قتادة: (**«زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها»**)، وأدلتها من القرآن ظاهرة.

(الثانية: الرد على مَن زعم غير ذلك).

يعني مَن اعتقد بأنَّ لها تأثيرًا في الحوادث الأرضية، وأنَّ ولادة هذا الإنسان وما يحصل له من سعادة وشقاوة، أو ما يحدث من حروب، أنها بسبب تأثير النجوم.

(الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل).

أي: منازل القمر.

(الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف أنه باطل).

يريد الشيخ أنَّ الوعيد لاحق بمن يظهر التصديق بالسحر، وهو يعتقد أنه باطل.

---

(١) تقدم تخريجه في (ص٥٠٣).

(٣٠)

باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة].

وعن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة». وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب» رواه مسلم[(١)].

ولهما[(٢)] عن زيد بن خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم» قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما مَن قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما مَن قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب».

ولهما[(٣)] من حديث ابن عباس معناه، وفيه: «قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا؛ فأنزل الله هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ إلى قوله: ﴿تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة].

---

(١) أخرجه مسلم (٩٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

(٣) أخرجه مسلم (٧٣) دون البخاري.

الشَّرْح

بعدما ذكر الشيخ ما جاء في التنجيم، ذكر أمرًا من أمور أهل الجاهلية له تعلق أيضًا بالنجوم، وهو الاستسقاء بها، ومعناه: الاعتقاد بأنَّ للنجوم تأثير في نزول الغيث، وأصل الاستسقاء طلب السقيا، ولهذا إذا نزل عليهم مطر قالوا: مطرنا بنوء كذا وكذا؛ أي: بسببه، والأنواء جمع نوء، وهي نجوم معروفة، تنوء يعني: ترتفع وتنهض وتطلع[١]، وتعرف بالأنواء، وهي نجوم معروفة بأسمائها، وأهل الخبرة يعرفون أوقات طلوعها ومواضعها، وكان أهل الجاهلية يستسقون بها، وينسبون المطر إليها، ويقولون إذا نزل عليهم المطر: هذا بالنجم الفلاني، يعني بتأثيره حصل المطر، ويقولون هذه العبارة: مطرنا بنوء كذا وكذا.

وتظهر مناسبة هذا الباب والذي قبله لـ «كتاب التوحيد»؛ بأنَّ كلًّا من التنجيم والاستسقاء بالنجوم يتضمن نوعًا من الشرك الأكبر أو الأصغر، وادعاء شيء من علم الغيب، وفي الباب آية وحديثان.

(وقول الله تعالى: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢﴾ [الواقعة]).

سيأتي ذكر سبب نزولها، وشرحها في المسألة الأولى.

(وعن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»).

---

(١) ينظر: لسان العرب (١/ ١٧٦).

هذا خبر من النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ بأنَّ هذه الخصال الأربع من خصال أهل الجاهلية تقع في هذه الأمة بعده ﷺ وتبقى.

وقوله: («**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن**»): يعني: من عادة أهل الجاهلية.

وقوله: («**الفخر بالأحساب**»): يعني: بالمآثر والأعمال التي كانت من الآباء؛ كالشجاعة والكرم وحفظ الجوار، وكان العرب يتفاخرون بها؛ فيقول الرجل: كان أبي شجاعًا، وكان أبي كريمًا، وكان آبائي سادة، وكانوا عظامًا؛ فيتعاظم بذلك، ويتطاول على الناس.

(«**والطعن في الأنساب**»): يشمل الطعن في نسب الرجل إلى أبيه أو إلى قبيلته، ومنه أن يقول: أنت لست عربيًّا؛ بل من الموالي، فهو أولًا سب وتنقص، ثم إنه سبب للفتن والعداوات.

(«**والاستسقاء بالنجوم**»): وذلك بنسبة المطر إليها، فكانوا ينتظرون طلوع النجم لحصول الغيث؛ فقلوبهم متعلقة بهذه النجوم؛ لأنهم يرون أنها أسباب مؤثرة، ومَن يعتقد أنَّ النجم مؤثر بنفسه، فهو كافر الكفر الأكبر؛ لأنه جعل النجم خالقًا مع الله ومدبرًا، ومَن قال: إنه مؤثر ولكن تأثيره بإذن الله؛ فهذا كفر دون كفر ما لم يتوجه إليه بعبادة؛ فيصير مشركًا به في العبادة[1].

(«**والنياحة**»): هي رفع الصوت بالبكاء، وذكر محاسن الميت؛ فهذه هي الخصال الأربع.

---

(١) ينظر: الأم للشافعي (٢/ ٥٥١)، والتمهيد لابن عبد البر (١٦/ ٢٨٦).

والشاهد من الحديث للباب: الاستسقاء بالنجوم. وزاد في النائحة بيان عقوبتها: وقال: («**النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب**»).

وقوله: «**إذا لم تتب**»: قيدٌ في الوعيد، ومفهومه أنَّ مَن تابت من النياحة قبل الموت لا تعاقب العقاب المذكور «**سربال**»: أي: قميص[1]، «**قطران**» قيل: النحاس الذائب، وقيل: ما تطلى به الإبل من الجرب، وهو ما يعرف بالنِّفط[2]، ويسمى الآن البترول، «**ودرع من جرب**»: هذا يكون من داخل السربال، والجرب: مرض جلدي يصيب الإبل، والمعنى: أنَّ الجرب لانتشاره في الجلد يكون كالدرع، وهذا يدل على أنَّ النياحة من كبائر الذنوب؛ بل كل هذه الأمور هي من كبائر الذنوب، وخصت النياحة بالمرأة؛ لأنها التي تقع منها غالبًا.

(ولهما عن زيد بن خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم» قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما مَن قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما مَن قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»).

عن زيد بن خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية**»، وذلك سنة ست من الهجرة، عندما جاء النبي ﷺ وأصحابه

(١) ينظر: النهاية (٢/ ٣٥٧).
(٢) ينظر: لسان العرب (٥/ ١٠٥)، (٧/ ٤١٦).

للعمرة؛ فصدهم المشركون؛ فأقام النبي ﷺ بالحديبية حتى حصل التفاوض وتم الصلح، وكان من شروطه أن يرجعوا ذلك العام. فالمقصود: أنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ صلى بأصحابه ذات يوم من هذه الأيام على إثر سماء، يعني: على إثر مطر، أي: بعد مطر[١]، والسماء: تطلق على كل ما علا؛ فكل ما علا فهو سماء، وتطلق على السماء المبنية السبع الشداد[٢]، وفي هذا الحديث: أطلق السماء على نفس المطر، وهذا من توسع العرب في لغتهم.

فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: أي: قال الرسول ﷺ: «**قال: أصبح**»: أي: قال الله، فهو حديث قدسي؛ لأنَّ الرسول يرويه عن الله.

(«**فأما مَن قال: مطرنا بفضل الله ورحمته**»): أي: هو من عطائه وبره، ومن فضله ورحمته؛ («**فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب**»): أي: مؤمن بأنَّ الله خالقه ومنزله.

(«**وأما مَن قال: مطرنا بنوء كذا وكذا**»): يعني: حصل بذلك النجم؛ يقول الله: «**فذلك كافر بي**»؛ لأنه أضاف نعم الله إلى غيره.

(«**مؤمن بالكوكب**»): أي: مؤمن بأنَّ الكوكب هو الذي أغاثهم، وهو الذي أنزل لهم المطر، فمن استقر في نفسه أنَّ هذا بتقدير الله وتدبيره، ومن إحسانه وفضله ورحمته؛ فذلك هو المؤمن الشاكر، ومن تمام شكر الله: أن يستعين بنعم الله على طاعته، أما مَن قال: هذا بفعل

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٠٦).

(٢) ينظر: لسان العرب (١٤/ ٣٩٨).

النجم، أو بفعل كذا وكذا من الأسباب، كأن يقول: هذا بحولي، وهذا بعلمي؛ فهذا نسب نعم الله إلى الأسباب وغفل عن ربه؛ فلذلك قال أهل العلم: «إنَّ الاعتماد على الأسباب شرك في التوحيد».

(ولهما من حديث ابن عباس معناه، وفيه: «قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا؛ فأنزل الله هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ إلى قوله: ﴿تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ [الواقعة]**).**

في هذا الحديث ذكر سبب نزول هذه الآيات من سورة الواقعة، **وقول الشيخ: (معناه)**: يريد أنَّ ابن عباس روى معنى حديث زيد بن خالد من حيث انقسام الناس بعد المطر إلى مؤمن شاكر، ومؤمن بالكوكب كافر بالله، وليس فيه أنَّ ذلك كان بالحديبية؛ بل ظاهره أنَّ ذلك على إثر مطر كان في المدينة.

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية «الواقعة»).

وهي قوله تعالى: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ [الواقعة]. المعنى: وتجعلون حظكم من القرآن التكذيب به، وقيل: تجعلون شكركم لنعم الله كفرها، وبئس ما استعاضوا به، وفي معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا﴾ [إبراهيم: ٢٨][(١)].

(الثانية: ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية).

وهي المذكورة في الحديث.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٦٨).

(الثالثة: ذكر الكفر في بعضها).

وهي الاستسقاء بالنجوم؛ لقوله في الحديث: («**مَن قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**»).

(الرابعة: أنَّ من الكفر ما لا يخرج من الملة).

الكفر: منه أكبر يخرج من الملة، وأصغر لا يخرج من الملة، فمن قال: مطرنا بكذا وكذا؛ فهذا كفر أصغر ما دام أنه لا يعتقد بأنها مؤثرة بنفسها مستقلة عن الله، وهكذا الطعن في الأنساب هو كفر، لكن لا يخرج من الملة.

(الخامسة: قوله: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» بسبب نزول النعمة).

هذا من كلام الله في الحديث القدسي، ومعناه: أنَّ الناس إذا أنعم الله عليهم نعمة من غيث وغيره؛ يصيرون فريقين شاكرًا وكافرًا، فمن أقر بأنَّ النعمة من الله فهو الشاكر لربه، وهذا من الإيمان به، ومَن أضاف نعمة الله إلى غيره؛ كمن ينسب المطر إلى الكوكب كمن يقول: مطرنا بنوء كذا وكذا فهذا كافر بنعمة الله، وهو نوع من الكفر بالله لقوله تعالى: («**فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**»)؛ فأول شكر النعمة الاعتراف بالمنعم، وأول كفر النعمة جحد المنعم، وقد قابل تعالى بين الشكر والكفر في قوله: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة]، وقال: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧﴾ [إبراهيم]؛ فتكفل للشاكرين بالمزيد، وتوعد الكافرين بالعذاب الشديد.

(السادسة: التفطن للإيمان في هذا الموضع).

يعني: ينبغي للإنسان عند حدوث النعمة أن يتذكر فضل الله عليه ويشكره، فهذا من الإيمان، ويجب أن يرجع الإنسان إلى عقيدته، ولا يغلب عليه فكر أهل الجاهلية واعتقادهم.

(السابعة: التفطن للكفر في هذا الموضع).

أي: التنبه للمراد بالكفر في هذا الحديث للحذر منه ومعرفة سببه، وأنه كفر دون كفر، وقد يرتقي حتى يكون كفرًا أكبر.

(الثامنة: التفطن لقوله: «لقد صدق نوء كذا وكذا»).

هذا قول أهل الجاهلية، يقول أحدهم: لقد مطرنا بنوء كذا وكذا؛ فذلك كافر بالله، مؤمن بالكوكب.

(التاسعة: إخراج العالم التعليم للمسألة بالاستفهام عنها لقوله: «أتدرون ماذا قال ربكم؟»).

هذا أسلوب من أساليب التعليم، وهو إلقاء المسألة بصيغة السؤال، ومن ذلك: مجيء جبريل للنبي يسأله عن مسائل؛ ليسمع الناس جوابها من فمه ﷺ[1]، فإظهار المعنى بصيغة السؤال هو من أسباب التطلع للجواب ثم استقراره في القلب، ولهذا قال الرسول لأصحابه بعدما صلى: (**«هل تدرون ماذا قال ربكم؟»**)، ليقبلوا عليه فيسمعوا جواب هذا السؤال ويعوه.

(العاشرة: وعيد النائحة).

(١) أخرج البخاري (٥٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم (٨)، (٩)، (١٠) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يعني ما جاء في الحديث، وقال: («**النائحة إذا لم تتب...**») **إلى آخره**.

◆◇◈◇◆

(٣١)

باب قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] الآية.

وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤] الآية.

عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» أخرجاه(١).

ولهما(٢) عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث مَن كن فيه، وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار».

وفي رواية: «لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى..» إلى آخره(٣).

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «مَن أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان -وإن كثرت صلاته وصومه- حتى يكون

---

(١) البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

(٢) البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

(٣) البخاري (٦٠٤١).

كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئًا». رواه ابن جرير[1].

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦﴾ [البقرة]. **قال: «المودة»[2].**

الشرح

قوله: (باب قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]): أي: هذا باب قول الله، ترجم الشيخ للباب بالآية، وقد تقدم نظير ذلك في عدة أبواب[3]، ويفهم موضوع الباب من الآية، وما بعدها من النصوص؛ فيقال في ترجمة الباب: باب ما جاء في المحبة أو باب من الإيمان: حب الله ورسوله أو باب من الإيمان: الحب في الله والبغض في الله، وينبغي أن يعلم أنَّ المحبة، وهي عمل قلبي أنواع[4]:

---

(١) لم نجده عند ابن جرير الطبري، ولقد عزاه إليه أيضًا ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/ ١٢٥) واستنشاق نسيم الأنس كما في مجموع الرسائل (٣/ ٣٠٣). وقد أخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٥٣). وله شاهد من حديث البراء كما سيأتي في المسند (١٨٥٢٤)، وأبي أمامة مرفوعًا عند أبي داود (٤٦٨١): «**أن أوثق عرى الإيمان هو الحب في الله والبغض في الله**»، وشواهد أخرى تنظر في الصحيحة (٣٨٠)، (١٧٢٨).

(٢) رواه ابن جرير (٣/ ٢٧)، وابن أبي حاتم (١٤٩٢)، والحاكم (٣٠٧٦) وصححه.

(٣) تنظر: (ص٣١٣)، (ص٣٣٢)، (ص٣٥٨).

(٤) ينظر: طريق الهجرتين (٢/ ٦٤١-٦٤٢)، والجواب الكافي (ص٤٤٣-٤٤٤).

الأول: محبة طبيعية؛ كمحبة الإنسان لما جبل على محبته من أهله وماله؛ كقوله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾ [الفجر]، وقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان: ٨]، وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٤].

إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

الثاني: محبة إيمانية، وهي: محبة الله ورسوله، ومحبة ما يحبه الله ورسوله، وهي: المحبة لله وفي الله.

الثالث: محبة شركية، وهي: محبة أحد مع الله كمحبة الله؛ كمحبة المشركين لأندادهم؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] قيل: كحبهم لله، وقيل: كحب المؤمنين لله، والأول أظهر؛ لأنَّ معناه تسوية الأنداد في الله بالمحبة، وقد قال تعالى عن المشركين أنهم يقولون لآلهتهم، وهم معهم في النار: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٨﴾ [الشعراء](١).

إذن؛ فالمحبة الشركية هي من الشرك الأكبر، وأما المحبة الطبيعية فلا يلام عليها الإنسان، ولا يأثم بها، إلا إذا قدم محبوبه على ما يحب الله ورسوله، كما قال تعالى في المحبوبات الثمانية: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ﴾، إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

فمحبة هذه المذكورات محبة طبيعية، وقد رتب الوعيد على تقديمها على محبة الله ورسوله، والجهاد في سبيله، وأما المحبة الإيمانية؛ فهي

(١) تقدم في (ص١٦٤).

أصل الدين وركنه الأعظم وأوثق عرى الإيمان، وقد تضمن هذا الباب آيتين، وثلاثة أحاديث، وبعض الآثار:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، يخبر تعالى عن بعض الناس، وهم المشركون أنهم يحبون أندادهم الذين ألهوهم مع الله، وجعلوهم أندادًا؛ أي: نظراء لله، أنهم سووهم به في المحبة ثم قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]: قيل: أشد حبًّا لله من المشركين لأندادهم، وقيل: أشد حبًّا لله من حب المشركين لله.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ﴾[التوبة:٢٤] الآية، وتسمى آية المحبوبات الثمانية، ومحبة هذه المحبوبات هي من المحبة الطبيعية، وفي الآية تهديد ووعيد لمن قدم محبة هذه المحبوبات على محبة الله ورسوله والجهاد في سبيله، وذلك قوله: ﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤]، ويشهد لمعنى هذه الآية قوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[(١)]؛ بل ومن النفس، كما قال النبي ﷺ لعمر: «**حتى أكون أحب إليك من نفسك**» فقال عمر: «**إنك أحب إلي من نفسي**» فقال ﷺ: «**الآن يا عمر**»[(٢)]، فنفى ﷺ الإيمان عمن لم يكن الرسول أحب إليه حتى من نفسه، والإيمان لا ينفى عن أحد إلا لترك واجب أو فعل محرم، وأما حديث أنس الثاني؛ فقد تضمن ذكر المحبة الإيمانية، وهي: محبة الله ورسوله، والمحبة

---

(١) أخرجه مسلم (٤٤) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٣٢) عن عبد الله بن هشام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

لله، وإذا تحققت المحبة الإيمانية استلزمت كراهة الكفر والكافرين، كراهة شديدة حتى يكره المسلم أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار، وقد أخبر النبي ﷺ أنَّ مَن تحقق بهذه الخصال الثلاث وجد بهنَّ حلاوة الإيمان، وهذا يدل على أنَّ للإيمان حلاوة معنوية يجدها المؤمن في قلبه، وهي: أعظم وألذ من الحلاوة الحسية، وفي الرواية الأخرى: «**لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما...**» إلى آخر الحديث؛ فدل الحديث على أنَّ حلاوة الإيمان لا يجدها إلا مَن حصلت له الخصال الثلاث، ومن شواهد المحبة الإيمانية ما جاء عن ابن عباس أنه قال: «**مَن أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله؛ فإنما تنال ولاية الله ولن يجد عبد طعم الإيمان -وإن كثرت صلاته وصومه- حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئًا**»؛ فهذه أربعة أمور:

- الحب والبغض عملان قلبيان.

- والموالاة والمعاداة، وهما أثر الحب والبغض، ويكونان بالقلب والقول والفعل، وعلى هذا فهما أعم من الحب والبغض.

وأفاد هذا الأثر أنَّ ولاية الله لا تنال إلا بهذه الأربعة، ولا يجد العبد طعم الإيمان، وهو حلاوته إلا إذا تحقق بذلك، ويشهد لهذا الأثر قوله ﷺ: «**إنَّ أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله، وتبغض في الله**» رواه الإمام أحمد[1]، ومع هذه المنزلة للحب في الله، وللبغض في الله،

(١) برقم (١٨٥٢٤) من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يأسف ابن عباس لما صار إليه أمر الناس في هذا الشأن؛ فيقول: «وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئًا»؛ أي: لا ينفعهم، وإذا كانت هذه حال الناس في زمن ابن عباس فكيف بالعصور المتأخرة؟!

ثم نبه الشيخ إلى أنَّ المحبة التي ليست لله ستنقطع، فذكر تفسير ابن عباس لقوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ [البقرة]، قال: «المودة».

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية «البقرة»).

وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ١٦٥]، وتقدم تفسيرها.

(الثانية: تفسير آية «براءة»).

وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤]، وتقدم تفسيرها.

(الثالثة: وجوب محبته ﷺ على: النفس والأهل والمال[١]).

أي: وتقديمها، والحديث صريح في هذا؛ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**». فإذا كان هذا في محبة الناس فيجب على المسلم أن يحب الرسول فوق محبته لأقرب الناس إليه.

(١) في نسخة: (وتقديمها على النفس والأهل والمال)، وفي نسخة أخرى كما في شرح السعدي: (وجوب تقديم محبته ﷺ على النفس والأهل والمال)، وصوَّبها ابن عثيمين ولم يشر دغش العجمي لأية نسخة خطية.

(الرابعة: أنَّ نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام).

لأنه ليس كل نفي للإيمان نفي لأصله؛ بل يأتي كثيرًا لنفي كماله الواجب، وهذا الحديث من نفي الكمال[١].

(الخامسة: أنَّ للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها).

فمن وجدها فهو مؤمن حقًّا؛ قال ﷺ: «**ثلاث مَن كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان**». وفي اللفظ الآخر: «**ثلاث مَن كن فيه وجد طعم الإيمان**»[٢].

(السادسة: أعمال القلب الأربعة التي لا تنال ولاية الله إلا بها، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها).

يريد ما جاء في أثر ابن عباس: «**من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله**» فهي أربعة.

(السابعة: فهم الصحابي للواقع: أنَّ عامة المؤاخاة على أمر الدنيا).

يريد الشيخ أنَّ قول ابن عباس: «وقد صارت عامة المؤاخاة على أمر الدنيا»، يدل على أنه خبير بحال الناس ليس غافلًا ولا غائبًا؛ بل هو حاضر مخالط للناس، مدرك لما هم عليه، والناس في هذا المقام طرفان ووسط؛ فمنهم المفرط في مخالطة الناس، وتتبع أخبارهم، ومنهم المفرط في العزلة لا يدري شيئًا عما يجري، وخير من هذا وذاك المتوسط، وهو الذي لم يفرط في مخالطة الناس، ولا في البعد منهم.

---

(١) ينظر: الإيمان الكبير (ص١٥-١٦)، والإيمان الأوسط (ص٤٠٦-٤٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (٤٣).

(الثامنة: تفسير: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ۝١٦٦﴾ [البقرة]).

يشير إلى قول ابن عباس في تفسير الآية، وتفسير ابن عباس للأسباب بالمودة يدل عليه القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾ [الزخرف]، وقال تعالى عن المشركين وأوثانهم: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥].

(التاسعة: أنَّ من المشركين مَن يحب الله حبًّا شديدًا).

أخذًا من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، على أحد التفسيرين، وهو أنهم يحبون أندادهم كحب المؤمنين لله وهو مرجوح[١]، فتدل الآية على هذا الاختيار: أنَّ المشركين يحبون أندادهم محبة شديدة.

(العاشرة: الوعيد على مَن كانت الثمانية عنده أحب من دينه).

الوعيد الشديد على مَن أحب هذه الأشياء وقدمها على محبة الله ورسوله؛ لقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٢٤﴾ [التوبة].

(الحادية عشرة: أنَّ مَن اتخذ ندًّا تساوي محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر).

أخذًا من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فمن أحب مخلوقًا

---

(١) تقدم في (ص١٦٤)، (ص٥٥٠).

كمحبته لله بحيث يجعله ندًّا لله؛ فهو مشرك كافر، لأنه سوى معبوده بالله في المحبة.

◆◇◈◇◆

(٣٢)

باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٧٥﴾ [آل عمران].

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ...﴾ [التوبة: ١٨] الآية.

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠] الآية.

عن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «إنَّ من ضعف اليقين: أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إنَّ رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره»(١).

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَن التمس رضا الله بسخط الناس؛ رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومَن التمس رضا

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٠٦)، (١٠/ ٤١)، والسلمي في طبقات الصوفية (٦٨-٦٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٠٣). قال أبو نعيم (١٠/ ٤١): «وهذا الحديث مما رُكِّب على أبي يزيد البسطامي، والحمل فيه على شيخنا أبي الفتح (ابن الحمصي) فقد عُثر منه على غير حديث ركَّبه». وحكم الألباني في الضعيفة (١٤٨٢) على الحديث بأنه موضوع، وقال الشيخ سليمان في التيسير (٢/ ٨٥٦): «إسناده ضعيف ومعناه صحيح».

الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس» رواه ابن حبان في صحيحه[(١)].

الشَّرح

قوله: (باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران])، ترجم الشيخ للباب بالآية، وقد فعل مثل ذلك في أبواب كثيرة كما تقدم وكما سيأتي[(٢)]، وهذه الآية نزلت في نعيم بن مسعود، جاء يخوف الرسول ﷺ والمؤمنين؛ فأنزل الله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٧٣] إلى قوله: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران][(٣)]، والخوف من أعمال القلوب، وهو أنواع؛ أفضله: خوف الله، وهو أعظم مانع من معاصي الله؛ من ترك واجب أو فعل محرم، وهو واجب فإنَّ الله أمر به؛ فقال: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤]، وأثنى به على الملائكة والأنبياء والصالحين؛ قال تعالى في الملائكة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وقال في الأنبياء والصالحين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا

---

(١) أخرجه ابن حبان (٢٧٦)، والقضاعي في مسند الشهاب (٤٩٩)، (٥٠٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٥٦٨) بنحوه. وللحديث طرق وشواهد تنظر في الصحيحة (٢٣١١).

(٢) ينظر على سبيل المثال: (ص٣١٣)، (ص٣٣٢)، (ص٣٥٨)، وينظر ما يأتي في: (ص٥٦٤)، (ص٥٦٨)، (ص٥٩٧).

(٣) ينظر: العجاب في بيان الأسباب (٢/ ٧٩٣-٧٩٤).

وَرَهَبٗاۖ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾ [السجدة: ١٦]، وهذا الخوف من الإيمان، ومن الخوف: الخوف الطبيعي؛ كالخوف من السبع والحية والخوف من العدو، وهو يجوز على الأنبياء كما قال تعالى عن إبراهيم: ﴿فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ﴾ [الذاريات: ٢٨]، وقال تعالى عن موسى: ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧﴾ [طه]، وقال: ﴿إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ٣٣﴾ [القصص]، ومن الخوف ما يسميه العلماء خوف السر[١]؛ كخوف المشركين من آلهتهم من الأصنام والأموات، وسمي خوف السر؛ لأنه خوف ناشئ عن اعتقاد باطل، ليس له سبب محسوس ولا معقول، وهذا الخوف من الشرك الأكبر، فهو نقيض خوف الله الذي هو توحيد وإيمان، ومن خوف الله؛ الخوف من العذاب وسوء الحساب، فعلم -مما تقدم- أنَّ الخوف ثلاثة أنواع[٢]:

أحدها: خوف الله، وخوف عذابه، وهو من الإيمان، وعبر عنه في القرآن بأربعة ألفاظ: الخوف، والخشية، والرهبة، والتقوى؛ قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾ [البقرة]، وقال: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ٤١﴾ [البقرة]، ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾ [البقرة].

الثاني: الخوف الطبيعي، وهذا لا يمدح ولا يذم، إلا إذا أفرط فيه الإنسان فصيره جبانًا، وقعد به عن الجهاد.

---

(١) ينظر: الدرر السنية (١/ ٦٢)، (١/ ٢٧٠)، والتيسير (٢/ ٨٤٧).
(٢) ينظر: التيسير (٢/ ٨٤٧-٨٥٠).

الثالث: خوف السر، وتقدم تفسيره وحكمه.

وقد تضمن الباب ثلاث آيات، وحديثين:

الآية الأولى: تقدم الكلام فيها.

الثانية: **قوله: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨]**، ثناء من الله على المؤمنين بالله واليوم الآخر؛ بأنهم يخشون الله، ولا يخشون سواه.

الثالثة: **قوله: ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]**، ذم لبعض مَن ادعى الإيمان، ثم أذاهم المشركون بسبب إيمانهم، فجعلوا فتنة الناس، وهي: أذاهم لهم فصاروا يتقونها بترك الإيمان كما يتقى عذاب الله بترك الكفر، ويسرون ذلك إلى المشركين ليكفوا عنهم فهم منافقون؛ مع المؤمنين بظاهرهم، ومع المشركين بباطنهم، فإذا جاء نصر من الله للمؤمنين قالوا لهم: ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٠]، لينالوا مما حصل للمسلمين من غنيمة، فرد الله عليهم بأنه أعلم بما في صدورهم، فهو تعالى يعلم أنهم منافقون، فتبين أنَّ هؤلاء منافقون، خافوا المشركين أن يؤذوهم، ولم يخافوا الله، وبهذا تظهر مناسبة الآية للباب، وقد قال تعالى في الآية الأولى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٧٥﴾ [آل عمران].

وقوله: (عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «إنَّ من ضعف اليقين...» الحديث)، هذا حديث عظيم؛ لما تضمنه من معان جليلة، وإن كان من حيث الرواية فيه ضعف، وقد تضمن ثلاث علامات لضعف اليقين، وهو ضعف الإيمان:

الأولى: فعل ما يرضي الناس مما يسخط الله، وذلك بموافقتهم وطاعتهم في معصية الله.

الثانية: شكرهم على ما يجري الله على أيديهم من رزقه، مع الإعراض أو التقصير في شكر الله.

الثالثة: ذمهم على ما لم تسمح به نفوسهم، مما لا يجب عليهم مع الغفلة عن أنَّ ذلك بقدر الله.

وقوله: (**«إنَّ رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره»**)؛ تضمن ثلاثة أمور:

أحدها: أنه لا يحصل من الرزق إلا ما كتبه الله.

الثاني: أنَّ الحرص لا يأتي بالرزق إلا بإذن الله.

الثالث: أنَّ ما كتب الله من الرزق لا يقدر على منعه عدو ولا حاسد.

وقوله: (**وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ رسول الله ﷺ؛ قال: «مَن التمس رضا الله بسخط الناس...»**) **إلى آخر الحديث**، في هذا الحديث وعد ووعيد؛ وعد لمن طلب رضا الله، ولو بما يسخط الناس، بأن يرضى الله عنه، ويرضي عنه الناس، ووعيد لمن طلب رضا الناس، ولو بما يسخط الله، أن يسخط الله عليه، ويسخط عليه الناس فينقلب عليه قصده، وفي رواية أنها كتبت إلى معاوية: «سلام عليك، أما بعد، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **مَن التمس رضاء الله بسخط الناس، كفاه الله مؤنة الناس، ومَن التمس رضاء الناس بسخط الله، وكله الله إلى الناس**، والسلام عليك»[١].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٤).

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية «آل عمران»).

تقدم الكلام على قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، والقول الصحيح فيها: يخوفكم أولياءه[١]؛ فهذا الخوف من الكفار الذي يحمل على القعود عن الجهاد؛ هو من طاعة الشيطان، وأما الخوف من مكائدهم وخياناتهم واعتداءاتهم؛ فهو من الخوف الطبيعي.

(الثانية: تفسير آية «براءة»).

وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨]. فيها دلالة على أنَّ هذا هو الخوف الإيماني، وهو خوف الله وخشيته؛ قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ [البقرة: ١٥٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وهؤلاء أثنى الله عليهم، بأنهم لا يخشون إلا الله؛ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

(الثالثة: تفسير آية «العنكبوت»).

وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ [العنكبوت: ١٠]. فذمهم بخوفهم من الناس؛ فالخوف من الناس الذي يصد عن الإيمان وعن القيام بما أوجب الله هو الخوف المذموم، وقد يفضي إلى الكفر، وقد يفضي إلى المعصية.

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٤٨)، وتفسير الطبري (٦/ ٢٥٥).

(الرابعة: أنَّ اليقين يضعف ويقوى).

يضعف اليقين بضعف العلم وضعف الإيمان، ويقوى بالعلم والطاعات؛ ولهذا يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [غافر: ٧٧]؛ فاليقين يحمل على الصبر؛ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة].

(الخامسة: علامة ضعفه، ومن ذلك هذه الثلاث).

من علامة ضعف اليقين، ما ذكر في الحديث: «**أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله**»، وتقدم تفسيرها.

(السادسة: أنَّ إخلاص الخوف لله من الفرائض).

إخلاص الخوف بألا يخاف إلا الله؛ قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، **وقوله:** **(من الفرائض)**: يعني: أنه واجب، فيجب على العبد ألا يخاف إلا ربه، وتقدم أنَّ الخوف أقسام.

(السابعة: ذكر ثواب مَن فعله).

يشير إلى قوله ﷺ في الحديث: «**مَن التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس**».

(الثامنة: ذكر عقاب مَن تركه«.

يشير إلى قوله في الحديث: «**ومَن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس**».

◆◈◈◈◆

(٣٢)

باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٣﴾ **[المائدة].**

وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢] **الآية. وقوله:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٤] **الآية.**

وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣﴾ [آل عمران]. **قالها إبراهيم** ﷺ **حين ألقي في النار، وقالها محمد** ﷺ **حين قالوا:** ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٧٣] **الآية». رواه البخاري**[١].

الشرح

يقول الشيخ: (باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٣﴾ [المائدة]). وهذا على عادته رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يجعل من الآية عنوانًا للباب؛ كما في البابين قبله[٢] وغيرها، وهذا النوع كثير في «كتاب التوحيد»؛ وبهذا يعرف موضوع الباب وأنه التوكل، فكأنه قال: باب التوكل على الله، أو باب ما جاء في التوكل، أو باب فرض التوكل، أو

(١) البخاري (٤٥٦٣).
(٢) تنظر: (ص٥٤٨)، و (ص٥٥٧).

باب من الإيمان التوكل على الله؛ فيفهم موضع الباب من نفس ما تضمنه من الأدلة.

والتوكل: هو اعتماد القلب على الله، وتفويض الأمر إليه؛ فلا يتعلق بسواه في جلب نفع أو دفع ضر، ولا يتعلق بشيء من الأسباب؛ بل يعلم أنَّ الأمر كله لله، وأنَّ الخير كله بيده، وأنَّ بيده الملك والعطاء والمنع سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ فتبين أنَّ التوكل على الله، والاستعانة به من مقتضيات توحيد الربوبية وثمراته، وأنَّه من أعظم مقامات الدين، وأجل أعمال القلوب، ولهذا كان الأمر به قرين الأمر بالعبادة في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [هود: ١٢٣]، وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ۝٢ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ۝٣﴾ [الأحزاب]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ۝١٠﴾ [الشورى]، وقرن بالإيمان في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال]، وقد ذكر الشيخ في الباب أربع آيات:

تضمنت الأولى: الأمر بالتوكل، وأنه من مقتضى الإيمان بالله.

ودلت الآية الثانية: على أنَّ التوكل على الله من صفات المؤمنين الكمّل.

وتضمنت الآية الثالثة والرابعة: الوعد بالكفاية لمن توكل على الله، والنبي ﷺ سيد المتوكلين، ومعنى الحسب: الكافي؛ **فقوله**: ﴿حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٦٤﴾ **[الأنفال]**؛ أي: كافيك، وكافي مَن اتبعك[1]، **وقوله تعالى**: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ **[الطلاق: ٣]**؛ أي: فالله كافيه.

(١) ينظر: تفسير الطبري (١١/ ٢٥٩)، وشرح العقيدة التدمرية (ص٥٤٦-٥٤٧).

وأما أثر ابن عباس في تفسير **قوله تعالى**: ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران]؛ فله حكم الرفع لتضمنه الخبر عن قول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وجملة: «حسبنا الله ونعم الوكيل» تتضمن التوكل على الله، والإيمان بكفايته، والثناء على الله بكمال ولايته وكفايته، ولهذا قالها الخليلان في ساعة الشدة، ولهذا يستحب أن يقولها كل مؤمن حزَبه[١] أمر.

(فيه مسائل:

الأولى: أنَّ التوكل من الفرائض).

هذه الفائدة مأخوذة من الأمر بالتوكل على الله في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة]؛ لأنَّ الأمر يفيد الوجوب؛ فقول الشيخ: (من الفرائض): أي: من الواجبات، والواجب والفرض معناهما متقارب، لكن لفظ الفرض يدل على أنه واجب مؤكد.

(الثانية: أنه من شروط الإيمان).

لقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة]؛ فتوكلوا على الله وحده؛ لأنَّ تقديم المعمول يدل على الحصر.

(الثالثة: تفسير آية «الأنفال»).

يريد قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، إلى قوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾ [الأنفال]، وقد تقدمت الإشارة إلى تفسيرها.

---

(١) حزبه أمر أي أصابه. ونزل به أمر مُهمٌّ أو أصابه غمٌّ. ينظر: لسان العرب (١/ ٣٠٩).

(الرابعة: تفسير الآية في آخرها).

يريد قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾ [الأنفال]، وتقدمت الإشارة إلى تفسيرها.

(الخامسة: تفسير آية «الطلاق»).

يريد قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، والحسب بمعنى الكافي؛ فالله كاف عبده، وهو كاف نبيه، وكاف مَن اتبعه، ومَن توكل عليه.

(السادسة: عظم شأن هذه الكلمة.

السابعة: أنها قول إبراهيم ومحمد -صلى الله عليهما وسلم- في الشدائد).

يريد بالكلمة: حسبنا الله ونعم الوكيل، وأنه مما يدل على عظم شأنها في الدلالة على صدق التوكل: تواطؤ الخليلين عَلَيۡهِمَا ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على ذكرها عند الشدة.

تنبيه: يلاحظ التناسب بين الأبواب الثلاثة؛ لتعلقها ببعض أفعال القلوب؛ المحبة والخوف والتوكل، ولا شك أنَّ هذا مقصود للشيخ، وليس ذلك خاصًّا في هذا الموضع؛ بل يظهر قصد الشيخ إلى مراعاة التناسب في مجموعات من أبواب هذا الكتاب؛ فتدبر ذلك من أول الكتاب، ومن آخر ما مر من هذا القبيل: الأبواب من باب ما جاء في السحر إلى باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء؛ فهذه سبعة أبواب لا يخفى ما بينها من التناسب.

(٣٤)

باب قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف].

وقوله: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر؟ قال: «الشرك بالله، واليأس من رَوح الله، والأمن من مكر الله»[(١)].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من رَوح الله» رواه عبد الرزاق[(٢)].

الشرح

هذا من نوع ما تقدم من جعل الآية هي ترجمة الباب، وبها يعرف موضوع الباب؛ فكأنه قال باب الأمن من مكر الله، **وقوله تعالى:**

---

(١) أخرجه البزار (١٠٦-كشف)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٢٠١)، وابن عبد البر في التمهيد (٥/ ٧٧) وقال المناوي في فيض القدير (٥/ ٦١): «قال الزين العراقي في شرح الترمذي: «إسناده حسن»»، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٢٠٥١).

(٢) أخرجه عبد الرزاق كما في جامع معمر بن راشد (١٩٧٠١)، وفي تفسيره (٥٥٦)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٠٤) وقال: «إسناده صحيح»، وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٧٩): «هو صحيحٌ إليه بلا شك».

﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٩]، هو استفهام إنكار وتوبيخ للكفار على غفلتهم وعدم خوفهم من الله، والأمن من مكر الله، ومن عذابه، يحصل إما من الغفلة أو الجهل أو الإفراط في الرجاء، والمكر: هو التدبير الخفي في إيصال ما يسوء؛ فظاهره الخير والنفع، والواقع خلاف ذلك[1]، ومن مكر الله بالكفار أو العصاة الاستدراج، ومنه الإمهال، والأمن من مكر الله من أعظم أسباب الخسران، ولهذا **قال تعالى**: ﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩﴾ [الأعراف]؛ لأنَّ مَن أمن عذاب الله، ومكره لم يقلع عن كفره ومعاصيه.

والآية تدل على أنَّ الله يوصف بالمكر، يقال: إنه خير الماكرين، ويقال: إنه يمكر بالكافرين والمنافقين، ومن مكر الله بالمنافقين: أن قبل علانيتهم وترك سرائرهم لحساب يوم الحساب حتى يظنوا أنَّ ما أظهروه من الإيمان ينجيهم من عذاب الله؛ فهو تعالى يمكر حقيقة، والقول فيه كالقول في سائر الصفات، لا كما يقول النفاة: إنَّ إضافة المكر إلى الله من قبيل المشاكلة اللفظية[2]، لكن مكر الإنسان منه محمود ومذموم، أما مكر الله فكله محمود؛ لأنه متضمن للعدل والحكمة؛ فهو يمكر بمن شاء لكن بعدل وحكمة؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾ [الكهف][3].

---

(١) ينظر: بيان الدليل على بطلان التحليل (ص١٩١-١٩٢).

(٢) ينظر على سبيل المثال: تفسير أبي السعود (٢/ ٤٨٥)، والتسهيل لابن جُزي (١/ ٥٤٥) وتعليق شيخنا عليه (ص٩٦ رقم ٣٨)، والتحرير والتنوير (٣/ ٢٥٦).

(٣) توضيح مقاصد الواسطية (ص٩٢-٩٣).

ومن أنواع مكر الله بأعدائه: الاستدراج؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٢ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ١٨٣﴾ [الأعراف].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ٥٦﴾ [الحجر]: هذا من قول إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، لما قالت له الملائكة: ﴿قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ٥٥﴾ [الحجر]، والقنوط أشد اليأس، والقنوط من رحمة الله من كبائر الذنوب، كما جاء في قول ابن مسعود.

(عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: أنَّ رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر؟ قال: «الشرك بالله، واليأس من رَوح الله، والأمن من مكر الله».

وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من رَوح الله» رواه عبد الرزاق).

في حديث ابن عباس وأثر ابن مسعود، ذكر أربعة أمور كلها من الكبائر؛ الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، والأمن والقنوط واليأس من أعمال القلوب، والقنوط واليأس معناهما متقارب، لكن القنوط أشد اليأس، والأمن والقنوط ضدان؛ فالأمن إفراط في الرجاء، والقنوط إفراط في الخوف، والواجب على العبد أن يكون في سيره إلى الله خائفًا راجيًا، وأن يكونا له كالجناحين للطائر(١)؛ فإنَّ مَن غلب عليه الخوف؛ أفضى به إلى القنوط من رحمة الله، ومَن غلب عليه الرجاء؛ أفضى به إلى الأمن من مكر الله، وإذا تضمن القنوط التكذيب

(١) قاله أبو علي الروذباري. ينظر: شعب الإيمان (٩٩٦).

بالوعد، أو تضمن الأمن التكذيب بالوعيد كان كفرًا، ومع ذلك؛ فالراجي لا بد له من الخوف من فوت مطلوبه، والخائف لا بد أن يرجو السلامة من مرهوبه؛ قال شيخ الإسلام: «فثبت أنَّ كل خوف فإنه مستلزم للرجاء، وكل رجاء فإنه مستلزم للخوف»[1].

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية «الأعراف»).

وهي قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٩]، وتقدمت الإشارة إلى تفسيرها.

(الثانية: تفسير آية «الحجر»).

وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦﴾ [الحجر]، وتقدمت الإشارة إلى تفسيرها.

(الثالثة: شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله).

يدل لما ذكر الشيخ قوله تعالى: ﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩٩﴾ [الأعراف].

(الرابعة: شدة الوعيد في القنوط).

يدل لهذا قوله تعالى عن إبراهيم: ﴿وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦﴾ [الحجر].

◆◇◈◇◆

---

(١) جامع المسائل (٨/ ٢٨).

(٣٥)

باب من الإيمان بالله: الصبر على أقدار الله

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١].

قال علقمة: «هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم»(١).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت»(٢).

ولهما عن ابن مسعود مرفوعًا: «ليس منا مَن ضرب الخدود، وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية»(٣).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا أراد الله بعبده الخير، عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة»(٤).

(١) ذكره بنحوه البخاري معلقًا مجزومًا به في كتاب التفسير، «سورة التغابن» (٦/ ١٥٥) عند حديث رقم (٤٩٠٧) عن علقمة، عن ابن مسعود. ووصله: عبد الرزاق في التفسير (٣٢٢٧)، وابن جرير (٢٣/ ١٢) والبيهقي (٧٢١٤) واللفظ له، عن علقمة، به، فلم يذكروا ابن مسعود. وصححه الشيخ سليمان في التيسير (٢/ ٨٩٢).

(٢) أخرجه مسلم (٦٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٩٧)، ومسلم (١٠٣).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وأبو الشيخ في العوالي (٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣١٦)، والبغوي في شرح السنة (١٤٣٥) قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه»، وصحَّحه الألباني بمجموع طرقه في الصحيحة (١٢٢٠).

وقال النبي ﷺ: «إنَّ عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومَن سخِط فله السخط»[(١)] حسنه الترمذي.

الشَّرح

قوله: (باب من الإيمان بالله: الصبر على أقدار اللّهِ)؛ أي: باب بيان ذلك، وذكر أدلته، وأصل معنى الصبر الحبس[(٢)]، والمراد به هنا: الصبر الذي أمر الله به المؤمنين؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ [البقرة]، والصبر الذي أمر الله به ثلاثة أنواع[(٣)]:

أحدها: الصبر على طاعة الله وفرائضه، ومن ذلك الصبر على أداء الصلوات الخمس؛ قال تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾ [طه: ١٣٢].

الثاني: الصبر عن معاصي الله، وهو داخل في قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، وقوله: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ [الأنفال].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٣٢٥)، وحسَّنه الترمذي، والألباني في الصحيحة (١٤٦). والشطر الثاني له شواهد من حديث عبد الله بن مغفل، وأبي هريرة، وأبي عنبسة الخولاني ومحمود بن لبيد وجماعة. ينظر: مجمع الزوائد (٢/ ٢٩١)، وكشف الخفاء (١٨٥).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (٣/ ٣٢٩).

(٣) ينظر: جامع المسائل (١/ ١٦٦-١٦٧)، وعدة الصابرين (ص٤٨).

الثالث: الصبر على أقدار الله المؤلمة، وهي المصائب في الأنفس والأموال؛ قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة]، وخص الشيخ في هذا الباب هذا النوع من الصبر؛ لأنه يتضمن أنواع الصبر الثلاثة، ولأنَّ الله خصهم بالبشرى وبالوعد والثناء في قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة]، ومن الدليل على أنَّ هذا الصبر من الإيمان، قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، **وقوله: (قال علقمة: «هو الرجل...») إلى آخره**، تفسير للإيمان في **قوله تعالى**: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾، وعلقمة هو ابن قيس النخعي، أحد أصحاب ابن مسعود؛ قيل: ولد في حياة النبي ﷺ، وهو من كبار التابعين وعلمائهم[(١)]؛ **وقوله: («فيعلم أنها من عند الله»)**؛ أي: بتقديره وإذنه؛ فيرضى ويسلم لأمر الله، ولا يتسخط القضاء ولا يعترض عليه؛ بل يسلم الأمر لله، ويصبر ويحتسب.

وقوله ﷺ، في حديث أبي هريرة: **(«اثنتان في الناس هما بهم كفر»)**؛ أي: في الناس خصلتان من أنواع الكفر؛ أي: الكفر العملي لا الكفر المخرج من الملة[(٢)]، وتقدم أنَّ هاتين الخصلتين من أمور الجاهلية، وتقدم تفسيرهما في باب الاستسقاء بالأنواء[(٣)]، والشاهد من الحديث **قوله: («والنياحة»)**؛ لأنها تنافي الصبر على قدر الله، وقوله ﷺ، في

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٣).
(٢) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٣٧).
(٣) تنظر: (ص٥٤١).

حديث ابن مسعود: («ليس منا مَن ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية»): معناه: مَن يفعل ذلك ليس من المسلمين الذين يتقون ما حرم الله، وفيه البراءة منه؛ كقوله ﷺ: «مَن غشَّنا فليس منا»(١)، وهذه الأمور الثلاثة من مظاهر الجزع والتسخط لقضاء الله، والمراد «بشق الجيوب»: شق جيب الثوب تعبيرًا عن شدة الجزع، ومثله ضرب الخدود، ومثله ضرب أي موضع من البدن جزعًا، ومثله حلق الشعر أو نتفه؛ كما جاء في الحديث عنه ﷺ، أنه قال: «أنا بريء من الصالقة والحالقة والشاقة»(٢)؛ أي: التي ترفع صوتها عند المصيبة، أو تشق جيبها، أو تحلق شعرها(٣)، ودعوى الجاهلية: هو الدعاء بالويل والثبور؛ كأن يقول: يا ويلاه، يا ثبوراه، أو يندب الميت بقوله: واجبلاه، واعضداه؛ فكل هذه الأقوال والأفعال حرام، ومن كبائر الذنوب، ومنافية للصبر الواجب، وقوله ﷺ: («إذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العقوبة في الدنيا..» الحديث)، يدل على أنَّ عقوبة الإنسان على ذنوبه بالمصائب قد يكون خيرًا له؛ لأنَّ عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، والعلم والإيمان بذلك من أسباب الصبر واحتساب الأجر، وقوله ﷺ: («إنَّ عظم الجزاء مع عظم البلاء... » الحديث)؛ معناه: إنَّ الثواب العظيم، يكون بسبب الابتلاء العظيم؛ فالواجب الصبر على البلاء؛ لنيل الثواب العظيم، وقوله: («إنَّ الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم»)؛ يدل على أنَّ

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه بنحوه البخاري (١٢٩٦)، ومسلم (١٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) ينظر: شرح مسلم للنووي (٢/ ١١٠)، وفتح الباري (٣/ ١٦٥-١٦٦).

الابتلاء بالمصائب علامة على محبة الله للعبد؛ لأنه بالابتلاء يطهره من الذنوب؛ كما جاء في الحديث: «**ما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة**»(١)، **وقوله: («فمن رضي فله الرضا...» الحديث)**؛ يعني: مَن رضي بقضاء الله؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومَن سخط قضاء الله؛ سخط الله عليه.

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية «التغابن»).

وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، وتقدم تفسيرها.

(الثانية: أنَّ هذا من الإيمان بالله).

أي: الصبر لله؛ فيما أمر الله بالصبر عليه: من الإيمان بالله.

(الثالثة: الطعن في النسب).

أي: تحريم الطعن في النسب، وأنه قبيح وكفر دون كفر.

(الرابعة: شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية).

هذه أفعال منكرة تنم عن عدم الصبر؛ فهي إنما تكون مع عدم الصبر؛ ولهذا عرف الصبر بأنه: حبس النفس عن التسخط على قدر

(١) أخرجه أحمد (٧٨٥٩) -واللفظ له-، والترمذي (٢٣٩٩) وحسنه، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، وصححه ابن حبان (٢٩١٣) والحاكم (١٢٨١).

الله، واللسان عن الشكوى، وقول الفحش والإثم، والتكلم بدعوة الجاهلية، والجوارح عما لا ينبغي فعله؛ كالضرب والشق واللطم[١].

(الخامسة: علامة إرادة الله بعبده الخير).

وذلك في قوله: (**«إذا أراد الله بعبده الخير، عجل له العقوبة في الدنيا»**)؛ فمن يبتلى بأنواع المصائب، يرجى أنَّ الله أراد به خيرًا، وهو تكفير خطاياه في هذه الدنيا، فيقدم على الله وليس عليه خطيئة؛ كما في الحديث المشهور: «**لا يزال البلاء بالمؤمن أو المؤمنة، في جسده، وفي ماله، وفي ولده، حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة**»، كما تقدم.

(السادسة: علامة إرادة الله به الشر).

هذه مأخوذة من قوله في الحديث: (**«وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة»**)، قال ابن القيم في تفسير الخير والشر: «الشر مرجعه إلى الآلام وأسبابها، والخير مرجعه إلى اللذات وأسبابها»[٢]، فالمعاصي شر؛ لأنها تفضي إلى الآلام، والطاعات خير؛ لأنها تفضي إلى النعيم.

(السابعة: علامة حب الله للعبد).

هذه مأخوذة من قوله في الحديث: (**«وإنَّ الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم»**)؛ فهذه من علامات محبة الله للعبد، أن يبتليه لينقيه ويطهره ويرفع درجاته.

---

(١) ينظر: عدة الصابرين (ص١٥).
(٢) شفاء العليل (٢/ ٣٤٢).

(الثامنة: تحريم السخط).

أي: تحريم السخط على قضاء الله؛ فيجب على العبد أن يرضى بقضاء الله، وهو حكمه، أما نفس المقضي، فلا يجب الرضا به، لكن يجب الصبر عليه(١).

(التاسعة: ثواب الرضا بالبلاء).

هذه مأخوذة من قوله في الحديث: («**فمن رضي فله الرضا، ومَن سخط فله السخط**»)؛ وفي هذا ترغيب ظاهر في الصبر على البلاء وتحمل الأذى.

◆◇◈◇◆

(١) ينظر: منهاج السنة (٣/ ٢٠٤-٢٠٥)، وشفاء العليل (٢/ ٣٧٠).

(٣٦)

باب ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠] الآية.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَن عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه» رواه مسلم(١).

وعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى، قال: الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته؛ لما يرى من نظر رجل» رواه أحمد(٢).

الشرح

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: (باب ما جاء في الرياء)؛ أي: ما جاء في الكتاب والسنة من الذم والنهي والوعيد، وما يحبطه الرياء من العمل.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) أخرجه أحمد (١١٢٥٢)، وابن ماجه (٤٢٠٤)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٧٨١)، والحاكم (٧٩٣٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٤١٣)، وله شاهد من حديث محمود بن لبيد وتقدم في (ص١٠٦) لذلك حسنه جمع من أهل العلم منهم البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ٢٣٧)، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠).

والرياء: اسم مصدر من راءى يرائي رئاء، مشتق من الرؤية[١]؛ كما قال تعالى: ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وأما في الشرع: فهو أن يعمل العبد العمل؛ ليراه الناس فيمدحوه ويثنوا عليه، وتقدم قوله ﷺ: «**إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياء**»، يقول الله عَزَّوَجَلَّ لهم يوم القيامة: إذا جزي الناس بأعمالهم: «**اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء**»[٢].

والرياء من خصال المنافقين؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٤٢﴾ [النساء]، وهذا في العمل الذي يرى، وفي معناه وحكمه ما يسمع، وهي: الأقوال، وفي الحديث: «**مَن سمَّع سمَّع الله به**»[٣].

(وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠] **الآية)**؛ هذا رد على المشركين، الذين يطعنون على الرسول بأنه بشر مثلهم، فلا فضل له عليهم بزعمهم، وهذه سنة أعداء الرسل يتوارثونها؛ كما قال تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم: ١١]؛ فردوا عليهم؛ بأنَّ الله يمن على مَن يشاء، وقد مَنّ الله عليهم بالوحي والإرسال، ونظير هذا

---

(١) ينظر: لسان العرب (١٤/ ٢٩٦).

(٢) هو تتمة حديث محمود بن لبيد الذي تقدم تخريجه في (ص١٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٦) من حديث جندب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

قوله تعالى في هذه الآية: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠]؛ فأمره الله أن يقول لهم أنا بشر مثلكم، لكن الله خصني بالوحي إلي أنه لا إله إلا هو؛ أي: فلا تتخذوا معه إلهًا آخر، وقوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف: ١١٠]؛ أي: مَن كان يؤمن بالله، ولقائه يوم القيامة؛ فليعمل عملًا صالحًا يلقى به ربه، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف]؛ أي: فليخلص العبادة لله؛ فلا يعبد معه غيره، ولا يرائي في عبادته أحدًا؛ فإنَّ المرائي مشرك بالله في عبادته؛ لأنها لم تكن خالصة لله، ولهذا قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»؛ فسئل عنه؟ فقال: «**الرياء**»[1]، وبهذا تظهر مناسبة الآية للباب.

وقوله: (وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا:)؛ أي: مرفوعًا إلى الرسول؛ فأبو هريرة يروي هذا الحديث عن الرسول، والرسول يرويه عن ربه؛ فالذي قال: قال الله؛ هو الرسول؛ فهو حديث قدسي لأنه من كلام الله الذي يرويه النبي ﷺ عن ربه.

وقوله: («أنا أغنى الشركاء...»): أي: أنا أغنى الشركاء عن النصيب الذي جعله المشركون لي مع شركائهم، ومعنى هذا أنه لا يقبله، ولهذا قال: (**«تركته وشركه»**)؛ فيعود للشركاء، ويؤيده ما في الرواية الأخرى: «**وهو للذي أشرك**»[2]، والمرائي جعل بعض عمله لله، وبعضه للناس الذين يرائيهم؛ فدل الحديث على حبوط عمل المرائي؛ لأنَّ الله لم

---

(١) تقدم تخريجه في (ص١٠٦).

(٢) أخرجه أحمد (٧٩٩٩) وابن ماجه (٤٢٠٢) وصححه ابن خزيمة (٩٣٨)، وابن حبان (٣٩٥).

يقبله؛ فعلم أنَّ الرياء يبطل العمل الذي قارنه لا غيره، خلاف الشرك الأكبر الذي يحبط جميع الأعمال، ويوجب لصاحبه الخلود في النار، وقد فصل العلماء[1] تأثير الرياء في العمل المعين؛ فقالوا: مَن أنشأ العمل مرائيًا به أو عرض له في أثنائه، واستمر عليه بطل هذا العمل كله، ومَن عرض له ودفعه وأعرض عنه لم يضره.

هذا في العمل الذي ينبني آخره على أوله؛ كالصلاة، وأما ما لا ينبني آخره على أوله؛ كتلاوة القرآن، فلا يبطل منه إلا ما قرنه الرياء؛ فإنَّ القارئ قد يعرض له الرياء في بعض قراءته ثم يذهب عنه ويخلص؛ فلا يبطل ما أخلص فيه.

وقوله: (وعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **مرفوعًا)**؛ أي: مرفوعًا إلى الرسول؛ فأبو سعيد قال: قال رسول الله: (**«ألا أخبركم...» الحديث**)؛ و«ألا»: أداة عرض كما قال إبراهيم لأضيافه؛ ألا تأكلون؟ فالرسول يعرض على أصحابه أن يخبرهم، ولا بد أنهم قالوا: بلى؛ أي: أخبرنا؛ فأخبرهم ﷺ، بما يخافه عليهم، وهو عنده أخوف عليهم من المسيح الدجال، الذي فتنته أعظم فتنة، ثم فسره النبي ﷺ بقوله: (**«الشرك الخفي»**)، لأنه عمل قلبي ثم ذكر النبي ﷺ مثالًا له بقوله: (**«يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته؛ لما يرى من نظر رجل»**)؛ فالأصل أنَّ هذا الرجل يصلي لله؛ فلما شعر أنَّ رجلًا ينظر إليه طولها، وكان لا يريد التطويل، وصار يطمئن فيها ويخشع، ولم يكن يقصد ذلك قبل الشعور بنظر أحد إليه؛ فتطويل الصلاة والطمأنينة فيها والخشوع، كل ذلك من زينة الصلاة؛ فهذا التزيين

---

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم (١/ ٧٩-٨٤).

كان لغير الله؛ فكان شركًا، وحقيقته الرياء الذي قال فيه النبي ﷺ: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»؛ فسئل عنه؟ فقال: «**الرياء**»، وحديث أبي سعيد هذا، شاهد ومفسر لحديث محمود بن لبيد[١]، فإنَّ النبي ﷺ سمى الرياء شركًا في الحديثين، وعظم خطره في حديث أبي سعيد، وقال مرة: الشرك الأصغر، ومرة قال: الخفي؛ فهو أصغر في مقابل الشرك الأكبر، وخفي في مقابل الشرك الظاهر، والشرك الظاهر هو الشرك الأكبر؛ لأنه لا يخفى على أحد عرف أصل الإسلام؛ فلذا يحذره كل مسلم، وأما الشرك الأصغر الخفي فقد يقع فيه كثير من الصالحين؛ فلذا خافه النبي ﷺ على أصحابه، وحذرهم منه أبلغ تحذير، وما ذاك إلا أنَّ تحقيق الإخلاص من أصعب ما يكون على النفوس، لأنه يرجع إلى إصلاح النية، وإصلاح النية شاق يحتاج إلى مجاهدة شديدة، يشهد لذلك ما روي عن سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، من قوله: «ما عالجت شيئًا أشد علي من نيتي»[٢]، وقول يوسف بن أسباط رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد»[٣].

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية «الكهف»).

وهي قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف]، وتقدم تفسيرها.

(١) تقدم تخريجه في (ص١٠٦).
(٢) أخرجه بهذا اللفظ: الخطيب البغدادي في الجامع (٦٩٢) وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٦٢) بلفظ: (نفسي).
(٣) أخرجه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (١٩٤٦)، (٣٤٢٤).

(الثانية: هذا الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله).

أي: رد العمل بالرياء، أخذًا من قوله تعالى: (**«مَن عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»**)، ولا ريب أنَّ هذا أمر عظيم وخطر كبير؛ ولهذا كان الشرك أخوف ما يخافه الرسول ﷺ على الصالحين؛ فالواجب الحذر كل الحذر من هذا الشرك، والاجتهاد كل الاجتهاد في تحقيق الإخلاص.

(الثالثة: ذكر السبب الموجب لذلك وهو كمال الغنى).

يشير إلى قوله تعالى في الحديث القدسي: (**«أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَن عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»**).

(الرابعة: أنَّ من الأسباب أنه خير الشركاء).

يشير إلى ما جاء في بعض روايات الحديث القدسي: **«أنا خير الشركاء، مَن عمل لي عملًا فأشرك فيه غيري، فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك»**[1].

(الخامسة: خوف النبي ﷺ على أصحابه من الرياء).

يدل لهذا حديث أبي سعيد: (**«ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟» قالوا: بلى، قال: «الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته؛ لما يرى من نظر رجل»**)، وإذا كان النبي ﷺ يخاف على أصحابه من الرياء، فمن دونهم أولى بالخوف عليه من الرياء.

---

(١) أخرجه أحمد (٨٠٠٠)، وصححه ابن خزيمة (٩٣٨)، وابن حبان (٣٩٥).

(السادسة أنه فسر ذلك أن يصلي المرء لله لكن يزينها لما يرى من نظر رجل).

يشير إلى قوله في الحديث: (**«يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته؛ لما يرى من نظر رجل»**)، وهذا تفسير بالمثال للشرك الخفي.

◆ ◈ ◈ ◈ ◆

(٣٧)

باب من الشرك: إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ ...﴾ [هود: ١٥-١٦] الآيتين.

في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع»(١).

الشرح

قوله: (باب من الشرك)؛ أي: من أنواع الشرك، ثم فسره بقوله: (إرادة الإنسان بعمله الدنيا)؛ فهو الشرك في النية، وهو مناقض للإخلاص، وليس هذا الباب تكرارًا مع الباب السابق؛ بل هذا عام، والباب السابق خاص؛ فإنَّ المرائي طالب للمدحة، وهي: من مطالب الدنيا(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٦)، (٢٨٨٧) بنحوه.
(٢) ينظر: فتح المجيد (٢/ ٦٢٥).

وهذا الشرك له مرتبتان[١]: شرك أكبر، وهو إرادة الدنيا بأصل الإيمان، وهو ينطبق على المنافقين؛ فإنهم أظهروا الإيمان لمنافع الدنيا؛ من عصمة دمائهم وأموالهم، والعيش بين المسلمين ومواراثتهم، وليعاملوا معاملة المسلمين في الحقوق، وكل ما يظهرونه من الأعمال؛ فعلى وجه الرياء، وهذه الآية منطبقة عليهم؛ لأنهم لا يريدون بإيمانهم وأعمالهم إلا الحياة الدنيا؛ فأهل هذا الشرك ليس لهم في الآخرة إلا النار.

المرتبة الثانية للشرك في النية: شرك أصغر، وهو طلب حظ من حظوظ الدنيا؛ كالمال والجاه، ببعض الأعمال؛ كمن يجاهد لأجل المغنم، ومَن يطلب العلم طلبًا للوجاهة ورفع القدر عند الناس، ومَن يتلو القرآن، ويأخذ على التلاوة أجرًا، أو يتلو القرآن ليتصدق عليه؛ فهؤلاء -كلهم- حكمهم حكم المرائي؛ لأنَّ المرائي طالب بعمله حظًّا من حظوظ الدنيا، وهو الشرف والرفعة عند الناس؛ فلذلك كان هذا الباب أعم من باب الرياء؛ فلذا تقول: كل مرائي مريد للدنيا، وليس كل مريد للدنيا مرائيًا، وقوله تعالى: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ [هود: ١٥]؛ أي: نجزيهم عليها، ونعطيهم ما أرادوا من الدنيا؛ كما قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء]، وقال هنا: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ [هود: ١٦]، وقوله: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ [هود: ١٦]؛ أي: بطل ما عملوه في الدنيا؛ فلا ينالون به ثوابًا، وقوله: ﴿وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود]، فيه تأكيد لحبوط أعمالهم.

---

(١) ينظر: عدة الصابرين (ص٣١٦-٣٢٣)، والقول السديد للسعدي (ص١٣٠).

وقوله: (**في الصحيح**)؛ أي: «صحيح البخاري» (**عن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: قال رسول الله** ﷺ: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم...**» **الحديث**)، تعس: دعاء على مَن ذكر بالتعاسة، وهي: الخيبة والخسران وسوء الحظ، وعبد الدينار، وعبد الدرهم، والخميصة والخميلة مَن كانت هذه الأمور أكبر همه؛ فرضاه وسخطه متعلق بها وجودًا وعدمًا، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، وكرر الدعاء على هذا المفتون، المستعبد لشهواته تحذيرًا وتنفيرًا عن مثل حاله، **وقوله**: («**تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش**»)؛ مبالغة في الدعاء عليه بتعسير أموره، وفساد حاله، **وقوله**: («**طوبى**»)؛ دعاء لذلك العبد المجاهد بطيب الحياة، ودخول الجنة، وطوبى: شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مئة عام[1]، **وقوله**: («**آخذ بعنان فرسه**»)؛ يعني: أنه مستعد للجهاد على فرسه لا يبرحه، **وقوله**: («**أشعث رأسه**»)؛ يعني: غير مرجل، (مغبرة قدماه)؛ يعني: أنه يمشي على أرض غبراء؛ فهو يمشي تارة، ويركب تارة، **وقوله**: («**إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة**»)؛ يعني: أنه يلزم المكان الذي عهد إليه بلزومه، ولا يبالي أي مهمة يكلف بها، **وقوله**: («**إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم**

---

(١) أخرجه أحمد (١١٦٧٣)، وأبو يعلى (١٣٧٤)، وابن جرير في التفسير (١٣/ ٢٩)، وابن حبان (٧٢٣٠)، (٧٤١٣)، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ أن رجلًا قال له: يا رسول الله، طوبى لمن رآك، وآمن بك، قال: «**طوبى لمن رآني وآمن بي، ثم طوبى، ثم طوبى، ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني**»، قال له رجل: وما طوبى؟ قال: «**شجرة في الجنة مسيرة مئة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها**»، وله شواهد عن قرة بن إياس وعبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتقوى بها. ينظر: الصحيحة (١٩٨٥).

يشفع»)؛ يعني: أنه مع جهاده واجتهاده لا جاه له عند الأمراء، ومع ذلك هو قائم بواجبه في الجهاد أتم قيام، وذلك لكمال إخلاصه؛ فهو لا يطلب بجهاده واجتهاده منزلة عند الأمراء؛ بل يطلب المنزلة عند ربه؛ فهذا العبد المجاهد الصادق أشبه ما يسمى في هذا العصر بالجندي المجهول، نعم هو مجهول عند الناس؛ لكنه معلوم عند ربه، ولهذا دعا له الرسول؛ **بقوله: («طوبى لعبد... » الحديث)**؛ فهذا عبد الله حقًّا؛ فأين هو من عبد الدينار والدرهم والخميصة والخميلة؛ فإنه عبد هواه، والآخر عبد مولاه، والدينار: النقد من الذهب، والدرهم: النقد من الفضة، والخميصة: كساء معلم؛ أي: فيه أعلام وهي خطوط، والخميلة: كل كساء فيه خملٌ(١).

(فيه مسائل:

الأولى: إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة).

أي: إنها من الشرك كما تفيده الترجمة.

(الثانية: تفسير آية «هود»).

وهي آية الباب: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ...﴾ [هود: ١٥-١٦] **الآيتين**، وتقدم تفسيرها، والآية وإن كانت نزلت في الكفار، فحكمها يعم مَن شابههم من المسلمين، فله حظه من الوعيد بقدر ما شابههم فيه(٢).

---

(١) ينظر: النهاية (٢/ ٨٠-٨١).
(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٤/ ٥٥٠-٥٥١)، وزاد المسير (٢/ ٣٦٢).

(الثالثة: تسمية الإنسان المسلم: عبد الدينار والدرهم والخميصة).

يعني: أنه يجوز أن يسمى المسلم شديد التعلق بشهوات الدنيا، عبدًا لما تعلق به، من متاع الدنيا من المذكورات، وغيرها.

(الرابعة: تفسير ذلك بأنه إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط).

يعني أنَّ قوله: (إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط)، هو الضابط لمن يستحق الوصف بالعبودية لما ذكر من محبوبات الدنيا وغيرها.

(الخامسة: قوله: «تعس وانتكس»).

في هذا زيادة في الدعاء على مَن استعبدته الدنيا.

(السادسة: قوله: «وإذا شيك فلا انتقش»).

وهذه أيضًا مثل التي قبلها، دعاء بعد دعاء؛ بما يؤكد الذم والوعيد والإشارة إلى سوء حاله وعاقبته.

(السابعة: الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات).

يعني قوله ﷺ: (**«طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه...» إلى آخره**).

(٣٨)

باب مَن أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله؛ فقد اتخذهم أربابًا من دون الله

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر»؟!(١).

وقال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: «عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: ٦٣] الآية. أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك»(٢).

(١) أورده بهذا اللفظ: شيخ الإسلام وابن القيم. ينظر: رفع الملام (ص١٨٩)، وإعلام الموقعين (٣/ ٥٣٩).
وأخرج عبد الرزاق في المصنف (٩٩٥٩) قال ابن عباس: «واللَّه ما أراكم منتهين حتى يعذبكم اللَّه؛ نحدثكم عن رسول اللَّه ﷺ، وتحدثونا عن أبي بكر وعمر».
وأخرج الطبراني في معجمه الأوسط (٢١) عن عروة بن الزبير أنه أتى ابن عباس فقال: «فقد كان أبو بكر وعمر ينهيان عن ذلك»، فذكره بنحوه، وحسنه الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٣٤).

(٢) أخرجه بنحوه ابن بطة في الإبانة (١/ ٢٦٠) من رواية الفضل بن زياد دون قوله: «عجبت لقوم...»، فهذا الجزء أورده بنحوه شيخ الإسلام في الصارم المسلول (٢/ ١١٦-١١٧) عن أبي طالب المشكاني. ولعل هذه الرواية تكون من كتاب الإمام أحمد «طاعة الرسول» وهو في حكم المفقود، وقد ذكره ابنه عبد الله وغيره. ينظر: مسائل الإمام أحمد لعبد الله (٣/ ١٣٥٥، رقم ١٨٧٨)، وهدية العارفين (١/ ٤٨).

عن عدي بن حاتم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] الآية. فقلت له: إنا لسنا نعبدهم، قال: «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟» فقلت: بلى، قال: «فتلك عبادتهم» رواه أحمد والترمذي وحسنه[(١)].

الشرح

قوله: (باب مَن أطاع العلماء والأمراء...) إلى آخره: هذا باب عظيم يتضمن بيان خطر طاعة العلماء والرؤساء في تحليل الحرام، وتحريم الحلال، وأنه من أعظم الشرك؛ أي: أنه شرك أكبر، يدل لذلك **قوله: («فقد اتخذهم أربابًا»)**؛ أي: آلهة يعبدهم من دون الله، بطاعتهم في

---

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٧/ ١٠٦، رقم ٤٧١)، والترمذي (٣٠٩٥)، وابن جرير (١١/ ٤١٧)، وابن أبي حاتم في التفسير (١٠٠٥٧)، والطبراني في الكبير (٢١٨)، قال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث». وللحديث طرق أخرى تنظر في تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٢/ ٦٥-٦٦، رقم ٥٣٨)، لذلك حسنه جمع من أهل العلم منهم شيخ الإسلام في الإيمان (ص٥٨)، والألباني في الصحيحة (٣٢٩٣).

تنبيهان:

١- قول المصنف: «أخرجه أحمد»، هو في المسند (١٩٣٨١) وليس فيه موضع الشاهد، ولعل المصنف تبِع شيخ الإسلام في ذلك كما في الإيمان (ص٥٨)، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص١٦٥).

٢- قول المصنف: «وحسنه» أي الترمذي، هذا في بعض النسخ وهو كذلك في الكافي الشاف لابن حجر (ص٧٥ رقم ١٠٨)، والدر المنثور (٤/ ١٧٤).

تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحله الله، ويدل على أنَّ هذه الطاعة شرك؛ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ١٢١﴾ [الأنعام]؛ أي: أطعتم المشركين في استحلال الميتة؛ لأنَّ الله هو الذي ذبحها، وهذا من جدل المشركين، الذي هو من وحي الشياطين؛ كما جاء مفصلًا في سبب نزول الآية[1]، وقوله: «**فقد اتخذهم أربابًا**»؛ جواب الشرط؛ أي: جواب «مَن» فإنها اسم شرط، أو اسم موصول متضمن لمعنى الشرط.

وقوله: (وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء...») إلى آخره، وقوله: (وقال أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته...») إلى آخره**: استشهد الشيخ بهذين الأثرين؛ لبيان خطر الإعراض عن السنة بالتقليد أو معارضتها بقول بعض الناس، وإن كان من أهل الفضل والعلم كائنًا مَن كان، وابن عباس قال ذلك ردًّا على مَن ناظره في متعة الحج، وأنها أفضل لأمر النبي ﷺ أصحابه بها، واحتج المعارض بنهي أبي بكر وعمر عنها؛ فغضب ابن عباس حتى قال قولته: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء»، واستدل الإمام أحمد على مَن يخالف السنة تقليدًا **بقوله تعالى**: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ [النور: ٦٣]؛ أي: يخالفون أمر الرسول ﷺ، ويعرضون عن سنته؛ فإنهم مهددون بأن تصيبهم فتنة أو عذاب أليم، ثم فسر الإمام أحمد الفتنة؛ بأنها الشرك؛ قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]؛ أي: شرك، وقال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، قال الإمام أحمد موضحًا تفسير الفتنة بالشرك:

(١) ينظر: لباب النقول في أسباب النزول (ص١١٠).

(لعله إذا رد بعض قوله)؛ أي: أقوال الرسول ﷺ، (أن يقع في قلبه شيء من الزيغ؛ فيهلك)، ومَن وقع في قلبه زيغ فلا يأمن أن يقع في الكفر والشرك، وهذا أعظم سبب للهلاك.

وأما حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فهو حديث مشهور، يذكره جميع المفسرين والمحدثين؛ لأنه مفسر للآية، وأصح ما يفسر به القرآن: القرآن والسنة، وهذه الآية نزلت في اليهود والنصارى؛ فالأحبار علماء اليهود، والرهبان عباد النصارى، وقد بين النبي ﷺ معنى: اتخاذهم لهم أربابًا، وهو طاعتهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال، وسمى النبي ﷺ ذلك عبادة؛ **قال: («فتلك عبادتهم»)**؛ فمن أطاع مخلوقًا في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، وهو يعلم مخالفته لحكم الله فقد عبده مع الله، واتخذه ربًّا من دون الله، ولا يدخل في ذلك المجتهد المخطئ، ولا المقلد له، إحسانًا للظن به[1]، وقوله: ﴿وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾؛ أي: واتخذ النصارى المسيح ابن مريم ربًّا من دون الله؛ ثم قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾ [التوبة]؛ فدلت الآية على أنهم عبدوا الأحبار والرهبان، والرسول ﷺ فسر هذه العبادة بأنها الطاعة، وقول عدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لسنا نعبدهم»، قال ذلك ظنًّا منه أنَّ العبادة هي التقرب إلى المعبود بأنواع القربات؛ كالصلاة والذبح فبين النبي ﷺ، أنَّ من العبادة: الطاعة في شرع الأحكام؛ فطاعة الله بقبول أحكامه؛ عبادة وتوحيد، وطاعة المخلوق فيما يخالف حكم الله؛ شرك وتنديد.

---

(١) ينظر: رفع الملام (ص١٨٨-١٩٥).

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية «النور»).

وهي قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور]. وتقدم تفسيرها في كلام الإمام أحمد.

(الثانية: تفسير آية «براءة»).

وهي قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، وتفسيرها هو حديث عدي.

(الثالثة: التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي).

وهي: الطاعة في التحليل والتحريم المخالفة لحكم الله.

(الرابعة: تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وتمثيل أحمد بسفيان).

يريد الشيخ أنَّ هذا الإنكار والتغليظ على مَن قلد هؤلاء الأفاضل، فيما يخالف سنة رسول الله، فكيف بتقليد مَن دونهم فيما يخالف السنة.

(الخامسة: تغير الأحوال إلى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر: عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال وتسمى الولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه! ثم تغيرت الحال إلى أن عبد مَن ليس من الصالحين، وعبد -بالمعنى الثاني- مَن هو من الجاهلين).

هذه مسألة عجيبة من الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يشير إلى أنَّ الأمور تغيرت، حيث أنَّ الغلو كان في الصالحين من العلماء والعباد؛ فآل الأمر إلى

الغلو في الفاسدين فيمن ليس من أهل العبادة والصلاح! وفي الجاهلين فيمن ليس من أهل العلم! وهذا أقبح؛ فالغلو في العلماء والعباد والصالحين، أهون من الغلو في الفاسقين والجهلة؛ بل والكفرة!

◆◇◈◇◆

(٣٩)

باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ٦٠﴾ [النساء] **الآيات.**

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١﴾ [البقرة].

وقوله: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقوله: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] **الآية.**

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»[(١)] قال النووي: حديث صحيح رويناه في كتاب «الحجة»[(٢)] ....

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٥)، وابن بطة في الإبانة (٢٧٩)، والهروي في ذم الكلام (٣١٣)، والبغوي في شرح السنة (١٠٤)، والأصبهاني في الحجة (١/ ١٦٠ رقم ١٤٢)، وأعله ابن رجب بثلاث علل وضعفه الألباني في تخريج السنة (١٥). ينظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٩٣-٣٩٥).

(٢) مختصر الحجة على تارك المحجة لأبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي (١/ ٣١ رقم ٢٥).
قال ابن رجب شارحًا كلام النووي الذي نقله المصنف: «يريد بصاحب كتاب الحجة: الشيخ أبا الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي الفقيه الزاهد نزيل دمشق، وكتابه هذا هو كتاب «الحجة على تارك المحجة» يتضمن ذكر أصول =

.... بإسناد صحيح(١).

وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد، عرف أنه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود؛ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة، فاتفقا أن يأتيا كاهنًا في جهينة فيتحاكمان إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ [النساء: ٦٠] الآية(٢).

وقيل: نزلت في رجلين اختصما، فقال: أحدهما نترافع إلى النبي ﷺ وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فذكر له أحدهما القصة فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف؛ فقتله(٣).

= الدين على قواعد أهل الحديث والسنة». وقال حاجي خليفة: «كثير الفصول والأبواب، جمع فيه دلائل التوحيد، وعقائد أهل السنة وفي «شرح الأربعين» لمولانا اللاري: «كتاب الحجة لتارك المحجة» يتضمن ذكر أصول الدين على قواعد أهل الحديث والسنة...». ينظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٩٣)، وكشف الظنون (١/ ٦٣١). وكتاب «الحجة على تارك المحجة» لا نعلمه مطبوعًا وقد طُبع مختصره في دار أضواء السلف بتحقيق محمد إبراهيم هارون، وطبع أيضًا في دار الأمر الأول بتحقيق عبد الرحمن الحجي.

(١) الأربعون النووية حديث رقم (٤١).

(٢) أخرجه ابن جرير (٧/ ١٩٠)، الواحدي في أسباب النزول (ص١٦١-١٦٢) عن الشعبي مرسلًا، وصحح إسناده إليه: ابن حجر في الفتح (٥/ ٣٧).

(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٣/ ٣٣٧)، والواحدي في أسباب النزول (ص١٦٢)، قال ابن حجر في الفتح (٥/ ٣٨): «وهذا الإسناد وإن كان ضعيفًا لكن يتقوَّى بطريق مجاهد، ولا يضرُّه الاختلاف لإمكان التعدد». وطريق مجاهد الذي أشار إليه =

الشَّرح

ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الباب بعد باب: (مَن أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله؛ فقد اتخذهم أربابًا من دون الله)، مناسب غاية المناسبة، وهو مؤكد له، لكن الباب الأول مضمونه: أنَّ الطاعة في تحليل الحرام وتحريم الحلال شرك بالله؛ قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] الآية. فهذا شرك في الطاعة، وأما هذه الترجمة فتتعلق بالحكم والتحاكم؛ فربما كانت هذه الترجمة أعم.

قوله: (باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [النساء: ٦٠] الآية)؛ هذا جار على طريقة الشيخ في هذا الكتاب، في جعل الآية ترجمة للباب، فيفهم من معناها موضوع الباب؛ فكأنه قال: باب وجوب الكفر بالطاغوت، أو باب من الكفر؛ التحاكم إلى الطاغوت. والطاغوت: هو مَن يحكم بغير ما أنزل الله، وقد عده الشيخ في «الأصول الثلاثة» من رؤوس

= ابن حجر: أخرجه الطبري (٧/ ١٩٤)، وابن أبي حاتم في التفسير (٥٥٤٨) عن أبي نجيح عن مجاهد قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء:٦٠] قال: «تنازع رجل من المؤمنين ورجل من اليهود، فقال اليهودي: اذهب بنا إلى كعب بن الأشرف، وقال المؤمن: اذهب بنا إلى النبي ﷺ، فقال الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء:٦٠] إلى قوله: ﴿صُدُودًا ۝٦١﴾ [النساء:٦١]». وقوّى هذه القصة ابن تيمية في الصارم المسلول (٢/ ٨١-٨٥) بشواهدها.

الطواغيت[١]، وهذه الآية وما بعدها إلى قوله: ﴿وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [النساء]، نزلت في المنافقين[٢]، ولهذا **قال الشيخ: (الآيات)**؛ فإنهم يدعون الإيمان بما أنزل الله على محمد ﷺ، وبما أنزل على مَن قبله ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة]، ولهذا يؤثرون التحاكم إلى غير ما أنزل الله، وهو قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠]، والتحاكم إلى الطاغوت إيمان به، وهو مناقض للإيمان بالله، والكفر بالطاغوت شرط الإيمان بالله، ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، وقوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝٦٠﴾ [النساء]؛ يدل على أنَّ التحاكم إلى الطاغوت هو مراد الشيطان، وهو ضلال بعيد، وقد صرح في هذه الآيات؛ بأنَّ المراد بها المنافقون في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۝٦١﴾ [النساء]، وإنَّ صدود المنافقين عن التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، مع زعمهم الإيمان بما أنزل الله؛ من أقبح التناقض، ومن دواعي العجب، ولهذا صدرت الآيات؛ بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾؛ فالاستفهام للتعجيب؛ فمعنى الجملة: ألم ينته علمك إلى الذين يزعمون الإيمان؟! وهم كاذبون ومكذبون، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة]، إلى قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا

---

(١) الأصول الثلاثة بشرح شيخنا (ص٤٩).

(٢) كما تقدم في أثر الشعبي، وينظر: العُجاب في بيان الأسباب (٢/ ٨٩٩).

كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠﴾ [البقرة]، وقرئ: ﴿يُكَذِّبُونَ﴾[1]، ثم ذكر الشيخ ثلاث آيات يستدل بها على أنَّ الحكم بغير ما أنزل الله والتحاكم إليه؛ من الإفساد في الأرض، وأنه حكم الجاهلية، والآية الأولى منها هي من الآيات النازلة في المنافقين من سورة البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢﴾ [البقرة]، **وقوله تعالى**: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]، نهي عن الإفساد في الأرض، بالكفر والشرك والمعاصي بعد إصلاحها بدعوة الأنبياء إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإلى أنواع الطاعات، واجتناب معاصي الله[2]؛ فاستدلال الشيخ بالآية على مراده، هو من الاستدلال بالعام على بعض أفراده، **وقوله تعالى**: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]؛ إنكار من الله على مَن يؤثر حكم الجاهلية على حكم الله، وحكم الله أحسن الأحكام؛ فقوله: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ﴾: استفهام إنكاري معناه النفي؛ أي: لا أحد أحسن حكمًا من الله، وإنما يؤمن بذلك القوم الموقنون.

ثم ذكر الشيخ حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، أنَّ النبي ﷺ **قال**: (**«لا يؤمن أحدُكم حتى يكونَ هواهُ تبعًا لِمَا جئتُ به»**)، ونقل تصحيح النووي له، ولكن خالف النوويَّ الإمامُ ابنُ رجب، وقال: «تصحيح هذا الحديث بعيد جدًّا من وجوه»، وذكرها[3]؛ هذا من حيث الإسناد، أمَّا

---

(١) ينظر: النشر (٢/ ٢٠٧).
(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٤-٢٥).
(٣) ينظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٩٤).

متن الحديث؛ فيشهد له القرآن، فإنه يدل على وجوب كمال الاتباع للرسول، وذلك بأن يكون هوى العبد تابعًا لما جاء به الرسول، فعلًا وتركًا ظاهرًا وباطنًا، وذلك بأن يحب ما يحبه الله ورسوله، ويبغض ما يبغضه الله ورسوله من الأعمال والأقوال والأشخاص من قريب وبعيد، ومن ذلك تحكيم الرسول في كل صغير وكبير، والرضا بحكمه والتسليم له، وهذا هو مقصود الشيخ من إيراد هذا الحديث في هذا الباب.

ثم نقل الشيخ عن الشعبي قصتين، حدثتا في عهد الرسول ﷺ قيل: إنهما سبب نزول هذه الآيات: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ...﴾ [النساء: ٦٠] وما بعدها، وفي كل منهما لم يرض أحد الخصمين بالتحاكم إلى رسول الله ﷺ، وفي القصة الثانية، أنهما تحاكما إلى عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فلما علم أنَّ أحدهما لم يرض بحكم رسول الله ﷺ، سأله فأقر فضربه بالسيف فقتله، فعل عمر ذلك غضبًا لله ولرسوله، ولعله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لم يملك نفسه من شدة الغضب أو غلب على ظنه بأنَّ الرسول سيُقره على ما فعل.

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية «النساء» وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت).

يريد آية الباب، وقوله: (**وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت)**، يشير إلى قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠]، وهو مَن يحكم بغير ما أنزل الله.

(الثانية: تفسير آية «البقرة»: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١] **الآية)**. تقدم تفسيرها.

(الثالثة: تفسير آية «الأعراف»: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]**)**. تقدم تفسيرها.

(الرابعة: تفسير: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]**)**. تقدَّم تفسيرُها.

(الخامسة: ما قاله الشعبي في سبب نزول الآية الأولى).

يعني من الفوائد: أنَّ الآية نزلت فيما ذكره الشعبي من أمر الرجلين في التحاكم، والله أعلم بصحة ذلك.

(السادسة: تفسير الإيمان الصادق والكاذب).

الإيمان الصادق: هو ما يوجب الحكم والتحاكم إلى شرع الله، والإيمان الكاذب: هو الذي صاحبه لا يبالي بالإعراض عن شرع الله والتحاكم للطاغوت، وهذه الفائدة مأخوذة من الآية التي ترجم بها الشيخ للباب.

(السابعة: قصة عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مع المنافق).

وفيها: أنَّ مَن لم يرض بحكم الرسول ﷺ؛ فهو كافر حلال الدم، وليس هذا بغريب من عمر، وهو الغيور على دين الله.

(الثامنة: كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ).

يريد حديث: (**«لا يؤمن أحدكم»**)، وقوله: (**لا يحصل**): أي: كاملًا، وهذا الحديث معيار لصدق الإيمان؛ فلينظر المسلم في حاله إذا عارض الشرع هواه.

(٤٠)

باب مَن جحد شيئًا من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠] الآية.

وفي «صحيح البخاري» قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟!»(١).

وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أنه رأى رجلًا انتفض لما سمع حديثًا عن النبي ﷺ في الصفات استنكارًا لذلك، فقال ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه؟!» انتهى(٢).

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن أنكروا ذلك؛ فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠](٣).

الشرح

قوله: (باب مَن جحد شيئًا من الأسماء والصفات): لا يخفى أنَّ موضوع هذا الباب يختلف عن أكثر أبواب «كتاب التوحيد» السابقة

(١) أخرجه البخاري (١٢٧).

(٢) أخرجه عبد الرزاق كما في الجامع لمعمر بن راشد (٢٠٨٩٥)، والتفسير (٢٩٦٠)، وصححه الألباني في تخريج السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢١٢-٢١٣).

(٣) وهو بنحوه من قول قتادة وابن جريج، وعند الطبري: عن ابن جريج عن مجاهد، وكأن لفظ (مجاهد) مقحم لمخالفته سائر كتب التفسير. ينظر: تفسير الطبري (١٣/ ٥٣٠-٥٣١)، وزاد المسير (٢/ ٤٩٥).

واللاحقة، عدا الباب الأخير من «كتاب التوحيد»؛ فإنَّ موضوعات أكثر الأبواب في توحيد العبادة وتوحيد الربوبية، وما يضادهما من الشرك، وأما هذا الباب، والباب الأخير فموضوعهما: توحيد الأسماء والصفات، ويلتحق بهما خمسة أبواب تتعلق بأسماء الله، وهي: باب من سب الدهر فقد آذى الله[(١)]، وباب التسمي بقاضي القضاة ونحوه[(٢)]، وباب احترام أسماء الله[(٣)]، وباب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف:١٨٠][(٤)]، وباب لا يُقال السلام على الله[(٥)]، وبهذا يكون هذا الكتاب قد تضمن أنواع التوحيد الثلاثة، وقوله: (مَن جحد شيئًا من الأسماء والصفات): يريد: فقد كفر؛ لأنَّ جحد شيء مما أخبر الله به ورسوله تكذيب لله ولرسوله، ولهذا سمى الله جحد المشركين لاسمه الرحمن كفرًا في **قوله تعالى:** ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠]، ومن شواهد هذه الآية؛ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا ۩ ٦٠﴾ [الفرقان] ، والكفر بهذا الاسم مستقر عند مشركي قريش، ولهذا يلاحظ ذكر الله اسمه الرحمن كثيرًا في بعض السور المكية؛ كسورة مريم فقد ورد ذكر الرحمن فيها ست عشر مرة، وقد ظهرت في هذه الأمة بدعة التعطيل؛ تعطيل أسماء الله وصفاته، وأول مَن فاه بذلك من المنتسبين للإسلام: الجعد بن درهم بنفي صفة المحبة والكلام عن الله؛ فقتله الأمير خالد بن عبد الله

(١) تنظر: (ص٦٢٨).
(٢) تنظر: (ص٦٣٣).
(٣) تنظر: (ص٦٣٦).
(٤) تنظر: (ص٦٥٣).
(٥) تنظر: (ص٦٥٨).

القسري؛ فإنه خطب في يوم عيد الأضحى، وقال للناس: ضحوا تقبل الله ضحاياكم؛ فإني مضح بالجعد بن درهم؛ فإنه زعم أنَّ الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسى تكليمًا. تعالى الله عن قول الجعد علوًّا كبيرًا، فنزل فذبحه[(١)].

ثم تلقف هذا المذهب الخبيث جهم بن صفوان، ودعا إليه ونشره، وتبعه على ذلك خلق عرفوا بالجهمية، نسبة إلى جهم بن صفوان الداعي إلى هذا المذهب، ومن أقوالهم: أنَّ الله لا يتكلم، ولذا قالوا: إنَّ القرآن مخلوق، وأخذ بذلك المعتزلة، وحملوا على القول به الخليفة العباسي المأمون، وأغروه بحمل الناس على القول بخلق القرآن، ومحنة مَن لا يجيبه إلى ذلك، وأعظم مَن تعرض لهذه المحنة وصبر، إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فجرت بسبب ذلك فتنة كبرى عرفت بفتنة القول بخلق القرآن؛ فكفر أهل السنة الجهمية، روي ذلك عن خمس مئة من العلماء[(٢)]، وقالوا: مَن قال القرآن مخلوق؛ فهو كافر؛ فكفروا المعتزلة لذلك، ولجحدهم الصفات، وهذا الحكم باعتبار العموم أما

(١) هي واقعة مشهورة وتناقلها جمع من علماء السنة، وأخرجها: البخاري في خلق أفعال العباد (٢/ ٩، رقم ٣)، والدارمي في نقض المريسي (١/ ٥٨١)، والآجري في الشريعة (رقم ٦٩٤)، (٢٠٧٢) وغيرهم، وينظر: رد المعلمي على الطاعنين في خالد القسري فيما فعله بالجعد في «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل» ضمن آثاره (١٠/ ٤١٠).

(٢) تقدم في (ص٤٠٩)، وينظر: شرح أصول أهل السنة للالكائي (٢/ ٣٠٠)، وقال في (٢/ ٣٤٤): «فهؤلاء خمس مئة وخمسون نفسًا أو أكثر من التابعين وأتباع التابعين والأئمة المرضيين سوى الصحابة الخيرين على اختلاف الأعصار ومضي السنين والأعوام».

تكفير المعين؛ فيتوقف على وجود شروط، وانتفاء موانع؛ كالجهل والتأويل(١)، ثم ذكر الشيخ في هذا الباب أثرين:

الأول: عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟!»: يريد: ما تبلغه عقولهم، ولا يناقض فطرهم؛ أي: ولا تحدثوهم بما لا تبلغه عقولهم، ولا تقبله فطرهم؛ فإنه إذا كان كذلك لم يصدقوه، ويفسر قول علي هذا، قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم: «ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»(٢)، وهو التكذيب بالحق، وذكر الشيخ لأثر علي في هذا الباب؛ يدل على أنه يدخل في كلام علي بعض نصوص الصفات، ومما يمكن التمثيل به لهذا النوع قوله ﷺ: «**خلق الله آدم على صورته**»(٣)؛ فإنَّ المتبادر من معناه عند مَن لم يعلم تفسير أهل السنة له؛ أنَّ صورة آدم مثل صورة الله(٤)؛ فإنَّ أي عامي يسمع هذا الحديث ينفر منه، وقد يكذبه؛ لأنَّ المستقر في فطرته أنَّ الله ليس كمثله شيء(٥).

وأما قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، لما رأى رجلًا انتفض لما سمع حديثًا في الصفات: (**«ما فرق هؤلاء...» إلى آخره**)، فقوله: «انتفض»؛ أي:

---

(١) ينظر: الاستقامة (١/ ١٦٣-١٦٦)، ومنهاج السنة (٥/ ٢٤٠).
(٢) رواه مسلم في المقدمة (٥).
(٣) أخرجه البخاري (٦٢٢٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) ينظر الرد على من حرَّف صفة الصورة لله في: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص٣١٧-٣٢١)، وبيان تلبيس الجهمية (٦/ ٣٥٥).
(٥) ينظر: التوضيحات الجلية في شرح الفتوى الحموية لشيخنا (ص٤٧٦-٤٧٨).

ارتعد، وما: استفهام إنكار، والفرَق بفتح الراء الخوف[1]؛ أي: لماذا يفزع هؤلاء؟ إذا سمعوا المتشابه من الحديث أو القرآن استنكارًا له؛ فإنهم يجدون رقة عند محكم القرآن والحديث؛ أي: لينًا وقبولًا، ويهلكون عند متشابهه باستنكاره، والفزع عند ذكره؛ كما فعل ذلك الرجل، والقرآن منه آيات محكمات، وآيات متشابهات، وكذلك الحديث، ومعنى: (متشابهات): أي: يشتبه معناها على بعض الناس، ومنها آيات الصفات وأحاديثها، وليس معنى المتشابه ما لا يعلم معناه إلا الله؛ فإنَّ الراسخين في العلم يعلمون تفسير ما تشابه من القرآن والحديث، وهذا الرجل الذي انتفض لما سمع حديثًا في الصفات، إنما أتي من قصور فهمه وعلمه؛ فلذا استعظم واستغرب الحديث الذي سمعه؛ فانتفض فأنكر ابن عباس ما رأى من ذلك الرجل.

وقوله: (ولما سمعت قريش...) إلى آخره: تنبيه على سبب نزول آية الرعد: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

تنبيه: مَن وقع في شيء من التعطيل والتأويل من أهل العلم المعروفين بتعظيم الكتاب والسنة، وتعظيم السلف من الصحابة والتابعين، عن اجتهاد وتأول وطلب للحق؛ فإنه يرجى أن يكون معذورًا ومغفورًا له ومأجورًا على اجتهاده؛ فإنَّ مذهب الأشاعرة -مثلًا- قد دخل على كثير من أهل العلم، وهو يتضمن تعطيل كثير من الصفات، وهو مذهب مقتبس من مذهب الجهمية والمعتزلة؛ فالأشاعرة في باب الصفات قريبون من مذهب المعتزلة، وإن لم يكونوا مثلهم.

---

(١) وضُبِطت بفتح الراء مع التشديد (فرَّق). ينظر: التيسير (٢/ ٩٩٨-٩٩٩).

(فيه مسائل:

الأولى: عدم الإيمان بجحد شيء[١] من الأسماء والصفات).

عدم الإيمان يعني: الكفر.

(الثانية: تفسير آية «الرعد»).

هذا يرجع إلى سبب النزول: ﴿وَهُمۡ﴾؛ أي: المشركون من قريش: ﴿يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِ﴾؛ أي: يجحدون اسم الرحمن؛ كما كان منهم ذلك يوم كتابة الصلح في الحديبية، لما أمر النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم؛ فقال المفاوض منهم -وهو سهيل بن عمرو- لا نعرف الرحمن، اكتب باسمك اللهم؛ فأمر النبي الكاتب أن يكتب باسمك اللهم[٢]؛ لأنَّ ترك كتابة الاسم لا يضر ما دام أنَّ تركه يحقق مصلحة؛ ليتم الصلح.

(الثالثة: ترك التحديث بما لا يفهم السامع).

هذه مأخوذة من كلام علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

(الرابعة: ذِكر العلة؛ أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله ولو لم يتعمد المنكر).

يعني: يستبعد أن يكون هذا الحديث صحيحًا عن الرسول؛ فيكذب به؛ لأنه لا يطيقه عقله.

---

(١) رجح شيخنا أن السياق هذا هو الصحيح، وما في نسخة دغش خطأ فقد أثبت: (الأولى: عدم الإيمان بشيء من الأسماء والصفات).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣١)، (٢٧١١) عن المِسْور بن مَخرمة ومروان بن الحكم يخبران عن أصحاب الرسول ﷺ، وأخرجه مسلم (١٧٨٤) عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

(الخامسة: كلام ابن عباس لمن استنكر شيئًا من ذلك وأنه أهلكه).

يريد الشيخ أن يبين أنَّ قول ابن عباس هذا يدل على أنَّ جحد الصفات هلكة، وذلك في **قوله: («ويهلكون عند متشابهه»)**، وفيه: أنَّ آيات الصفات من المتشابه؛ أي: من المتشابه النسبي الذي يشتبه معناه على بعض الناس، وليس من المتشابه الذي لا يعلم معناه إلا الله؛ كما تقول: المفوضة(١).

◆◇◈◇◆

(١) ينظر: التوضيحات الجلية في شرح الفتوى الحموية لشيخنا (ص٢٤٨).

(٤١)

باب قول الله تعالى: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾

[النحل: ٨٣].

قال مجاهد -ما معناه-: «هو قول الرجل: هذا مالي، ورثته عن آبائي»[١].

وقال عون بن عبد الله: «يقولون: لولا فلان لم يكن كذا»[٢].

وقال ابن قتيبة: يقولون: «هذا بشفاعة آلهتنا»[٣].

وقال أبو العباس -بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: إنَّ الله تعالى قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» الحديث، وقد تقدم-[٤]: (وهذا كثير في الكتاب والسنة، يَذمّ سبحانه مَن يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به.

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملَّاح حاذقًا، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير)[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ٣٢٥-٣٢٦)، وابن أبي حاتم في التفسير (١٢٦٢١).

(٢) أخرجه بنحوه: الطبري (١٤/ ٣٢٦)، وابن أبي حاتم في التفسير (١٢٦٢٢).

(٣) بنحوه في غريب القرآن (ص٢٤٨).

(٤) في «باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء» (ص٥٤٢).

(٥) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٣).

الشَّرْح

هذا الباب يتعلق بتوحيد الربوبية، وما يضاده من الشرك في الربوبية، وحقيقة توحيد الربوبية هو الإيمان بأنه تعالى رب كل شيء ومليكه، والمنعم بجميع النعم وحده لا شريك له، ومن الشرك في الربوبية إضافة نِعم الله إلى غيره، وقد عقد الشيخ هذا الباب للتحذير من هذا الشرك، وقد جعل آية النحل ترجمة الباب كعادته في كثير من أبواب الكتاب، فيُعرف الموضوع من معنى الآية ثم يترجم الباب باللفظ المناسب مثل أن يقال: باب من الشرك إضافة نِعم الله إلى غيره، أو باب مَن جحد نِعم الله بعد معرفتها، وإضافة نِعم الله إلى غيره قد يكون من الشرك الأصغر أو الأكبر بحسب اعتقاد الجاحد أو الغافل عن الله، ثم ذكر الشيخ جملة من الآثار في تفسير الآية، وما هي إلا أمثلة توضح معنى الآية منها قول مجاهد: («**هو قول الرجل هذا مالي ورثته عن آبائي!**»)، فالله هو الذي رزقه المال فإذا سئل عنه لم يقل هذا رزق من عند الله؛ بل يقول: «هذا ورثته عن آبائي»، ومنها قول عون بن عبد الله، وهو: ابن عتبة بن مسعود تابعي مشهور[(١)]: («**يقولون: لولا فلان لم يكن كذا**»)، هذا يقوله بعض الناس إذا حصل له رزق أجراه الله على يد أحد من الناس، فيضيف الرزق إلى مَن كان سببًا فيه؛ فيقول: «لولا فلان لم يحصل هذا الرزق»، وينسى الله الرزاق فلا يعترف بإنعامه ولا يشكره، وقول القائل: «لولا

---

(١) عون بن عبد الله: هو عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أبو عبد الله الهذلي الكوفي، وثَّقه الإمام أحمد وغيره، توفي سنة بضع عشرة ومئة. ينظر: حلية الأولياء (٤/ ٢٤٠)، والسير (٥/ ١٠٣).

فلان لم يكن كذا»، من شرك الألفاظ الذي هو من الشرك في الربوبية، وسيأتي تفصيل له في الباب التالي[1]، ومنها قول ابن قتيبة: («**يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا**»)، الذين يقولون هذا هم المشركون مع اعترافهم بأنَّ الله خالق كل شيء، ومنها: النعمة التي قالوا فيها هذا بشفاعة آلهتنا، فأضافوا النعمة إلى آلهتهم، وهذا جحد لإنعام الله بعد المعرفة، وهذا معنى قوله: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣]، **ثم قال الشيخ: (قال أبو العباس)** يعني: ابن تيمية؛ بعد ذكره لحديث زيد بن خالد الذي تقدم في باب الاستسقاء بالأنواء[2]، وفيه قال الله: «**أصبح من عبادي مؤمن بي، وكافر...**» الحديث، وفيه: «**وأما مَن قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**»، فدل على أنَّ من الكفر والشرك بالله إضافة نعمته إلى غيره؛ قال أبو العباس بعد ذكر الحديث: **(وهذا كثير في الكتاب والسنة، يَذمُّ سبحانه مَن يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به. قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملَّاح حاذقًا، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير)**، وقول القائل: **(كانت الريح طيبة، والملَّاح حاذقًا)**؛ تعليل لسلامتهم، وسرعة وصولهم، وهما نعمتان: أنعم الله بهما؛ فهذا القائل غفل عن الله المنعم، وأضاف إنعامه إلى السبب، وهي: الريح الطيبة، وحذق الملَّاح، وهو قائد السفينة، وقس على هذا مَن إذا قيل له: كيف وصلتم في ثلاث ساعات مثلًا؟ مع بعد المسافة؛ يقول: كانت السيارة جديدة، والسائق ماهرًا وخبيرًا في الطريق، وهذا كثير على الألسن كما قال شيخ الإسلام.

---

(١) (ص٦١٥).

(٢) (ص٥٤٢).

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير معرفة النعمة وإنكارها).

يعني قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣]: أي: يعرفون أنَّ الله خالقها ورازقها ومدبرها، ثم يجحدون ذلك، ويضيفون عطاءه إلى غيره.

(الثانية: معرفة أنَّ هذا جار على ألسنة كثير).

يشير إلى قول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير».

(الثالثة: تسمية هذا الكلام إنكارًا للنعمة).

يعني: معرفة أنَّ إضافة النعمة إلى غير المنعِم يتضمن جحد إنعامه.

(الرابعة: اجتماع الضدين في القلب).

وهما: المعرفة والإنكار؛ فهو يعرف أنَّ الله خالقه وخالق هذه النعمة وهو المولي لها، ومع ذلك ينكرها بإضافتها إلى غيره! فيجتمع في القلب الضدان، وهذا كثير في القلب: أن يجتمع فيه الحب والبغض، والإيمان والكفر، ومن ذلك: معرفة المنعِم وجحد إنعامه.

◆◇◈◇◆

(٤٢)

باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة].

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الآية: «الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل، على صفاة سوداء، في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلان[١]، وحياتي، وتقول: لولا كُلَيبة[٢] هذا؛ لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار، لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانًا[٣]، هذا كله به شرك» رواه ابن أبي حاتم[٤].

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٥] أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم[٦].

---

(١) في نسخ: (وحياتكِ يا فلانة) وهو المثبت في تفسير ابن أبي حاتم، وفي نسخ أخرى: (وحياتك يا فلان). وقال شيخنا: «كلاهما واحد».
(٢) في نسخ: (لولا كلبة).
(٣) قال الشيخ سليمان في التيسير (٢/ ١٠١٦): أنه بخط المصنف دون تنوين.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٢٢٩)، وقال في التيسير (٢/ ١٠١٤): «سنده جيد».
(٥) كذا في نسخ الكتاب، والصواب كما في الأصول الحديثية: عن ابن عمر، ولعل ذهن المصنف ذهب لما أخرجه البخاري (٦٦٤٧) قال ابن عمر: سمعت عمر، يقول: قال لي رسول الله ﷺ: «**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم**» قال عمر: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت النبي ﷺ، ذاكرًا ولا آثرًا. وسيأتي تنبيه شيخنا على ذلك.
(٦) أخرجه أحمد (٦٠٧٢)، وأبو داود (٣٢٥١)، والترمذي وحسنه (١٥٣٥)، وصححه ابن حبان (٤٣٥٨)، والحاكم (٤٥)، (٧٨١٤)، وأعله البيهقي =

وقال ابن مسعود: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقًا»(١).

وعن حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان» رواه أبو داود بسند صحيح(٢).

وجاء عن إبراهيم النخعي: أنه يكره أن يقول الرجل: «أعوذ بالله وبك»، ويجوز أن يقول: «بالله ثم بك»، قال: «ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان»(٣).

الشرح

قوله: (باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾)

هذا الباب مناسب للباب الذي قبله كما سبقت الإشارة إلى ذلك؛ لأنَّ

= (١٩٨٥٨) بالانقطاع، وله طرق وشواهد صححه بها ابن الملقن والألباني. ينظر: البدر المنير (٩/ ٤٥٨)، والإرواء (٢٥٦١).

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٥٩٢٩) وابن أبي شيبة في المصنف (١٢٤١٤)، والطبراني في الكبير (٨٩٠٢). وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤٤٨٠): «رواته رواة الصحيح»، وبنحوه قال الهيثمي في المجمع (٤/ ١٧٧)، وصححه الألباني في الإرواء (٢٥٦٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٢٦٥)، (٢٣٣٤٧)، وأبو داود (٤٩٨٠) والحديث صحيح بطرقه وشواهده وسيأتي بعضها في الباب (٤٤)، وقال الذهبي في المهذب في اختصار السنن (٥١٧٤): «إسناده صالح».

(٣) أخرجه بنحوه: عبد الرزاق كما في جامع معمر بن راشد (١٩٨١١)، وابن أبي الدنيا في الصمت (٣٤٤) وأورده البغوي في شرح السنة (١٢/ ٣٦١).

كلًّا من البابين يتضمن التحذير من الشرك في الألفاظ، وقد جعل رَحِمَهُ ٱللَّهُ آية البقرة عنوانًا للباب كعادته في كثير من تراجم هذا الكتاب، وقد ذكر في تفسير الآية قول ابن عباس، وهو يدل على أنَّ من التنديد وجَعْل الأنداد ما هو خفي جدًّا حتى قال: («**هو الشرك، أخفى من دبيب النمل، على صفاة سوداء، في ظلمة الليل**»)، ومثَّل لذلك بما هو من القَسم بالمخلوق؛ كقول الرجل: «وحياتك يا فلان وحياتي» أو ما يتضمن الاعتماد على المخلوق؛ كقول القائل: («**لولا كُلَيبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص**»)، أو ما يتضمن التسوية في اللفظ بين الخالق والمخلوق؛ كقول الرجل لصاحبه: («**ما شاء الله وشئت**»)، وقول الرجل: («**لولا الله وفلان**»)، ثم قال ابن عباس: («**لا تجعل فيها فلانًا**»)، أي: قل لولا الله وحده؛ كما قال النبي ﷺ لمن قال له: ما شاء الله وشئت؛ «**بل ما شاء الله وحده**»[(١)]؛ قال ابن عباس: («**هذا كله به شرك**»)، هذا يؤكد قوله في أول الكلام: الشرك أخفى من دبيب النمل، على صفاة سوداء، ومعلوم أنَّ هذا من الشرك الأصغر، والآية نازلة في الشرك الأكبر، ولكن من عادة السلف الاستدلال بالآيات النازلة في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر، يريدون بذلك أنَّ الآية تعمهما، وقد سبق التنبيه على ذلك في (باب من الشرك لبس الحلقة والخيط)[(٢)]، وفيه أنَّ حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رأى في يد رجل خيطًا من الحمى فقطعه، وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف][(٣)]؛ ثم

---

(١) سيأتي تخريجه في (ص٦٢٢) في: «باب قول: ما شاء الله وشئت».

(٢) تنظر: (ص١٨٢)، (ص١٨٦)، (ص١٩٢).

(٣) تقدم تخريجه في (ص١٧٩).

ذكر الشيخ ما يشهد لقول ابن عباس من الحديث والأثر، ولهذا ذكر حديث عمر، والصواب أنه ابن عمر كما في تيسير العزيز الحميد[1] أنَّ النبي ﷺ قال: «**مَن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**» وقول ابن مسعود: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقًا»، ومن ذلك حديث حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ النبي ﷺ **قال: («لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله، ثم شاء فلان»)**، وفي هذا الحديث الفرق بين العطف بالواو، والعطف بـ «ثم»؛ فلهذا نهى عن العطف بالواو، وأذن في العطف بـ«ثم»، فإنَّ الواو تدل على التسوية بين الخالق والمخلوق، وثم تدل على نزول مرتبة المخلوق، **ثم ذكر الشيخ أثر إبراهيم النخعي: («أنه يكره أن يقول الرجل: أعوذ بالله وبك...» إلى آخره)**، وهو يتضمن العمل بحديث حذيفة في الفرق بين الواو وثم.

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية «البقرة» في الأنداد).

الآية هي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]، وتفسيرها الذي أشار إليه الشيخ هو قول ابن عباس، وهو يدل على أنَّ كل ما ذكره هو من التنديد الذي يشمله النهي في الآية.

(الثانية: أنَّ الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر بأنها تعم الأصغر).

تقدم قريبًا التنبيه على هذا.

(١) (٢/١٠١٦).

(الثالثة: أنَّ الحلف بغير الله شرك).

لحديث: («**مَن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»).

(الرابعة: أنه إذا حلف بغير الله صادقًا؛ فهو أكبر من اليمين الغموس).

هذا مأخوذ من قول ابن مسعود: («**لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا**»).

(الخامسة: الفرق بين «الواو» و[1] «ثم» في اللفظ).

سبق في الشرح التنبيه على هذا.

◆◇◈◇◆

(١) في نسخة دغش: (وبين) ورجح شيخنا ما أُثبت أعلاه وهو المثبت في غالب النسخ.

(٤٣)

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تحلفوا بآبائكم، مَن حلف بالله فليصدق، ومَن حُلف له بالله فليرض، ومَن لم يرض فليس من الله» رواه ابن ماجه بسند حسن[١].

الشرح

هذا الباب متصل في المعنى بالباب الذي قبله؛ بل كجزء منه، لتقدم النهي عن الحلف بغير الله، فمن تعظيم الله ترك الحلف بغيره، والصدق في الحلف به كما في حديث الباب، وقد جمع النبي ﷺ بينهما في الحديث الصحيح، وهو **قوله**: (**«لا تحلفوا بآبائكم، ولا بأمهاتكم، ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله عَزَّوَجَلَّ، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون»**)[٢]، ومن تعظيم الله الرضا بيمين مَن حلف به ما لم يُعرف بالكذب، وفي حديث الباب أمر الحالف بالصدق، وأمر المحلوف له بالله بالرضا، **وقوله**: (**«ومَن لم يرض؛ فليس من الله»**)، يتضمن وعيدًا شديدًا وهو البعد من الله، فيجب قبول يمين الحالف بالله في حالين:

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢١٠١)، والبيهقي (٢٠٧٦٠)، وحسَّنه ابن حجر في الفتح (١١/ ٥٣٦)، وصححه الألباني في الإرواء (٢٦٩٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٤٨) -واللفظ له-، والنسائي (٣٧٦٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه ابن حبان (٤٣٥٧)، وابن الملقن في البدر المنير (٩/ ٤٥٥).

إذا لم يُعرف الحالف بالكذب[١] أو مَن توجهت اليمين عليه في الخصومة[٢]؛ فإنه يجب عليه الرضا بيمين المدعى عليه، فإنَّ توجه اليمين في الخصومة حكم شرعي، فقبول اليمين إذن هو موجب الرضا بحكم الله، ومن صور عدم الرضا ألا يرضى الإنسان بالحلف بالله؛ بل يطلب الحلف بأيمان أخرى؛ كالحلف بالطلاق والعتاق والصدقة[٣].

(فيه مسائل:

الأولى: النهي عن الحلف بالآباء).

هذا صريح حديث الباب، وقد جاءت أحاديث أخرى صحيحة في النهي عن الحلف بغير الله، في الصحيحين[٤] وغيرهما.

(الثانية: الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى).

على التفصيل المتقدم، أما أن يكون الحالف معروفًا بالكذب فلا يجب.

(الثالثة: وعيد مَن لم يرض).

هذا مأخوذ من قوله: (**«ومَن لم يرض فليس من الله»**)، ففيه: براءة الله منه، وفيه: دلالة على البعد من الله، (**«فليس من الله»**) معناه: الله بريء منه[٥].

◆◇◈◇◆

(١) ينظر: القول السديد (ص١٤٤).
(٢) ينظر: التيسير (١/ ١٠٣١).
(٣) ينظر: القول السديد (ص١٤٥).
(٤) أخرجه البخاري (٦١٠٨)، ومسلم (١٦٤٦) عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.
(٥) ينظر: شروح سنن ابن ماجه (١/ ٨٢١).

(٤٤)

باب قول: ما شاء الله وشئت

عن قتيلة: أنَّ يهوديًّا أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون، تقولون: «ما شاء الله وشئت»، وتقولون: «والكعبة»؛ فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «ورب الكعبة»، وأن يقولوا: «ما شاء الله ثم شئت» رواه النسائي وصححه[١].

وله أيضًا عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أنَّ رجلًا قال للنبي ﷺ: «ما شاء الله وشئت»، فقال: «أجعلتني لله ندًّا؟!»[٢] [بل][٣] ما شاء الله وحده»[٤].

---

(١) أخرجه النسائي (٣٧٧٣) وصححه كما في فتح الباري (١١/ ٤٥٠)، وأخرجه أيضًا أحمد (٢٧٠٩٣)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٣٨ و٢٣٩)، والطبراني في الكبير (٢٥/ ٢٤ رقم ٧)، والحاكم (٧٨١٥)، والحديث صححه أيضًا: ابن حجر في الإصابة (١٤/ ١٣٠-١٣١) والألباني الصحيحة (١٣٦).

(٢) قوله: (ندًا) هذه رواية ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤١/ ٣٢٥)، والبغدادي في تاريخ بغداد (٨/ ٦٧٦)، والرواية عند النسائي: (عدلًا)، والمعنى واحد.

(٣) لفظة (بل) غير مثبتة في أصل نسخة دغش وأشار لنسخ أثبتتها، والصواب إثباتها قاله شيخنا، وهي مثبتة في بعض الأصول الحديثة، وفي بعضها (قل).

(٤) أخرجه أحمد (١٨٣٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٨٣)، والنسائي في الكبرى (١٠٧٥٩)، وعمل اليوم والليلة (٩٨٨)، والحديث حسَّن إسناده الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٤/ ١٧٨٤رقم ٢٨٢٨)، والألباني في الصحيحة (١٣٩). ويقوّيه ما تقدم عن حذيفة، وقُتيلة بنت صيفي، وما سيأتي عن الطُفيل بن سخبرة.

ولابن ماجه عن الطفيل -أخي عائشة لأمها- قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود؛ قلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله، قالوا: وأنتم[1] لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: «ما شاء الله وشاء محمد».

ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: «المسيح ابن الله»، قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: «ما شاء الله وشاء محمد»، فلما أصبحت أخبرت بها مَن أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته، قال: «هل أخبرت بها أحدًا؟» قلت: نعم، قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد؛ فإنَّ طفيلًا رأى رؤيا أخبر بها مَن أخبر منكم وإنكم قلتم كلمة يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها؛ فلا تقولوا: «ما شاء الله وشاء محمد»، ولكن قولوا: «ما شاء الله وحده»»[2].

الشرح

قال المؤلف: (باب قول: ما شاء الله وشئت): مقصود ومضمون هذا الباب قد تقدم في: (باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة])، فإنَّ من جنس: (ما شاء الله وشئت)، ما جاء في أثر

(١) في بعض النسخ: (وأنتم، لأنتم القوم).

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٦٩٤)، وابن ماجه (٢١١٨) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٧٤٣)، والطبراني في الكبير (٨٢١٤)، قال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢/ ١٣٧): «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات على شرط مسلم»، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٨).

ابن عباس[١] في تفسير الآية، وهو قول الرجل: «هذا من الله، ومنك»، «ولولا الله، وفلان»، فإنَّ هذا كله من الشرك الخفي شرك الألفاظ، وذكر المؤلف في هذا الباب ثلاثة أحاديث، وكلها تتضمن النهي عن قول: «ما شاء الله، وشئت»، ففي حديث قتيلة اعتراض اليهودي على المسلمين لقول بعضهم: (**«والكعبة»**) أو (**«ما شاء الله، وشاء محمد»**)، فنهى النبي ﷺ عن ذلك، وأمر بالصواب، وهو أن يقولوا: «**ورب الكعبة**»، ويقولوا: «**ما شاء الله ثم شاء محمد**»، وفي حديث ابن عباس (**«أنَّ رجلًا قال للنبي ﷺ: «ما شاء الله، وشئت»، فقال له النبي ﷺ: «بل ما شاء الله وحده»**)، فأرشده النبي ﷺ إلى الأكمل والأفضل، وهو: أن يقول: (**«ما شاء الله»**)، ولا يذكر مشيئة المخلوق فهذه هي **المرتبة الأولى** في ذكر مشيئة الله.

الثانية: «أن يقول ما شاء الله ثم شاء فلان»، فهذه الصيغة جائزة لكن أفضل منها المرتبة الأولى.

الثالثة: «أن يقول ما شاء الله، وشئت أو ما شاء الله، وشاء فلان» فهذه من المنهي عنه؛ بل من الشرك الخفي كما في قول ابن عباس، وكما في حديث الطفيل، وفيه أنَّ النبي ﷺ أقر الرؤيا، وصدقها بنهي الصحابة عن قولهم: ما شاء الله، وشاء محمد، وأرشدهم إلى الأفضل، وهو أن لا يذكروا إلا مشيئة الله فلا يعطفوا عليها مشيئة المخلوق لا بالواو ولا بثم؛ كما قال للرجل: «بل ما شاء الله وحده»، **وقوله**: (**«كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها»**)، قيل: المانع هو الحياء، وجاء

---

(١) تنظر: (ص٦١٥).

التصريح به في رواية[١]، وهذا يدل على أنه ﷺ كان يكره هذا اللفظ، ولكنه لم يأمر بالنهي عنه؛ قال الشيخ سليمان: وهذا يدل على أنَّ هذا اللفظ من الشرك الأصغر، إذ لو كان من الشرك الأكبر لما تأخر النهي عنه إلى أن تقع هذه الرؤيا[٢]، ويأتي مزيد بيان لما تضمنه الحديث في التعليق على مسائل الباب.

(فيه مسائل:

الأولى: معرفة اليهود بالشرك الأصغر).

معرفة اليهود بأحوال الشرك في الجملة؛ لأنه قال: «**إنكم تشركون**»، فاليهود أهل علم، ولكنهم أهل عناد.

(الثانية: فهم الإنسان إِذا كان له هوى).

هذا أخذه من قصة اليهودي؛ فهو لما كان يهوى الطعن على المسلمين عرف، وقال: هذا شرك، وهذا يصدر من كثير من الناس، إذا كان له هوى ضد أحد فهم وأدرك أنَّ هذا حرام، أو أنَّ هذا عيب؛ فهو يذكره للطعن عليه لا للإنكار والتنبيه والنصح، وهذا يبين أنَّ الإنكار الذي يقصد منه العيب مذموم، وليس من الإنكار المشروع؛ بل تكون النية حينئذ فاسدة؛ لأنه ما قصد الإنكار من أجل الإصلاح والنصح، وإنما لغرض التشنيع، وهذا يلاحظ في كثير من المواقف من بعض الناس في إنكارهم على بعض.

---

(١) كما في رواية أحمد (٢٠٦٩٤).

(٢) ينظر: التيسير (٢/ ١٠٤٥).

الثالثة: (قوله ﷺ: «أجعلتني لله ندًّا؟!» فكيف بمن قال:

«يا أكرم الخلق ما لي مَن ألوذ به
سواك عند حلول الحادث العمم»

والبيتين بعده؟).

الرسول ﷺ قال للذي قال له: «ما شاء الله وشئت»: **(أجعلتني لله ندًّا؟!)**، فجعل هذا اللفظ تنديدًا، ونوعًا من الشرك، وأنكره على مَن قاله، وهو يدخل في عموم قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾، فكيف بما يقول البوصيري في البردة، وهي أبيات مشهورة متضمنة للشرك الأكبر في الربوبية والإلهية[1]:

يا أكرم الخلق ما لي مَن ألوذ به
سواك عند حلول الحادث العَمِم

والبيتان بعده، وهما:

ولن يضيق رسول الله جاهك بي
إذا الكريم تحلى باسم منتقم
فإنَّ من جودك: الدنيا وضرتها
ومن علومك: علم اللوح والقلم[2]

---

(١) للاستزادة ينظر: الرد على البردة لمفتي الديار النجدية عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين.

(٢) البردة بشرح ابن مقلاش (ص ٧٧٤ رقم ١٦٢)، (ص ٧٧٧ رقم ١٦٣)، (ص ٧٨٠ رقم ١٦٤).

(الرابعة: أنَّ هذا ليس من الشرك الأكبر، لقوله: «يمنعني كذا وكذا»).

لأنَّ الشرك الأكبر قد نهى عنه الرسول ﷺ في أول إرساله، وكل ما كان من الشرك الأكبر؛ فلن يتأخر الرسول ﷺ في إنكاره وبيانه والنهي عنه، فهذا جاء النهي عنه متأخرًا، مثل النهي عن الحلف بغير الله.

(الخامسة: أنَّ الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي).

لأنَّ الرسول ﷺ صدقها، وأقر ما دلت عليه، وفي الحديث الصحيح: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة»[(١)] لكن لا تثبت بها الأحكام، إلا ما كان في عهد النبي ﷺ وأقره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وعمل بموجبه.

(السادسة: أنها قد تكون سببًا لشرع بعض الأحكام).

هذه الرؤيا كانت سببًا للنهي عن هذا اللفظ، كما كانت رؤيا عبد الله بن زيد سببًا في تشريع الأذان[(٢)].

◆◈◈◈◆

(١) أخرجه البخاري (٦٩٨٩)، ومسلم (٢٢٦٣-٨) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) وهو عبد الله بن زيد بن عبد ربه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وروى حديثه هذا: أحمد (١٦٤٧٧)، (١٦٤٧٨)، وأبو داود (٤٩٩)، والترمذي (١٨٩) وصححه، وابن ماجه (٧٠٦)، وصححه ابن خزيمة (٣٧٠-٣٧١)، وابن حبان (١٦٧٩).

(٤٥)

باب من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار»(١).

وفي رواية: «لا تسبوا الدهر؛ فإنَّ الله هو الدهر»(٢).

الشرح

قوله: **(باب مَن سب الدهر فقد آذى الله)**: هذه الترجمة مأخوذة من نص الحديث القدسي، والدهر هو الزمان الذي هو ظرف للحوادث التي تجري فيه بقدر الله، وسبه بنسبة الشر إليه، ونسبة الأفعال المكروهة إليه، ومن سبه لعنه والدعاء عليه، وقد ذم الله المشركين بقولهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾، فإنهم يقصدون سب الدهر بإضافة الإهلاك إليه، والله هو الذي أهلكهم فإنَّ الدهر لا فعل له، والله هو الذي يحيي ويميت، ويحدث في الزمان ما شاء، ويقلب الليل والنهار بأنواع الحوادث من الحر والبرد والأمن والخوف والصحة والمرض والشدة والرخاء، فالله تعالى هو

(١) أخرجه البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦-٢).
(٢) أخرجه مسلم (٢٢٤٦-٥).

المتصرف في الزمان بكل ما يجري فيه من الحوادث، وعلى هذا؛ فسب الدهر بسبب ما يجري فيه من أقدار الله يعود في المعنى والحقيقة إلى المتصرف في الدهر، وما يجري فيه من الحوادث، وهو الله تعالى؛ فلذا كان سب الدهر أذى لله تعالى؛ فالأذى يجوز على الله تعالى، ولا يجوز عليه الضرر، والأذى لا يستلزم الضرر؛ فالعباد لا يقدرون على أن يضروا الله شيئًا، لكن يقدرون على أن يؤذوه بما يصدر منهم من الأقوال والأفعال التي يكرهها الله تعالى، ومنها سب الدهر[(١)]، ومن شواهد هذا الحديث في جواز الأذى على الله من العباد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٥٧﴾ [الأحزاب]، ومما يؤذي الله تعالى الشرك به، ونسبة الولد إليه كما في الحديث: «**لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله عَزَّوَجَلَّ إنَّه يشرك به ويجعل له الولد ثم هو يعافيهم ويرزقهم**»[(٢)]، وفي الحديث الآخر عن النبي ﷺ قال: قال الله: «**كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقوله لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدًا**»[(٣)]، وقد نظم ابن القيم معنى الحديثين في أبيات من النونية[(٤)]؛ قال:

وهو الصبور على أذى أعدائه
شتموه بل نسبوه للبهتان

---

(١) ينظر: الصارم المسلول (٢/ ١١٨-١١٩)، (٢/ ١٥٣-١٥٤).
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٠٤) عن أبي موسى الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٣) أخرجه البخاري (٤٤٨٢) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.
(٤) (٣/ ٧١٧ رقم ٣٢٩٤-٣٢٩٧).

قالــوا لــه ولــد وليــس يعيدنــا
شــتمًا وتكذيبًــا مــن الإنســان
هــذا وذاك بســمعه وبعلمــه
لــو شــاء عاجلهــم بــكل هــوان
لكــن يعافيهــم ويرزقهــم وهــم
يؤذونــه بالشــرك والكفــران

وقوله تعالى في هذا الحديث القدسي: («**وأنا الدهر**»)، لا يدل على أنَّ الدهر اسم من أسماء الله خلافًا لابن حزم[1]، فإنَّ سياق الحديث يأبى ذلك، فإنَّ إطلاق الدهر على الله في الحديث من قبيل المجاز بإطلاق اسم مَن نسب إليه الفعل على مَن هو الفاعل في الحقيقة، ولهذا فسَّره بقوله: («**أنا الدهر أقلب الليل والنهار**»)؛ فالدهر الذي هو الزمان مفعول فيه، ومدبر لا فاعل، والله تعالى هو المدبر للدهر، والفاعل لِما يجري فيه من الحوادث من خير وشر، كل ذلك بقدرته ومشيئته وحكمته لا شريك له.

وبعد فتظهر مناسبة هذا الباب لـ «كتاب التوحيد» بأنَّ سب الدهر إذا كان يؤذي الله فإنه ينافي تعظيمه، وتوحيده تعالى قائم على تعظيمه بترك الشرك به، وترك معاصيه، وسب الدهر من أعظم المعاصي لأنه يؤول إلى سب الله؛ قال ابن القيم: «فسابُّ الدهر دائرٌ بين أمرين: إما الإشراك بالله، إن اعتقد أنَّ الدهر فاعل مع الله، وإما سب الله إن اعتقد أنَّ الله وحده هو الفاعل، فإنه يسب الفاعل»[2].

(١) ينظر: المحلى (٨/ ٣١).
(٢) ينظر: زاد المعاد (٢/ ٣٥٥).

تنبيه: سب الدهر، وهو ذمه بما يكون فيه من مكروه؛ من حر وبرد، وخوف وجوع ومرض، يكون على ثلاث درجات[(١)]:

الأولى: أن يريد الساب مجرد الإخبار عن الواقع؛ كقوله: «هذا اليوم حره شديد»، أو «هذا يوم شر»؛ أي: فيه شر من الشرور المكروهة للإنسان؛ كقوله تعالى: ﴿فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ﴾ [القمر: ١٩] أو ﴿أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾ [فصلت: ١٦]، فهذا ليس من السب المنهي عنه؛ بل قد لا يسمى سبًّا أصلًا.

الثانية: أن يعتقد أنَّ الزمان هو الفاعل لِما يكون فيه فهذا شرك بالله، وهو اعتقاد أهل الجاهلية المشركين الذين أخبر الله عنهم.

الثالثة: أن يعتقد أنَّ الله هو الفاعل لهذه المكروهات، وهو يسب الدهر من أجل ذلك فهذا ساب لله، وهو معصية كبيرة لأنه إيذاء لله، وقد توعد الله مَن يؤذيه باللعن والعذاب المهين، وقد تقدم ذكر الآية في ذلك، ويدخل في سب الله الاعتراض على الله في تدبيره بالطعن في حكمته تصريحًا أو ضمنًا؛ كاعتراض بعضهم على تقلب الجو بالحر والبرد والكدر والصفاء، وتقلب الرياح عاصفة ورخاء[(٢)]، وتقلب الأحوال بالقحط والخصب.

(فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سب الدهر).

هذا من قوله في الحديث: (**«لا تسبوا الدهر؛ فإنَّ الله هو الدهر»**).

(١) ينظر: القول المفيد (٢/ ٢٤٠).

(٢) الرُّخاء: الريح اللينة. ينظر: لسان العرب (١٤/ ٣١٥).

(الثانية: تسميته أذى لله).

هذا مأخوذ من قوله تعالى في الحديث القدسي: (**«يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر أقلب الليل والنهار»**).

(الثالثة: التأمل في قوله: «فإنَّ الله هو الدهر»).

هذا إرشاد من الشيخ إلى التأمل والتدبر لما يدل عليه قوله: «**فإنَّ الله هو الدهر**»، وقوله في اللفظ الآخر: (**«وأنا الدهر»**)، والتأمل في هذا اللفظ من وجهين:

من جهة أنه هو المتصرف في الدهر؛ لقوله: (**«أقلب الليل والنهار»**)، ولا ريب أنَّ هذا المعنى مقصود من قوله: (**«وأنا الدهر»**).

والثاني: هل يدل اللفظ على أنَّ الدهر اسم لله؟ والصواب: أنه لا يدل على أنَّ الدهر اسم لله لأنَّ قوله: «**وأنا الدهر**» من إطلاق اسم الشيء على فاعله أو مَن أمر به[1]، ولا ريب أنَّ الشيخ لا يقول بأنَّ الدهر اسم لله؛ **فقوله: (التأمل)** هو إرشاد إلى تدبر لفظ الحديث بمعرفة ما يدل عليه.

(الرابعة: أنه قد يكون سابًّا، ولو لم يقصده بقلبه).

يريد: أنَّ ساب الدهر يكون سابًّا لله، ولو لم يقصده بقلبه.

◆◇◈◇◆

(١) ينظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤١١)، ومجموع الفتاوى (٢/ ٤٩٣-٤٩٤).

(٤٦)

باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إنَّ أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله».

قال سفيان: مثل شاهان شاه[١].

وفي رواية: «أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه»[٢].

قوله: «أخنع» يعني أوضع[٣].

الشرح

قوله: (باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه): أي: وما أشبهه؛ كحاكم الحكام وملك الملوك، والتسمّي أن يسمي الإنسان نفسه أو يقبل من غيره أن يسميه، والتسمية: وضع اللفظ اسمًا للشيء، أو الإخبار عن الشيء باسمه، أو دعاء المخاطب باسمه، ومقصود الشيخ بهذا الباب: بيان حكم التسمية أو التسمي بقاضي القضاة أو نحوه، ولم يصرح بالحكم لأنه ظاهر من الحديث الذي ذكره، وهو التحريم؛ بل التغليظ في النهي عن هذا الاسم، وقوله ﷺ: («إن أخنع اسم عند الله») أي: في

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٦)، ومسلم (٢١٤٣-٢٠).
(٢) أخرجه مسلم (٢١٤٣-٢١).
(٣) كما في تمام رواية مسلم (٢١٤٣-٢٠ و٢١)، وينظر: النهاية (٢/ ٨٤).

حكم الله، وأخنع؛ أي: أحقر وأوضع اسم عند الله مَن تسمى ملك الأملاك، فإنَّ ملك الأملاك، وملك الملوك هو الله لأنه تعالى مالك كل شيء، وملك على كل شيء، وقوله في الرواية الأخرى: («**أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه**»)، يؤكد ما في الرواية الأولى فتضمنت الروايتان أنَّ مَن تسمى بذلك أوضع وأبغض وأخبث، وهذا يفيد أنَّ التسمي بهذا الاسم من كبائر الذنوب؛ لأنه ينافي تعظيم الله، وتعظيم أسمائه واحترامها، وتعظيم أسماء الله يشمل إثباتها وإثبات ما تدل عليه من صفات الكمال، وألا يسمى بها غيره، وألا يسمى تعالى إلا بما سمى به نفسه، وكل ما خالف ذلك فهو من الإلحاد في أسمائه، وبهذا يظهر ما بين هذا الباب، والذي بعده من التناسب فإنَّ الثاني عام في أسماء الله، وهذا الباب خاص في حكم الاسم المذكور في الحديث، وقد نص الشيخ في الترجمة على التسمّي بقاضي القضاة لأنه يشبه ما جاء النهي عنه في الحديث، ولأنه مما وقع من بعض المسلمين فقد كان بعض العلماء يسمى بقاضي القضاة[(١)]، والأشبه أنهم يعنون رئيس القضاة الذي يرجعون إليه في شأن مناصبهم، ويرجع إليه في تعيينهم وعزلهم، ولا يريدون أنَّ حكمه فوق حكمهم، وعلى هذا يكون التسمي بهذا الاسم من مناهي الألفاظ[(٢)].

وقول سفيان، وهو ابن عيينة: «مثل شاهان شاه»: يريد: في لغة العجم يعنون ملك الملوك[(٣)].

---

(١) ينظر على سبيل المثال: سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٣٥)، (٩/ ٣٧٤)، (١٢/ ٥).
(٢) ينظر: فتح الباري (١٠/ ٥٩٠).
(٣) ينظر: شرح مسلم للنووي (١٤/ ١٢٢)، وفتح الباري (١٠/ ٥٨٩-٥٩٠).

(فيه مسائل:

الأولى: النهي عن التسمي بملك الأملاك).

النهي مستفاد من الذم في قوله: «**إنَّ أخنع اسم**»، وقوله: «**أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه**». والذم والوعيد يدلان على النهي.

(الثانية: أنَّ ما في معناه مثله كما قال سفيان).

يريد: أنَّ ما كان بمعنى ملك الملوك فحكمه حكمه، يُنهى عنه، ولا يتسمى به؛ كما قال سفيان: «مثل شاهان شاه». أي: ملك الملوك، وألحق بعض العلماء[1] في النهي التسمي بسيد الناس فإنَّ سيد الناس هو الرسول ﷺ؛ لقوله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم**»[2].

(الثالثة: التفطن للتغليظ في هذا ونحوه، مع القطع بأنَّ القلب لم يقصد معناه).

هذا إرشاد من الشيخ إلى ما ينبغي من التفطن لما في الحديث من التغليظ في قوله: «**أخنع**»، و«**أوضع**»، و«**أخبث**»، مع أنَّ مَن يطلق هذا الاسم لا يريد حقيقته؛ بل محض المدح والتبجيل باللسان من غير اعتقاد القلب.

(الرابعة: التفطن أنَّ هذا لإجلال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى).

هذا إرشاد آخر من الشيخ إلى ما ينبغي من التفطن له من حكمة النهي والتغليظ عن هذا الاسم ونحوه، وهو إجلال الله تعالى، وتعظيمه.

◆◈◈◈◆

(١) ينظر: تحفة المودود (ص١٦٨)، التحبير للصنعاني (١/ ٣٨٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤٧)

باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شُريح أنه كان يُكنى أبا الحكم فقال له النبي ﷺ: «إنَّ الله هو الحكم وإليه الحُكْم» فقال: إنَّ قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين. فقال: «ما أحسن هذا، فما لك من الولد؟» قلت: شريح ومسلم وعبد الله، قال: «فمن أكبرهم؟» قلت: شُريح قال «فأنت أبو شُريح» رواه أبو داود وغيره[(١)].

الشَّرح

قوله: (باب احترام أسماء الله تعالى): أي: باب وجوب احترام أسماء الله، وتقدمت الإشارة أنَّ هذا الباب عام، والذي قبله خاص، واحترام أسماء الله تعظيمها، وتقدم ذكر أنواع التعظيم، وما يضادها وهو الإلحاد في أسماء الله؛ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وأسماؤه تعالى كلها حسنى؛ أي: هي أحسن الأسماء، وذلك لتضمنها المحامد، وصفات الكمال، وليست أسماء الله تعالى محصورة في عدد، وأما حديث: «**إن لله تسعة**

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٥٥)، والنسائي (٥٣٨٧)، والطبراني (٤٦٤)، (٤٦٥) (٤٦٦)، وصححه ابن حبان (٥٠٤)، والألباني في الإرواء (٢٦١٥).

وتسعين اسمًا مئة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة»(١)، فلا يدل على الحصر بمعنى أنه ليس له من الأسماء إلا هذا العدد؛ بل هو إخبار عن تسعة وتسعين اسمًا من أسماء الله بأنَّ مَن أحصاها دخل الجنة(٢)، وقد جمع كثير من العلماء(٣) تسعة وتسعين اسمًا من أسماء الله جمعوها من القرآن والحديث بالتتبع والتدبر، ولذا اختلفوا في تعيينها بالزيادة والنقص، **وقول الشيخ: (وتغيير الاسم لأجل ذلك)**: أي: تغيير اسم مَن سُمي ببعض أسماء الله احترامًا لأسماء الله، فإن كان الاسم مختصًا بالله؛ كأرحم الراحمين، وخير الناصرين، ورب العالمين، وجب تغييره، وإن كان الاسم يمكن إطلاقه على المخلوق وصفًا، ولكن المسلمين لا يعرفونه إلا اسمًا لله تعالى؛ كالقدوس والقيوم، وجب تغييره أيضًا، وإن كان يطلق على الخالق والمخلوق، والله أحق به؛ كالملك والعزيز والحكم، استحب تغييره فإنَّ الله سمى بعض عباده الملك والعزيز؛ فقال: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ﴾ [يوسف:٤٣]، ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ [يوسف: ٥١]، وقال تعالى: ﴿فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ [النساء: ٣٥]، وأقر النبي ﷺ بعض مَن اسمه الحَكَم من أصحابه، وهو يدل على أنَّ تغييره ﷺ كنية أبي الحكم إلى أبي شريح مستحب لا واجب(٤).

---

(١) أخرجه بنحوه: البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٣٨١)، (٢٢/ ٤٨٥-٣٨٦)، وبدائع الفوائد (١/ ٢٩٣).

(٣) ينظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى لمحمد بن خليفة التميمي (ص١١٨).

(٤) ينظر من اسمه الحكم من الصحابة في: الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٥٨٢).

(فيه مسائل:

الأولى: احترام صفات الله، وأسمائه، ولو بكلام لم يقصد معناه).

يريد: وجوب احترام أسماء الله وصفاته بترك ما ينافي ذلك من الألفاظ، ولو لم يقصد المتكلم المعنى المنهي عنه فكل ما ينافي احترام أسماء الله لفظًا أو معنى فإنه يجب تركه.

(الثانية: تغيير الاسم لأجل ذلك).

يريد: مشروعية تغيير الاسم احترامًا لأسماء الله كما غير النبي ﷺ كنية أبي الحكم إلى أبي شريح.

(الثالثة: اختيار أكبر الأبناء للكنية).

معناه: أنَّ السنة اختيار أكبر الأبناء في الكنية.

(٤٨)

باب مَن هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥].

عن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -دخل حديث بعضهم في بعض- أنه: «قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء؛ أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء (يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء) فقال له عوف بن مالك: كذبت ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره؛ فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال يا رسول الله: إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الرَّكب نقطع به عناء الطريق.

قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقًا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ وإنَّ الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب؛ فيقول له رسول الله ﷺ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة]، ما يلتفت إليه وما يزيده عليه»[(١)].

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير (١١/ ٥٤٣)، وابن أبي حاتم (١٠٠٤٧) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وروايات محمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة: أخرجها =

الشَّرْح

قوله: (باب مَن هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول): أي: باب حكم مَن حصل منه ذلك، وهو أنه كافر، والهزل الاستهزاء، وهو يكون بالقول والفعل ثم ذكر الشيخ دليل الحكم، وهو آية براءة: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم﴾ [التوبة]، ثم ذكر سبب نزولها فيما رواه ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والقصة مذكورة في كتب التفسير والحديث، وسيوضح الشيخ دلالات القصة في المسائل.

وذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الآية دليلًا على الترجمة؛ فهي تدل على أنَّ الهزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن، أو الرسول ﷺ كفر مخرج من الملة؛ كما يدل على ذلك قوله: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦].

والآية تدل على أنَّ هذا القائل معه أصل الإيمان[١]؛ لقوله: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾، لكنه إيمان ضعيف، وفي قلبه مرض، ومثل هذا لا يأمن عليه التحول إلى الدخول في المنافقين، وقوله تعالى: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ﴾ [التوبة: ٦٦]، فالطائفة التي عفا الله عنها: هم مَن تاب من أولئك المستهزئين، والطائفة المعذبة هم مَن أصر على نفاقه[٢].

وقول الرجل، ومَن وافقه: **(«ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء؛ أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء»)**: يعنون رسول الله ﷺ وخيار

= الطبري (١١/ ٥٤٣-٥٤٥) وهي مرسلة، وقد ذكر هذا الأثر مجموعًا من هذه الروايات واحتج به شيخ الإسلام في الصارم المسلول (٢/ ٧١-٧٤).

(١) ينظر: الإيمان لابن تيمية (ص١٧٥)، (ص ٢١٤-٢١٥).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١١/ ٥٤٦-٥٤٧)، وزاد المسير (٢/ ٢٧٦).

أصحابه، وقد سمى الله قولهم هذا استهزاء، وهو متضمن لثلاثة أنواع من السب: الشره بالأكل، وهو معنى أرغب بطونًا والكذب والجبن، ولا ريب أنَّ كل واحد من هذه الثلاثة يوجب الكفر، وقوله تعالى في الآية: ﴿بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ٦٤]، يدل على أنَّ ما قالوه ليس قولًا باللسان؛ بل هو ما انطوت عليه قلوبهم فوقع ما كانوا يحذرون، وهو ما أنزله تعالى من الآيات التي فضحتهم.

وقوله تعالى في الآية: ﴿لَا تَعْتَذِرُواْ﴾ [التوبة: ٦٦]، يدل على ما جاء في القصة أنَّ الرجل جاء يعتذر إلى الرسول ﷺ يقول: «إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الرَّكب نقطع به عناء الطريق»، وقول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كأني أنظر إليه» يعني: الرجل «متعلقًا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ» وهي: الحبل في مؤخرة الرحل[1]، وكان الرسول ﷺ يرد على الرجل بالقرآن: ﴿لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]، وهو لا يلتفت إليه ولا يزيده عليه.

(فيه مسائل:

الأولى: وهي العظيمة؛ أنَّ مَن هزل بهذا فهو كافر).

أي: مَن هزل بالله، أو بآياته، أو رسوله ﷺ؛ فهو كافر مرتد.

(الثانية: أنَّ هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنًا مَن كان).

يريد: أنَّ حكم الآية عام فكل مَن استهزأ بالله أو كتابه أو رسوله فهو كافر كائنًا مَن كان.

---

(١) ينظر: النهاية (٥/ ٤٨).

(الثالثة: الفرق بين النميمة وبين النصيحة لله ولرسوله).

ينبه الشيخ على أنَّ ما فعله عوف بن مالك ليس من النميمة التي يقصد بها النمام الإفساد؛ بل من النصيحة لله ولرسوله بفضح المجرمين، وعقوبتهم بما يردعهم.

(الرابعة: الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله).

كأن الشيخ يريد أنَّ عوف بن مالك لم يعف عن أولئك المستهزئين؛ بل بلّغ عنهم، وبهذا يُفرَّق بين العفو الذي يحبه الله، وهو ما لا يترتب عليه فساد، والعفو الذي يحمل على التمادي في الشر.

(الخامسة: أنَّ من الاعتذار ما لا ينبغي أن يُقبل).

وهو ما يغلب على الظن كذب صاحبه، والشيخ في هذه المسألة يشير إلى أنَّ الرسول لم يقبل اعتذار الرجل؛ بل لم يزل يوبخه بالقرآن.

(٤٩)

بابُ ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ [فصلت: ٥٠].

قال مجاهد: «هذا بعملي وأنا محقوق به»[(١)].

وقال ابن عباس: «يريد: من عندي»[(٢)].

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨].

قال قتادة: «على علم مني بوجوه المكاسب»[(٣)].

وقال آخرون: «على علم من الله أني له أهل»[(٤)].

وهذا معنى قول مجاهد: «أوتيته على شرف»[(٥)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكًا.

فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟

---

(١) ذكره البخاري في صحيحه (٦/ ١٢٨) معلقًا بصيغة الجزم في كتاب تفسير القرآن، «سورة حم السجدة»، ووصله الطبري في تفسيره (٢٠/ ٤٥٨).

(٢) نسبه إليه: الواحدي في البسيط (١٩/ ٤٧٥) بهذا اللفظ، والقرطبي في تفسيره (١٥/ ٣٧٣) بنحوه.

(٣) أورده هكذا: ابن القيم في شفاء العليل (١/ ١٢٦)، وأخرجه بمعناه ابن أبي حاتم (١٧١٢٣) ولفظه: «على خير عندي وعِلم عندي».

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١٧١٢٥) عن السُّدي.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٢٢١).

قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به.

قال: فمسحه، فذهب عنه قذرُه، فأُعطي لونًا حسنًا، وجلدًا حسنًا.

قال: فأي المال أحب إليك؟

قال: الإبل أو البقر (شك إسحاق) فأعطي ناقةً عشراء، وقال: بارك الله لك فيها.

قال: فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟

قال: شَعر حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به؛ فمسحه فذهب عنه، وأُعطي شَعرًا حسنًا.

فقال: أي المال أحب إليك؟

قال: البقر أو الإبل؛ فأُعطي بقرة حاملًا، قال: بارك الله لك فيها.

فأتى الأعمى، فقال أي شيء أحب إليك؟

قال: أن يرد الله إلي بصري؛ فأبصر به الناس؛ فمسحه فرد الله إليه بصره.

قال: فأي المال أحب إليك؟

قال: الغنم؛ فأعطي شاة والدًا، فأُنتَج هذان وولَّد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم.

قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين، وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري؛ فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال؛ بعيرًا أتبلَّغُ به في سفري.

فقال: الحقوق كثيرة.

فقال له: كأني أعرفك! ألم تكن أبرص يقذَرُك الناس، فقيرًا، فأعطاك الله عَزَّوَجَلَّ المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر!

فقال: إن كنت كاذبًا فصيّرك الله إلى ما كنت.

قال: ثم إنه أتى الأقرع في صورته.

فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا.

فقال: إن كنت كاذبًا؛ فصيّرك الله إلى ما كنت.

قال: وأتى الأعمى في صورته.

فقال: رجل مسكين، وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري؛ فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك؛ شاة أتبلّغ بها في سفري.

فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت، ودع ما شئت؛ فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله!

فقال: أمسك مالك؛ فإنما ابتليتم؛ فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك» أخرجاه[1].

الشرح

قوله: (باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ الآية) أي: باب ذكر ما جاء عن السلف في تفسير هذه الآية، وذكر آية أخرى، وهي قوله تعالى عن قارون: ﴿قَالَ

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾، وذكر في تفسير الآية الأولى قول مجاهد وابن عباس، وذكر في تفسير الآية الثانية قول قتادة، وهو واضح في بيان مراد القائل.

وقوله: (وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل)، هذا الوجه ليس مناسبًا للفظ آية القصص؛ لقوله: ﴿عِندِيٓ﴾، فلا يناسب تفسير العلم بعلم الله، ولكنه مناسب لآية الزمر، وهي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ نِعۡمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمِۭ﴾ [الزمر: ٤٩]، فإنَّ لفظها يحتمل على علم عندي أو على علم من الله أني له أهل، ومضمون الآيتين وما جاء في تفسيرهما ذم الفخر بما يؤتى الإنسان من نعم الله، ونسبة ذلك إلى نفسه، وأنه حصل له بحوله وقوته، وعلمه وحيلته، أو حصل له لفضله، وهذا مقصود الشيخ بهذا الباب فإنه جعل معنى الآيتين، وما جاء في تفسيرهما موضوع الباب فكأنه قال: باب ذم الفخر بنعم الله، وإضافتها إلى أسبابها أو قال: باب مِن كفر النعمة: إضافة الإنسان لها إلى حوله وقوته، ولا يخفى منافاة حال الإنسان المذكورة في الآيتين لتوحيد الربوبية، وما يجب على العبد من شكر الله على نعمه، ومن التوحيد الاعتراف بأنه تعالى المنعم بجميع النعم فقد قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وآثار السلف في تفسير الآيتين يتضمن أمثلة مما يقوله الناس؛ فبعضهم يقول: «حصلت هذا بعملي»، وبعضهم يقول: «هذا المال ورثته عن آبائي»، وآخر يقول: «أوتيت هذا المال على علم عندي بوجوه المكاسب»، وقول الآخر: «أوتيته على شرف».

ثم ذكر الشيخ حديث الثلاثة من بني إسرائيل وهو حديث عظيم، وقصة إسرائيلية، لا بمعنى الأحاديث الإسرائيلية التي ينقلها بعض الرواة عن أهل الكتاب؛ بل لأنها جرت على بعض بني إسرائيل، وإلا فهي خبر صادق يرويه الصادق المصدوق ﷺ والحديث متفق عليه، وما جاء فيه من قول الأبرص والأقرع مناسب لمعنى الآيتين فإنَّ كلًّا منهما قد جحد نعمة الله عليه، وفخر وبخل بما أوتي، وبهذا تظهر مناسبة الحديث للباب، وقد تضمن الحديث أنَّ الله ابتلى الثلاثة بالضراء والسراء، وأنَّ الأقرع والأبرص كفرا النعمة وفخرا وبخلا بحق الله، وأنَّ الأعمى شكر النعمة، واعترف بفضل الله، وسمح ببذل بعض ماله لله.

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية).

يريد آية فصلت: ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ [فصلت: ٥٠]، وتفسيرها في قول مجاهد وابن عباس.

(الثانية: ما معنى: ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ [فصلت: ٥٠]).

معناه ما قاله مجاهد، وابن عباس.

(الثالثة: ما معنى قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص: ٧٨]).

معناه ما قاله قتادة؛ أي: على علم مني بوجوه المكاسب.

(الرابعة: ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة).

هذه المسألة أجملها الشيخ، ولم يفصلها، ولم يتوسع في استنباط الفوائد من هذا الحديث، وإنما أشار إشارة مجملة إلى ما في هذه القصة من العبر العجيبة، والحق أنَّ هذه القصة فيها عبرٌ وفوائد كثيرة لمن تدبرها[1].

---

(١) ينظر: فتح الباري (٦/ ٥٠١-٥٠٣).

(٥٠)

باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠] الآية.

قال ابن حزم: «اتفقوا على تحريم كل اسم معبَّد لغير الله؛ كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب»[(١)].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الآية قال: لما تغشاها آدم؛ حملت، فأتاهما إبليس، فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة، لتطيعاني[(٢)] أو لأجعلنَّ له قرني أيِّل، فيخرج من بطنك، فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن؛ يخوفهما، سمياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتًا، ثم حملت فأتاهما، فذكر لهما، فأدركهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث؛ فذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ رواه ابن أبي حاتم[(٣)].

---

(١) بنحوه في مراتب الإجماع (ص٢٤٩).

(٢) قال شيخنا: «تثبت هذه فهي أوضح»، وهي كذلك في بعض النسخ، وفي أصل نسخة دغش (لَتُطِيعُنِّي)، وفي بعضها كالتيسير (لتطيعُنَّني).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٨٦٥٤)، ويُروَى من طرق عن ابن عباس تنظر في تفسير الطبري (١٠/ ٦٢٤-٦٢٥).
وروي مرفوعًا من حديث سمرة: أخرجه أحمد (٢٠١١٧)، والترمذي (٣٠٧٧)، عن سمرة، عن النبي ﷺ قال: «**لما حملت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سميه عبد الحارث، فإنه يعيش، فسموه عبد الحارث، فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان، وأمره**»، وأعلّه ابن كثير من ثلاثة أوجه في التفسير (٣/ ٥٢٦)، وضعفه الألباني في الضعيفة (٣٤٢).

وله[1] بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته.

وله[2] بسند صحيح عن مجاهد، في قوله: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، قال: أشفقا ألا يكون إنسانًا، وذكر معناه عن الحسن وسعيد[3] وغيرهما.

الشرح

الظاهر أنَّ هذه الآية في آدم وحواء في آدم وحواء لأنها بعد قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩] الآية، وذهب إلى هذا جمهور مفسري السلف، كما سيذكر الشيخ بعد ذلك، **وقوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الأعراف: ١٩٠]** أي: مولودًا سالمًا من العلل والآفات، يدل لذلك قوله في الآية السابقة: ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾ [الأعراف]، ولكن الآثار المروية في تفسير الآية روايات إسرائيلية الواجب التوقف فيها لقوله ﷺ: «**إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم**»[4]، ....

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٨٦٥٩)، وأخرجه أيضا الطبري في التفسير (١٠/ ٦٢٦) بلفظ: «**شِركًا في طاعته ولم يكن شِركًا في عبادته**».

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٨٦٤٨).

(٣) ينظر على التوالي: تفسير ابن أبي حاتم (٨٦٥٠)، (٨٦٤٦)، (٨٦٥١)، وتفسير الطبري (١٠/ ٦٢٩)، (١٠/ ٦٢٦-٦٢٧).

(٤) أخرجه أحمد (١٧٢٢٥) -واللفظ له- وأبو داود (٣٦٤٤) عن أبي نملة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه ابن حبان (٦٢٥٧) والألباني في الصحيحة (٢٨٠٠).

.... وذلك فيما لم يقم دليل على صدقه ولا كذبه، وقد تضمنت هذه الآثار ما يدل على كذبها(١)، وهو أمور:

١- نسبة الشرك في الربوبية إلى الأبوين، وذلك بتصديق الشيطان في قوله: أجعل للجنين قرنَي أيِّل، والأيل: هو الوعل، حيوان معروف ذو قرون، وطاعته في التعبيد لغير الله من الشرك في العبادة، وفي قول قتادة: أنَّ الشرك في الطاعة ليس من الشرك في العبادة نظر، يدل لذلك أنَّ النبي ﷺ سمى طاعة الأحبار والرهبان في التحليل والتحريم عبادة؛ لقوله: «**فتلك عبادتهم**»(٢)، فالطاعة في التحليل والتحريم شرك أكبر، والطاعة في فعل المعصية معصية(٣)، وأما مجرد التعبيد لغير الله؛ «كعبد النبي» و«عبد الحسين» من غير استحلال فهو من شرك الألفاظ؛ كقول القائل: «ما شاء الله وشئت».

٢- أنَّ إبليس ذكرهما بأنه صاحبهما الذي أخرجهما من الجنة، كيف بعد هذا يقدمان على تصديقه، وطاعته.

٣- أنه ليس لتسمية الشيطان بالحارث أصل، ويدل على بطلانه قوله ﷺ: «**وأصدقها حارث وهمام**»(٤).

(١) قال ابن حزم في الفِصل (٤/ ٤): «وهذا الذي نسبوه إلى آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من أنه سمى ابنه عبد الحارث؛ خرافة موضوعة مكذوبة من تأليف من لا دين له ولا حياء، لم يصح سندها قط، وإنما نزلت في المشركين على ظاهرها....».

(٢) تقدم تخريجه في (ص٥٩٢).

(٣) تنظر: (ص١٦٢).

(٤) أخرجه أحمد (١٩٠٣٢)، وأبو داود (٤٩٥٠) عن أبي وهب الجشمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه ابن وهب في الجامع (٤٦)، (٥٣) عن عبد الوهاب بن بخت، وعبد الله بن عامر اليحصبي مرسلًا. وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٤٠).

فهذه عدة وجوه تدل على أنَّ هذه الآثار لا تصلح تفسيرًا للآية[١]، ولهذا ذهب فريق من العلماء إلى أنَّ الآية ليست في آدم وحواء؛ بل في المشركين من ذريتهما، وفي مقدمتهم الإمامان ابن القيم[٢] وابن كثير في تفسيره[٣] وسبقهما إلى ذلك الحسن البصري[٤]، وصرح ابن كثير بأنه في هذا على مذهب الحسن البصري، وضعَّف الحديث المرفوع في قصة آدم وحواء، وتسميتهما المولود عبد الحارث طاعة للشيطان، وجعل الآثار المروية في ذلك مما تُلقي عن أهل الكتاب، قالوا: والآيات فيها الانتقال من الشخص إلى الجنس، وبمراجعة كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتبين لطالب الحق الصواب، وبعد: فيظهر مما ذكر الشيخ من الآثار في تفسير الآية مما فيه التسمية بعبد الحارث، وما نقله عن ابن حزم من الإجماع على تحريم كل اسم معبَّد لغير الله، يظهر من ذلك أنَّ مقصوده من هذا الباب تحريم التسمية بالتعبيد لغير الله فكأنه قال في الترجمة: باب تحريم التعبيد في الاسم لغير الله، أو باب من الشرك التعبيد لغير الله، وبهذا تظهر مناسبة الباب لـ «كتاب التوحيد».

وقول ابن حزم: **(حاشا عبد المطلب)** حاشا: أداة استثناء يعني: إلا عبد المطلب؛ فعبد المطلب ليس من نوع التعبيد لغير الله[٥]، وهو لقب

(١) وتنظر أوجه أخرى في: القول المفيد (٢/ ٣٠٨-٣١٠).

(٢) ينظر: التبيان في أيمان القرآن (ص٣٩٨)، وروضة المحبين (ص٤٠٤).

(٣) (٣/ ٥٢٥-٥٢٨).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (١٠/ ٦٢٩).

(٥) ذهب ابن القيم في قول النبي أنه ابن عبد المطلب إلى أنه من باب الإخبار وليس من باب إنشاء التسمية، «وباب الإخبار أوسع من باب الإنشاء؛ فيجوز ما لا يجوز في الإنشاء»، وقال: لا وجه لتخصيص ابن حزم ذلك بعبد المطلب خاصة؛ فقد كان الصحابة يسمون بني عبد شمس وبني عبد الدار بأسمائهم ولا ينكر عليهم. ينظر: تحفة المودود (ص١٦٦-١٦٧).

لجد الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وله قصة مذكورة في السيرة[1].

(فيه مسائل:

الأولى: تحريم كل اسم معبَّد لغير الله).

كما نقل الإجماع على ذلك ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(الثانية: تفسير الآية).

وهي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠]، وتفسيرها: يريد ما ذكره من الآثار، وأنَّ المراد منها آدم وحواء.

(الثالثة: أنَّ هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها).

يريد: أنَّ تسمية المولود بعبد الحارث من شرك الألفاظ.

(الرابعة: أنَّ هبة الله للرجل البنت السوية من النعم).

لقوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾ يعني: صالحًا في خلقه سويًا، ليس فيه عيب؛ فهذه من النعم أن يهب الله للعبد البنت السوية، وخص الشيخ البنت ردًّا على أهل الجاهلية الذين يكرهون البنات.

(الخامسة: ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة).

هذا ما قاله قتادة، وسبق التعليق عليه.

(١) ينظر: الطبقات لابن سعد (١/ ٦٤).

(٥١)

باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠] الآية.

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾: «يشركون»[(١)].

وعنه: «سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز»[(٢)].

وعن الأعمش: «يُدخلون فيها ما ليس منها»[(٣)].

الشرح

يقول الشيخ: (**باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]**): جعل الآية هي ترجمة الباب كما في أبواب كثيرة، وهي طريقة الشيخ كما تقدم، وموضوع الباب يؤخذ من الآية؛ فكأنه قال: باب إثبات أسماء الله وتحريم الإلحاد فيها.

---

(١) لم نجده عن ابن عباس عند ابن أبي حاتم، ولكن رواه ابن أبي حاتم (٨٦٨٦) عن قتادة، ورواه عنه أيضًا عبد الرزاق في التفسير (٩٦١)، والطبري (١٠/ ٥٩٧-٥٩٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٥٩٧)، وابن أبي حاتم (٨٥٨٤) بلفظ: «إلحاد الملحدين أن دعوا اللات في أسماء الله»، وأخرجه الطبري (١٠/ ٥٩٧) عن مجاهد بلفظ: «اشتقوا العزى من العزيز، واشتقوا اللات من الله».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٥٨٧).

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: فيه الدلالة على أنَّ لله أسماء، وأنها كلها حسنى؛ بل إنَّ الأسماء الحسنى كلها له.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر.

وقوله: ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الحسنى: صيغة تفضيل، ومعناها: البالغة في الحسن غايته؛ فهي أحسن الأسماء، وهذا الوصف يدل على أنَّ أسماء الله لها معاني، وليست أعلامًا محضة كما تزعم المعتزلة[(١)].

وأسماؤه تعالى كثيرة، منها: ما علَّمه بعض عباده، ومنها: ما أنزله في بعض كتبه، ومنها: ما استأثر به في علم الغيب عنده؛ كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود: «**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»[(٢)].

ومن أسماء الله: الأسماء التسعة والتسعون التي من شأنها ومن صفتها: أنَّ مَن أحصاها دخل الجنة[(٣)].

ومراتب إحصائها ثلاث[(٤)]:

١. إحصاء ألفاظها وعددها.

---

(١) ينظر: شرح العقيدة التدمرية لشيخنا (ص١١٨)، (ص١٥٥).

(٢) أخرجه أحمد (٣٧١٢)، وابن أبي شيبة (٢٩٣١٨)، وأبو يعلى (٥٢٩٧) -وعنه ابن حبان (٩٧٢)-، والطبراني في الكبير (١٠٣٥٢)، والحاكم (١٨٧٧)، وصححه ابن حبان، وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار (٤/ ١٠٠). وينظر: الصحيحة (رقم ١٩٩).

(٣) أخرجه البخاري (٧٣٩٢)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) ينظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٨٨).

٢. فهم معانيها ومدلولها.

٣. دعاؤه بها كما في الآية: ﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾.

وأسماء الله كثيرة وليست محصورة بعدد، وأعظمها ما في القرآن، ويدل لكثرتها، وعدم حصرها حديث ابن مسعود المتقدم(١)؛ ففي القرآن من أسماء الله شيء كثير، فيجب الإيمان بأسمائه، وإثبات أسمائه التي سمى به نفسه، أو سماه بها رسوله ﷺ، ويجب الإيمان بأنَّ لها معاني، وليست أعلامًا محضة خلافًا للمعتزلة.

فالجهمية ينفون أسماء الله ومعانيها، والمعتزلة يثبتون الأسماء وينفون الصفات، وهذا كله من الإلحاد في أسمائه.

﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾: يعني: سموه بما سمى به نفسه وادعوه -إذا دعوتموه- بأسمائه، يا الله، يا رحمن، يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا أرحم الراحمين... اللهم أنت الأول وأنت الآخر، وأنت الظاهر وأنت الباطن، اللهم أنت الملك... وما أشبه ذلك.

﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾: فيه: الأمر بالإعراض عن الملحدين، وفي ضمن ذلك تهديد لهم، وفي قوله: ﴿سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾: تهديد آخر.

والإلحاد أصل معناه الميل(٢)؛ فمادة «لحد» تدل على الميل، ومنه سمي الشق الذي في جانب القبر لحدًا؛ لأنه مائل عن وسط القبر.

---

(١) ينظر: القواعد المثلى بتعليق شيخنا (ص ٤٤).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٢٣٦)، ولسان العرب (٣/ ٣٨٨).

والإلحاد في الشرع هو: الميل عن الصراط المستقيم والحق المبين إلى الباطل؛ كالميل عن التوحيد إلى الشرك، والميل عن الإيمان بالله إلى الكفر بالله، وما إلى ذلك، وكل هذا إلحاد؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، وقال: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ [فصلت: ٤٠].

والإلحاد في أسماء الله؛ أنواع(١).

منها: تعطيلها بنفيها؛ كقول الجهمية.

ومنها: تعطيل معانيها وهي الصفات، وهو قول المعتزلة.

ومنها: تسميته بما لم يسم به نفسه؛ كتسمية النصارى له أبًا، وتسمية الفلاسفة له علة.

ومنها: تسمية المخلوق باسم الخالق، مثل: ملك الملوك.

ومنها: الاشتقاق لبعض المخلوقات من أسمائه؛ كما سمى المشركون آلهتهم بأسماء مشتقة؛ فسموا العزى من العزيز، ومناة من المنان، واللات من الإله.

والشيخ اقتصر في هذا الباب على هذه الآية، وأورد بعض الآثار في تفسير الإلحاد مر بعض معانيها فيما تقدم.

(فيه مسائل:

الأولى: إثبات الأسماء).

وإثباتها هو الإيمان بها.

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٩٨-٢٩٩)، ومدارج السالكين (١/ ٤٥-٤٧).

(الثانية: كونها حسنى).

أي: يجب الإيمان بأنَّ أسماء الله كلها حسنى دالة على صفات الكمال.

(الثالثة: الأمر بدعائه بها).

قال تعالى: ﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾: والعبد يتوسل إلى الله بأسمائه، ويأتي في كل مقام بما يناسبه، فإذا قال: اللهم ارحمني، فإنه يقول: اللهم اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم، واللهم يسر لي رزقًا مباركًا فإنك أنت الرزاق الكريم، واللهم انصرنا على عدونا فإنك نِعم المولى ونِعم النصير، وهكذا يأتي بالأسماء المناسبة.

(الرابعة: ترك مَن عارض من الجاهلين الملحدين).

أي: تركه بالإعراض عنه، إهمالًا له وتجنبًا لطريقه؛ لقوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾، وفي ضمنها تهديد لمن يلحد في أسمائه؛ أخذًا من قوله: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾؛ كقوله تعالى: ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ﴾ [الحجر: ٣].

(الخامسة: تفسير الإلحاد فيها).

هذا مأخوذ من الآثار التي أوردها الشيخ في تفسير الآية، وتقدم ذكر أنواع الإلحاد بأسماء الله.

(السادسة: وعيد مَن ألحد).

لقوله: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت: ٤٠].

◆◇◈◇◆

(٥٢)

باب: لا يقال: السلام على الله

في «الصحيح» عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة؛ قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان [وفلان][(١)]؛ فقال النبي ﷺ: «لا تقولوا: السلام على الله؛ فإنَّ الله هو السلام»[(٢)].

الشرح

مناسبة هذا الباب للذي قبله ظاهرة؛ فإنَّ السلام من أسماء الله الحسنى التي يدعى الله بها، ويجب إثباتها وتعظيمها، ويحرم الإلحاد فيها.

يقول الشيخ: (**باب لا يقال: السلام على الله**)، أخذ هذا من حديث الباب: (**لا تقولوا: السلام على الله؛ فإنَّ الله هو السلام**)؛ فالسلام اسم من أسماء الله كما في سورة الحشر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الحشر: ٢٣]، وكذلك قوله: ﴿يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى﴾ [يونس: ٢٥]. وقوله: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧]. قيل: المراد بالسلام هو الله، وقيل: المراد به السلامة[(٣)]، والمقصود: أنَّ السلام اسم من أسماء الله الحسنى، وهو يدل على أنه السالم من كل آفة ونقص وعيب؛ فيستلزم ذلك وصفه بكل كمال ومدح.

---

(١) رجح شيخنا إثبات هذه الزيادة كما عند البخاري.

(٢) أخرجه البخاري (٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢).

(٣) ينظر: زاد المسير (٢/ ٧٦-٧٧).

في «الصحيح» عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة؛ قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان»، في رواية: السلام على جبريل، السلام على ميكائيل(١).

(فقال النبي ﷺ: «لا تقولوا: السلام على الله؛ فإنَّ الله هو السلام»)؛ لأنَّ قول القائل: السلام على الله فيه: دعاء لله، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُدعى ولا يُدعى له؛ فهو الذي يُدعى ويُقصد وتُطلب منه السلامة، ولا يُدعى له بالسلامة؛ لذلك كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا ثم قال: «**اللهم أنت السلام ومنك السلام**»(٢)، فتقول: «اللهم أنت السلام»، وتقول: «**ومنك السلام**»، يعني: السلامة إنما تطلب منه؛ لأنَّه مالك كل شيء؛ فبيده الخير، وبيده الملك، ولا يجوز أن تقول: وعليك السلام كما يجري على ألسنة بعض الناس، أو: وإليك السلام؛ فالرسول ﷺ نهى الصحابة أن يقولوا: السلام على الله من عباده، وأرشدهم إلى البديل وهو التشهد(٣).

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير السلام).

تفسير السلام الذي هو اسم الله تقدم معناه، وهو السالم عن كل الآفات والنقائص والعيوب، ويأتي السلام بمعنى السلامة(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٣٠).

(٢) أخرجه مسلم (٥٩١) من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) كما في تتمة حديث الباب.

(٤) ينظر: بدائع الفوائد (٢/ ٦٠٧-٦١٦).

(الثانية: أنه تحية).

قد قال الله تعالى لآدم لما نفخ فيه من روحه: «**اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة، جلوس، فاستمع ما يحيونك؛ فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله؛ فزادوه: ورحمة الله**»[(١)].

(الثالثة: أنها لا تصلح لله).

لأنها دعاء، والله يُدعى ولا يُدعى له.

(الرابعة: العلة في ذلك).

العلة في ذلك: أنَّ الله هو السلام؛ فلا معنى للدعاء له بالسلامة؛ بل السلامة تطلب منه، ولهذا علمهم ﷺ أن يقولوا: «**اللهم أنت السلام ومنك السلام**»، وبعض الناس يغلط فيزيد: «وعليك السلام».

(الخامسة: تعليمهم التحية التي تصلح لله).

وهي: التشهد «**التحيات لله...**» قبل التسليم، وقوله بعد السلام: «**اللهم أنت السلام ومنك السلام**»؛ فهذه هي التي تليق بالله، والمحذور أن تقول السلام على الله؛ لأنه هو الذي كان الصحابة؛ يقولونه: فنهاهم النبي ﷺ.

◆◇◈◇◆

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٧) -واللفظ له-، ومسلم (٢٨٤١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥٣)

باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت

في «الصحيح» عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، لِيَعزم المسألة؛ فإنَّ الله لا مكره له»[(١)].

ولمسلم: «وليعظِّم الرغبة؛ فإنَّ الله لا يتعاظمه شيء أعطاه»[(٢)].

الشرح

يقول المؤلف رَحِمَهُٱللَّهُ: **(باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت)**: يعني: باب بيان حكم قول القائل: «اللهم اغفر لي إن شئت»، «اللهم ارحمني إن شئت»، وحكمه: التحريم؛ لثبوت النهي عنه، كما في حديث الباب.

قوله ﷺ: **(«لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت...») الحديث**، هذا نهي صريح عن تعليق الدعاء على المشيئة، وهذا كثير في كلام الناس، يجري على ألسنتهم من غير قصد، وسبب النهي مبيَّن في الحديث، وهو أمران[(٣)]:

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩-٩).
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٩-٨).
(٣) ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٧/ ٦-٧)، وفتح الباري (١١/ ١٤٠).

أحدهما: أنَّ التعليق على المشيئة يدل على عدم عزم الداعي في طلب حاجته؛ ولهذا قال: («**وليعزم المسألة**»).

الثاني: أنَّ التعليق على المشيئة يشعر باعتقاد الداعي أنَّ الله قد يتعاظم حاجته؛ لذلك علَّق سؤاله على المشيئة.

ولهذا جاء في الحديث ما يبطل ذلك في قوله ﷺ: («**فإنَّ الله لا مكره له**»)، وقوله: («**فإنَّ الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**»)؛ فالناس يقولون لبعضهم: إن شئت؛ حتى لا يحرج بعضهم بعضًا، والله تعالى لا مكره له؛ فلا وجه لهذا التعليق، فالذي يعلق الدعاء على المشيئة؛ إما ضعيف الرجاء، وإما أنه يخشى أنَّ الله تعالى يستعظم الطلب، وأنَّ في الجزم والبتِّ على الله خوف من إكراه ربه، كما يظن هذا الجاهل! ودل على هذا: نفس الحديث؛ ففي الرواية الأولى قال: «**ليعزم المسألة**»، ومَن علق الدعاء بالمشيئة لم يعزم المسألة، وفي الثانية قال: «**وليعظم الرغبة**»؛ ليكون صادقًا وجادًّا؛ فإنَّ الله لا يتعاظمه شيء أعطاه؛ فلا موجب ولا وجه للتعليق؛ فالله تعالى الجواد الكريم، لا يستعظم المسائل وإن كبرت، ومما تقدم تظهر مناسبة هذا الباب لـ «كتاب التوحيد»؛ وذلك أنَّ تعليق الدعاء على المشيئة ينافي ما يجب من تعظيم الله وحسن الظن به، وكذا تظهر مناسبة الباب لما قبله وما بعده، فمدارها على النهي عن كل ما ينافي تعظيم أسماء الله وصفاته، ويقدح في كمال التوحيد.

(فيه مسائل:

الأولى: النهي عن الاستثناء في الدعاء).

الاستثناء هو قول الداعي: إن شئت.

(الثانية: بيان العلة في ذلك).

وهو ضعف العزم والتحرج من سؤال الله، فيتحرج أن يسأل ربه الشيء الكثير، والشيء العظيم؛ كما يكون ذلك مع المخلوقين ولاسيما البخيل؛ فإنه الذي يناسب أن يقال له: أعطني إن شئت، ولا يطلب منه إلا الشيء اليسير؛ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا!

(الثالثة: قوله: «ليعزم المسألة»).

هذا ضد الاستثناء والتعليق؛ فهو قد نهى عن قول الرجل: «اللهم اغفر لي إن شئت»، وأمر بالعزم والجزم في السؤال؛ فنهى عن التعليق، وأمَرَ بالجزم.

(الرابعة: إعظام الرغبة).

يعني: أن تطلب الطلب وأنت حريص ومُلِحٌّ وجازم بالسؤال.

(الخامسة: التعليل لهذا الأمر).

التعليل للنهي عن قول: «اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت»، قوله: «**ليعزم المسألة؛ فإن الله لا مكره له**». وفي الرواية الثانية: «**وليعظم الرغبة؛ فإنَّ الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**»، هذا هو تعليل النهي عن التعليق على المشيئة، وقد تقدم إيضاح ذلك فإنَّ تعليق الدعاء على المشيئة يشعر بعدم العزم في طلب الحاجة، ويشعر أنَّ الله قد يستعظم المطلوب، وأما ما ورد من قوله ﷺ للمريض: «**طهور إن شاء الله**»[(١)]، فلا يعارض النهي؛ لأنَّ قوله: «**طهور**» ليس دعاء، ولكنه خبر منشؤه الرجاء[(٢)].

◆◈◈◈◆

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٦) من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/ ٩٠-٩٢).

(٥٤)

باب لا يقول: عبدي وأَمَتي

في «الصحيح» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضِّئ ربك، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي»[(١)].

الشرح

الأصل أنَّ المماليك عبيد وإماء، فالذكور: عبيد، والإناث: إماء؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ [النور: ٣٢]، فسماهم الله عبيدًا -بل عبادًا- وإماء، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢١]، وقال ﷺ: «**ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة**»[(٢)].

فاسم الأمة والعبد شائع؛ لكن جاء في هذا الحديث: النهي عن إطلاق اسم العبد على المملوك، وإطلاق اسم الرب على المالك في صيغ معينة، وإلا فكذلك اسم الرب جاء استخدامه وإضافته لغير الله في مثل قوله تعالى عن يوسف: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]،

(١) أخرجه البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩).
(٢) أخرجه البخاري (١٤٦٤)، ومسلم (٩٨٢) -واللفظ له-، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٥٠]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ [يوسف: ٢٣]. ويقال: رب الدابة، وقال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في حديث ضالة الإبل: «**ما لك ولها؟ دعها؛ فإنَّ معها حذاءها وسقاءها، تَرِدَ الماء وتأكل الشجر؛ حتى يجدها ربها**»[(١)]، لكن في لفظ المخاطبة والإضافة تكون فيها مشابهة في اللفظ لاسم الرب رب العالمين؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ﴾ [الحجر: ٩٩]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، وقول عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ﴾ [آل عمران: ٥١]، وسر الفرق بين الجائز؛ كرب الدار، ورب الدابة، والمنهي عنه؛ كقول المملوك لسيده: «هذا ربي»، أنَّ المملوك مكلف[(٢)]، فإذا قال لسيده ربي، اشتبه بقوله: أنا لا أعبد إلا ربي، فلذلك نُهي أن يقول لسيده: ربي، أو أن يُقال له: «أطعم ربك»، أو «وضِّئ ربك»، وكذا في الجانب الآخر؛ نهى السيد أن يقول لمملوكه: هذا عبدي، وللأنثى: أمتي؛ لأنَّ الكل عباد الله، فأرشد كلًّا من المملوك وسيده إلى استعمال الألفاظ الخالية عن هذا الاشتباه؛ فيقول السيد: فتاي وفتاتي وغلامي، ويقول المملوك: سيدي ومولاي.

وقوله: («لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضِّئ ربك»): هذا نهي عن مخاطبة العبد بالتعبير عن سيده بأنه رب، مثل: «أطعم ربك»، «اذهب إلى ربك»، «وضِّئ ربك»... أو يقول العبد: «ذهبت إلى ربي»، «قلت

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٢٨)، ومسلم (١٧٢٢) -واللفظ له-، من حديث زيد بن خالد الجهني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

(٢) ينظر: درء التعارض (٩/ ٣٤١-٣٤٢)، والسبعينية = بغية المرتاد (ص ٣٧٧-٣٧٨).

لربي»... لأنَّ العبد مكلف، فينبغي ألا يريد بهذه الكلمة إلا ربه الذي خلقه وهو رب الناس كلهم؛ قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾؛ فهذه كلمات تشتبه، ولا يليق بالعبد أن يقول: «هذا ربي»، «قلت لربي»، أو يخاطَب ويقال له: «أين ربك؟»، «اذهب إلى ربك»، وليقل العبد بدلًا من ذلك: «سيدي ومولاي»، وهذا لا بأس به، والسيد كذلك لا يليق أن يقول: «عبدي»؛ لأنَّ أصل العبودية لله؛ فلا يليق أن يقول: «هذا عبدي»، و«هذه أمتي»، و«يا عبدي»، و«قلت لعبدي»، و«جاء عبدي»، لكن لو قال: «عندي عبيد»، و«أنا اشتريت عبدًا»، و«بعت عبدين»؛ فهذا جائز؛ لأنه لم يضفه إلى نفسه، وهذا من أدب الألفاظ الذي تجب مراعاته صيانة لجانب التوحيد[1]، وما ورد في قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يمكن أن يقال: إنه من شرع مَن قبلنا[2]، ثم إنَّ الذي في شرعنا ورد في مواضع مخصوصة لا مطلقة كما ذكرنا والله أعلم.

(فيه مسائل:

الأولى: النهي عن قول: عبدي وأمتي).

النهي عن قول السيد: يا عبدي يا أمتي؛ سدًّا لذريعة الشرك في الألفاظ، وابتعادًا عن الألفاظ الموهمة المشتبهة.

(الثانية: لا يقل العبد: ربي، أو يقال له: أطعم ربك).

كذلك العبد لا يخبر عن سيده بأن يقول: هذا ربي، أنا جالس عند ربي، ولا يخاطبه، فضلًا أن يقول: يا ربي يا ربي، فهذه لله وحده؛ فالحديث تضمن توجيهًا وإرشادًا للسيد وللعبد.

---

(١) ينظر: إعلام الموقعين (٥/ ٤٤).

(٢) ينظر: الأذكار للنووي (ص٣١٢)، ومجموع الفتاوى (١٥/ ١١٨).

(الثالثة: تعليم الأول قول: فتاي وفتاتي وغلامي).

الأول هو السيد، وتعليمه بدل أن يقول: عبدي وأمتي، أن يقول: فتاي وفتاتي وغلامي.

(الرابعة: تعليم الثاني قول: سيدي ومولاي).

الثاني هو العبد، وتعليمه أن يقول: سيدي ومولاي بدل ربي.

(الخامسة: التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ).

هذا هو المراد في هذه المسألة، وهو التنبيه على أنَّ المقصود من هذا النهي هو صيانة التوحيد، والمحافظة عليه، وتحقيقه حتى في الألفاظ؛ فيبتعد عن كل لفظ ينافي تحقيق التوحيد.

(٥٥)

باب لا يرد مَن سأل بالله

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن سأل بالله؛ فأعطوه، ومَن استعاذ بالله؛ فأعيذوه، ومَن دعاكم فأجيبوه، ومَن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه؛ فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»، رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح(١).

الشرح

قوله: (**باب لا يرد مَن سأل بالله**): يعني: باب بيان أنه لا يردُّ مَن سأل بالله؛ بل يجاب ويعطى سؤله تعظيمًا لمن سأل به، ولهذا أورده الشيخ في «كتاب التوحيد»؛ لأنَّ من تعظيم الله: إجابة مَن سأل بالله، وإعاذة مَن استعاذ بالله، وفي قصة المرأة الجونية التي تزوجها النبي ﷺ، فلما دخل عليها، واقترب منها، قالت له: «أعوذ بالله منك»، فابتعد عنها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وقال: «**لقد عذت بعظيم، الحقي بأهلك**»(٢).

والسؤال بالله ينبغي أن يكون موافقًا للأصول والقواعد الشرعية، وفي حدود الاستطاعة دون تعدي وتحكم من السائل، فلو سأل سائل

(١) أخرجه أحمد (٥٣٦٥)، (٥٧٤٣)، وأبو داود (٥١٠٩)، والنسائي (٢٥٦٧) وصححه ابن حبان (٣٤٠٨)، والحاكم (١٥٠٢)، (٢٣٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٥٤) من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

بالله فقال: «أعطني مالك»، أو «أعطني سيارتك»، أو بيتك! لم يلزم إعطاءه، كذلك مَن استعاذ يجب أن تكون الاستعاذة ممكنة شرعًا؛ فلا يستعيذ بالله ليتخلص من واجب عليه، أو من أداء حق عليه، لله أو لآدمي؛ بل الاستعاذة بالله على هذا الوجه فيه تعدي في حق الله[١].

قوله: («مَن سأل بالله؛ فأعطوه»): تقدم بيان محل ذلك.

وقوله: («ومَن استعاذ بالله؛ فأعيذوه»): تقدم بيان متى يكون ذلك.

وقوله: («ومَن صنع إليكم معروفًا فكافئوه»): هذا من شكر الجميل؛ فمن أهدى إليك تهدي إليه، وكل بحسبه؛ فيمكن أن تكون الصنيعة مالًا، أو نوع خدمة، أو نوع معروف في وجه من وجوه البر والخير، وبالمكافأة يحصل تكافؤ بين الطرفين، وفيه مقابلة الجميل بالجميل، وبهذا ترتفع المنة، ويخلص القلب من التعلق بغير الله، والذل له؛ فإنَّ في منة الغير ذلة لمن كانت عليه؛ كما قيل: «احتج إلى مَن شئت تكن أسيره»[٢].

وبهذا تظهر مناسبة الإرشاد إلى المكافأة وعلاقته بتحقيق التوحيد.

وقوله: («فإن لم تجدوا ما تكافئونه»): يعني: لم تجدوا ما تكافئونه به مما يناسب الحال والشخص، وهذا يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص.

(١) وشيخ الإسلام جعل لها ضابطًا: أن يكون السائل لمعين وليس لكل الناس، قال ابن مفلح: «وقال شيخنا: إنما يجب على معين، فلا تجب إجابة سائل يقسم على الناس» الفروع (١٠/ ٤٤٠).

(٢) نُسب لعلي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. ينظر: الآداب لابن شمس الخلافة (ص٩٥).

وقوله: («فادعوا له»): هذا سهل ميسور، فيدعو له، ويقول: «جزاك الله خيرًا، اللهم كافئه عن حقه»، أو «اللهم ضاعف له الأجر»، أو «اللهم اخلف عليه خيرًا»... إلخ.

وقوله: **(«حتى تروا أنكم قد كافأتموه»):** يعني: دوموا على الدعاء له حتى تظنوا أنكم قد كافأتموه؛ فترك المكافأة نقص وتقصير، ومقابلة الإحسان بالإساءة كفر بالجميل، وجحد للإحسان، وهذا كما جاء في شأن النساء: «**يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئًا، قالت: ما رأيت منك خيرًا قط**»[(١)]. فشكر الجميل مطلوب شرعًا من الرجال والنساء؛ حتى من الرجل لامرأته، ومن المرأة لزوجها؛ فلا يظن الرجل أنَّ هذا بالنسبة للمرأة؛ بل حتى هو عليه أن يشكر جميلها وسيرتها الحميدة.

(فيه مسائل:

الأولى: إعاذة مَن استعاذ بالله).

هذا صريح من نص الحديث: «**ومَن استعاذ بالله؛ فأعيذوه**»: يعني: مشروعية إعاذة مَن استعاذ بالله، أو وجوب إعاذة مَن استعاذ بالله.

(الثانية: إعطاء مَن سأل بالله).

هذا من جنس المسألة السابقة، مأخوذ من قوله: «**مَن سأل بالله فأعطوه**».

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٥٢) -واللفظ له-، ومسلم (٩٠٧) من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(الثالثة: إجابة الدعوة).

هذه مأخوذة من قوله: «**ومَن دعاكم فأجيبوه**»: وإجابة الدعوة من حق المسلم على المسلم، لكن بشروط:

أولًا: ألا يكون المدعو مشغولًا بقضاء حاجة من حاجاته الضرورية؛ فعلى صاحب الدعوة أن يعذره -والحالة هذه-؛ فإن عذره سقط الوجوب؛ لأنه أسقط حقه.

ثانيًا: ألا تكون الدعوة عن طريق المجاملة؛ أي: لا عن رغبة، فكثير من الدعوات تكون عن مجاملة، ولهذا فرَّق العلماء بين الدعوة العامة والشخصية، وهما: دعوة الجفلى والنقرى[1].

ثالثًا: ألا تشتمل الدعوة على حضور مناسبة فيها منكرات ولا يستطيع المدعو الإنكار، فلا يجب الحضور؛ بل يحرم عليه الحضور في هذه الحالة.

فإذا توفرت هذه الشروط وانتفت هذه الموانع؛ فالإجابة مما تقوي الصلات بين المسلمين؛ لأنها من حق المسلم على المسلم.

وينبغي أن يفرق بين دعوة المسلم السني، والكافر الذمي، والمبتدع؛ كالرافضي، فأما المسلم فتجب إجابته، وأما غيره فإن كان في الإجابة مصلحة شرعية استحبت إجابته، ولا تجب لأنه لا حق للكافر على المسلم، ولا للرافضي على السني[2].

(١) ينظر: المغني (١٠/ ١٩١)، (١٠/ ١٩٤).

(٢) ينظر: المغني (١٠/ ١٩٥)، والفروع (٨/ ٣٦٠).

(الرابعة: المكافأة على الصنيعة).

أخذًا من قوله: «**ومَن صنع إليكم معروفًا فكافئوه**»: والصنيعة هي المعروف.

(الخامسة: أنَّ الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه).

الدعاء لصانع المعروف يقوم مقام المكافأة بالمال وما في حكمه عند تعذرها.

(السادسة: قوله: «حتى تروا أنكم قد كافأتموه»).

«**تروا**»: يحتمل أنها بفتح التاء بمعنى: تعلموا، ويحتمل أن تكون بضم التاء بمعنى تظنوا[(١)].

◆◈◈◈◆

(١) ينظر: مرقاة المفاتيح (٤/ ١٣٥٥).

(٥٦)

باب: لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة» رواه أبو داود(١).

الشرح

هذه الترجمة مأخوذة من نص الحديث ولفظه، ولا: نافية وهو نفي بمعنى النهي؛ فمعنى الحديث:

لا يسأل أحد ربه حاجة من حوائج الدنيا والآخرة متوسلًا بوجهه تعالى فلا يقل: أسألك بوجهك زوجة صالحة، أو ذرية صالحة، فضلًا أن يسأل بوجه الله مالًا أو وظيفة، وكذلك لا يقل أسألك يا الله بوجهك أن تغفر لي، أو تعينني على طاعتك؛ فالمقصود: ألا يسأل الله بوجهه إلا الجنة؛ فيقول: أسألك بوجهك أن تدخلني الجنة، أو تسكني الجنة، أو

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧١)، وابن منده في الرد على الجهمية (ص٥٣)، والبيهقي في السنن (٧٩٦٦) وضعفه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (٥/ ٥١٩)، والمنذري في مختصر سنن أبي داود (١/ ٤٨٩). وللحديث شاهد من حديث أبي موسى الأشعري: «**ملعونٌ من سأل بوجهِ اللهِ، وملعونٌ من يسألُ بوجهِ اللهِ ثم منع سائلَه؛ ما لم يسألْه هجرًا**» وشاهد آخر عن أبي عبيدة مولى رفاعة بن رافع. ينظر: المقاصد الحسنة (١٣٢٣)، والصحيحة (٢٢٩٠).

تنزلني الفردوس الأعلى من الجنة، والفرق بين هذا الباب والباب الذي قبله؛ من وجهين(١):

أحدهما: أنَّ الخطاب في حديث الباب الأول للمسؤول، والسائل يسأل مخلوقًا مثله، وفي هذا الباب الخطاب للسائل، والمسؤول هو الله، فلا يسأله شيئًا متوسلًا بوجهه إلا الجنة؛ كما تقدم، فإذا كان الله لا يُسأل بوجهه إلا الجنة، فمن باب أولى ألا يُسأل المخلوق بوجه الله مطلقًا.

الثاني: أنَّ السؤال في الحديث الأول من مخلوق لمخلوق، والسؤال في الحديث الثاني من العبد لربه، فلا يسأل العبد ربه شيئًا متوسلًا بوجهه إلا الجنة، وما يستلزم دخول الجنة؛ كالاستعاذة بوجه الله من غضبه وعذابه؛ كما جاء عن النبي ﷺ أنه لما نزل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال: «**أعوذ بوجهك**»، قال: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام:٦٥]، قال: «**أعوذ بوجهك**». رواه البخاري(٢)، ونظيره ما روي في دعاء النبي ﷺ عند مرجعه من الطائف: «**أعوذ بنور وجهك، الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة: أن تُنزل بي غضبك، أو تُحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك**»(٣).

---

(١) ينظر: القول السديد للسعدي (ص١٦٨).

(٢) برقم (٧٣١٣) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه الطبراني (١٣/ ٧٣ رقم ١٨١)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (١٨٣٩)، والضياء في المختارة (١٦٢) عن عبد الله بن جعفر. وأخرجه ابن هشام في السيرة (١/ ٤١٩-٤٢٠) عن محمد بن كعب القرظي مرسلًا. قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٣٥): «وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات». وضعفه الألباني في الضعيفة (٢٩٣٣).

(فيه مسائل:

الأولى: النهي عن أن يُسأل بوجه الله إلا غاية المطالب).

كالفوز بالجنة والنجاة من النار، وما إلى ذلك.

(الثانية: إثبات صفة الوجه).

صفة الوجه -ولله الحمد- أدلتها في الكتاب والسنة لا تحصى، وفي ذلك أبلغ الرد على المعطلة من الجهمية، ومَن تبعهم[1].

◆◇◈◇◆

(١) ينظر: النقض على المريسي (٢/ ٧٠٣)، والتوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٤).

(٥٧)

باب ما جاء في «لو»[(١)]

وقول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤] الآية.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٦٨].

في «الصحيح» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء؛ فلا تقل: لو أني فعلت كذا[(٢)]، لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ فإن «لو» تفتح عمل الشيطان»[(٣)].

الشَّرْح

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: (باب ما جاء في اللو): يعني: ما جاء من النهي عن كلمة «لو»، والأفضل في التعبير ترك أداة التعريف مع الحرف فينطق به بلفظه؛ فيقال: ما جاء في «لو»، وإدخال «ال» عليها لا وجه له، وما أُثبت في أكثر النسخ خلاف الصواب.

(١) في بعض النسخ: (اللَّو) بـ(ال) التعريف، ورجح شيخنا المثبت وهو في بعض النسخ كما سيأتي في الشرح.

(٢) قال شيخنا: «تثبت هذه اللفظة؛ فإثباتها أجود من ناحية الدلالة»، وهي مثبتة في بعض النسخ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

و(**لو**): هي في اللغة العربية حرف من حروف المعاني، وأداة من أدوات الشرط، وتدل على امتناع شيء لامتناع غيره، مثل قولك: لو جاء فلان لأكرمته؛ فتخلف الإكرام لعدم حضوره، ولو أطاع العبد ربه لأثابه، فـ (لو) حرف امتناع لامتناع.

وهي تأتي على وجهين(١):

الوجه الأول: وجه الندم والتحسر فيما ليس من فعل الإنسان؛ فيتضمن ذلك الرجم بالغيب بالظن والتخرص، وقد ذم الله أولئك الذين يدعون ترتب أمر على أمر؛ بمجرد ظنهم وخرصهم فـ: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا﴾: فيزعمون أنه لو كان لهم من الأمر شيء؛ لنجوا من القتل! فرد الله عليهم بقوله: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ﴾، فمن كُتب عليه القتل فلا بد أن يُقتل، سواء كان له من الأمر شيء، أو ليس له من الأمر شيء؛ فالأمر كله لله.

وقولهم: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا﴾: هذا رجم بالغيب؛ لأنهم ادعوا أن لو كان لهم من الأمر شيء ما قُتلوا، وهذا باطل؛ فقد يُقتل مَن له تدبير وأمر، وقد لا يقتل مَن ليس له من الأمر شيء.

وهكذا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٥٦]: أي: سافروا، ﴿أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى﴾: يعني: غزاة، ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾: وهذا باطل أيضًا؛ فقد يموتون أو يتعرضون للقتل، وإن لم يسافروا أو يغزوا: ﴿لِيَجْعَلَ

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٤٧)، وفتح الباري (١٣/ ٢٢٨).

ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾: يعني: هذا التصور والاعتقاد يكون حسرة؛ لأنهم يتحسرون ويتمنون أنهم ما خرجوا وما غزوا ولا سافروا؛ لأنهم اعتقدوا أنهم لو لم يخرجوا لنجوا وسلموا، وليس كذلك.

وهكذا قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٨]: لا تخرجوا للغزو، ﴿وَقَعَدُواْ﴾، فجمعوا بين التثبيط والقعود والتحسر والكذب، ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾: يقولون: لو أطاعونا، وقعدوا معنا، ولم يخرجوا، ما قتلوا، قال الله في الرد عليهم: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾: أنتم أيها القاعدون: ردوا الموت عن أنفسكم، ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٦٨﴾، فمن حضر أجله مات، ومَن كُتب عليه القتل في خروجه فلا بد أن يخرج ليقتل؛ كما قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

فالإتيان بـ «لو» على هذا الوجه: من التحسر والحكم على الغيب ظنًا وخرصًا، حرام، وهي من عبارات أهل الجهل بالله، والغفلة عن أحكامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الوجه الثاني: أن يكون «لو» ترتيبي، وهو من فعل الإنسان؛ كما جاء في الحديث أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت، ولولا أنَّ معي الهدي لحللت**»(١).

فالرسول ﷺ يخبر عن نفسه: لو بدا له هذا الأمر الذي حصل، لفعل كذا وكذا، كما تقول: لو علمت أنَّ فلانًا يحضر عندكم لحضرت؛ فهو

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٣٠) -واللفظ له-، ومسلم (١٢١٨)، (١٢١٦-١٤١) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

يخبر عن نفسه أنَّ هذه نيته، ولا يخبر عن أمر غيبي، وهكذا لو قال: لو زرتنا لأكرمناك؛ فهو إخبار عما هو عازم عليه لو حصل سببه.

فإن جاءت «لو» لترتيب ما ليس من فعل الإنسان؛ بل ما هو خارج عن قدرته وإرادته، على فعل له، كان هذا هو المنهي عنه، مثل ما جاء في هذه الآيات: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران: ١٦٨]؛ فالطاعة فعلهم، وأما وقوع القتل عليهم فهذا غيب وخارج عن إرادتهم، خلافًا لقول القائل: لو زرتنا لأكرمناك؛ فهو يخبر عن نفسه، فإذا كان السبب والمسبب كلاهما من فعل الإنسان، جاز؛ لأنه حينئذ يخبر عما سيفعله، كما تقول: لو كان لي مال لغزوت به، ولو كان لي مال لتصدقت، ولفعلت وفعلت؛ فيخبر عن نيته وعزيمته؛ كما جاء في حديث: «**إنما الدنيا لأربعة نفر**»[(١)].

وذكر الشيخ الآيات، وقد تقدم التعليق عليها، وذكر هذا الحديث:

(«احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء؛ فلا تقل: لو أني فعلت كذا، لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ فإنَّ «لو» تفتح عمل الشيطان»)؛ فتضمن هذا الحديث وصية جامعة من جوامع كلمه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

(١) أخرجه أحمد (١٨٠٣١)، والترمذي (٢٣٢٥) وصححه، وابن ماجه (٤٢٢٨) من حديث أبي كبشة الأنماري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ مرفوعًا، وفيه -واللفظ للترمذي-: «**وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالًا، فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالًا لعملت بعمل فلان؛ فهو بنيته فأجرهما سواء**».

فقوله: («احرص على ما ينفعك»): أي: اطلب كل ما ينفعك بحرص، وأنفع ما يكون للعبد ما به صلاح دنياه وآخرته، فاحرص على ما ينفعك في أمر دينك، وما ينفعك في الآخرة، وما يعينك على ذلك؛ فالحرص من قِبل العبد يكون بالاجتهاد وفعل الأسباب المشروعة، وهذه المنافع منها: ما طلبه واجب، ومنها: ما طلبه مستحب، والحكمة تقدير الأمور بقدرها؛ فالحرص على فعل الواجب آكد وأوجب من الحرص على فعل المستحب.

وقوله: («واستعن بالله»): أي: اطلب العون من الله في حصول ما تطلبه من المنافع.

(«ولا تعجزن»): والعجز ضد الحرص، وهو التفريط في الأسباب الموصلة للمطلوب، فترك الأسباب عجز، والمراد بهذا العجز: العجز الاختياري، وهو أشبه ما يكون بالكسل، وهو: ضعف الإرادة، أما العجز القهري الذي لا تتعلق به إرادته؛ فلا يتعلق به النهي، وفي الحديث: **«الكيّس مَن دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز مَن أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله»**[1].

وإذا قُرن في الذكر بين العجز والكسل؛ فالمراد بالعجز: ضعف القدرة أو عدمها، وأما الكسل؛ فهو ضعف الإرادة، وهو مذموم على كل

---

(١) أخرجه أحمد (١٧١٢٣)، والترمذي (٢٤٥٩) وحسنه، وابن ماجه (٤٢٦٠) عن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الحاكم في مستدركه (١٩١): «صحيح على شرط البخاري»، وتعقبه الذهبي بأن في سنده أبا بكر بن أبي مريم، وهو واه، وضعفه الألباني في الضعيفة (٥٣١٩).

حال[١]، وقد استعاذ النبي ﷺ منهما[٢] لأن كلًّا منهما تفوت به منافع، وتحصل به مضار.

فإن أصابك شيء مع فعلك للأسباب وسعيك فيما ينفعك؛ فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، لكان كذا وكذا، فإذا سافرت مثلًا، خذ بأسباب السلامة، وسل ربك السلامة، وإن أصابك شيء؛ فلا تقل: لو أني ما سافرت ما حصل علي كذا وكذا، فهذا حكم على الغيب، وقد تفعل هذا الأمر ولا يحصل المطلوب؛ لأنَّ هذا السبب ليست نتيجته حتمية؛ فقد يأخذ الإنسان بأسباب ولا تتحقق النتائج؛ فعلى المرء أن يسعى إلى الخير جهده، وليس عليه أن تتم المقاصد.

فإذا فعل الإنسان الأسباب المشروعة، وحصل له خلاف ما يتوقع وخلاف المطلوب؛ فلا يدعي ويقول: «لو أني فعلت السبب الفلاني لحصل هذا الأمر»، ولكن ليقل: «**قدر الله وما شاء فعل؛ فإنَّ «لو» تفتح عمل الشيطان**»، يعني: الظنون الكاذبة، وتتضمن الحسرة والتحسر، وكم من إنسان تعرض لأخطار ونجا! وكم من إنسان لم يتعرض لأخطار وهلك!

فهناك أسباب متنوعة، فإن كان السبب حتميًا، قدريًّا أو شرعيًّا، فإنه يجوز أن تقول: لو كان كذا لكان كذا، في الأسباب الحتمية، كأن تقول: لو آمن دخل الجنة ونجا من النار؛ فالإيمان سبب قطعي لدخول الجنة، وهذا سبب شرعي كوني معلوم بالشرع، ولو أشرك ومات على ذلك دخل النار، وتقول: فلان لو لم يتزوج لما رزق بأولاد؛ لأنَّ عدم الزواج سبب حتمي لعدم الأولاد.

(١) ينظر: زاد المعاد (٢/ ٣٦١).
(٢) أخرجه البخاري (٢٨٢٣)، ومسلم (٢٧٠٦) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقوله: («احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن»): وصيتان جامعتان؛ فالأمر بالحرص على المنافع إرشاد إلى فعل الأسباب، وأعظم الأسباب هي الأعمال الصالحة؛ ثم مع فعل الأسباب يجب التوكل على الله، ولهذا قال: «**واستعن بالله**»، وفي هذا تحقيق قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾؛ فإذا استشعر العبد أنَّ حصول مطالبه إنما تكون بمشيئة الله وتقديره: اعتمد عليه، وفوض أمره إليه، واستعان به.

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين في «آل عمران»).

وهما قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٦٨]، وتقدم تفسيرهما.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٥٦]، وهذه الدعوى من الخرص الذي أصله القول على الله بغير علم، والجهل به وبحكمته في تدبيره؛ فالموت يأتي للحاضر والمسافر، والقاعد والغازي.

(الثانية: النهي الصريح عن قول: «لو»(١) إذا أصابك شيء).

يريد الشيخ قوله ﷺ: «**وإن أصابك شيء؛ فلا تقل: لو أني فعلت كذا، لكان كذا وكذا**».

---

(١) في نسخة دغش: (لو [أنّي])، وقال شيخنا: «الصواب حذف (أنّي)».

(الثالثة: تعليل المسألة بأنَّ ذلك يفتح عمل الشيطان).

يشير إلى قوله ﷺ: «**فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان**»، وذلك بما يحصل من التحسر، وسوء الظن، والقول بغير علم.

(الرابعة: الإرشاد إلى الكلام الحسن).

وهو قول: قدَرُ اللهِ وما شاء فعل، فهذا هو البديل عما نهي عنه، وهو يتضمن الإيمان بالله وبقدره والتسليم لحكمه.

(الخامسة: الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله).

يدل لذلك قوله في أول الحديث: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله**»: أي: اجتهد في طلب ما ينفعك، ولا تعتمد على الأسباب؛ بل استعن بربك وتوكل عليه.

(السادسة: النهي عن ضد ذلك وهو العجز).

لقوله: «**ولا تعجزن**»، والمراد: العجز الذي للإنسان فيه كسب، وهو الكسل، وليس العجز الاضطراري الذي ليس للإنسان فيه حيلة، وهو عدم الاستطاعة كما تقدم.

ومما تقدم يُعلم أنَّ مقصود هذا الباب: هو الإيمان بالقدر، والتوكل على الله، والاستعانة به، مع فعل الأسباب من غير اعتماد عليها، وهو متضمن لتوحيد الربوبية، وتوحيد العبادة.

(٥٨)

باب النهي عن سب الريح

عن أُبي بن كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا الريح؛ فإذا رأيتم ما تكرهون؛ فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أُمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أُمرت به»[1] صححه الترمذي.

الشرح

يقول الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ: (باب النهي عن سب الريح): وسبها يكون بتقبيحها ونسبة الهلاك إليها؛ -كما تقدم في سب الدهر-[2] وهذا الباب يشبه باب: «من سب الدهر فقد آذى الله».

والريح مأمورة مدبَّرة يرسلها الله بما شاء من الرحمة والعذاب، ويرسلها لَواقح ومبشرات، كل هذا ورد في آيات القرآن، وإذا كانت الريح مأمورة؛ فإنَّ سبها سب لمن أرسلها وهو الله، إذن؛ فمن سبها فقد آذى الله كما تقدم فيمن سب الدهر.

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٢١١٣٨)، (٢١١٣٩)، والترمذي (٢٢٥٢)، والنسائي في الكبرى (١٠٧٠٤)، وصححه الترمذي، والحاكم (٣٠٧٥). وينظر: الصحيحة (٢٧٥٦).

(٢) تنظر: (ص٦٢٨).

وإذا رأى الإنسان من الريح ما يكره؛ فينبغي عليه أن يدعو بهذا الدعاء الذي أرشد إليه النبي ﷺ.

وإذا امتثل العبد هذا الإرشاد النبوي وانتهى عن السب؛ فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعطيه الخير ويكفيه شرها، وقد تكون رحمة على قوم وعذابًا على آخرين.

وقد جاء في معاني القرآن ما يدل على أنَّ الريح إذا وردت في القرآن بلفظ الإفراد فإنها تدل على العذاب، وإذا وردت بلفظ الجمع دلت على الخير والرحمة، وهذا على سبيل الغالب[(١)]؛ كما قال تعالى في شأن عاد: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [فصلت: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٥٧﴾ [الأعراف]؛ ويشهد لهذا ما روي عن ابن عباس مرفوعًا: «**اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابًا، اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا**»[(٢)].

والله تعالى ذكر من آياته: تصريف الرياح؛ فيصرفها شمال وجنوب، وشرق وغرب، وبين ذلك، وباردة وسمومًا، وعاصفة، ورخاء[(٣)]، وهذا كله من تصريف الله؛ فسبحان الذي يصرف الرياح ويرسلها بما شاء!

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (٤/ ١٢٩٤-١٢٩٦).

(٢) أخرجه الشافعي في مسنده (٥٣٧)، وأبو يعلى (٢٤٥٦)، والطبراني في الكبير (١١٥٣٣)، وقال الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢/ ٣٧٩): «فكان ما حكاه أبو عبيد من هذا عن رسول الله ﷺ مما لا أصل له، وقد كان الأولى به لجلالة قدره ولصدقه في روايته غير هذا الحديث أن لا يضيف إلى رسول الله ﷺ ما لا يعرفه أهل العلم بالحديث عنه»، وضعفه الألباني في الضعيفة (٤٢١٧)، (٥٦٠٠).

(٣) الرُّخاء: الريح اللينة. ينظر: لسان العرب (١٤/ ٣١٥).

(فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سب الريح).

هذا من صريح الحديث.

(الثانية: الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره).

الكلام النافع هو الدعاء الذي أرشد إليه النبي ﷺ.

(الثالثة: الإرشاد إلى أنها مأمورة).

وهذا من قوله: «**ما أُمرت به**»، في الخير والشر.

(الرابعة: أنها قد تؤمر بخير، وقد تؤمر بشر).

هذا صريح من الحديث، وهذا ظاهر في القرآن: تؤمر بنشر السحاب، وتبشر بالغيث، وتُرسل لواقح، وتؤمر بالشر والتدمير، كما قال تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [الذاريات].

(٥٩)

باب قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] الآية.

وقوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ [الفتح: ٦] الآية.

قال ابن القيم في الآية الأولى: فُسِّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأنَّ أمره سيضمحل، وفسر بظنهم أنَّ ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته؛ ففسر: بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره على الدين كله، وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في «سورة الفتح».

وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق.

فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد؛ بل زعم أنَّ ذلك لمشيئة مجردة؛ فـ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧﴾ [ص].

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا مَن عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجب حكمته وحمده.

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله، وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء.

ولو فتشت مَن فتشت لرأيت عنده تعنتًا على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا؛ فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم؟

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة

وإلا فإني لا إخالك ناجيًا[(١)][(٢)].

الشَّرْح

يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (باب قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤])، هذا وصف الطائفة التي أهمتهم أنفسهم، ما أهمهم نصر الدين؛ لأنهم منافقون؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡ﴾، وهي طائفة المؤمنين الصادقين: ﴿وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَا﴾، وهؤلاء هم المنافقون.

وقال سبحانه: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ۝٦﴾ [الفتح]، هذا وعيد شديد توعد الله به المنافقين

---

(١) البيت للأسود بن سريع التميمي. ينظر: البيان والتبيين (١/ ٣٦٧)، والمعارف (ص٥٥٧).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٢٢٨-٢٣٥) وقد ساقه المصنف مختصرًا.

والمشركين بظنهم بالله ظن السوء؛ وهو ظن أهل الجاهلية بالله وبأمره وقدره وحكمته، وظن ما لا يليق به سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في أسمائه وصفاته وأفعاله، وأقداره وشرعه.

ومناسبة هذا الباب لـ «كتاب التوحيد» ظاهرة؛ فإنَّ ظن السوء بالله من أعظم ما ينافي التوحيد، فمنه: ما ينافي أصل التوحيد، ومنه: ما ينافي كماله الواجب، فظن السوء منه ما هو كفر، ومنه ما هو جهل بالله، وبما يستحقه من التعظيم.

ثم ذكر الشيخ كلام ابن القيم، وهو مختصر من كلام مطول في «زاد المعاد»، في قصة غزوة أحد، فإنه تكلم كلامًا طويلًا تضمن أقوال المفسرين في ظن السوء، وظن الجاهلية، وأتى بما يزيده وضوحًا، وأنَّ أكثر الناس واقع في شيء منه، وذلك في قوله: (**ولو فتشت مَن فتشت، لرأيت عنده تعنتًا على القدر وملامة له...) إلى آخره.**

(قال ابن القيم في الآية الأولى: «فُسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأنَّ أمره سيضمحل، وفسر بأنَّ ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته؛ ففسر: بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله وأن يظهره على الدين كله»).

يقول: إنَّ ظن السوء، أو الظن بالله ظن الجاهلية فسر بثلاثة أمور[1]:

الأول: بأنَّ الله لا يتم أمر رسوله، ولا يظهر دينه على الدين كله، وهذا ظن لا يليق به سبحانه؛ فإنَّ الله: ﴿أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ

(١) ينظر: زاد المسير (١/ ٣٣٧).

﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الفتح: ٢٨]، ووعد رسوله بالنصر: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، وقال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠]، وهو الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومَن سار على هديه وسنته في الأخذ بأسباب النصر.

التفسير الثاني: فسر بإنكار القدر، أي: أنَّ ما وقع على المسلمين في غزوة أحد من الهزيمة والقتل والجراح ليس بقضاء الله وقدره، وهذه الآية جاءت في قصة أحد في سورة آل عمران، وتضمنت فصولًا من وقعة أحد، وقد جرى للمسلمين فيها ما جرى، فمن ظن السوء بالله وظن الجاهلية وظن غير الحق: إنكار أن يكون ما جرى بقضاء الله وقدره؛ لأنه يتضمن أن يكون في ملكه سبحانه ما لا يريد، مع أنَّ كل ما يكون في ملكه فهو بإرادته سبحانه.

التفسير الثالث: فسر بنفي الحكمة، وأنه ليس هناك إلا محض المشيئة؛ فليس ثم حكمة لله في أقداره الجارية، وكل ذلك من ظن السوء وظن الجاهلية؛ لأنَّ ذلك كله ظن ما لا يليق به سبحانه.

وذكر ابن القيم(١) أنَّ كل مَن نسب إلى الله ما لا يليق به؛ كنفي الأسماء والصفات، وهو قول الجهمية المعطلة، أو أضاف إليه ما لا يليق به من الأسماء والأوصاف والأفعال؛ كما قالت المشبهة؛ فقد ظن به ظن السوء:

---

(١) في تتمة كلامه، وقد ساقه المصنف مختصرًا.

- فالذين نفوا أسماء الله تعالى وصفاته؛ كالجهمية، فقد ظنوا بربهم أسوأ الظن، حيث نفوا عنه أسماءه الحسنى وصفاته العليا.

- ومَن شبهوه بخلقه فقد ظنوا به ظن السوء؛ حيث مثلوه بخلقه وهو سبحانه ليس كمثله شيء.

- ومَن قال: إنَّ أفعال العباد ليست مخلوقة ولا بقدر الله ومشيئته؛ بل بمحض مشيئة العبد وقدرته، فقد ظنَّ بالله ظنَّ السوء؛ لأنَّ هذا تعجيز للرب، ونفي لكمال ملكه، وكمال قدرته، وكمال خلقه، وعموم خلقه، وعموم مشيئته.

- ومَن قال: إنَّ أفعال الرب تعالى، وكل ما يخلقه، وكل ما يجري في هذا الوجود، ما هو إلا بمحض المشيئة، ليس في ذلك شيء من الحكمة، فقد ظن به ظن السوء؛ حيث نسبه تعالى للعبث واللعب والله تعالى يقول: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ١٦﴾ [الأنبياء]، وقال: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧﴾ [ص].

فكل فرقة من المشركين والمنافقين هم أعظم مَن يظن بالله ظن السوء، ثم يأتي من بعدهم مَن شابههم في أمر من الأمور، من الطوائف والفِرَق؛ فكل مَن ظن بالله ما لا يليق به؛ فقد ظن به ظن السوء، وظن الجاهلية.

ويقول ابن القيم: (**وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم**): أي: إنَّ ظن السوء بالله يكثر عند كثير من

الناس، من حيث يشعرون أو لا يشعرون؛ فإذا أصيب في نفسه أو ماله أو ولده، صار يشكو ربه إلى خلقه ساخطًا لقضائه معترضًا على قدره، متمردًا على ربه، وظن بالله ظن السوء!

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا يسلم من ذلك إلا مَن عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجِب حكمته وحمده)**: أي: لا يسلم من ظن السوء بربه إلا مَن عرف الله بأسمائه وصفاته وحكمته، وعرف موجب حكمته وحمده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهذا يسلم؛ لأنه يعرف ربه، ويؤمن بأنه تعالى حكَم عدل، وأنه سبحانه على كل شيء قدير، وأنَّ له الحكمة البالغة في كل ما يجري من أقداره، من صغير وكبير.

وقوله: **(ولو فتشت مَن فتشت)**: يعني: عن أحوال الناس وأفهامهم وأفكارهم.

(لرأيت عنده تعنتًا على القدر وملامة له): أي: اعتراضات، وهذا يرجع إلى الطعن في الحكمة: **(وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا)**: أي: يأتي التعنت على القدر في شأن بعض المخلوقات، لماذا خلق الله كذا؟ وأي فائدة في خلق كذا!

وتارة على الحوادث والوقائع؛ فيسيء الظن بحكمة الله، فمن الناس -مثلًا- مَن يرى: ما فُتِح للكفار من حضارة، ومن تقدم مادي، والمسلمون متخلفون؛ أنَّ ذلك خلاف الحكمة فيعترض على أمر الله وحكمته وإرادته، ويقول: كان المفروض خلاف ذلك! وأن تكون القوة في أيدي المسلمين، وهذه الحضارة في ديار المسلمين، ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]،

فهذه حكمته العامة: الابتلاء، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٥٣].

ويجري مثل هذا الاعتراض حتى في أشياء جزئية غير كبيرة عند الناس؛ فإذا رأوا -مثلًا- رجلًا متدينًا مبتلى بفقر أو مرض، يشكون في حكمة الله ويعترضون! وعكس ذلك إذا رأوا كافرًا أو عاصيًا مبتلى بوفرة المال والجاه، يعترضون ويشكون في حكمةِ الله! وكل هذا من ظن السوء وظن الجاهلية، وأصحاب هذه المقالات يجعلون عقولهم حَكمًا يحكمونها في تدبير الله، شعروا أو لم يشعروا، والله حكيم عليم يبتلي العباد بالخير والشر، فكل ذلك راجع إلى علمه وحكمته وعدله ورحمته.

والابتلاء بالخير ليس دليلًا على كرم العبد عند الله، كما أنَّ الابتلاء بالشر ليس دليلًا على هوانه عند ربه، يقول الله في الكفار والمنافقين: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾ [التوبة: ٥٥]، فهي وبال عليهم، ولا تدل على أنَّ هذه الأمم الكافرة العاتية هم أفضل عند الله، أو أنَّ الله راض عنهم؛ بل هذا مكر من الله بهم؛ فهم يعيشون حياة المكر والاستدراج ولا يشعرون، ولم يُعطوا هذه القوة والحضارة إلا مكرًا بهم واستدراجًا لهم؛ ليزدادوا بها غرورًا وكبرًا وطغيانًا وتسلطًا؛ ليتضاعف لهم العذاب والشقاء.

وبعض مَن في قلبه مرض من المنتسبين للإسلام تبهرهم حضارة الكفار، وينظرون إلى تلك الأمم نظرة الإعجاب والإفضال والتمني، وهذا من ضعف الإيمان بالله تعالى، وإلا فالتقدم الحق هو بتحقيق العبودية لله، وتحقيق الطاعة لله، وإقامة شرع الله؛ فالمسلمون أُوتوا

من تفريطهم بحق الله؛ فلو قاموا بواجبهم -حكومات وشعوبًا- ما ضرهم ما فاتهم من حضارة، لكنهم أضاعوا أمر الله؛ فكانوا دون الأمم في القوة والعلوم المادية.

يقول ابن القيم في ختام كلامه: **(وفتش نفسك هل أنت سالم؟)**: أي: على كل واحد أن يفتش نفسه، هل هو سالم من هذه الخواطر، والظنون؟

(فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة): يعني: تنجو من بلية عظيمة.

(وإلا فإني لا إخالك ناجيًا): أي: لا أظنك؛ باعتبار ما هو الغالب على النفوس.

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية «آل عمران»).

وتقدم في كلام ابن القيم.

(الثانية: تفسير آية «الفتح»).

وهي قريبة في المعنى من آية آل عمران؛ وكلها تتضمن ظن الجاهلية وظن السوء بالله، تعالى الله عما يظن الجاهلون الظالمون علوًّا كبيرًا!

(الثالثة: الإخبار بأنَّ ذلك أنواع لا تُحصر).

هذا مستفاد من كلام ابن القيم، وهو أنَّ ظن السوء بالله وظن الجاهلية أنواع كثيرة كما تقدم الإشارة إلى شيء من ذلك، وكلام ابن القيم في «زاد المعاد» مبسوط، والذي ذكره الشيخ هنا مختصر منه.

(الرابعة: أنه لا يسلم من ذلك إلا مَن عرف الأسماء والصفات، وعرف نفسه).

هذا أيضًا مستفاد من قول ابن القيم أنه لا يسلم من الوقوع في شيء من ظن السوء وظن الجاهلية إلا مَن عرف أسماء الله وصفاته وحكمته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وعرف نفسه أيضًا بأنه عبد قاصر ضعيف مربوب، عليه أن يسلم لله في تدبيره وأمره.

(٦٠)

باب ما جاء في منكري القدر

وقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أُحد ذهبًا، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه، حتى يؤمن بالقدر»، ثم استدل بقول النبي ﷺ:

«الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» رواه مسلم[(١)].

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، فقال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»، يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن مات على غير هذا فليس مني»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠) من طريقه البيهقي (٢٠٩١٤) والضياء في المختارة (٣٣٦). وأخرجه من طريق آخر مطولاً ومختصرًا: الطيالسي (٥٧٨)، وابن الجعد (٣٤٤٤)، والترمذي (٢١٥٥)، (٣٣١٩) وابن أبي عاصم في السنة (١٠٥)، والبزار (٢٦٨٧) وقال ابن حجر في النكت الظراف (٤/ ٢٦١ رقم ٥١١٩) عن إسناد البزار: «وجاء عن علي بن المديني أنه قال: إسناد حسن». وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٣) (٢٤٣٩)، وفي تخريج السنة (١/ ٤٨-٥٢).

وفي رواية لأحمد[١]: «إنَّ أول ما خلق الله تعالى القلم، ثم قال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة».

وفي رواية لابن وهب[٢] قال رسول الله ﷺ: «فمن لم يؤمن بالقدر، خيره وشره، أحرقه الله بالنار»[٣].

وفي «المسند» و«السنن» عن ابن الديلمي؛ قال: «أتيت أبي بن كعب فقلت: في نفسي شيء من القدر؛ فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي؛ فقال: لو أنفقت مثل أُحد ذهبًا ما قَبِلَه الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار، قال: فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ» حديث صحيح رواه الحاكم في «صحيحه»[٤].

---

(١) برقم (٢٢٧٠٥).

(٢) هو عبد الله بن وهب بن مسلم الإمام الحافظ، ولد سنة (١٢٥هـ) روى عن: ابن جريج، ومالك، وروى عنه: الليث بن سعد - شيخه - وعبد الرحمن بن مهدي، له مصنفات منها: «الجامع»، و«الموطأ»، وتوفي سنة (١٩٧هـ). ينظر: ترتيب المدارك (٣/ ٢٢٨)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٢٢٣).

(٣) أخرجه ابن وهب في القدر (٢٦).

(٤) أخرجه أحمد (٢١٦٥٣) وأبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧) وصححه ابن حبان (٧٢٧)، والألباني في تخريج السنة (٢٤٥). ولم نجده عند الحاكم بهذا السياق كما قال المصنف، وهو برقم (٨٣) بسياق آخر وفيه: دخلت على عبد الله بن عمرو بن العاص وهو في حائط له بالطائف....، قال: وسمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**إن الله خلق خلقَه في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور يومئذ شيء فقد اهتدى، ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله**».

الشَّرْح

قوله: (باب ما جاء في منكري القدر): أي: من الذم والوعيد، والإيمان بالقدر هو الأصل السادس من أصول الإيمان المذكورة في جواب النبي ﷺ لجبريل لما سأله عن الإيمان[1]، والإيمان بالقدر لا يتحقق إلا بأربعة أصول تسمى مراتب الإيمان بالقدر[2]:

أولها: الإيمان بعلم الله القديم، فإنه تعالى علِم بعلمه القديم كل ما سيكون من الذوات والصفات والأفعال من أفعاله تعالى، وأفعال عباده.

الثانية: الإيمان بأنَّ الله كتب مقادير كل شيء في أم الكتاب -اللوح المحفوظ-، قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة؛ كما في حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم[3].

الثالثة: الإيمان بعموم مشيئته تعالى؛ أي: أنَّ كل ما في الوجود فهو بمشيئته تعالى، ولا يكون فيه حركة ولا سكون إلا بمشيئته، ومن ذلك أفعال العباد.

الرابعة: الإيمان بعموم خلقه؛ أي: إنه تعالى خالق كل شيء لا خالق غيره، ومن ذلك أفعال العباد فالله خالقهم وخالق قُدَرهم وأفعالهم، وأهل السنة والجماعة يؤمنون بالقدر وبما يتضمنه من هذه الأصول، ومنكرو القدر؛ أي: نفاة القدر، وهم المعروفون بالقدرية طائفتان:

---

(١) أخرجه مسلم (٨)، (١٠) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وليس فيه موضع الشاهد.

(٢) ينظر: الواسطية بشرح شيخنا (ص١٩٢)، وشفاء العليل (١/ ١٠٠).

(٣) برقم (٢٦٥٣).

غلاة، وهم الذين ظهروا في عهد ابن عمر فتبرأ منهم، فإنهم ينفون القدر، ومراتبه الأربع فينكرون العلم والكتاب، وعموم المشيئة، وعموم الخلق، وهم الذين قال فيهم الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ناظروهم بالعلم؛ فإن أقروا به خصموا، وإن أنكروه كفروا»[١]، والطائفة الأخرى من القدرية مقتصدون غير غلاة، ومنهم المعتزلة، وهؤلاء نفوا من مراتب القدر عموم المشيئة وعموم الخلق، وأخرجوا أفعال العباد عن ملك الله وقدرته ومشيئته وخلقه، وهم المراد بالقدرية النفاة، والقدرية غلاتهم ومقتصدوهم يُعرفون عند السلف بمجوس هذه الأمة[٢]؛ تشبيهًا لهم بالمجوس الذين جعلوا للعالم خالقَين، وهما النور والظلمة، لأنَّ القدرية أثبتوا مع الله خالقِين لقولهم: «إنَّ العباد يخلقون أفعالهم»، وبهذا يُعلم أنَّ إنكار القدر يناقض توحيد الربوبية كما جاء عن ابن عباس؛ قال: «مَن وحد الله، وآمن بالقدر تم توحيده، ومَن وحد الله، وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده»[٣]، وبهذا تظهر مناسبة هذا الباب لـ «كتاب التوحيد».

وقد ذكر الشيخ في هذا الباب ثلاثة أحاديث؛ حديث ابن عمر -وهو طرف من حديث جبريل-، وحديث عُبادة في خلق القلم وكتابة

---

(١) نسبه للشافعي ابنُ أبي العز في شرح الطحاوية (٢/ ٣٥٤). وينظر: مجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٤٩)، وطريق الهجرتين (١/ ٣٢٠).

(٢) جاءت روايات مرفوعة وموقوفة في تسمية القدرية مجوس هذه الأمة. ينظر: السنة لابن أبي عاصم (٢/ ١٤٤)، والشريعة (٢/ ٨٠١).

(٣) أخرجه بنحوه: عبد الله بن أحمد في السنة (٩٢٥)، والآجري في الشريعة (٤٥٦).

المقادير، وحديث ابن الديلمي -وهو عبد الله بن فيروز الديلمي من التابعين، وقيل: له صحبة(١)- في أنَّ من مات وهو لا يؤمن بالقدر حرقه الله بالنار؛ رواه عن أربعة من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ عن النبي ﷺ، وتضمن الباب أيضًا أثرين عن ابن عمر، وأُبيّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وقد دلت هذه الأحاديث والآثار على أمور:

١- أنَّ الإيمان بالقدر من أصول الإيمان، وأركانه.

٢- أنَّ إنكار القدر من محبطات الأعمال؛ لقول ابن عمر وأبي: «لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهبًا ما قَبِلَ الله منه حتى يؤمن بالقدر».

٣- أنَّ للإيمان طعمًا، ولن يجده العبد: «حتى يعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه»، وحقيقة ذلك الإيمان بالقدر.

٤- أنَّ أول ما خلق الله القلم؛ فقال: له أكتب فجرى القلم بأمر الله بما هو كائن إلى يوم القيامة.

٥- أنَّ أول المخلوقات من هذا العالم: القلم الذي كتب الله به مقادير الخلق، وقيل: العرش خُلق قبل القلم، ذكر القولين ابن القيم، ورجح الثاني(٢)، وذلك في قوله في النونية(٣):

---

(١) أبو بِشر وقيل أبو يُسر، أخو الضحاك، ثقة من كبار التابعين وعدَّه البعض من الصحابة. ينظر: التهذيب (٥/ ٣٥٨ رقم ٦١٥)، والإصابة (٨/ ٢٩٨ رقم ٦٦٥٨).

(٢) وهو قول جمهور السلف ورجحه ابن تيمية في: منهاج السنة (١/ ٣٦١)، ومجموع الفتاوى (١٨/ ٢١٣).

(٣) (٢/ ٢٨٠ رقم ٩٩٢) وينظر: التبيان في أيمان القرآن (ص٣٠٤).

والحــق أنَّ العــرش قبــل لأنــه
قبــل الكتابــة كــان ذا أركــان

إلى آخر الأبيات.

٦-أنَّ مَـن مات، وهو لا يؤمـن بالقدر عذبه الله بالنار.

وإنـكار القـدر هـو مـن ظـن السـوء بالله وظـن الجاهلية كما تقـدم في البـاب قبله(١)، وبهذا تظهر المناسبة بين البابين.

(فيه مسائل:

الأولى: بيان فرض الإيمان بالقدر).

معنى قـول الشـيخ: فـرض الإيمـان بالقـدر يعني: وجـوب الإيمـان بـه، وهـذا معـروف باعتبـار أنـه أصـل مـن أصـول الإيمـان؛ فالإيمـان بـه فـرض وركن من أركان الإيمان.

(الثانيـة: بيان كيفية الإيمان به).

مما يعـرف بـه الإيمـان بالقـدر: أن يعتقـد العبـد أنَّ مـا أصابـه لـم يكـن ليخطئـه، ومـا أخطـأه لـم يكـن ليصيبـه، فبهـذا يعـرف الإيمـان بالقـدر، وهـذا في الحقيقـة ثمـرة الإيمـان بالقـدر الـذي لا يتحقـق إلا بالإيمـان بالأصـول الأربعـة المتقدمة، وهي مراتب الإيمان بالقدر.

(الثالثـة: إحباط عمل مَن لم يؤمن به).

أي: مَـن لـم يؤمـن بالقـدر يحبـط عمله، وهـو مأخـوذ من قـول ابن عمر: **(«لـو كان لأحدهـم مثـل أُحـد ذهبًـا ثـم أنفقـه فـي سـبيل اللـه مـا قبلـه اللـه منه**

---

(١) (ص٦٨٧).

حتى يؤمن بالقدر»)، وقول أُبي: «لو أنفقت مثل أحد ذهبًا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر»؛ لأنَّه إما أن يكون كافرًا، والكافر جميع عمله حابط، وإما أن يكون فاسقًا فيعاقب بحبوط ما ينفقه من المال، وإن كان كثيرًا، فتكون عقوبة له؛ لأنَّ بعض الذنوب تكون سببًا لحرمان الثواب.

(الرابعة: الإخبار بأنَّ أحدًا لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به).

هذا مأخوذ من قول عبادة بن الصامت لابنه، ولا شك أنَّ الإيمان بالله وملائكته وكتبه له طعم في قلوب المؤمنين، ومَن لم يؤمن بالقدر لا يجد طعم الإيمان؛ لأنَّ نفسه تتعلق بالأسباب ويعرض عن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، أما إذا آمن بالقدر وعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، اطمأنت نفسه، وسكن باله، وسلم الأمر كله لله.

(الخامسة: ذكر أول ما خلق الله).

عبارة الشيخ تقتضي أنه يرى أنَّ القلم أول المخلوقات، وتقدم ذكر القولين في ذلك.

(السادسة: أنَّه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة).

يريد الشيخ: أنَّ القلم جرى بكتابة مقادير المخلوقات بأمر الله تعالى، وذلك في الساعة التي خلق الله فيها القلم، وهذه الكتابة شاملة لجميع المخلوقات إلى يوم القيامة.

(السابعة: براءته ﷺ ممن لم يؤمن به).

براءة النبي ﷺ ممن لم يؤمن بالقدر يدل على أنه: إما كافر، أو فاسق مرتكب كبيرة من كبائر الذنوب؛ يدل لذلك قوله ﷺ فيما رواه عبادة بن الصامت: (**«مَن مات على غير هذا فليس مني»**).

(الثامنة: عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء).

كما فعل ابن الديلمي بعد سؤاله أبي بن كعب: قال: («**فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ**»)، يوضح ذلك: أنَّ كشف الشُّبه يكون بالعلم، وطريق العلم هو سؤال أهل العلم، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣﴾ [النحل]، وابن الديلمي لَمَّا أشكل عليه شيء في القدر سأل الصحابة؛ فذكروا له حديث رسول الله ﷺ، وهو يدل على أنَّ مَن مات ولم يؤمن بالقدر، أحرقه الله بالنار.

(التاسعة: أنَّ العلماء أجابوه بما يزيل الشبهة؛ وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله ﷺ فقط).

إزالة الشبهة تتحقق: ببيان ضرورة الإيمان بالقدر، وسوء آثار إنكاره، فالسائل لم يكن عنده شبهات ومعارضات؛ فلما أكدوا له أنه لا بد من الإيمان بالقدر، وأنَّ إنكاره يفضي بصاحبه إلى النار، طابت نفسه.

(٦١)

باب ما جاء في المصورين

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؛ فَلْيخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة» أخرجاه(١).

ولهما(٢) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله».

ولهما(٣) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصوّر في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم».

ولهما(٤) عنه مرفوعًا: «مَن صور صورة في الدنيا كُلّف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ».

ولمسلم(٥) عن أبي الهياج قال: «قال لي علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبرًا مُشْرفًا؛ إلا سويته».

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٣)، ومسلم (٢١١١).
(٢) البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧-٩٢).
(٣) البخاري (٢٢٢٥)، ومسلم (٢١١٠-٩٩).
(٤) البخاري (٥٩٦٣)، ومسلم (٢١١٠-١٠٠).
(٥) مسلم (٩٦٩).

الشَّرح

قوله: **(باب ما جاء في المصورين)**: أي: من الذم والوعيد الشديد، والنهي الأكيد عن التصوير، وهو رسم صور ذوات الأرواح؛ لأنه مضاهاة لخلق الله، وقد ذكر الشيخ في هذا الباب خمسة أحاديث تضمنت أمورًا:

١- أنَّ التصوير من أظلم الظلم؛ كما في الحديث القدسي عن أبي هريرة.

٢- أنَّ المصورين من أشد الناس عذابًا يوم القيامة.

٣- أنَّ العلة في النهي والوعيد أنَّ التصوير مضاهاة لخلق الله، وبهذا يدخل فيه نوع من الشرك في الربوبية، ويدل لذلك قوله تعالى في الحديث القدسي: (**«ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي»**)، وبهذا تظهر مناسبة الباب لـ «كتاب التوحيد».

٤- أنَّ المصورين يُعذّبون في جهنم بالصور التي صوروها.

٥- أنَّ من تعذيب المصورين يوم القيامة أن يكلفوا ما لا قدرة لهم عليه، وهو نفخ الروح فيما صوروا، يقال لهم: **«أحيوا ما خلقتم»**[(١)].

٦- أنَّ التصوير المحرم هو تصوير ما له روح؛ كالإنسان والحيوان.

٧- أنَّ تصوير ذوات الأرواح من كبائر الذنوب، ويدل لذلك ما في أحاديث الباب من الوعيد، وأيضًا ما رواه البخاري عن أبي جُحيفة أنَّ النبي ﷺ: **«لعن المصورين»**[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٠٥)، ومسلم (٢١٠٧) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
(٢) أخرجه البخاري (٥٣٤٧).

وختم المؤلف الباب بحديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الأمر بطمس الصور، وهو قوله؛ أي؛ علي: (**بعثني رسول ﷺ ألا أدع صورة إلا طمستها، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته**)، وهذا من تغيير المنكر باليد؛ كما فعل النبي ﷺ في قِرام[1] عائشة؛ فإنه هتكه لأنَّ فيه تصاوير، وقال: «**إنَّ أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة؛ يقال لهم أحيوا ما خلقتم**»[2].

وبعد: فمن أعجب العجب ما عمت به البلوى في هذا العصر من الجرأة على التصوير المحرم من كثير من الناس، حتى إنَّ منهم بعض المنتسبين للعلم؛ فعظمت الفتنة بهذا المنكر، واستخف به الناس، واستباحوه، ولهذا البلاء سببان:

أحدهما: ما تهيأ للناس من سهولة التصوير لتوفر وسائله -الكاميرات-، ولا سيما بعد ظهور الجوال المجهز بكاميرا تُمكّن حامل الجوال من تصوير كل ما شاء مما وقعت عليه عينه.

الثاني: فتوى بعض أهل العلم المعتبرين بجواز التصوير «بالكاميرا» باجتهاد وتأويل[3]؛ فتلقاها كثير من الناس لموافقتها أهوائهم دون التفات للرأي الآخر في المسألة، وقد يكون القول بتحريم هذا التصوير لعالم أعظم شأنًا وأعمق علمًا من الأول؛ فرجع هذا الشر إلى أصله وهو اتباع

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٧) -واللفظ له-، ومسلم (٢١٠٧).

(٢) القِرام: الستر الرقيق. وقيل: الصفيق من صوفٍ ذي ألوان. ينظر: النهاية (٤/ ٤٩).

(٣) للاستزادة ينظر: فتاوى كبار العلماء في التصوير لعبد الرحمن بن سعد الشثري؛ فقد توسَّع وأورد الأدلة وفتاوى العلماء في القرون السابقة وفتاوى علماء العصر.

الهوى، واتباع المتشابه، وأصل هذا وهذا ضعف الإيمان بالكتاب والسنة، والجهل بحكم الشريعة، والواجب على المسلم الناصح لنفسه أن يتقي الله، ولا يكون إمعة يجاري أكثر الناس؛ فإنَّ الكثرة ليست معيارًا في معرفة الصواب؛ بل أكثر الناس لا يعلمون، ولا يشكرون، ولا يؤمنون، ولذا قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال ﷺ وذكر الحلال البين والحرام البين؛ قال: «**وبينهما أمور مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومَن وقع في الشبهات وقع في الحرام...**» الحديث[(١)].

وينبغي أن يُعلم أنَّ المنكر يتغلظ تحريمه بحسب ما يترتب عليه من المفاسد فيكون بعضه أقبح من بعض وأشد تحريمًا، ومن ذلك التصوير؛ فتصوير النساء فيه مع فتنة التصوير نشر لفتنة النساء؛ فهو محرم من وجهين، وكذلك تصوير الملوك والكبراء، ونشر صورهم ونصبها في المجالس هو غلوٌّ فيهم وتشبه بالكفار والمشركين، وربما أفضى إلى عبادتهم كما وقع لقوم نوح؛ فإنهم لَمَّا غلوا في بعض الصالحين صوروهم ثم عبدوهم[(٢)]، وكما فعلت النصارى؛ فإنهم إذا مات الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا، وصوّروا فيه صورهم، وهم الذين قال فيهم الرسول ﷺ: «**أولئك شرار الخلق**»[(٣)]؛ فعُلم أنَّ بعض أنواع التصوير

---

(١) أخرجه بنحوه: البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) تنظر: (ص٣٦٨).

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٤)، ومسلم (٥٢٨) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وتقدم التعليق عليه في (ص٣٩٣).

وسيلة من وسائل الشرك، وقد جاءت الشريعة بسد ذرائع الشرك كلها، ولعل الشيخ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقد هذا الباب في «كتاب التوحيد» مستحضرًا هذا المعنى، فرحمه الله، وجزاه أحسن جزاء على عنايته بجانب التوحيد.

(فيه مسائل:

الأولى: التغليظ الشديد في المصورين).

هذا مستفاد من كل هذه النصوص: (**«ومَن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي»**)، وقوله: (**«أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله»**)، وقوله: (**«كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم»**).

(الثانية: التنبيه على العلة، وهو ترك الأدب مع الله، لقوله: «ومَن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي»).

المصور قد أساء الأدب مع الله حيث ذهب يضاهي بخلق الله؛ لهذا جاء في الحديث: (**«ومَن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؛ فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة»**)، وأنى لهم ذلك؟!

(الثالثة: التنبيه على قدرته، وعجزهم بقوله: «فليخلقوا ذرة أو شعيرة»).

هذه الجملة فيها التنبيه على كمال قدرته سبحانه، وعجز المخلوق؛ فالله خلق السموات والأرض، وما بينهما، وما فيهن، وهذا المخلوق يعجز أن يخلق شعيرة أو حبة، ومع هذا العجز يظلم نفسه بمضاهاة خلق الله!

(الرابعة: التصريح بأنهم أشد الناس عذابًا).

هذا في حديث عائشة: (**«أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله»**)، وهذا فيه تغليظ وتشديد وتحذير بالغ.

وهنا يحسن التنبيه على مسألة قد تشكل على بعض الناس، وهي: ما جاء في القرآن من أنَّ قوم فرعون هم أشد أهل النار عذابًا؛ لقوله تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝٤٦﴾ [غافر]، وجاء في حق المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، والجمع بين ذلك: أنَّ المراد أنَّ أشد أهل المعاصي عذابًا: **«الذين يضاهون بخلق الله»**. وهم الذين لا يخلدون في نار جهنم[1].

(الخامسة: أنَّ الله يخلق بعدد كل صورة نفسًا يعذَّب بها في جهنم).

هذا وعيد شديد، فما حال مَن يكون عمله ودأبه التصوير! فيصور دائمًا وأبدًا! نعوذ بالله من هذه الحرفة.

(السادسة: أنه يُكلَّف أن ينفخ فيها الروح).

هذا تكليفُ تعجيزٍ وتوبيخٍ وإخزاء! يقال له: هذه التي صورتها انفخ فيها الروح، ولا يقدر على جعل الحياة في الشيء إلا الله تعالى؛ فهو الذي يحيي ويميت، لا أحد يحيي ويميت إلا الله.

(السابعة: الأمر بطمسها إذا وُجدت).

لحديث علي: (**ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته**).

◆◈◈◈◆

---

(١) تنظر أوجه أخرى في: فتح الباري (١٠/ ٣٨٣-٣٨٤).

(٦٢)

باب ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٩].

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب» أخرجاه(١).

وعن سلمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: أُشَيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته؛ لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه» رواه الطبراني بسند صحيح(٢).

وفي «الصحيح» عن عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا؟ «ثم إنَّ بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِّمَن»(٣).

(١) أخرجه البخاري (٢٠٧٨)، ومسلم (١٦٠٦)، ولفظ البخاري: «**ممحقة للبركة**»، ولفظ مسلم: «**ممحقة للربح**».

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٦١١١)، والبيهقي في الشعب (٤٥١١)، وقال المنذري في الترغيب (٢٧٧٧): «ورواته محتج بهم في الصحيح»، وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ٧٨): «ورجاله رجال الصحيح»، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب (١٧٨٨)، وصحيح الجامع (٣٠٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥).

وفيه عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته». قال إبراهيم[١]: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار[٢].

الشرح

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: **(باب ما جاء في كثرة الحلف)**: يعني: من الذم والوعيد؛ لأنَّ كثرة الحلف بالله يؤدي إلى الكذب، والحلف بالله كذبًا هي اليمين الغموس، وتتضمن الاستخفاف بالله؛ حيث يحلف على كل شيء، ولا يبالي صدق أو كذب، حنث أو لم يحنث! وبهذا تظهر مناسبة هذا الباب لـ «كتاب التوحيد»، وللباب الذي قبله، فإنَّ التصوير المحرم، وكثرة الحلف، ينافيان ما يجب من تعظيم الله، والحلف ينبغي أن يكون في الأمور العظيمة؛ كما كان النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا يحلف إلا على بعض الأمور العظيمة؛ كما في حديث صلاة الجماعة[٣] وغيره.

---

(١) وهو النخعي، ينظر: فتح الباري (٥/ ٢٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣-٢١١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٤)، ومسلم (٦٥١) - واللفظ للبخاري- من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «**والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب، فيُحطب، ثم آمر بالصلاة، فيُؤذَّن لها، ثم آمر رجلًا فيؤمَّ الناس، ثم أخالف إلى رجال، فأحرِّق عليهم بيوتهم، والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم، أنه يجد عرْقًا سمينًا، أو مِرماتين حسنتين، لشهد العشاء**».

(وقول الله تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾): يعني: بترك عقدها، أو بالتكفير عنها عند الحنث فيها[1]؛ فالحلف على المستقبل مثل: «والله؛ لأفعلن كذا» أو «بالله؛ لا أفعل كذا» فهذا مع الحنث تجب فيه الكفارة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ [المائدة: ٨٩] الآية.

وقوله: **(عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمعت رسول الله يقول: «الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب»)**، هذا كلام وجيز فيه تحذير من كثرة الحلف في البيع والتجارة، ومعنى: **(«منفقة للسلعة»)**: أي: ينفقها ويروجها، لكنه ممحقة للكسب، وفي رواية البخاري: «**للبركة**»[2]؛ أي: مذهبة لبركة المال المكتسب بالأيمان الكاذبة.

فالربح الذي يأتي من وراء كثرة الحلف، وتسويق السلعة بالأيمان، ممحوق البركة، قال الله تعالى: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، وقال ﷺ في البيعين: «**وإن كذبا وكتما مُحقت بركة بيعهما**»[3].

وعن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته؛ لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه».

هذا وعيد شديد من جنس ما توعد الله به الكافرين؛ فيدل على أنَّ هذه الذنوب الثلاثة من كبائر الذنوب، وأنَّ أصحابها من أحط الناس!

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٣/ ٩٣).
(٢) برقم (٢٠٨٧).
(٣) أخرجه البخاري (٢١١٠)، ومسلم (١٥٣٢) من حديث حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأول: («**أشيمط زان**»): يعني: رجل قد شاخ؛ حتى اختلط سواد شعره ببياضه، وهو معنى أشيمط[١]، وهو تصغير أشمط، ومع تقدم سنِّه، وضعف قوته، لم يترك الزنا! والمعصية مع ضعف الداعي أقبح منها مع قوة الداعي؛ فهذا المفتون مع أنه قد تجاوز سن الصبا والشباب والقوة، لم يكف عن المعصية! لذلك استحق هذا الوعيد، فزنا الشيخ أقبح من زنا الشاب، وإن كان الكل من كبائر الذنوب، لكن الكبيرة تتفاوت بحسب الداعي، وبحسب المضرة؛ فالسرقة من غني أهون من السرقة من فقير؛ لأنَّ فيها زيادة مضرة، وكذلك الزنا بحليلة الجار أعظم جرمًا من الزنا بالبعيدة لحديث ابن مسعود[٢] وغيره.

الثاني: («**وعائل مستكبر**»): أي: فقير[٣]، ومع ذلك هو مستكبر! فإذا كان وهو فقير يتكبر على الناس؛ فكيف لو كان غنيًّا! فالكبر من الفقير أقبح من الكبر من الغني؛ لأنَّ الغني عنده ما يحمله على الكبر بخلاف الفقير، وكم من غني متواضع!

الثالث: («**ورجل جعل الله بضاعته**»): يعني: بكثرة الحلف به، بيعًا وشراء، ولذا قال ﷺ: («**لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه**»)، وفي هذا من الاستخفاف بالله، وقلة تعظيمه؛ ما أوجب لهذا الرجل الوعيد الشديد المبيَّن في الحديث، وهذا هو الشاهد، وفيه تحذير بليغ من كثرة الحلف خصوصًا في البيع والشراء.

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٥٠١).
(٢) أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).
(٣) ينظر: النهاية (٣/ ٣٣٠).

(وفي «الصحيح» عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا؟ «ثم إنَّ بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن»).

قوله ﷺ: (**«خير أمتي قرني»**)، القرن: هم الجماعة من الناس، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المؤمنون]، وفي الحديث: «**خير أمتي القرن الذين بعثت فيهم**»[1]، فهو اسم للناس، وقد اصطلح المؤرخون على أنَّ القرن اسم لمقدار من الزمان، وهو مئة سنة، لكن الذي في القرآن: القرون هم الأمم والجماعات[2]، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ [الإسراء].

قوله: (**قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا**)، بالشك، ويظهر أنه ذكر قرنين[3]، بدليل حديث ابن مسعود الذي ليس فيه شك: (**«خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»**).

قوله: (**«ثم إنَّ بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون»**): أي: يبادرون بالشهادة لمن يحبونه، والشهادة على مَن يبغضونه قبل أن تُطلب منهم

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٣٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) ينظر: المفردات (ص٦٦٧)، والنهاية (٤/ ٥١).
(٣) ينظر: فتح الباري (٧/ ٧).

الشهادة، فإذا كان كاذبًا فهو شاهد زور، وإن كان صادقًا ففيه استعجال لا داعي إليه، كأنَّ هذا الذي يستعجل يريد مضرة المشهود عليه، فهو لا يقصد أداء الأمانة التي عنده؛ بل يقصد الإضرار بالمشهود عليه فيبادر بالشهادة قبل أن تطلب منه!

وقد ورد في حديث آخر: «**ألا أخبركم بخير الشهداء؟ الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها**»(١). قال العلماء: هذا يجب أن يحمل على ما إذا كان صاحب الحق لا يعرف أنَّ له بينة، فيأتي هذا الشاهد ويعرفه ويقول: أنا عندي لك شهادة، فهذا النوع من الشهادة واجب، وحديث عمران يحمل على ما إذا كان صاحب الحق يعلم بالشهادة التي عنده، فلا يحتاج إلى أن يأتيه ليقول له: أنا أشهد لك(٢).

وقوله: («**ويخونون**»): الخيانة ضد الأمانة.

(«**ولا يؤتمنون**»): تأكيد للخيانة؛ فهم يخونون أماناتهم ولا يؤتمنون عليها من مال وأسرار.

(«**ويظهر فيهم السمن**»): السمن والسمنة كثرة الشحم في البطن، وأعضاء البدن، وهي: تنشأ من الإقبال على الشهوات من المآكل والمشارب، والغفلة عن الآخرة، وعن أمر المسلمين، فلا يعنيهم إلا مصالح دنياهم.

وفي حديث ابن مسعود: («**ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**»): هذا فيه معنى ما في حديث عمران: («**يشهدون ولا**

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٩) من حديث زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) تنظر أجوبة أخرى في: فتح الباري (٥/ ٢٥٩-٢٦٠).

يستشهدون): يعني: فيهم تسرع ورغبة في أن يشهدوا وأن يحلفوا؛ لعدم مبالاتهم، وقلة أمانتهم!

(قال إبراهيم): يعني: النخعي («**كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار**»)؛ قيل: معناه: كان أهلنا ينهوننا عن الشهادة والعهد ويضربوننا على ذلك، قال ابن حجر في «الفتح»: «قيل: هو أن يحلف بعهد الله أو يشهد بالله، ويؤيده قوله في الرواية الأخرى: نهينا أن نحلف بالشهادة والعهد»، قال: «وقال أبو عمر بن عبد البر: معناه عندهم النهي عن مبادرة الرجل بقوله: أشهد بالله، وعلي عهد الله لقد كان كذا ونحو ذلك»[1].

(فيه مسائل:

الأولى: الوصية بحفظ الأيمان).

لقوله تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٩].

(الثانية: الإخبار بأنَّ الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة).

كما في حديث أبي هريرة.

(الثالثة: الوعيد الشديد فيمن لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه[2]).

هذا ظاهر من حديث سلمان، وفيه: «**ورجل جعل الله بضاعته؛ لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه**».

---

(١) فتح الباري (١/ ١٤١)، (٥/ ٢٦١)، والتمهيد (١٧/ ٣٠١).

(٢) الصواب إثبات لفظ (بيمينه) كما رجح شيخنا، وقال: «كما ورد في الحديث». وفي أصل نسخة دغش: (بها)، وأشار لنسخة توافق ما رجَّحه شيخنا.

(الرابعة: التنبيه على أنَّ الذنب يعظم مع قلة الداعي).

هذا مأخوذ من حال الرجلين: «**أشيمط زان، وعائل مستكبر**».

(الخامسة: ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون).

هذا مأخوذ من قوله في حديث عمران: «**يشهدون ولا يستشهدون**».

(السادسة: ثناؤه ﷺ على القرون الثلاثة أو الأربعة، وذِكر ما يحدث بعدهم).

يشير إلى حديث عمران بن حصين، وتقدم المراد بالقرن، وأنه الجيل من الناس، والظاهر -والله أعلم- أنَّ الجيل الواحد ينقرض معظمه بمدة سبعين أو ثمانين سنة؛ فعلى هذا؛ مدة القرون الثلاثة مئتان وعشرون سنة، أو أقل من ذلك[1].

(السابعة: ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون).

تقدم تفسير ذلك.

(الثامنة: كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد).

هذا يدل على ما كان عليه السلف من العناية بتربية الصغار، ونهيهم عن كل ما لا يليق من قول أو فعل.

◆◇◈◇◆

(١) ينظر الخلاف في: لسان العرب (١٣/ ٣٣٤)، وفتح الباري (٧/ ٥).

(٦٣)

باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١] الآية.

عن بُريدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومَن معه من المسلمين خيرًا.

فقال: «اغزوا بسم الله، في سبيل الله، قاتلوا مَن كفر بالله، اغزوا، ولا تغلُّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال «أو خلال»، فأيتهن ما أجابوك، فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام؛ فإن أجابوك فاقبل منهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها؛ فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله تعالى ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا، فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك، فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن هم أبوا، فاستعن بالله وقاتلهم.

وإذا حاصرت أهل حصن، فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة

أصحابك، فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه، وإذا حاصرت أهل حصن، فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك؛ فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا؟» رواه مسلم[١].

الشرح

قوله: **(باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه)**: أي: ما جاء في الكتاب والسنة من الدليل على وجوب تعظيم ذمة الله وذمة رسوله، والمراد بالذمة العهد[٢]، وتعظيم عهد الله ورسوله من تحقيق الشهادتين، وبهذا تظهر مناسبة هذا الباب لـ«كتاب التوحيد»، وللباب الذي قبله، ثم ذكر الشيخ الدليل على الترجمة من القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾ [النحل: ٩١]، ومن السنة حديث بريدة، والشاهد منه؛ قوله ﷺ: **(«وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك»)**: أي: أرادوا منك: **(«أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه»)**، إلى قوله: **(«أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه»)**، وإخفار الذمة؛ هو نكث العهد ونقضه، وذلك ضد الوفاء بالعهد، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١]، ولهذا نهى النبي ﷺ الأمير أن يعطي المشركين ذمة الله، وذمة رسوله؛ بل يجعل لهم ذمته وذمة أصحابه؛ لأنه لو حصل نكث من المسلمين لكان نكثهم لعهدهم أهون من نكثهم لعهد الله، وقد تضمن حديث بريدة

(١) برقم (١٧٣١).
(٢) ينظر: لسان العرب (١٢/ ٢٢١).

فوائد كثيرة تتعلق بالجهاد مدونة في «الجامع لفوائد بلوغ المرام» فليراجع[(١)]، وقوله: (**جيش أو سرية**): الجيش هو الجند الكثير الذي قد يبلغ المئات والألوف، أما السرية فتكون قليلة؛ كالخمسة والعشرة والمئة إلى أربع مئة، وتارة تنبعث من مركز الدولة، وتارة تنطلق من الجيش، فالجيش الغازي تنطلق منه سرايا ومجموعات يغزون بعض نواحي الكفار[(٢)]، وقوله: (**«قاتلوا مَن كفر بالله»**): هذا هو الجهاد: قتال الكفار غير المعاهدين، فالموجب للقتال هو الكفر.

وقوله: (**«اغزوا، ولا تغلوا»**): الغلول: هو الأخذ من الغنيمة قبل القسمة[(٣)].

(**«ولا تغدروا»**): أي: لا تخونوا العهود.

(**«ولا تمثلوا»**): التمثيل هو قطع بعض أطراف القتيل من الكفار؛ كأذنه أو أنفه أو أصبعه أو يده، وهذا حرام، لا يجوز للمسلمين أن يمثلوا بهم، إلا أن يكون على سبيل المقابلة، فإذا مثَّل الكفار بقتلانا جاز لنا أن نمثل بقتلاهم، والترك أفضل؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل][(٤)].

(**«ولا تقتلوا وليدًا»**): أي: لا تقتلوا الأطفال والصبيان الصغار الذين لم يبلغوا ولم يتأهلوا للقتال، وقد دلت السنة على نهي المجاهدين عن قتل النساء والصبيان إلا أن يكونوا تبعًا، وفي الصحيح: سئل النبي ﷺ

---

(١) (٣/ ١١٥).

(٢) ينظر: النهاية (٢/ ٣٦٣)، وشرح مسلم للنووي (١٢/ ٣٧).

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٨٠).

(٤) ينظر: السياسة الشرعية (ص ١٠٧-١٠٨)، والفروع (١٠/ ٢٦٥).

عن الذراري من المشركين؛ يبيتون فيصيبون من نسائهم وذراريهم؟ فقال: «**هم منهم**»(١)، ونهى عن قتل الولدان والنساء(٢) والشيخ الفاني والراهب في صومعته(٣)، فكل أولئك لا يقتلون؛ لأنهم لا يقاتلون، أما مَن قاتل منهم؛ فإنه يقتل.

وقوله: («**ثم ادعهم إلى الإسلام؛ فإن أجابوك فاقبل منهم**»): أي: ادعهم أولًا إلى الإسلام، وهذه هي الغاية الكبرى للجهاد: أن يدخل الناس في دين الله الذي يقوم على توحيد الله في عبادته وفي ربوبيته، والمناسب لسياق الكلام إسقاط «ثم»(٤).

وقوله: («**ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين**»): أي: ثم ادع مَن أسلم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين.

فإن استجابوا لذلك: («**فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين**»).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٢)، ومسلم (١٧٤٥) -واللفظ له- من حديث الصعب بن جثامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠١٤)، ومسلم (١٧٤٤) من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٣) ينظر: سنن البيهقي (١٨/ ٢٩٧).

(٤) قال القاضي عياض: «كذا روايتنا، وكذا في جميع النسخ في أول الكلام: «ثم ادعهم إلى الإسلام»، وصوابه: «**ادعهم**» بإسقاط «ثم»، وكذلك جاء في غير كتاب مسلم، وكذا رواه أبو عبيد في كتاب الأموال بإسقاط «ثم»، وأبو داود في مصنفه وغيرهما؛ لأن ذلك هو تفسير الثلاث خصال التي ذكر قبل هذا وليست أشياء أخر غيرها وبعدها. قال الإمام (يعني المازري وهو في المُعلم (٣/ ٧)): وهو يوهم أنها غير الثلاث خصال، إنما دخلت «ثم» هاهنا لاستفتاح الكلام والأخذ في التفسير» إكمال المُعلم (٦/ ٣٢).

وإن أبوا الهجرة والتحول: (**«فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله تعالى ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين»**).

(**«فإن هم أبوا»**): الدخول في الإسلام؛ (**«فاسألهم الجزية»**): أي: اطلب منهم الجزية؛ لتُعصم دماؤهم وأموالهم، وهؤلاء هم أهل الذمة الذين يقيمون بين المسلمين، يُعقد لهم العهد، ويُقرون على دينهم وبقائهم في ديار المسلمين، والجزية مال مقدر يختلف باختلاف أحوال مَن تضرب عليهم[1]، وقد ذكر الله الجزية في سورة براءة: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٩]، إلى قوله: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ﴾ [التوبة: ٢٩].

وقوله: (**«فإن هم أبوا»**): أي: إعطاء الجزية: (**«فاستعن بالله وقاتلهم»**): هذا هو الخيار الأخير، فآخر الدواء الكي؛ فما دام لم تجد الدعوة الأولى والثانية استجابة وقبولًا؛ فلم تبق إلا الثالثة.

وقوله: (**«وإذا حاصرت أهل حصن، فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك»**)، وليس معنى هذا أنك تحكم فيهم بغير حكم الله؛ بل يتعين أن تحكم عليهم ولهم بحكم الله ورسوله، وإذا أنزلهم الأمير والقائد على حكمه وحكم أصحابه؛ فإنَّ عليه أن يجتهد في معرفة حكم الله وحكم رسوله.

وقوله: (**«فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا»**): أي: لا تجزم، فإن كان حكم الله ظاهرًا فالقول به متيسر، وإن كان موضع اجتهاد

---

(١) ينظر: المطلع على ألفاظ المقنع (ص١٧٧).

حكم به الناظر والباحث بحسب اجتهاده؛ وإلا فلا يجوز لأحد أن يحكم بخلاف حكم الله؛ بل يحكم بمبلغ علمه بحكم الله.

وقوله: («**فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك**»): علل ذلك بقوله: («**فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا**»)، فإنَّ الصواب عند الله واحد، واختلاف المجتهدين لا يقتضي أنَّ كل واحد معه الحق؛ فقول القائل: «كل مجتهد مصيب» غلط، لكنه معذور ومأجور، فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد[١]، والخطأ مغفور[٢].

(**فيه مسائل**:

الأولى: الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه، وبين ذمة المسلمين).

هذا مأخوذ من قوله: («**فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه**»).

(**الثانية: الإرشاد إلى أقل الأمرين خطرًا**).

وهو أن ينزلوا على حكم القائد وحكم أصحابه، أو ينزلوا على ذمة الأمير وذمة أصحابه.

(**الثالثة: قوله: «اغزوا بسم الله في سبيل الله»**).

هذه تضمنت الاستعانة بالله والإخلاص له.

(**الرابعة: قوله: «قاتلوا مَن كفر بالله»**).

كأنه يشير إلى أنَّ القتال يشرع لجميع الكفار، ومعلوم أنه يخرج عن هذا مَن له عهد.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ينظر: منهاج السنة (٦/ ٢٧-٢٨)، ومجموع الفتاوى (٢٠/ ١٩).

(الخامسة: قوله: «استعن بالله وقاتلهم»).

يعني: قاتل الكفار مستعينًا بالله وحده متبرئًا من حولك وقوتك.

(السادسة: الفرق بين حكم الله وحكم العلماء).

حكم الله قاطع؛ فمن أدركه أصاب وكان له الأجر مرتين، وإن لم يصادف حكم الله وهو مجتهد فلا يضره؛ لأنه إنما هو وقع فيما وقع خطأً، والخطأ مغفور؛ بل صاحبه مأجور.

(السابعة: في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا؟).

يريد: أنه يجوز للعالم من الصحابة وغيرهم أن يحكم بحكم اجتهد فيه، ولا يعلم أنه صواب أو خطأ.

(٦٤)

باب ما جاء في الإقسام على الله

عن جندب بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: مَن ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان؟! إني قد غفرت له وأحبطت عملك» رواه مسلم(١).

وفي حديث أبي هريرة: أنَّ القائل رجل عابد، قال أبو هريرة: «تكلم بكلمة، أوبقت دنياه وآخرته»(٢).

الشرح

قوله: (باب ما جاء في الإقسام على الله): أي: ما جاء من الدليل من السنة في حكم الإقسام على الله، وصورة الإقسام على الله، أن يقول الإنسان؛ والله ليكونَنَّ كذا أو لا يكون كذا، وهذا يتضمن القطع بالمحلوف عليه، وما يكون وما لا يكون هو بمشيئة الله فتضمن هذا القسم الحكم على الله بأنه يشاء كذا، أو لا يشاء كذا، وهذا رجم بالغيب، والإقسام على الله يكون على وجهين(٣):

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢١).

(٢) أخرجه أحمد (٨٢٩٢)، وأبو داود (٤٩٠١)، وصححه ابن حبان (٥٧١٢)، وحسنه الألباني في تخريج الطحاوية - ط. المكتب الإسلامي- (ص٣١٩ رقم ٣٦٤).

(٣) ينظر: حاشية ابن القاسم (ص٣٨٨)، والقول المفيد (٢/ ٤٩٧-٤٩٩).

إما أن يكون ناشئًا عن حسن الظن بالله، وقوة الرجاء لفضله وكرمه، أو يكون ناشئًا عن سوء الظن بالله مع الإعجاب بالنفس، فالأول كما وقع لأنس بن النضر فإنَّ أخته الربيّع بنت النضر كسرت ثنية جارية لقوم؛ فطلب أهل الربيّع إلى أهل الجارية أن يعفوا عن القصاص، ويأخذوا الأَرْش(١)، فأبى القوم فتخاصموا إلى الرسول ﷺ فقال أنس بن النضر: يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنية الربيّع؛ فقال رسول الله: «**يا أنس، كتاب الله القصاص**»: أي: حكم الله هو القصاص، ولا بد من تنفيذه، فلما سمع القوم ذلك رضوا وقبلوا الأرش، وعفوا عن القصاص؛ فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «**إنَّ من عباد الله مَن لو أقسم على الله لأبره**»(٢): يبين ﷺ أنَّ منهم أنس بن النضر؛ لأنَّ الله أبر قسمه بتوفيق أهل الجارية أن يرضوا ويعفوا عن القصاص.

وأما الوجه الثاني: فهو مثل ما جاء في حديث أبي هريرة من قول العابد: («**والله لا يغفر الله لفلان**»)، فقد أقسم على الله بما ينافي ما هو أهله، فإنه تعالى أهل التقوى والمغفرة، فهذا القائل: «والله لا يغفر الله لفلان»؛ أساء الظن بالله، وقال على الله بغير علم، ولذا أبطل الله قوله وأحبط عمله؛ فقال تعالى: («**إني قد غفرت له وأحبطت عملك**»)، وهذا يدل على أنَّ هذا الرجل قال مقالته تلك معجبًا بنفسه، وأضاف إليها سوء ظنه بالله، ومن سوء الظن بالله: القول على الله بغير علم.

---

(١) وهو دية الجراحات. ينظر: الصحاح (٣/ ٩٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٠٣) -واللفظ له-، ومسلم (١٦٧٥) من حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وقوله: «مَن ذا الذي يتألى علي»: أي: أقسم علي، والتألي: الحلف، يقال آل يؤلي؛ كقوله: ﴿يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٢٦]، وتألى؛ كما في هذا الحديث، وائتلى؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ﴾ [النور: ٢٢]؛ كلها بمعنى الحلف[1]، ولا يخفى أنَّ الإقسام على الله بما ينافي كماله وحمده وما هو أهله ينافي ما يجب من تعظيمه الذي هو من كمال توحيده، وبهذا تظهر مناسبة هذا الباب لـ«كتاب التوحيد»، فتبين أنَّ الوجه الثاني من الإقسام على الله هو مقصود المؤلف من هذا الباب.

وقوله: (قال أبو هريرة: «تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته»)، ويشهد لقول أبي هريرة قوله ﷺ: «**إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالًا، يهوي بها في جهنم**»[2].

وقوله تعالى في الحديث: (**«وأحبطت عملك»**)، مع قول أبي هريرة: (**«أوبقت دنياه وآخرته»**)؛ يدل على أنَّ الذي قال: (**«والله لا يغفر الله لفلان»**)؛ كفر بهذه الكلمة لأنه لا يحبط جميع الأعمال إلا الكفر.

(فيه مسائل:

الأولى: التحذير من التألي على الله).

أي: من الإقسام على الله بما ينافي عظمته وكماله وكرمه، كما فعل ذلك الرجل؛ فعوقب بحبوط عمله.

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٦٢)، وتحفة الأريب بما في القرآن من الغريب (ص٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(الثانية: كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعله.

الثالثة: أنَّ الجنة مثل ذلك).

معنى ذلك: أنَّ للنار أسبابًا، وللجنة أسبابًا، كثيرًا ما يتعرض لها الإنسان فيشقى بها أو يسعد؛ ولهذا قد يخرج الإنسان من الإسلام بكلمة! وقد يحبط عمله بكلمة! ويستوجب -والعياذ بالله- النار! وقد يكتب الله للعبد رضاه بكلمة، وقد يوجب الله للعبد الجنة بكلمة أو بعمل يسير، ويشهد لهذا حديث: «**الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك**»[1].

(الرابعة: فيه شاهد لقوله: «إنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة») إلى آخره.

يريد الشيخ: أنَّ كلمة الرجل المتألي على الله التي أوبقت دنياه وآخرته، فيها شاهد لحديث: «**إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالًا، يهوي بها في جهنم**»[2].

(الخامسة: أنَّ الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه).

يقول الشيخ: من فوائد هذا الحديث: أنَّ الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأشياء إليه! فهذا العاصي لا شك أنَّ كلمة الرجل كانت قاسية عليه حين قال له: «والله لا يغفر الله لك»؛ فكانت هذه الكلمة التي قنَّطه بها سببًا لمغفرة الله له! ومعنى هذا: أنه قد يغفر للرجل بسبب عدوان بعض المعتدين عليه، بقول أو فعل.

◆◇◈◇◆

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٨) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

(٦٥)

باب: لا يستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، نهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله؛ فقال النبي ﷺ: سبحان الله! سبحان الله! «فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه» ثم قال: «ويحك! أتدري ما الله؟ إنَّ شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد» وذكر الحديث. رواه أبو داود[1].

الشرح

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: (باب: لا يستشفع بالله على خلقه): الاستشفاع: طلب الشفاعة، والشفاعة: طلب التوسط للغير في تحصيل منفعة أو دفع مظلمة؛ فالاستشفاع هو طلب الشفاعة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٥٧٥)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٣٩)، واختُلف في هذا الحديث: فحسَّنه ابن القيم ورد على من ضعفه في مختصر الصواعق (٣/ ١٠٦٧)، وتهذيب السنن (٣/ ٢٢٧)، واستغربه ابن كثير في التفسير (١/ ٦٨١) وضعفه الألباني في الضعيفة (٢٦٣٩).

وقوله: **(لا يستشفع)**: نهي، أو نفي يتضمن النهي، والمؤدَّى واحد، ولكن لفظ الحديث ظاهره الخبر، وهذا الخبر يتضمن النهي، فإذا كان الله لا يستشفع به على أحد من خلقه؛ فلا يجوز لأحد أن يستشفع بالله على خلقه.

واستدل الشيخ على هذه الترجمة بحديث جبير بن مطعم في قصة ذلك الأعرابي الذي جاء وشكا إلى الرسول ﷺ ما حل بالناس من المجاعة، ومن هلاك الأموال وضعف النفوس: (**«فقال: يا رسول الله، نُهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال؛ فاستسق لنا ربك»**): أي: ادع الله أن يغيثنا.

والاستسقاء سنة الأنبياء؛ كما قال الله عن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ [البقرة: ٦٠]، ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٦٠]، وهكذا كان الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يسأله الصحابة إذا أجدبوا، فيطلبون منه أن يستسقي لهم؛ كما في حديث أنس الثابت في «الصحيحين»: «أنَّ رجلًا دخل المسجد يوم الجمعة، من باب كان نحو دار القضاء، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائمًا، ثم قال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا؛ فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: **اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا**، قال أنس: ولا والله، ما نرى في السماء من سحاب، ولا قزعة، وما بيننا وبين سَلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس سبتًا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة -يعني

الثانية- ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبله قائمًا، فقال: يا رسول الله؛ هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا، قال: فرفع رسول الله يديه، ثم قال: **اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب، وبطون الأودية ومنابت الشجر**»[(١)].

لكن في حديث جبير لم يقف الرجل عند حد طلب السُّقيا فحسب، ولو وقف عندها كان قد أحسن، لكن زاد وقال: (**«فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله»**)؛ فطلب شفاعتين؛ الاستشفاع بالنبي وهو معنى قوله: (**«فاستسق لنا ربك»**): يعني: اشفع لنا عند الله أن يسقينا وأن يغيثنا، وهذا لا إشكال فيه، لكن قوله: (**«فإنا نستشفع بالله عليك»**): هذا محل النظر، فالرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تغير، وقال: (**«سبحان الله! سبحان الله! فما زال يسبح حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه»**)، والتسبيح أحيانًا يأتي في مقام التعجب، وتارة في مقام الإنكار، لكن كثيرًا من الأحيان: الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يكبر أو يسبح؛ تعظيمًا لله من الأمر الواقع الذي سمعه أو شاهده.

(**«ويحك! أتدري ما الله؟»**): أي: أتعرف الله؟! إنَّ شأن الله عظيم!

يقول في الحديث: (**«فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه»**): يعني: لما شق عليه من سماع ذلك، فالرسول غضب، وتغير لذلك وجوه أصحابه؛ لأنهم علموا أنَّ هذا قد أتى بأمر أغضب النبي ﷺ، فتغيرت وجوههم؛ كراهة لما حدث من إغضاب الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠١٤)، ومسلم (٨٩٧) من حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فالأعرابي أخطأ في قوله: «نستشفع بالله عليك»؛ لأنَّ الأصل في الشافع أن يكون دون المشفوع عنده، ومعناه أنهم يطلبون من الله أن يشفع لهم عند الرسول ﷺ! كأنه يقول: يا الله اشفع لنا عند الرسول! وهذا لا يليق بالرب العظيم سبحانه! فالرسول عبد، وهو الذي يسأل ربه.

فهذه الجملة صدرت عن الأعرابي لجهله، والرسول ﷺ أنكر عليه وأغلظ له؛ ليبين له أنَّ الأمر عظيم، وأنَّ شأن الله عظيم كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فلا يجوز الاستشفاع بالله لكن تقول: اللهم وفقه أن يدعو لي، اللهم ألهمه أن يدعو لي، فهذا يجوز؛ لأنه لا يدعو أحد إلا بإلهام من الله، فإذا دعوت فهذا من إلهام الله لك، وإذا دُعي لك فكذلك من إلهام الله لهذا العبد أن يدعو لك.

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذكر الحديث)**: أي: الحديث له بقية وتتمته: «**ويحك! أتدري ما الله! إنَّ عرشه على سمواته لهكذا** - وقال بأصابعه مثل القبة - **عليه، وإنه ليئطُّ به أطيط الرحل بالراكب**».

(فيه مسائل:

الأولى: إنكاره على مَن قال: «نستشفع بالله عليك»).

أي: فدل ذلك على أنَّ الاستشفاع بالله منكر.

(الثانية: تغيره تغيرًا عُرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة).

في هذا تغليظ زيادة على مجرد التحريم؛ لأنَّ هذا اللفظ فيه: التنقص لرب العالمين، وهذا ينافي تحقيق التوحيد والتعظيم لرب العالمين.

(الثالثة: أنه لم ينكر عليه قوله: «نستشفع بك على الله»).

هذا يدل على جواز طلب الدعاء، وقد كان الصحابة إذا أجدبوا يطلبون من الرسول ﷺ أن يدعو لهم كما تقدم، ولما توفي الرسول ﷺ كان عمر إذا أجدبوا يطلب من العباس أن يستسقي لهم؛ كما في الحديث الذي عند البخاري: «أنَّ عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون»[1].

(الرابعة: التنبيه على تفسير «سبحان الله!»).

تفسيرها هو: تنزيه الله عن كل ما لا يليق، وهنا: تنزيه عن الجملة التي نسبها الأعرابي إلى الله مما لا يليق به، والرسول ﷺ رد عليه بالتسبيح؛ كأنه يقول له: سبحان الله عما تقول.

(الخامسة: أنَّ المسلمين يسألونه الاستسقاء).

أي: يسألونه أن يستسقي لهم كما في حديث الأعرابي الذي في «الصحيحين» وغيره.

◆◇◈◇◆

(١) أخرجه البخاري (٣٧١٠) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦٦)

باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك

عن عبد الله بن الشخِّير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «السيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»، قلنا: «وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طَولًا»، فقال: «قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان» رواه أبو داود بسند جيد[١].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ ناسًا قالوا: يا رسول الله؛ يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا! فقال: «يا أيها الناس؛ قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عَزَّوَجَلَّ» رواه النسائي بسند جيد[٢].

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٣٠٧)، (١٦٣١١)، (١٦٣١٦)، وأبو داود (٤٨٠٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٢١١) والنسائي (١٠٠٠٥)، وجوَّد إسناده ابن مفلح في الآداب الشرعية (٣/ ٤٣٨)، وقال ابن حجر في الفتح (١٠/ ١٧٩): «ورجاله ثقات وقد صححه غير واحد».

(٢) أخرجه أحمد (١٢٥٥١)، (١٣٥٢٩)، (١٣٥٩٦)، والنسائي في الكبرى (١٠٠٠٦)، (١٠٠٠٧)، وصححه ابن حبان (٦٢٤٠)، وابن عبد الهادي في الصارم المنكي (ص٢٨٨). وينظر: الصحيحة (١٠٩٧)، (١٥٧٢).

الشَّرح

هذا الباب قريب من باب: (ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد، وسده كل طريق يوصل إلى الشرك)[١]: يعني: الترجمتان متقاربتان، ولكن هذه أبلغ؛ لأنه **قال هنا: (حمى التوحيد)**، وقال هناك: «جناب التوحيد»، وحماية الحمى أبلغ من حماية الجانب؛ لأنَّ جانب الشيء هو بعضه، وأما الحمى: فهو ما حول الشيء؛ فهو أبلغ في حماية التوحيد وسد طرق الشرك، ومن الفرق بين البابين أنَّ الباب السابق في صد طرق الشرك الفعلية، وهذا الباب في صد طرق الشرك القولية[٢].

وذكر الشيخ في هذا الباب حديثين؛ حديث عبد الله بن الشخير قال: (**انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «السيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»، قلنا: «وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طَولًا»، فقال: «قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان»**).

وحديث أنس: (**أنَّ ناسًا قالوا: يا رسول الله! يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا! فقال: «يا أيها الناس! قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عَزَّوَجَلَّ»**).

ولا يخفى أنَّ ما قالوه للرسول ﷺ حق، فالذين قالوا: «أنت سيدنا»: ما قالوا إلا حقًّا؛ لأنه قد أخبر بأنه: «**سيد ولد آدم يوم القيامة**»[٣]، وهكذا

---

(١) تنظر: (ص٤٢٩).
(٢) ينظر: القول السديد (ص١٨٩).
(٣) أخرجه مسلم (٢٢٧٨-٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الذين قالوا: «يا خيرنا»: قولهم حق، أما قولهم: «وابن خيرنا»، «وابن سيدنا»: فهذه جاءت تبعًا؛ لأنَّ المقام مقام التكريم والتعظيم والإشادة، فالرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال في جوابه للأولين لما قالوا: «أنت سيدنا»: قال: **(السيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ)**: وهذا يشبه قوله للذين قالوا: قوموا بنا نستغيث برسول الله؛ فقال لهم رسول الله ﷺ: «**إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله**»[(١)].

وهنا في هذا الحديث قال: «**السيد الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»: أراد أن ينبههم إلى أنَّ السيد المطلق هو الله، وهذا يدل على أنَّ من أسماء الله: السيد، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[(٢)]، والسيد هو ذو السيادة والأمر والفضائل والمحامد، وليس أحد مثل الرب في هذا؛ فالله تعالى موصوف بجميع صفات الكمال، له الأسماء الحسنى والصفات العلى؛ فهو السيد؛ لذلك صرفهم عن قولهم: «أنت سيدنا»، وأرشدهم إلى أنَّ السيد هو: «**الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ».

وأجابهم في حديث أنس بقوله: **(«أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله** عَزَّوَجَلَّ**»)**، وهذا يشبه قوله في حديث عمر المتقدم: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**»[(٣)]، ولا ريب أنَّ الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا يرضى بالغلو، ولا أن يُرفع فوق منزلته التي أنزله الله؛ بل نهى أمته عن الغلو فقال: «**إياكم والغلو؛ فإنما أهلك مَن كان قبلكم: الغلو**»[(٤)].

---

(١) تقدم تخريجه في (ص٢٩٣).

(٢) ينظر: بدائع الفوائد (٣/ ١١٧٥-١١٧٦).

(٣) تقدم تخريجه في (ص٣٦٩).

(٤) تقدم تخريجه في (ص٣٦٩).

وقوله: («**قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان**»)، وفي الحديث الآخر: («**قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان**»): يعني: اقتصدوا في الكلام ولا تبالغوا، وفي هذا سد لباب الغلو في شخصه ﷺ، ولهذا قال: «**أنا محمد عبد الله ورسوله؛ ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عَزَّوَجَلَّ**»، وهذا نظير قوله ﷺ في الحديث الآخر: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**»[(١)]، ولا منافاة بين نهيه ﷺ عن قولهم سيدنا، وقوله: «**أنا سيد ولد آدم**»[(٢)]، لأنه أراد بقوله: «**السيد الله**» تعريفهم بأنَّ السيادة المطلقة لله وحده؛ لأنه تعالى الموصوف بكل معاني السيادة، وأما الرسول ﷺ؛ فهو كما قال: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»[(٣)]، معرفًا لأمته بمنزلته في الناس.

(فيه مسائل:

الأولى: تحذيره الناس عن الغلو).

الرسول ﷺ حذَّر من الغلو في كل من الحديثين، ووجههم إلى تعظيم الله والإقرار بأنه السيد، وفي الثاني وجههم إلى الاقتصاد في القول، وحذَّرهم أيضًا من استجراء الشيطان؛ فإنَّ الشيطان يستجري الإنسان، وينقله من الوسيلة إلى الغاية.

(١) تقدم تخريجه في (ص٣٦٩).
(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٨-٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه الترمذي (٣١٤٨)، (٣٦١٥)، وابن ماجه (٤٣٠٨) -واللفظ له-، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان (٦٢٤٢) من حديث واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء عن جمع من الصحابة. ينظر: الصحيحة (١٥٧١).

(الثانية: ما ينبغي أن يقول مَن قيل له: «أنت سيدنا»).

ينبغي أن يقول: «**السيد الله**» والسيادة من حيث الخبر عنها: تطلق على غير الله؛ فيقال: هذا سيد ومولى العبد، وكبير العشيرة: سيدها؛ كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ للأنصار لما دخل عليهم سعد بن معاذ: «**قوموا إلى سيدكم**»(١)، ولكن لا ينبغي اعتياد «يا سيدي»، أو «أنت سيدنا»؛ لنهيه ﷺ عن مثل هذا في حقه، وهو أحق الناس بمعناه، وقوله: «**قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان**»؛ فكيف إذا قيلت هذه الكلمة لمن هو من أبعد الناس عن السيادة! وبعض الناس يقول للكافر: السيد فلان، وقد جاء عن النبي ﷺ النهي عن ذلك، وهو قوله: «**لا تقولوا للمنافق: سيد، فإنه إن يك سيدًا فقد أسخطتم ربكم** عَزَّوَجَلَّ»(٢)؛ اللهم إلا إذا كان اسمًا له أو لقبًا له، فهو يذكر لا على وجه التعظيم؛ بل على وجه الإخبار المحض، كما يفعل بعض الناس فيسمي ولده: السيد، فيقال: السيد فلان، وهذا لا يراد منه أنه ذو سيادة، إنما هو اسمه الذي سماه به أبوه، ومع ذلك نقول لا تنبغي التسمية بالسيد؛ لقوله ﷺ: «**السيد الله**»، وهو أدل على تحريم التسمية، وهذا إذا كان معرفًا بأل «السيد»، أما إذا لم يكن بأل؛ كـ«سيد» فالأمر فيه واسع.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٩٣٩)، أبو داود (٤٩٧٧) -واللفظ له-، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٢٤٤) عن بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الحاكم (٧٨٦٥)، والألباني في الصحيحة (٣٧١)، (١٣٨٩).

(الثالثة: قوله: «لا يستجرينكم الشيطان»، مع أنهم لم يقولوا إلا الحق).

حذرهم من أن يستجرينهم الشيطان، ويستدرجهم، ويستهويهم، وينقلهم من الجائز إلى المكروه أو المحرم؛ مع أنهم لم يقولوا إلا حقًّا في قولهم: أنت سيدنا، وأنت خيرنا.

(الرابعة: قوله: «ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي»).

هذا من تواضعه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فهو سيد المتواضعين، ولا يحب المدح؛ كما قال ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**»(١)، وهذا من مقتضيات خضوعه لربه وتذلُّلِه له، وتحقيق عبوديته لربه.

◆◇◈◇◆

(١) تقدم تخريجه في (ص٣٦٩).

(٦٧)

باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧] الآية.

عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد أنَّ الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧] الآية»(١).

وفي رواية لمسلم: «والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أنا الله»(٢).

وفي رواية للبخاري: «يجعل السموات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع»(٣).

ولمسلم عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا: «يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»(٤).

(١) أخرجه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦-١٩).
(٢) أخرجه مسلم (٢٧٨٦-١٩).
(٣) أخرجه البخاري (٤٨١١)، (٧٥١٣).
(٤) أخرجه مسلم (٢٧٨٨-٢٤).

ورُوي عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: «ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم»(١).

وقال ابن جرير: حدثني يونس(٢)، أنبأنا ابن وهب(٣)، قال: قال ابن زيد(٤): حدثني أبي(٥)، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في تُرس»(٦).

(١) أخرجه بنحوه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١٠٩٠)، والطبري في تفسيره (٢٠/ ٢٤٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٧٥٢)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٤٤٥)، وصحح الأثر الشيخ سليمان كما في إبطال التنديد لحمد بن عتيق (ص٣٠٧).

(٢) هو يونس بن عبد الأعلى الصدفي المقرئ الحافظ، ولد سنة (١٧٠هـ) حدَّث عن سفيان بن عيينة، وعبد الله بن وهب وجماعة، وحدَّث عنه مسلم، والنسائي، وابن ماجه وغيرهم، وكان من كبار العلماء في زمانه، توفي سنة (٢٦٤هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٤٨)، والتهذيب (١١/ ٤٤٠ رقم ٨٥٣).

(٣) وهو عبد الله بن وهب وتقدمت ترجمته في (ص٦٩٧).

(٤) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي، حدَّث عن أبيه، وابن المنكدر وجماعة، وروى عنه ابن وهب وعبد الرزاق وآخرون، وكان صاحب قرآن وتفسير؛ فجمع تفسيرًا في مجلد، وكتابًا في الناسخ والمنسوخ، وضعفوه في الحديث، توفي سنة (١٨٢هـ). ينظر: السير (٨/ ٣٤٩)، والتهذيب (٦/ ١٧٧ رقم ٣٦١).

(٥) زيد بن أسلم أبو عبد الله العدوي العمري الإمام، الحجة، القدوة، روى عن أبيه -مولى عمر- وابن عمر وخلقٌ، وروى عنه مالك بن أنس، وسفيان الثوري وجماعة، توفي سنة (١٣٦هـ). ينظر: السير (٥/ ٣١٦)، والتهذيب (٣/ ٣٩٥ رقم ٧٢٨).

(٦) أخرجه ابن جرير في التفسير (٤/ ٥٣٩) وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٨٧)، وضعفه الذهبي في العلو (ص ١١٧ رقم٣١٣)، والألباني في الضعيفة (٦١١٨).

قال: وقال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلَقة من حديد أُلقيت بين ظهرَي فلاة من الأرض»(١).

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «بين السماء الدنيا والتي تليها خمس مئة عام، وبين كل سماء خمس مئة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمس مئة عام، وبين الكرسي والماء خمس مئة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم» أخرجه ابن مهدي، عن حماد بن سلمة، عن عاصم(٢)، عن زر(٣)، عن عبد الله(٤).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٥٣٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٨٧)، وأخرجه أيضًا أبو جعفر بن أبي شيبة في العرش (٥٨)، وصححه ابن حبان (٣٦١)، والألباني بطرقه في الصحيحة (١٠٩).

(٢) وهو عاصم بن أبي النجود الكوفي، أحد القراء السبعة وقد وثقه في الحديث: أحمد وأبو زرعة وجماعة، توفي سنة (١٢٧هـ). ينظر: معرفة القراء الكبار (١/ ٨٨ رقم ٣٥)، والسير (٥/ ٢٥٦).

(٣) وهو زِر بن حبيش بن حباشة بن أوس الكوفي، أبو مريم الأسدي، الإمام، القدوة، مقرئ الكوفة، مخضرمٌ أدرك أيام الجاهلية، كان ثقة كثير الحديث، وحدَّث عن جمع من كبار الصحابة كعمر وأُبيٍّ وقرأ وحدَّث عنه يحيى بن وثاب، وعاصم بن بهدلة وغيرهم، توفي سنة (٨١هـ) وقيل (٨٢هـ). ينظر: الطبقات لابن سعد (٨/ ٢٢٥)، والسير (٤/ ١٦٦).

(٤) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (ص٥٥، رقم ٨١)، وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٢٤٢)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٦٥)، والطبراني في الكبير (٨٩٨٧) وصححه الذهبي في العلو (ص٧٩ رقم ١٧٣)، والألباني في مختصره (ص١٠٣ رقم ٤٨).

ورواه بنحوه المسعودي[١]، عن عاصم، عن أبي وائل[٢]، عن عبد الله[٣].

قاله الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، قال: «وله طرق»[٤].

وعن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: بينهما مسيرة خمس مئة سنة، وبين[٥] كل سماء إلى سماء مسيرة خمس مئة سنة، وكِثَف كل سماء مسيرة خمس مئة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض،

---

(١) وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود الهذلي، الفقيه العلامة المحدث، حدَّث عن عون بن عبد الله بن عتبة، وسعيد بن أبي بردة وجماعة، وحدَّث عنه ابن المبارك، وسفيان بن عُيينة وآخرون، اختلط قبل موته بسنة أو سنتين، توفي سنة (١٦٠هـ)، وقيل (١٦٥هـ). ينظر: السير (٧/ ٩٣)، والتهذيب (٦/ ٢١٠ رقم٤٣٠).

(٢) هو شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدي الكوفي الإمام الكبير، مخضرمٌ، أدرك النبي ﷺ وما رآه، حدَّث عن عمر وعثمان وجماعة، وحدَّث عنه عمرو بن مرة وحبيب بن أبي ثابت وخلقٌ، توفي سنة (٨٢هـ). ينظر: الطبقات لابن سعد (٨/ ٢١٦)، والسير (٤/ ١٦١).

(٣) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٨٥٢)، وهو من أوهام المسعودي، فقد رُمي بالاختلاط، وعُدَّ هذا من تخليطه، والصواب أنه عن عاصم، عن زِرِّ بن حبيش، عن ابن مسعود. وتابعه حفص بن سليمان عند الخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق (٢/ ١٨) عن عاصم، به. وحفص متروك الحديث مع إمامته في القراءة كما في التقريب (١٤٠٥).

(٤) العلو (ص٤٥-٤٦ رقم ٧٤) وينظر: العلو (ص٧٩).

(٥) هذا هو الصواب كما قاله شيخنا وهو المثبت في مسند أبي يعلى (٦٧١٣)، وفي تفسير البغوي (٨/ ٢١٠)، أما في نسخة دغش والأصول الحديثية الأخرى: (ومن).

والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم» أخرجه أبو داود وغيره[1].

الشرح

يختتم الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه بهذا الباب العظيم: (**باب ما جاء في قول الله تعالى:** ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]). وبتأمل ما ذكره الشيخ من الآية والأحاديث والآثار: يتبين أنه قصد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تقرير إثبات صفات الرب سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، والرد على المعطلة، ويتضمن على وجه التفصيل إثبات اليدين، والأصابع، وإثبات علوه تعالى وعظمته واستوائه على عرشه؛ وبهذا يُعلم أنَّ «كتاب التوحيد» قد اشتمل على تقرير أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات، ولكن المقصود الأول والأعظم هو تقرير توحيد العبادة، الذي هو توحيد الإلهية، لكنه مع ذلك ضم أبوابًا من توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وقد تقدم التنبيه على هذا في باب: «مَن جحد شيئًا من الأسماء والصفات»[2] فتضمنت أبواب «كتاب التوحيد»: بيان منزلة التوحيد، وأنه أول واجب على العباد، وفضل التوحيد،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠) وابن ماجه (١٩٣)، وأخرجه أحمد (١٧٧٠)، والحاكم (٣١٣٧)، (٣٤٢٨) وصححه ابن القيم في تهذيب السنن (٣/ ٢٢٢)، وضعفه الألباني في الضعيفة (رقم ١٢٤٧).

(٢) تنظر: (ص٦٠٤).

وتفاضل أهل التوحيد، ووجوب الدعوة إلى التوحيد، وبيان ضده، وهو الشرك في العبادة وفي الربوبية، وتضمن أيضًا بيان أنواع من الشرك الأكبر، والشرك الأصغر، ووسائلهما؛ فهو كتاب عظيم، جليل القدر، جدير بالحفظ والتدبر، وكله نصوص؛ فالأبواب كلها آيات وأحاديث وبعض الآثار، وبعض النقول من كلام أهل العلم، وكل باب أتبعه الشيخ بفوائد من نصوص الباب سماها مسائل على سبيل الإشارة والاختصار.

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]: يخبر تعالى عن المشركين أنهم بشركهم ما قدروه حق قدره؛ أي: ما عظموه ما يستحقه من التعظيم، وذلك بإخلاص الدين له، وعبادته وحده لا شريك له؛ لأنهم ما عرفوه حق معرفته فسبب شركهم جهلهم بالله؛ كما يدل لذلك قوله قبل هذه الآية: ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤﴾ [الزمر]، وكما قال موسى لبني إسرائيل لما قالوا اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة: إنكم قوم تجهلون، وكأن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أشار إلى هذا في عقده هذا الباب لما فيه من الدلالة على عظمته تعالى المنافية للشرك به؛ فالمشركون لو عرفوا عظمة الله ما سووا به غيره، ولذا يُقرُّون -وهم في جهنم- أنهم كانوا بسبب ذلك في ضلال مبين، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ٩٦ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٨﴾ [الشعراء].

ثم ذكر الشيخ بعض الأحاديث والآثار المفسرة لهذه الآية؛ وأول ذلك حديث ابن مسعود في قصة الحبر من اليهود، وفيه أنَّ النبي ﷺ أقره على ما ذكر من أصابع الله، وجعل المخلوقات عليها ثم استشهد

ﷺ؛ بقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، ويدل على إقراره لِما قاله اليهودي أنه ﷺ ضحك، واستشهد بالآية، ولذا قال ابن مسعود: «تصديقًا لقول الحبر»، وهذا يرد ما زعمه أهل الكلام أنَّ النبي ﷺ ضحك ساخرًا ومتعجبًا(١)، وبعد حديث ابن مسعود، ذكر الشيخ قول ابن عباس: «ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم»، وذلك حين يقبض الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ولا يخفى ما في قول ابن عباس من الدلالة على عظمته تعالى، التي لا تحيط بها العقول، فسبحان العظيم الذي لا أعظم منه.

ثم عقب الشيخ قول ابن عباس بحديثين أولهما عن زيد بن أسلم، وهو يدل على عظم الكرسي وسعته، ويشهد لمعناه قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والحديث الثاني عن أبي ذر، وهو يدل على عظم العرش وسعته، وأنه أعظم من الكرسي، وإذا كانت هذه عظمة مخلوقاته؛ فالله أعظم منها، ولهذا لما ذكر الله الكرسي في أعظم آية: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ختمها بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٤﴾ [الشورى].

ثم ذكر الشيخ حديثين أحدهما عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والآخر عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد تضمن الحديثان ذكر الأبعاد التي بين الأرض والسماء، وبين السموات، وبينها وبين العرش، وكل هذه

(١) كالخطابي في أعلام الحديث (٣/ ١٩٠٣)، والقرطبي في المفهم (٧/ ٣٨٩)، وينظر الرد عليهما في التعليقات على المخالفات العقدية في فتح الباري لشيخنا (ص١٧١ رقم ١٢٣).

الأبعاد مقدرة بخمس مئة عام، مما يدل على عظمة هذه المخلوقات، وسعة ما بينها؛ فسبحان الذي خلقها ورفعها بغير عمد، وهو تعالى فوق جميعها وعلمه محيط بها لا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم.

والعلماء يفسرون هذه السنين والأعوام بسير الإبل؛ لأنها وسيلة الانتقال بين الأقطار، ويفسرون بحديث العباس قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥]؛ لأنَّ المعنى أنَّ مقدار نزول الأمر إلى الأرض خمس مئة سنة، وعروجه من الأرض إلى السماء خمس مئة سنة؛ فالحديث مفسر للآية، والآية شاهدة له، ونظير هذه الآية في ذكر الأبعاد بين السماء والأرض، وبين السموات؛ قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المعارج]، وقالوا: إنَّ آية المعارج تقدير لما بين الأرض إلى العرش؛ لقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾: أي: إلى الله، وبهذا يحصل الجمع بين الآيتين(١).

وبعد: فما جاء في الكتاب والسنة من ذكر الأبعاد بين العوالم العلوية والسفلية، هو في حكم العقل جائز؛ أي: إنه لا تحيله العقول، ولكن المنكر العظيم الذي لا تطيقه العقول، ما يزعمه علماء الهيئة في هذا العصر؛ من الكفرة ومقلديهم من المسلمين من الأبعاد بين الأرض والكواكب، وما بين الكواكب بعضها من بعض من الأبعاد التي يقدرونها بسير الضوء، ثم يقدرونها بمئات السنين الضوئية؛ بل بالآلف السنين الضوئية مع قولهم: «أنَّ الضوء يقطع في الثانية مئة وستة وثمانين ألف ميل»، ومن الفروع المشهورة لهذه النظرية أنَّ الشمس يصلنا ضوؤها من

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٩١)، والنونية (٢/ ٣١٦-٣٢٣).

جرمها إلى الأرض في ثمان دقائق[١]؛ علمًا أنَّ بينها وبين الأرض على حد قولهم: ثلاثة وتسعين مليون ميل، ومضمون ما ذكره أصحاب هذه النظريات: أن ليس هناك سماء فضلًا عن سموات، ولهذا هم لا يذكرون السماء البتَّة؛ بل هذا الفضاء لا نهاية له عندهم، فالصاعد في الفضاء لا ينتهي إلى شيء إلا أن يقصد جرمًا من الأجرام السابحة في الفضاء من الكواكب أو غيرها، ويكفي هذا دليلًا على مناقضة هذه النظريات لما دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه المسلمون من وجود السموات وأقربها منا السماء الدنيا، فالصاعد في الفضاء ينتهي إليها ولا يتجاوزها إلا بإذن من الملائكة الموكلين بها؛ كما يدل لذلك قصة معراج النبي ﷺ، وفيه: أنه كلما أتى إلى سماء استفتح جبريل فلم يزل حتى جاوز السماء السابعة[٢]، وعلى هذا فإنكار السموات السبع كفر بالله وكتابه ورسوله، نعوذ بالله من الضلال، ونسأله الهدى إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم، ولا الضالين.

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧] الآية).

تفسيرها هو ما جاء في حديث ابن مسعود وابن عمر، ولفظ حديث ابن عمر قريب من لفظ الآية، ففيه أنه تعالى يأخذ السموات بيمينه،

---

(١) كذا في ويكيبيديا الموسوعة الحرَّة. ولشيخنا فتوى بعنوان: «تقدير الأبعاد بين الأرض والسماء بالسنين الضوئية» وهي منشورة في الموقع الرسمي.

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢) من حديث مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويأخذ الأرض بيده الأخرى، ولحديث ابن عمر روايات عند مسلم فيها تفصيل؛ فهو أولى ما تفسر به الآية، وكذلك حديث ابن مسعود، فإنَّ الرسول ﷺ لما سمع ما قال الحبر ضحك تصديقًا لما قال الحبر، ثم تلى ﷺ هذه الآية، وهذا يدل أنَّ ما قاله الحبر مما يدخل في تفسير الآية.

(الثانية: أنَّ هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه لم ينكروها ولم يتأولوها).

يعني: أنَّ علم الصفات موجود عند اليهود، باق عندهم في عهد رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، التي تلقوها وورثوها من كتب الأنبياء، من التوراة وغيرها، ولم ينكرها اليهود ولم يتأولوها، بخلاف الجهمية الذين أنكروا الصفات، وشنعوا على مَن يثبتها، وحرفوا الكلم عن مواضعه؛ ولهذا يقول عبد الله بن المبارك: «إنَّا نستجيز أن نحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستجيز أن نحكي كلام الجهمية!»(١) أي: لبشاعته وشناعته.

(الثالثة: أنَّ الحبر لما ذكرها للنبي ﷺ صدَّقه، ونزل القرآن بتقرير ذلك).

قوله: «لما ذكرها»؛ أي: لما ذكر الحبر الصفات، وهي: الأصابع صدقه الرسول، كما قال ابن مسعود: «تصديقًا لقول الحبر»، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] الآية، والآية فيما يظهر نازلة قبل قصة الحبر لكن الرسول ﷺ تلاها شاهدًا ودليلًا لما قال الحبر(٢).

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ١١١ رقم ٢٣) -واللفظ له-، وصحَّح إسنادَه ابنُ القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ١٣٤-١٣٥).

(٢) ينظر: الإتقان للسيوطي (١/ ٢٢٣).

(الرابعة: وقوع الضحك الكثير من رسول الله ﷺ عند ذِكر الحبر هذا العلم العظيم).

أي: ضحك الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ضحكًا كثيرًا؛ لقوله في الحديث: «**حتى بدت نواجذه**» تصديقًا لقول الحبر، فلم يضحك سخرية به ولم يغضب، ولو كان ما قال له الحبر باطلًا لغضب الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأنكر عليه، ولقال: إنَّ الله أعظم من ذلك، كيف تقول هذا؟! إنَّ شأن الله عظيم! ونحو ذلك؛ بل ضحك وتلا الآية.

(الخامسة: التصريح بذكر اليدين، وأنَّ السموات في اليد اليمنى، والأرضين في الأخرى).

التصريح بذكر اليدين في الآية وفي الأحاديث، وأنه تعالى يأخذ السموات بيمينه، والأرض بيده الأخرى، وأكثر الروايات بيده الأخرى، وفي رواية: «**بشماله**» عند مسلم وهي التي ذكرها الشيخ، ولا إشكال في ذلك -ولله الحمد-، وليس في هذا تنقص لله تعالى؛ بل إنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «**إنَّ المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عَزَّوَجَلَّ، وكلتا يديه يمين؛ الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**»[(١)] وقوله: «**وكلتا يديه يمين**»، ليس المراد أنهما جميعًا يمين؛ بل فيه احتراز من توهم النقص في يده الأخرى[(٢)]؛ بل إنَّ كلتا يديه يمين مباركة؛ فليست كيَد المخلوق الشمال التي تكون ناقصة القدرة والشرف.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٧).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٩٢-٩٣)، وشرح العقيدة التدمرية لشيخنا (ص٢٦٩).

(السادسة: التصريح بتسميتها الشمال).

يريد الشيخ أنه لا إشكال إذا قيل: أنَّ الله يأخذ الأرض بشماله، للتصريح بذلك في رواية مسلم، والعلماء مختلفون في إثبات لفظة الشمال؛ فمنهم مَن صححها كمسلم، ومنهم مَن ضعفها، وقال: «إنها شاذة»(١)، والصواب: -عندي- أنه لا إشكال فيها من جهة المعنى، كما سبقت الإشارة إلى ذلك قريبًا، أما من جهة الرواية؛ فالحكم لأهل الشأن، وهم مختلفون كما تقدم.

(السابعة: ذِكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك).

يعني: إظهارًا لضعفهم وهوانهم، وأنهم قد ذهبوا وذهب ملكهم، وتفرد الرب بالملك؛ فقال: «**أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**»، في تحقير لهم! وإظهار لذهاب ما أوجب لهم التجبر والتكبر!

(الثامنة: قوله: «كخردلة في كفِّ أحدكم»).

هذا من أثر ابن عباس، وهو يدل على عظمة الله تعالى، وحقارة هذه المخلوقات العظيمة، في جانب عظمته.

(التاسعة: عظمة الكرسي بالنسبة إلى السموات).

هذا مأخوذ من حديث زيد بن أسلم: «**ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة أُلقيت في تُرس**».

---

(١) لتفرد عمر بن حمزة. ينظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ١٣٩-١٤٠ رقم ٧٠٦)، وملحق تخريج المصطلحات الأربعة الواردة في القرآن للألباني (ص١٣١ رقم ١).

(العاشرة: عظمة العرش بالنسبة إلى الكرسي).

هذا مأخوذ من حديث أبي ذر: «**ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد، ألقيت بين ظهرَي فلاة من الأرض**».

(الحادية عشرة: أنَّ العرش غير الكرسي).

بعض المفسرين يفسر الكرسي بالعرش، ويقول: وسع كرسيه يعني: عرشه، وبعضهم يفسره بالعلم، فيقول: وسع كرسيه يعني: علمه، والصواب: أنَّ الكرسي مخلوق غير العرش[1]، وهو موضع القدمين كما جاء عن ابن عباس[2]، وحديث أبي ذر صريح في الفرق.

(الثانية عشرة: كم بين كل سماء إلى سماء).

يريد الشيخ التنبيه على ما دل عليه حديث العباس من تقدير بُعد ما بين السماء والأرض، وبُعد ما بين كل سماء إلى سماء، إلى آخر ما دل عليه الحديث، وقد عبر عنه الشيخ بثمان مسائل من الثانية عشرة إلى التاسعة عشرة.

(الثالثة عشرة: كم بين السماء السابعة والكرسي).

هذا يؤخذ من حديث العباس.

---

(١) ينظر: أصول السنة لابن أبي زمنين (ص٥٤)، وبيان تلبيس الجهمية (٨/ ٣٦٣-٣٦٥).

(٢) أخرجه الدارمي في النقض على المريسي (١/ ٣٩٩)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٥٨٦)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٤٨)، وقال الألباني في مختصر العلو(ص١٠٢ رقم ٤٥): «صحيح موقوف».

(الرابعة عشرة: كم بين الكرسي والماء).

الشيخ يفصل؛ لأنَّ الحديث فصل في هذه الأبعاد وكلها مقدرة بخمس مئة عام.

(الخامسة عشرة أنَّ العرش فوق الماء).

دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، وحديث العباس وحديث عبد الله بن عمرو: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**»[١]، فدل على هذه المسألة الكتاب والسنة.

(السادسة عشرة: أنَّ الله فوق العرش).

يدل لذلك سبع آيات من القرآن، أخبر الله فيها أنه استوى على العرش، وكذلك حديث العباس، وفيه: «والله فوق العرش».

(السابعة عشرة: كم بين السماء والأرض).

خمس مئة عام؛ كما في حديث العباس.

(الثامنة عشرة: كِثَف كل سماء خمس مئة سنة).

كثف السماء يعني: سمك السماء، فما بين السماء الأولى أو الدنيا، والسماء الثانية خمس مئة عام.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

(التاسعة عشرة: أنَّ البحر الذي فوق السموات، بين أعلاه إلى أسفله مسيرة خمس مئة سنة، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعلم، وصلى الله وسلم على محمد وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا).

وهذا من حديث العباس: أنَّ ذلك البحر بين أسفله وأعلاه خمس مئة عام، وفي حديث ابن مسعود: «**والعرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم**»؛ ثم ختم الشيخ كتابه وكلامه بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه؛ فجزاه الله على ما قدَّم وبيَّن في هذا الكتاب وغيره أحسن جزاء وأوفاه، وقد نفع الله بهذا الكتاب نفعًا عظيمًا خلقًا كثيرًا، وقد تقدم في المقدمات التنبيه على مزايا هذا الكتاب، وأنه حقيق بالحفظ والشرح والنشر، وهذا كله متحقق بحمد لله.

تم إملاء هذا الشرح لـ «كتاب التوحيد» في يوم الخميس، الخامس والعشرين من شهر شوال، من عام ثلاثة وأربعين وأربع مئة وألف.

قائمة المراجع

(أ)

١. **الإبانة الكبرى**، ابن بطة، جماعة من المحققين، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

٢. **الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير**، الحسين بن إبراهيم الجورقاني، حققه: د. عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ.

٣. **إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد**، حمد بن علي بن عتيق، حققه: عبد الإله بن عثمان الشايع، دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع.

٤. **الإتقان في علوم القرآن**، جلال الدين السيوطي، طبعة مجمع الملك فهد.

٥. **آثار العلامة المعلمي**، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

٦. **اجتماع الجيوش الإسلامية**، ابن قيم الجوزية، حققه: عواد عبد الله المعتق، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٧. **الأحاديث المختارة**، الضياء المقدسي، حققه: عبد الملك بن عبد الله الدهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م.

٨. **الآحاد والمثاني**، أبو بكر بن أبي عاصم، حققه: د. باسم فيصل الجوابرة، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٩. **إحكام الأحكام في شرح عمدة الأحكام**، ابن دقيق العيد، حققه: حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، طبعة ١٣٧٢هـ.

١٠. **أحكام أهل الملل والردة من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل**، أبو بكر أحمد بن محمد الخَلَّال، حققه: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١١. **أحكام الجنائز وبدعها**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١٢. **أحكام القرآن**، أبو بكر ابن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ.

١٣. **إحياء علوم الدين**، أبو حامد الغزالي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.

١٤. **الأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية**، ابن تيمية، حققه: أحمد بن محمد الخليل، دار العاصمة، الرياض.

١٥. **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، محمد بن إسحاق الفاكهي، حققه: د. عبد الملك عبد الله الدهيش، دار خضر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

١٦. **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، محمد بن عبد الله الأزرقي، حققه: د. عبد الملك عبد الله الدهيش، مكتبة الأسدي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

١٧. **الآداب**، جعفر ابن شمس الخلافة، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، ١٣٤٩هـ.

١٨. **الآداب الشرعية والمنح المرعية**، ابن مفلح، دار عالم الكتب، وطبعة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

١٩. **الأربعون النووية**، يحيى بن شرف النووي، حققه: قصي محمد نورس الحلاق وأنور بن أبي بكر الشيخي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

٢٠. **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول**، محمد بن علي الشوكاني، حققه: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٢١. **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

٢٢. **الأدب المفرد**، محمد بن إسماعيل البخاري، حققه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.

٢٣. **الأذكار**، يحي بن شرف النووي، حققه: عبد القادر الأرناؤوط، مطبعة الملّاح، دمشق، طبعة ١٣٩١هـ.

٢٤. **أسباب نزول القرآن**، علي بن أحمد الواحدي، حققه: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

٢٥. **الاستغاثة في الرد على البكري**، ابن تيمية، حققه: د. عبد الله بن دجين السهلي، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٣٦هـ.

٢٦. **الاستقامة**، ابن تيمية، حققه: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٢٧. **الإسراء والمعراج وذِكر أحاديثهما وتخريجها وبيان صحيحها**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، الأردن، الطبعة الخامسة، ١٤٢١هـ.

٢٨. **الأسماء والصفات**، أبو بكر البيهقي، حققه: عبد الله الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٢٩. **الأسنة الحِداد في رد شبهات علوي الحداد**، سليمان بن سحمان، مطابع الرياض، الطبعة الثانية، ١٣٧٦هـ.

٣٠. **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر العسقلاني، حققه: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

٣١. **أصل صفة صلاة النبي ﷺ**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

٣٢. **أصول السنة**، ابن أبي زَمَنِين، حققه: أحمد بن علي الرياشي، دار الفرقان، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

٣٣. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

٣٤. **أطراف الغرائب والأفراد للدارقطني**، ترتيب ابن القيسراني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٣٥. **الاعتصام**، الشاطبي، حققه: الشقير والحميد والصيني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

٣٦. **أعلام الحديث**، أبو سليمان الخطابي، حققه: د. محمد بن سعد آل سعود، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣٧. **إعلام الموقعين**، ابن قيم الجوزية، حققه: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٣٨. **أعلام النبوة**، الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٣٩. **إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان**، ابن قيم الجوزية، حققه: محمد عزير شمس، دار ابن حزم، الطبعة الثالثة، ١٤٤٠هـ.

٤٠. **اقتضاء الصراط المستقيم**، ابن تيمية، حققه: د. ناصر العقل، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ.

٤١. **الإقناع في مسائل الإجماع**، علي بن محمد ابن القطان، حققه: حسن فوزي الصعيدي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٤٢. **الأم**، محمد بن إدريس الشافعي، حققه: رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٣. **الانتصار لأهل الأثر،** ابن تيمية، حققه: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار ابن حزم، الطبعة الثالثة، ١٤٤٠هـ.

٤٤. **الإيضاح في مناسك الحج والعمرة،** يحيى بن شرف النووي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية،١٤١٤هـ.

٤٥. **الإيمان،** ابن تيمية، حققه: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ.

٤٦. **الإيمان،** ابن منده، حققه: علي بن محمد الفقيهي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

٤٧. **الإيمان،** أبو عبيد القاسم بن سلام، حققه: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٤٨. **الإيمان الأوسط = شرح حديث جبريل،** ابن تيمية، حققه: علي بن بخيت الزهراني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، طبعة ١٤٢٣هـ.

(ب)

٤٩. **الباعث على إنكار البدع والحوادث،** أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل، حققه: عثمان أحمد عنبر، دار الهدى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.

٥٠. **البحر المحيط في أصول الفقه،** بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، دار الكتبي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٥١. **البداية والنهاية،** ابن كثير، حققه: عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٥٢. **بدائع الفوائد،** ابن قيم الجوزية، حققه: علي العمران، دار ابن حزم، الطبعة الخامسة، ١٤٤٠هـ.

٥٣. **البدر المنير في تخريج الشرح الكبير،** ابن الملقن، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٥٤. **البردة بشرح ابن مقلاش**، حققه: د. محمد مرزاق، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

٥٥. **البعث والنشور**، أبو بكر البيهقي، حققه: عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٥٦. **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة**، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، حققه: د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٥٧. **بهجة المَجالس وأنس المُجالس**، ابن عبد البر، حققه: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١م.

٥٨. **بيان تلبيس الجهمية**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٥٩. **بيان الدليل على بطلان التحليل**، ابن تيمية، حققه: حمدي عبد المجيد السلفي، المكتب الإسلامي، طبعة ١٩٩٨م.

٦٠. **بيان فضل علم السلف على الخلف**، ابن رجب الحنبلي، حققه: محمد بن ناصر العجمي، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

٦١. **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة**، ابن رشد الجد، حققه: د. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

٦٢. **بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام**، أبو الحسن ابن القطان، حققه: د. الحسين آيت سعيد، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٦٣. **البيان والتبيين (والتبيُّن)**، الجاحظ، حققه: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ.

(ت)

٦٤. **تاج العروس من جواهر القاموس**، المرتضى الزبيدي، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت.

٦٥. **تاريخ ابن غنام= روضة الأفكار والأفهام**، حسين بن غنام، حققه: ناصر الدين الأسد، دار الشروق، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ.

٦٦. **تاريخ الإسلام**، الذهبي، حققه: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٦٧. **تاريخ ابن يونس المصري**، عبد الرحمن بن أحمد بن يونس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٦٨. **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، حققه: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٦٩. **تاريخ دمشق**، ابن عساكر، حققه: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، طبعة ١٤١٥هـ.

٧٠. **تاريخ الطبري= تاريخ الرسل والملوك**، أبو جعفر ابن جرير الطبري، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية.

٧١. **التاريخ الكبير**، محمد بن إسماعيل البخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن.

٧٢. **تأويل مختلف الحديث**، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، حققه: محمد محي الدين الأصفر، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

٧٣. **التبيان في إعراب القرآن**، عبد الله العكبري، حققه: علي محمد البجاوي، طبعة عيسى البابي الحلبي.

٧٤. **التبيان في أيمان القرآن**، ابن قيم الجوزية، حققه: عبد الله البطاطي، دار ابن حزم، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ.

٧٥. **التَّحبير لإيضاح معاني التَّيسير**، محمد بن إسماعيل الصنعاني، حققه: محمد صبحي حلّاق، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.

٧٦. **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٧٧. **تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٧٨. **تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب**، أبو حيان الأندلسي، حققه: سمير المجذوب، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٧٩. **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف**، أبو الحجاج المِزِّي، ومعه (النكت الظراف لابن حجر)، حققه: عبد الصمد شرف الدين، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ.

٨٠. **تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين**، محمد بن علي الشوكاني، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٨١. **التحفة العراقية في الأعمال القلبية**، ابن تيمية، حققه: يحيى الهنيدي، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤٣٩هـ.

٨٢. **تحفة المودود بأحكام المولود**، ابن قيم الجوزية، حققه: عثمان جمعة ضميرية، دار ابن حزم، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠هـ.

٨٣. **تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد**، عبد الهادي بن محمد العجيلي، حققه: حسن بن علي العواجي، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٨٤. **تخريج أحاديث إحياء علوم الدين**، العِراقي، ابن السبكي، الزبيدي، استخراج محمود الحَدّاد، دار العاصمة للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٨٥. **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري**، عبد الله بن يوسف الزيلعي، حققه: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٨٦. **التدمرية**، ابن تيمية، حققه: د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة السادسة، ١٤٢١هـ.

٨٧. **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، القاضي عياض، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، الطبعة الأولى.

٨٨. **الترغيب والترهيب**، عبد العظيم المنذري، حققه: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية.

٨٩. **التسعينية**، ابن تيمية، حققه: د. محمد بن إبراهيم العجلان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٩٠. **التسهيل لعلوم التنزيل**، ابن جزي الكلبي، حققه: علي بن حمد الصالحي، دار طيبة الخضراء، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ.

٩١. **تعظيم قدر الصلاة**، محمد بن نصر المروزي، حققه: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٩٢. **التعليق على القواعد المثلى**، عبد الرحمن البراك، أعدَّه: عبد الله المزروع، دار التدمرية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ.

٩٣. **التعليقات على المخالفات العقدية في فتح الباري**، عبد الرحمن البراك، دار التوحيد للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.

٩٤. **التعليقات على المسائل العقدية في كتاب التسهيل لابن جزي**، عبد الرحمن البراك، مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، الطبعة الثانية، ١٤٤٢هـ.

٩٥. **تغليق التعليق على صحيح البخاري**، ابن حجر، حققه: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٩٦. **تفسير أبي السعود= إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، حققه: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة.

٩٧. **تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء**، ابن تيمية، حققه: عبد العزيز بن محمد الخليفة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٩٨. **التفسير البسيط**، علي بن أحمد الواحدي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

٩٩. **تفسير البغوي= معالم التنزيل**، الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ.

١٠٠. **تفسير الثعلبي= الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، أحمد بن إبراهيم الثعلبي، دار التفسير، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ.

١٠١. **تفسير عبد الرزاق**، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، حققه: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٠٢. **تفسير القرآن العظيم**، عبد الرحمن ابن أبي حاتم، حققه: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

١٠٣. **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، حققه: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ، ومؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

١٠٤. **تفسير القرطبي= الجامع لأحكام القرآن**، محمد بن أحمد القرطبي، حققه: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، طبعة ١٤٢٣هـ.

١٠٥. **تفسير الماوردي= النكت والعيون**، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، حققه: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٦. **تقريب التهذيب**، ابن حجر العسقلاني، حققه: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٠٧. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، ابن عبد البر، حققه: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

١٠٨. **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، ابن حجر العسقلاني، حققه: محمد الثاني عمر بن موسى، دار أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

١٠٩. **تلخيص كتاب الاستغاثة**، ابن تيمية، حققه: محمد علي عجال، مكتبة الغرباء، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١١٠. **تهذيب التهذيب**، ابن حجر، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

١١١. **تهذيب سنن أبي داود**، ابن قيم الجوزية، حققه: علي العمران ونبيل السندي، دار ابن حزم، الطبعة الثانية، ١٤٤٠هـ.

١١٢. **التوحيد وإثبات صفات الرب**، ابن خزيمة، حققه: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ.

١١٣. **التوضيح عن توحيد الخلاق**، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

١١٤. **التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد**، عبد الله بن محمد الدويش، دار العليان، طبعة ١٤١١هـ.

١١٥. **توضيح مقاصد العقيدة الواسطية**، عبد الرحمن البراك، أعده: عبد الرحمن بن صالح السديس، دار التدمرية، الطبعة الثالثة، ١٤٣٢هـ.

١١٦. **التوضيحات الجلية في شرح الفتوى الحموية**، عبد الرحمن البراك، مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، الطبعة الأولى، ١٤٤٢هـ.

١١٧. **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، حققه: أسامة بن عطايا، دار الصميعي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

(ث)

١١٨. **الثقات**، ابن حبان، دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد، الدكن، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ.

(ج)

١١٩. **جامع البيان في تفسير القرآن= تفسير الطبري**، محمد بن جرير الطبري، حققه: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٢٠. **جامع العلوم والحكم**، ابن رجب، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٢هـ.

١٢١. **الجامع في الحديث**، عبد الله بن وهب، حققه: د مصطفى أبو الخير، دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

١٢٢. **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، الخطيب البغدادي، حققه: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، طبعة ١٤٠٣هـ.

١٢٣. **الجامع لفوائد بلوغ المرام**، عبد الرحمن البراك، مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، الطبعة الثانية، ١٤٤٢هـ.

١٢٤. **جامع المسائل**، ابن تيمية، حققه: محمد عزير شمس وعلي العمران وعبد الرحمن قائد، دار ابن حزم، الطبعة الثانية، ١٤٤٠هـ.

١٢٥. **جامع المسانيد**، ابن الجوزي، حققه: د. علي حسين البواب، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

١٢٦. **الجرح والتعديل**، ابن أبي حاتم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٢٧١هـ.

١٢٧. **جزء في زيارة النساء للقبور**، بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

١٢٨. **الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم**، محمد بن فتوح الحَمِيدي، حققه: د. علي حسين البواب، دار ابن حزم، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.

١٢٩. **جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام**، ابن قيم الجوزية، حققه: زائد بن أحمد النشيري، دار ابن حزم، الطبعة الخامسة، ١٤٤٠هـ.

١٣٠. **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، ابن تيمية، حققه: علي بن حسن وعبد العزيز بن إبراهيم وحمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

١٣١. **الجواب الكافي= الداء والدواء**، ابن قيم الجوزية، حققه: محمد أجمل الإصلاحي، دار ابن حزم، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠هـ.

١٣٢. **جوامع السيرة**، ابن حزم، حققه: إحسان عباس، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٠٠م.

(ح)

١٣٣. **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، ابن قيم الجوزية، حققه: زائد النشيري، دار ابن حزم، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠هـ.

١٣٤. **حاشية الأصول الثلاثة**، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، دار الزاحم، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.

١٣٥. **حاشية كتاب التوحيد**، عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

١٣٦. **الحجة في بيان المحجة**، إسماعيل بن محمد الأصبهاني، حققه: محمد عبد اللطيف الجمل، دار الفاروق، مصر، الطبعة الثالثة، ١٤٣٧هـ.

١٣٧. **حجرة النبي ﷺ تاريخها وأحكامها**، عبد الرحمن بن سعد الشثري، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ.

١٣٨. **الحكم الجديرة بالإذاعة**، ابن رجب، حققه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

١٣٩. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤٠. **الحوادث والبدع**، أبو بكر الطرطوشي، حققه: علي بن حسن الحلبي، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

(خ)

١٤١. **خلق أفعال العباد**، محمد بن إسماعيل البخاري، حققه: فهد بن سليمان الفهيد، دار أطلس الخضراء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

(د)

١٤٢. **الدر المختار بحاشية ابن عابدين**، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

١٤٣. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، السمين الحلبي، حققه: د أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

١٤٤. **الدر المنثور**، السيوطي، دار الفكر، بيروت.

١٤٥. **درء تعارض العقل والنقل**، ابن تيمية، حققه: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.

١٤٦. **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، حققه: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة السادسة، ١٤١٧هـ.

١٤٧. **دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب**، محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد، مكة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

١٤٨. **ديوان ابن الرومي**، حققه: حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ.

١٤٩. **ديوان أبي الطيب المتنبي**، حققه: عبد الوهاب عزَّام، لجنة التأليف والترجمة والنشر.

١٥٠. **ديوان لبيد بن ربيعة العامري**، طبعة صادر، بيروت.

(ذ)

١٥١. **ذم الكلام وأهله**، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي، حققه: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

(ر)

١٥٢. **الرد على الإخنائي**، ابن تيمية، حققه: أحمد بن مونس العنزي، دار الخراز، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٥٣. **الرد على البردة -ضمن كتاب: «الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين مفتي الديار النجدية»-**، عبد الله أبا بطين، حققه: د علي بن محمد العجلان، دار الصميعي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٥٤. **الرد على الجهمية**، عثمان بن سعيد الدارمي، حققه: بدر بن عبد الله البدر، دار ابن الأثير، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.

١٥٥. **الرد على الجهمية**، محمد بن إسحاق بن مَنْدَه، حققه: علي محمد ناصر الفقيهي، مكتبة الغرباء، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

١٥٦. **الرد على الجهمية والزنادقة**، أحمد بن حنبل، حققه: دغش العجمي، دار غراس، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

١٥٧. **الرد على السبكي في مسألة تعليق الطلاق**، ابن تيمية، حققه: عبد الله بن محمد المزروع، دار ابن حزم، الطبعة الثالثة، ١٤٤٠هـ.

١٥٨. **رفع الملام عن الائمة الأعلام**، ابن تيمية، حققه: عبد الرحمن الجميزي، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

١٥٩. **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية**، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، حققه: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الأولى،١٣٨٧هـ.

١٦٠. **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، ابن قيم الجوزية، حققه: محمد عزير شمس، دار ابن حزم، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠هـ.

١٦١. **رياض الصالحين**، النووي، حققه: د ماهر الفحل، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

(ز)

١٦٢. **زاد المسير في علم التفسير**، ابن الجوزي، حققه: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٦٣. **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ابن قيم الجوزية، حققه: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ.

١٦٤. **الزهد**، عبد الله بن المبارك، حققه: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.

١٦٥. **الزهد**، أحمد بن حنبل، حققه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٦٦. **الزهد الكبير**، أبو بكر البيهقي، حققه: عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م.

(س)

١٦٧. **السبعينية =بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة**، ابن تيمية، حققه: د. موسى سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١٦٨. **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

١٦٩. **سلسلة الأحاديث الضعيفة**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١٧٠. **السنة**، أبو بكر بن أبي عاصم، حققه: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

١٧١. **السنة**، أبو بكر أحمد بن محمد الخَلَّال، حققه: د. عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١٧٢. **السنة**، عبد الله بن أحمد بن حنبل، حققه: د. محمد بن سعيد القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٧٣. **السنة**، محمد بن نصر المروزي، حققه: سالم أحمد السلفي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٧٤. **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

١٧٥. **سنن ابن ماجه**، محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

١٧٦. **سنن الترمذي**، أبو عيسى الترمذي، حققه: د. بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

١٧٧. **سنن الدارقطني**، علي بن عمر الدارقطني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

١٧٨. **سنن سعيد بن منصور**، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة، حققه: حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية، الهند، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

١٧٩. **السنن الكبرى**، البيهقي، حققه: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.

١٨٠. **السنن الكبرى**، النسائي، حققه: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

١٨١. **سنن النسائي**، أحمد بن شعيب النسائي، حققه: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

١٨٢. **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**، ابن تيمية، حققه: علي العمران، دار ابن حزم، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠هـ.

١٨٣. **سير أعلام النبلاء**، محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.

١٨٤. **السيرة النبوية**، ابن هشام، حققه: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ.

(ش)

١٨٥. **شرح الأصبهانية**، ابن تيمية، حققه: د. محمد السعوي، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

١٨٦. **شرح الأصول الثلاثة**، عبد الرحمن البراك، دار التدمرية، الطبعة السادسة، ١٤٣٦هـ.

١٨٧. **شرح ألفية ابن مالك**، عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، الطبعة العشرون، ١٤٠٠هـ.

١٨٨. **شرح ألفية ابن مالك**، علي بن محمد الأُشْمُوني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

١٨٩. **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة= السنة**، هبة الله بن الحسن اللالكائي، حققه: أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة، السعودية، الطبعة الثامنة، ١٤٢٣هـ.

١٩٠. **شرح تسهيل الفوائد**، جمال الدين ابن مالك، حققه: د. عبد الرحمن السيد ود. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١٩١. **شرح حديث النزول**، ابن تيمية، حققه: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار العاصمة، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

١٩٢. **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك**، محمد بن عبد الباقي الزرقاني، حققه: طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

١٩٣. **شرح السنة**، الحسين بن مسعود البغوي، حققه: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

١٩٤. **شرح سنن أبي داود**، أحمد بن حسين ابن رسلان، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ.

١٩٥. **شرح صحيح مسلم**، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

١٩٦. **شرح العقيدة التدمرية**، عبد الرحمن البراك، أعدَّه عبد الرحمن السديس، دار التدمرية، الرياض، الطبعة السادسة، ١٤٤١هـ.

١٩٧. **شرح العقيدة الطحاوية**، ابن أبي العز الحنفي، حققه: شعيب الأرناؤوط، وعبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٤١٧هـ، وطبعة المكتب الإسلامي بتخريج الألباني، الطبعة الثامنة، ١٤٠٤هـ.

١٩٨. **شرح العقيدة الطحاوية**، عبد الرحمن البراك، أعدَّه: عبد الرحمن السديس، دار التدمرية، الطبعة الثالثة، ١٤٣٤هـ.

١٩٩. **شرح القصيدة النونية**، محمد خليل هرَّاس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ.

٢٠٠. **شرح القواعد الأربع**، عبد الرحمن البراك، دار التدمرية، الطبعة السادسة، ١٤٣٦هـ.

٢٠١. **شرح الكافية الشافية**، جمال الدين ابن مالك، حققه: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

٢٠٢. **شرح كشف الشبهات**، عبد الرحمن البراك، دار التدمرية، الطبعة السادسة، ١٤٣٦هـ.

٢٠٣. **شرح كلمة الإخلاص**، عبد الرحمن بن ناصر البراك، أعدَّه: ياسر العسكر، دار التدمرية، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ.

٢٠٤. **شرح مشكل الآثار**، الطحاوي، حققه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٠٥. **شرح المفصل للزمخشري**، ابن يعيش، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٠٦. **شرح نواقض الإسلام**، عبد الرحمن البراك، دار التدمرية، الطبعة السادسة، ١٤٣٦هـ.

٢٠٧. **الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة**، ابن بَطَّة العكبري، حققه: محمد بن نصر أبي جبل، دار الآثار للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

٢٠٨. **شروح سنن ابن ماجه**، مجموعة من العلماء، حققه: رائد صبري بن أبي علفة، بيت الأفكار الدولية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

٢٠٩. **الشرك في القديم والحديث**، أبو بكر محمد زكريا، مكتبة الرشد، الطبعة الثالثة، ١٤٣٣هـ.

٢١٠. **الشريعة**، محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّي، حققه: عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

٢١١. **شعب الايمان**، البيهقي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢١٢. **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، ابن قيم الجوزية، حققه: زاهر بن سالم بلفقيه، دار ابن حزم، طبعة ١٤٤١هـ.

(ص)

٢١٣. **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، ابن تيمية، حققه: محمد الحلواني ومحمد شودري، دار رمادي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢١٤. **الصارم المنكي في الرد على السبكي**، محمد بن أحمد بن عبد الهادي، حققه: عقيل بن محمد المقطري، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

٢١٥. **الصحاح**، الجوهري، حققه: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.

٢١٦. **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، حققه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢١٧. **صحيح ابن خزيمة**، محمد بن إسحاق ابن خزيمة، حققه: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي.

٢١٨. **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل البخاري، حققه: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢١٩. **صحيح الترغيب والترهيب**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٢٢٠. **صحيح سنن أبي داود**، محمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٢١. **صحيح سنن الترمذي**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٢٢. **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج، حققه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، وطبعة دار الطباعة العامرة، تركيا، عام النشر: ١٣٣٤هـ.

٢٢٣. **الصفدية**، ابن تيمية، حققه: سيد بن عباس الجليمي وأيمن بن عارف الدمشقي، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٢٤. **الصمت وآداب اللسان**، ابن أبي الدنيا، حققه: أبو إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٢٢٥. **الصواعق المرسلة**، ابن قيم الجوزية، حققه: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(ض)

٢٢٦. **ضعيف أبي داود -الأم-**، محمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٢٧. **ضعيف الترغيب والترهيب**، محمد ناصر الدّين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٢٢٨. **ضعيف سنن الترمذي**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

(ط)

٢٢٩. **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، ابن قيم الجوزية، حققه: نايف بن أحمد الحمد، دار ابن حزم، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠هـ.

٢٣٠. **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، ابن قيم الجوزية، حققه: محمد أجمل الإصلاحي، دار ابن حزم، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠هـ.

٢٣١. **طبقات الحنابلة**، أبو الحسين ابن أبي يعلى، حققه: د. عبد الرحمن العثيمين، طبعة ١٤١٩هـ.

٢٣٢. **طبقات الصوفية**، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي، حققه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٣٣. **طبقات علماء الحديث**، محمد بن أحمد بن عبد الهادي، حققه: أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

٢٣٤. **طبقات المفسرين**، محمد بن علي الداوودي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٣٥. **الطبقات الكبير**، ابن سعد، حققه: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

(ع)

٢٣٦. **العبودية**، ابن تيمية، حققه: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٦هـ.

٢٣٧. **العجاب في بيان الأسباب**، ابن حجر العسقلاني، حققه: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار بن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٣٨. **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، ابن قيم الجوزية، حققه: إسماعيل بن غازي مرحبا، دار ابن حزم، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠هـ.

٢٣٩. **العرش وما رُوِي فيه**، أبو جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حققه: محمد بن خليفة التميمي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٤٠. **العزيز شرح الوجيز = الشرح الكبير**، عبد الكريم بن محمد الرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٤١. **العظمة**، أبو الشيخ الأصبهاني، حققه: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٤٢. **العقد المنظوم في الخصوص والعموم**، أحمد بن إدريس القرافي، حققه: د. أحمد الختم عبد الله، دار الكتبي، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٤٣. **العقيدة الطحاوية شرح وتعليق**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٤٤. **العقيدة الواسطية**، ابن تيمية، حققه: أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

٢٤٥. **العلل الكبير**، محمد بن عيسى الترمذي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٢٤٦. **العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها**، محمد بن أحمد الذهبي، حققه: أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٢٤٧. **عمل اليوم والليلة**، النسائي، حققه: د. فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

٢٤٨. **عمل اليوم والليلة**، ابن السُّنّي، حققه: كوثر البرني، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، جدة.

٢٤٩. **العوالي**، أبو الشيخ الأصبهاني، حققه: مسعد السعدني، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٥٠. **عيون الرسائل والأجوبة على المسائل**، عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، حققه: حسين محمد بوا، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

(غ)

٢٥١. **غريب الحديث**، ابن قتيبة الدينوري، حققه: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.

٢٥٢. **غريب القرآن**، ابن قتيبة الدينوري، حققه: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، طبعة ١٣٩٨هـ.

(ف)

٢٥٣. **الفائق في غريب الحديث والأثر**، محمود بن عمرو الزمخشري، حققه: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، طبعة ١٤١٤هـ.

٢٥٤. **فتاوى كبار العلماء في التصوير**، عبد الرحمن بن سعد الشثري، دار التوحيد للنشر، الرياض، طبعة ١٤٣٧هـ.

٢٥٥. **فتاوى نور على الدرب**، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، أعدَّه: د. محمد بن سعد الشويعر، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

٢٥٦. **فتاوى نور على الدرب**، محمد بن صالح العثيمين، إصدار مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

٢٥٧. **فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم**، حققه: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

٢٥٨. **فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، حققه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٣٧٩هـ.

٢٥٩. **فتح المجيد**، عبد الرحمن بن حسن، حققه: د. وليد بن عبد الرحمن الفريان، دار الصميعي للنشر والتوزيع.

٢٦٠. **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث**، شمس الدين السخاوي، حققه: د. عبد الكريم الخضير ود. محمد الفهيد، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٢٦١. **فتح الودود في شرح سنن أبي داود**، أبو الحسن السندي، حققه: محمد زكي الخولي، مكتبة لينة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.

٢٦٢. **الفتوحات الربَّانية على الأذكار النواوية**، محمد بن علَّان الصديقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٦٣. **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، ابن تيمية، حققه: د. عبد الرحمن بن عبد الكريم اليحيى، دار الفضيلة، الرياض.

٢٦٤. **الفروع**، ابن مفلح، حققه: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٢٦٥. **الفروق**، أحمد بن إدريس القرافي، دار عالم الكتب.

٢٦٦. **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ابن حزم، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢٦٧. **فضائل الصحابة**، أحمد بن حنبل، حققه: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٢٦٨. **فضل الصلاة على النبي ﷺ**، إسماعيل بن إسحاق الجهضمي، حققه: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧هـ.

٢٦٩. **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.

(ق)

٢٧٠. **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، ابن تيمية، حققه: عبد القادر الأرناؤوط، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٧١. **قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق**، ابن تيمية، حققه: سليمان بن صالح الغصن، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

٢٧٢. **القاموس المحيط**، مجد الدين الفيروزآبادى، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ.

٢٧٣. **القدر وما ورد في ذلك من الآثار**، عبد الله بن وهب، حققه: د. عبد العزيز عبد الرحمن العثيم، دار السلطان، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٢٧٤. **قرة عيون الموحدين**، عبد الرحمن بن حسن، حققه: عمر بن أحمد العباس، دار التوحيد للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

٢٧٥. **القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع**، شمس الدين السخاوي، دار الريان للتراث.

٢٧٦. **القول السديد في مقاصد التوحيد**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، حققه: المرتضى الزين أحمد، مجموعة التحف النفائس الدولية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٢٧٧. **القول المفيد على كتاب التوحيد**، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

(ك)

٢٧٨. **الكاشف عن حقائق السنن= شرح مشكاة المصابيح**، حسين بن عبد الله الطيبي، حققه: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٧٩. **الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف**، ابن حجر العسقلاني، دار عالم المعرفة، بيروت.

٢٨٠. **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية =نونية ابن القيم**، دار عالم الفوائد، مكة، المملكة العربية السعودية.

٢٨١. **الكافي**، موفق الدين ابن قدامة المقدسي، حققه: د. عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر.

٢٨٢. **الكامل في ضعفاء الرجال**، ابن عدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٨٣. **كتاب الأصنام**، ابن بشر الكلبي، حققه: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٥م.

٢٨٤. **الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد**، المنتجب الهمذاني، حققه: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

٢٨٥. **كتاب التوحيد**، محمد بن عبد الوهاب، حققه: د. دغش العجمي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية، الطبعة الخامسة، ١٤٣٥هـ.

٢٨٦. **كتاب الصلاة**، ابن قيم الجوزية، حققه: عدنان بن صافاخان البخاري، دار ابن حزم، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠هـ.

٢٨٧. **كشاف القناع عن متن الإقناع**، منصور بن يونس البهوتي، وزارة العدل المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٢٨٨. **كشف الأستار عن زوائد البزار**، علي بن أبي بكر الهيثمي، حققه: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

٢٨٩. **كشف الخفاء ومزيل الإلباس**، إسماعيل بن محمد العجلوني، حققه: يوسف بن محمود الحاج أحمد، مكتبة العلم الحديث.

٢٩٠. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، حاجي خليفة، مكتبة المثنى، بغداد، طبعة ١٩٤١م.

٢٩١. **الكلم الطيب**، ابن تيمية، حققه: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.

٢٩٢. **الكنى والأسماء**، محمد بن أحمد الدولابي، حققه: نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٢٩٣. **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، محمد بن يوسف الكرماني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.

٢٩٤. **الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري**، أحمد بن إسماعيل الكوراني، حققه: أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

(ل)

٢٩٥. **اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٩٦. **لباب النقول في أسباب النزول**، جلال الدين السيوطي، حققه: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، لبنان، طبعة ١٤٢٦هـ.

٢٩٧. **لسان العرب**، ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٢٩٨. **لسان الميزان**، ابن حجر العسقلاني، حققه: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٩٩. **لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح**، عبد الحق بن سيف الدين الدِّهلوي، حققه: د. تقي الدين الندوي، دار النوادر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ.

٣٠٠. **لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية**، محمد بن أحمد السفاريني، حققه: عبد الله بن محمد البصيري، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

(م)

٣٠١. **مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، طبعة ١٣٩٦هـ.

٣٠٢. **المجالسة وجواهر العلم**، أحمد بن مروان الدينوري، مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم، بيروت، طبعة ١٤١٩هـ.

٣٠٣. **مجمع الزوائد**، الهيثمي، حققه: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ.

٣٠٤. **مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي**، حققه: طلعت بن فؤاد الحلواني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، طبعة ١٤٢٤هـ.

٣٠٥. **المجموع شرح المهذب**، يحيى بن شرف النووي وتكملة السبكي والمطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة.

٣٠٦. **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، حققه: عبد الرحمن بن قاسم، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

٣٠٧. **مجموع فتاوى ورسائل العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين**، حققه: خالد بن محمد السكران التميمي، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ.

٣٠٨. **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، أعدَّه: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن- دار الثريا، طبعة ١٤١٣هـ.

٣٠٩. **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**، ابن باز، أعدَّه: د. محمد بن سعد الشويعر، دار القاسم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
٣١٠. **المحرر الوجيز**، ابن عطية الأندلسي، حققه: الرحالي الفاروق وغيره، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية في قطر، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ.
٣١١. **مختصر الحجة على تارك المحجة**، أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي، حققه: د. محمد إبراهيم هارون، دار أضواء السلف، الطبعة الأولى،١٤٢٥هـ.
٣١٢. **مختصر سنن أبي داود**، عبد العظيم المنذري، حققه: محمد صبحي حلّاق، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى،١٤٣١هـ.
٣١٣. **مختصر صحيح مسلم**، عبد العظيم المنذري، حققه: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٠٧هـ.
٣١٤. **مختصر الصواعق المرسلة**، ابن قيم الجوزية، حققه: د. الحسن بن عبد الرحمن العلوي، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
٣١٥. **مختصر العلو للعلي العظيم**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.
٣١٦. **مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية**، بدر الدين البعلي، حققه: عبد المجيد سليم ومحمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣١٧. **مدارج السالكين**، ابن القيم، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ.
٣١٨. **مراتب الإجماع**، ابن حزم، حققه: حسن أحمد إسبر، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
٣١٩. **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، علي الملا القاري، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٣٢٠. **مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية عبد الله**، عبد الله بن أحمد بن حنبل، حققه: علي سليمان المهنا، مكتبة الدار، المدينة النبوية، طبعة ١٤٠٦هـ.

٣٢١. **مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه**، إسحاق بن منصور الكوسج، الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٣٢٢. **مسائل حرب الكرماني (الطهارة والصلاة)**، حرب بن إسماعيل الكرماني، حققه: محمد بن عبد الله السّرَيِّع، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

٣٢٣. **المسائل والأجوبة**، ابن تيمية، حققه: حسين بن عكاشة، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٣٢٤. **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، حققه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٣٢٥. **مسند أبي داود الطيالسي**، سليمان بن داود الطيالسي، حققه: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٣٢٦. **مسند أبي يعلى**، أحمد بن علي الموصلي، حققه: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٣٢٧. **مسند أحمد بن حنبل**، حققه: شعيب الأرناؤوط وغيره، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، وحققه: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٣٢٨. **مسند البزار**، أبو بكر أحمد بن عمرو البزار، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية.

٣٢٩. **مسند ابن الجعد**، علي بن الجَعْد بن عبيد الجوهري، حققه: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٣٣٠. **مسند الحميدي**، أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي، حققه: حسن سليم أسد الدَّاراني، دار السقا، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٣٣١. **مسند الدارمي = سنن الدارمي**، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، حققه: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٣٣٢. **مسند الروياني**، محمد بن هارون الرُّوياني، حققه: أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٣٣٣. **مسند الشافعي بترتيب سنجر بن عبد الله الجاولي**، حققه: ماهر ياسين فحل، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٣٣٤. **مسند الشاميين**، سليمان بن أحمد الطبراني، حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٣٣٥. **مسند الشهاب**، محمد بن سلامة القضاعي، حققه: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ

٣٣٦. **المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم**، أبو عوانة يعقوب بن إسحاق، الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ.

٣٣٧. **مصابيح السنة**، الحسين بن مسعود البغوي، حققه: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي وأصحابه، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٣٣٨. **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**، أحمد بن أبي بكر البوصيري، حققه: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٣٣٩. **مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام**، عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، حققه: عبد العزيز الحمد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

٣٤٠. **المصنف**، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، حققه: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ. ومعه ملحق الجامع لمعمر بن أبي عمرو راشد الأزدي.

٣٤١. **المصنف في الأحاديث والآثار**، أبو بكر بن أبي شيبة، حققه: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣٤٢. **مطالع الأنوار على صحاح الآثار**، إبراهيم بن يوسف ابن قرقول، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.

٣٤٣. **المطلع على ألفاظ المقنع**، محمد بن أبي الفتح البعلي، حققه: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٣٤٤. **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، حافظ بن أحمد الحكمي، حققه: محمد صبحي حلّاق، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٣٤٥. **المعارف**، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، حققه: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.

٣٤٦. **معالم السنن**، أبو سليمان الخطّابي، المطبعة العلمية، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٥١هـ.

٣٤٧. **معاني القرآن**، يحيى بن زياد الفراء، دار عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.

٣٤٨. **معاني القرآن وإعرابه**، أبو إسحاق الزجاج، حققه: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٣٤٩. **معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى**، محمد بن خليفة التميمي، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٣٥٠. **معجم ابن الأعرابي**، أبو سعيد بن الأعرابي، حققه: عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٣٥١. **معجم لابن المقرئ**، محمد بن إبراهيم ابن المقرئ، حققه: عادل بن سعد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٣٥٢. **المعجم الأوسط**، الطبراني، حققه: طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.

٣٥٣. **معجم البلدان**، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

٣٥٤. **المعجم الكبير**، الطبراني، حققه: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.

٣٥٥. **معرفة السنن والآثار**، أبو بكر البيهقي، حققه: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، باكستان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٣٥٦. **معرفة علوم الحديث**، أبو عبد الله الحاكم، حققه: السيد معظم حسين، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠هـ.

٣٥٧. **معرفة القراء الكبار**، الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٣٥٨. **المُعْلم بفوائد مسلم**، محمد بن علي المازري، حققه: محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م، والجزء الثالث طبعة ١٩٩١م.

٣٥٩. **المغني**، ابن قدامة المقدسي، حققه: د. عبد الله التركي ود. عبد الفتّاح الحلو، عالم الكتب، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ.

٣٦٠. **مفاتيح العلوم**، محمد بن أحمد الخوارزمي، حققه: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

٣٦١. **مفتاح دار السعادة**، ابن قيم الجوزية، حققه: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار ابن حزم، الطبعة الثالثة، ١٤٤٠هـ.

٣٦٢. **المفردات في غريب القرآن**، الراغب الأصفهاني، حققه: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٣٦٣. **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، أبو العباس القرطبي، دار ابن كثير-دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٣٦٤. **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، شمس الدين السخاوي، حققه: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٣٦٥. **مقاييس اللغة**، ابن فارس، حققه: عبد السلام هارون، دار الفكر، طبعة ١٣٩٩هـ.

٣٦٦. **مقدمة ابن الصلاح= معرفة أنواع علوم الحديث**، عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح، حققه: عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٣٦٧. **ملحق تخريج المصطلحات الأربعة في القرآن**، الألباني، دار القلم، الكويت، الطبعة الثامنة، ١٤٠١هـ.

٣٦٨. **المنار المنيف**، ابن القيم، حققه: يحي بن عبد الله الثمالي، دار ابن حزم، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠هـ.

٣٦٩. **مناسك الحج والعمرة**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٣٧٠. **منهاج السنة**، ابن تيمية، حققه: محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٣٧١. **الموطأ**، مالك بن أنس، حققه: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٣٧٢. **الموطأ**، مالك بن أنس رواية سويد بن سعيد الحدثاني، حققه: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

٣٧٣. **الموطأ**، مالك بن أنس رواية القعنبي، حققه: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٣٧٤. **المهذب في اختصار السنن الكبير**، الذهبي، حققه: ياسر بن إبراهيم، دار الوطن للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٧٥. **ميزان الاعتدال**، الذهبي، حققه: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ.

(ن)

٣٧٦. **النبوات**، ابن تيمية، حققه: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٣٧٧. **نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار**، ابن حجر العسقلاني، حققه: حمدي عبد المجيد السلفي، دار ابن كثير، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ.

٣٧٨. **نزل الأبرار بالعلم المأثور من الأدعية والأذكار**، محمد صديق حسن خان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

٣٧٩. **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، ابن الجوزي، حققه: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٣٨٠. **النشر في القراءات العشر**، ابن الجزري، حققه: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.

٣٨١. **نصب الراية لأحاديث الهداية**، الزيلعي، حققه: محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٣٨٢. **نظم المتناثر من الحديث المتواتر**، محمد بن أبي الفيض الكتاني، حققه: شرف حجازي، دار الكتب السلفية، مصر، الطبعة الثانية.

٣٨٣. **نقض الدارمي على المريسي**، عثمان بن سعيد الدارمي، حققه: رشيد بن حسن الألمعي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٣٨٤. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، حققه: محمود الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، المكتبة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ.

(هـ)

٣٨٥. **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، ابن قيم الجوزية، حققه: عثمان جمعة ضميرية، دار ابن حزم، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠هـ.

٣٨٦. **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، إسماعيل بن محمد أمين البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(و)

٣٨٧. **الوابل الصيب،** ابن قيم الجوزية، حققه: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار ابن حزم، الطبعة الخامسة، ١٤٤٠هـ.

٣٨٨. **الوافي بالوفيات،** صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، حققه: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، طبعة ١٤٢٠هـ.

الفهرس التفصيلي

الفهرس الإجمالي

للاطلاع على قائمة حديثة
لمؤلفات الشيخ ومتجر الكتب:
امسح الرمز

ISBN 978-603-91628-2-7
9 786039 162827